هيئة تكريم العطاء المميز
تأسست ١٩٩٦ - علم وخبر ٥٣/أ د/٢٠٠٠
العدد الأول
إغتراب
آداب
إجتماع وإنسانيات
مجلة
معرفة وعطاء
علوم وصحة
إقتصاد
حقوق وعلوم سياسية
تربية
تكنولوجيا
www.OCHDD.org

مجلة معرفة وعطاء

(مجلة ثقافية علمية)

تصدرها هيئة تكريم العطاء المميز كل ستة أشهر

العدد الاول تموز 2020

تعبّر المواد المنشورة في هذه المجلة عن آراء أصحابها و هي على مسؤوليتهم .

فهرس الموضوعات

هيئة التحرير	5
الإفتتاحية : د. كاظم نورالدين	6
أ: على توبة : من هي هيئة تكريم العطاء المميز ؟ وما هي أهم نشاطاتها؟	8
د. مصطفى بدر الدين : تجربتي مع هيئة تكريم العطاء المميز	20
د, درية فرحات : كلمة وفاء لتجربة مثمرة	22
د. عماد سيف الدين : تدريب القيادة (الأسس العالمية لبناء الشخصية القيادية)	25
د. مأمون طربيه : الهاتف في زمن الحجر: ثورة على العزلة	36
د. حسين ظاهر: فوبيا السياسة	42
أ.اسماعيل رمال : طريق الجلجلة	47
الحاج حسيب عواضة : العمل التجاري (خبرة ومهارة، استمرارية وصبر، متابعة ومراقبة، سلوك وأخلاقيات)	48
م. جنى حوماني : Covid19 مقابل 5G	53
د. محمد مراد : دور البلديات بين التنمية و الديمقراطية	56
د. زاهي خليل : صناعة النفط والغاز وانتاج الكهرباء في لبنان (تحدّيات وآمال)	63
د. علي السيد : الاغتراب رافعة الاقتصاد	69
د.محسن جواد : التعليم العام في لبنان ضحية غياب التخطيط التربوي	72
أ.د.مريانا الخياط الصبوري – د. شبيب دياب : التطوع والشباب الجامعي	75
د. محمد فران : راضي علوش في إبداعاته الجمالية	90
أ.د. دلال عباس : اللغة العربية والمصطلحات المترجمة	94
د. كاظم نورالدين : كيفية التخلص من الأدوية المنتهية الصلاحية وبقايا الأدوية المنزلية	109
أ. نجيب زبيب : علم الفلك	116
أ.د. وسام غياض : المثلية الجنسية بين الإباحة والتجريم	126
أ.ابراهيم فقيه : حكاية عز وأمل	135
د. محمود كوثراني : الأسباب الحقيقية للأزمة المالية والاقتصادية اللبنانية ، وإمكانية تحويل التهديدات الى فرص حلول	141

د. سونيا بيطار : أهمية الإحصاء وسبل ترقية دوره في التنمية المحلية	152
د. حسان قبيسي : تطوير النظام التعليمي في لبنان حاجة وطنية	164
د. يحيى شامي : الحيّة ذات الرأسين	172
أ.د. كلود عطية : الكورونا ولادة روح وفلسفة حياة	177
أ.ماهر الحاج علي : هذيان	180
د. محمد عبد فران : إدمان بلا مخدرات	182
الاعلامي علي بدرالدين : الصحافة في لبنان ...ماضياً وحاضراً	204
أ.د. علي حجازي : زنبقة الدار	216
د. سلطان ناصر الدين : التكامليّة الطبيعية بين القومية اللبنانية والامة العربية	219
د. دانية الزين : نشاط مؤسسات العمل الاجتماعي إبان الكوارث وانتشار الأوبئة	228
د. ماجد قبيسي : الكورونا Covid 19 أو Corona viruse	235
د. مريم شيحا : دور التعليم في تنمية الموارد البشرية	239
د. ليلى شمس الدين : تمثلات الآخر في الثقافة الشعبية العراقية	244
أ.د. علي فاعور : لبنان أمام الإنهيار الاقتصادي، من الفقر الى حالة المجاعة	272
د. منال خاطر : التباعد الاجتماعي والتواصل الأسري في فترة الكورونا وبعد انتهائها	307
د. مصطفى نورالدين : Digital transformation and cyber security strategy in Lebanon	312
د. سلام شمس الدين :الآثار الاجتماعية والنفسية للحرب البيولوجية الراهنة ، كوفيد 19	318
د.هلا عواضة : التعليم عن بعد والتسرب الرقمي(تجربة كلية الآداب في الجامعة اللبنانية)	333
أ.د. حسان خشفة : إقتصاد المعرفة في ظل جانحة كورونا، التحولات في التعليم العالي	364
أ.د. معضاد رحال : التكنولوجيا المتطورة بين رفاهية الانسان وقهره	372
د. أحمد نور الدين : A Brief History of Solar Water Heating	382
م. نبيل مكي : مراحل تطور التصاميم المعمارية (خلفية المجلة)	

هيئة التحرير

تتكون هيئة تحرير مجلة " معرفة و عطاء " من تسعة أساتذة وخبراء في الشأن الثقافي العلمي الأكاديمي ، تناط بهم المسؤوليات التالية :

- وضع خطة العمل للمجلة مع الاشراف على تنظيم وتنفيذ الأمور الفنية .
- اقرار البحوث المعدة للنشر و اعتمادها .
- ادارة التقويم الدوري للمجلة من حيث الشكل و المضمون بهدف تطويرها .
- اقرار الاخراج الفني .

تتوزع الهيئة الحالية على الشكل التالي :

1- رئيس التحرير : د. كاظم نور الدين

2- أمين التحرير : د. حسين ظاهر

3- التدقيق اللغوي : د. درية فرحات

4- الشؤون المالية : الحاج حسيب عواضة

أعضاء هيئة التحرير

5- د. عماد سيف الدين

6- د. سلام شمس الدين

7- الأستاذ يوسف نصار

8- الأستاذ اسماعيل رمال

9- المهندس نبيل مكي

الافتتاحية

تُصدر هيئة تكريم العطاء المميّز مجلّة "معرفة و عطاء"، وهي مجلّة هادفة الى توفير مساحة للإبداعات الفكريّة والأدبيّة، والدّراسات العلميّة التي تطال معظم ميادين المعرفة... وتقدّم هذه المواد للقراء وللباحثين اللبنانييّن والعرب بشكل مناسب. وستسعى الهيئة لتحقيق هدف أساسيّ هو الوصول الى أن تكون رئة حقيقيّة للحركة الثّقافيّة العربيّة.

ها هي جمعيتكم، هيئة تكريم العطاء المميّز، تضيف إلى رصيدها العلميّ، مجلّة علميّة، تفتح الآفاق الرّحبة أمام البحث العلميّ في كل الميادين، وسيكون لها أهمية في تنمية ثقافة المجتمع وتطوّره، وهي تأمل منكم إثراءها بأبحاثكم، ودراساتكم، ومقترحاتكم ، لكي يُكتب لها النّجاح والاستمرار، وتتمكّن من القيام بدورها.

اليوم نقدّم للقارئ العدد الأوّل سائلين المولى أن ينفع.

هذا وستستمر شعلة المجلّة مرافقة الباحثين المتخصّصين في مجالات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة والعلميّة و الصّحيّة... لتضيء دربهم، سواء كانوا أساتذة أو باحثين أو طلاب دراسات عليا...

هذه المجلّة كغيرها من المجلّات، ستتبوأ مكانة مهمّة مرموقة في نسيج المؤسّسات التّعليميّة ومراكز البحث، لأنّها ستسهم في عملية إنتاج المعرفة وتيسير تداولها بين المهتمين.

القارئ العزيز:

لا لذّة تعادل لذّة المعرفة، وهذا أمر يدركه كل شغوف بالبحث عن الحقيقة التي ليست سوى بحث عن حقيقتنا نحن، بني البشر، الذين قُدّر لنا أن ننفرد بخاصّية الوعي، غير أنّنا لا ندرك هذه الحقيقة إلّا من خلال تفاعلنا مع العالم المحيط بنا؛ فالوعي كما ذهب إلى ذلك "هيجل" يظل مبهمًا رابضًا داخلنا، وما إن يمضي الوعي إلى العالم حتى يتبدى له ملفوفًا بغرابة قاسية، لذا يعود إلى نفسه ليستنبط منها ما يمكنه من فك هذه الغرابة القاسية، عندها يصبح الوعي فعالًا.

إن المعرفة غريزة إنسانيّة، وقد أطلق حديثًا على هذه الحقيقة جوهر الذّات كما دلّل بذلك "فرويد" ومن بعده "لاكان"، فلو كانت الذّات بسيطة تلقائيّة لما أبدع الإنسان، ولما تقدّمت الحضارة بهذه الطريقة المذهلة...

غير أننا، للأسف، لا نقرأ، بل ثمة قلّة قليلة تنشغل بالقراءة الفعليّة المتفتّحة على كلّ المجالات وكلّ الحضارات، وأغلبيتهم يصابون "بنوع من الإحباط" عندما يجدون أنفسهم وسط أكثرية كثيرة غارقة في الجهل والتّخلّف الفكريّ، وتكتفي بنشدان طمأنينة زائفة في الأوهام والتّخيلات البدائيّة.

ونحن لا نلوم أحدًا، فالتّعليم في معظم الشّعوب حادَ عن هدفه الصّحيح وأصبح أداة لتكريس الجهل وتشويه البنيّة الفكريّة للمتعلّم.

يقول التّاريخ إننا نحن العرب الذين ساهمنا في إزدهار الحضارة الغربيّة، وأخذت عنّا ما أخذت في مجال الفلسفة والطّب والرّياضيات والبصريات والكيمياء والموسيقى وغيرها.

نقول لهم حقا ما تقولون، فعندما أمر المامون بإنشاء بيت الحكمة وترجمت الفلسفة وما تشمله من علوم، أرسى الأرضية الصّلبة بتقدّمنا الفكريّ والعلميّ آنذاك، وأصبحت بغداد منارة العالم وكذلك قرطبة والأندلس عمومًا. هذه المساهمة العظمى في تطوّر الحضارة الإنسانيّة معترف بها من طرف الغرب، ويكفي أن "هيجل" الفيلسوف الألمانيّ الشّهير اعتبر اللحظة العربيّة أساسيّة في تطوّر العقل البشريّ.

والحقيقة أنّ فلاسفة وعلماء ذلك العصر، لم يكتفوا فقط بالتّرجمة، بل أضافوا إلى الفلسفة والعلوم والرياضيات... أشياء كثيرة. (فقد كان لابتكار الصّفر أثر كبير على تطوّر الرّياضيات، والذي سيمتدّ تأثيره إلى كثير من العلوم الدقيقة، وأبرزها الفيزياء مثلا).

لكن ما الذي أصابنا بعد ذلك؟ انبثق الظّلام من النّور، وانبرى فقهاء عتاة يكفرون كل من يفكّر... ومن يحتفل اليوم بمفكرينا الكبار أمثال ابن رشد وابن حزم وابن عربي وأبو العلاء المعري والقائمة طويلة؟ الغرب هو الذي يفعل ذلك، وهو الذي يعلّمنا اليوم كيف نقرأ الحلاج وابن عربي وفريد الدين العطار والنفري وغيرهم من كبار الصوفية المسلمين، بغض النظر عن مسألة الإنتماء والعرق، لأن الأرضية كانت واحدة ومشتركة.

لا أريد أن أطيل أكثر في هذه الافتتاحية، ولا أريد أن أشير إلى الصّعوبات التي يمكن ان تواجهنا، ولكني سأختم بكلمتين للمفكّر الشاعر أدونيس، والمفكر والمحلل النّفسانيّ مصطفى صفوان.

يقول أدونيس: "عندما نحلّل اليوم الحالة التي تمر بها الشّعوب العربيّة التي كانت موجودة، سياسيًّا بغيرها لا بذاتها... ووجود هذه الشعوب بغيرها لا بذاتها، إنما هو نوع من الغياب. وهي عمليًّا ليست حاضرة على خريطة العالم بإبداعاتها العلميّة والفكريّة، أو بمنجزاتها التّقنيّة. وليست شريكة في التّخطيط على أي مستوى لمستقبل البشرية. فهي تابعة لهذه الهيمنة تبعية ألغت حرياتها، وشوهت كينونتها...".

أما مصطفى صفوان فيرى: "أنّ مساهمة الشّعوب العربيّة في الحضارة البشريّة باتت مستحيلة. (فبناء مختبر فيزيائيّ يحتاج لميزانية تعادل ميزانية مصر).

ومع ذلك فنحن ما زلنا نأمل.. وإلا لما أقدمنا على هذه الخطوة بإنشاء مجلّة تعنى بالأدب والعلوم الإنسانيّة والفلسفة والفكر وكل الميادين عمومًا.

رئس التحرير : د. كاظم نورالدين

من هي هيئة تكريم العطاء المميز؟ وما هي أهم نشاطاتها؟

بقلم الأستاذ علي توبة أمين سر الهيئة

هيئة تكريم العطاء المميّز هي جمعية غير سياسية ولا تتوخى الربح ، مركزها النبطية . وقد تأسست في العام 1996 ، و حصلت على الترخيص بنوجب العلم والخبر رقم 53/ أ.د / 2000 .

- **أهداف الجمعية :**
  - تكريم النخبة من العاملين بإمتياز.
  - رفع مستوى الثّقافة .
  - توسيع آفاق المعرفة وتشجيع الطليعة من المواطنين الذين يقدمون لوطنهم أعمالًا جليلةً ومميزة .
- **مواردها :**
  - اشتراكات الأعضاء .
  - التبرعات والهبات وريع النشاطات التي تنفذها الجمعية .
  - تصرف الأموال في سبيل تحقيق أهداف الجمعية .
- **هيئاتها :**
  - الهيئة التأسيسية : تقوم بصلاحيات الهيئة الإداريّة لمدة سنة من تاريخ قرار الترخيص . وقد تشكلت من السادة :

- الأستاذ نظام حوماني
- د. مصطفى بدر الدين
- المرحوم د. حسن نورالدين
- الأستاذة نجاة جميل
- الأستاذ يوسف نصار
- الأستاذ محمد علي نورالدين

- المرحومة الأستاذة ليلى نصار
- الأستاذ علي توبة
- الأستاذ أمين قانصون
- الأستاذ أسد زين غندور

- الهيئة العامة : تتألف من جميع الاعضاء المنتسبين فعليًا الى الجمعية وقد بلغ عددهم حتى العام 2020 اثنان و سبعين عضوًا.
- الهيئة الإداريّة:

تمثّل الجمعية وتدير شؤونها وفقًا لأنظمتها وضمن القوانين المرعيّة. ويمكنها تأليف لجان وهيئات معنية وتسمّيها وتحدّد مهامها وطريقة اختيار أعضائها أو تعيينهم. وقد استعانت الهيئة الإداريّة الحالية بعدة لجان ، لكل لجنة منسق، و توزّعوا على الشكل التالي:

1- منسق لجنة الثّقافة التّربويّة.
2- منسق لجنة البيئة.
3- منسق لجنة العلاقات العامة مع المغتربين.
4- منسق لجنة الدّراسات.
5- منسق شؤون المرأة .
6- منسق شؤون الشّباب.

- **شروط الانتساب الى الهيئة:** أن يكون المنتسب:
  - قد اتم الواحد والعشرين من العمر .
  - متمتعًا بحقوقه المدنيّة وغير محكوم عليه بجناية أو جنحة شائنة.
  - قابلًا بنظام الجمعية، وعاملًا على تحقيق أهدافها.
- **نشاطات الجمعيّة :**

تابعت هيئة تكريم العطاء المميّز ممارسة نشاطاتها تبعًا لمرحلتين:

<u>الأولي قبل العام 2017:</u>

تميزت هذه المرحلة بتكريم الأشخاص و المؤسسات من النخب المتميزة في الميادين الاجتماعية والاقتصاديّة والتّعليميّة ... وكان من أهم هذه النّشاطات التّكريميّة ما يلي:

- تكريم الأستاذ على حجازي بمناسبة يوم المعلم الجنوبي ، وكان آنذاك مبعداً من بلدته حولا (شباط 1997).

- تكريم المرحوم الأستاذ عبد الرضا نورالدين مدير مدرسة عربصاليم الرسمية ، في منزله الكائن في عربصاليم. وقد قدّم له الأستاذ أسد غندور ممثلاً المنطقة التربوية في النبطية وسام وزارة التربية(تموز 1997).
- تكريم الدكتور ابراهيم عطوي، مدير المستشفى الحكومي في صيدا (1998).
- تكريم جمعية الكفيف اللبناني، مع حفل غنائي فولكلوري قدمته الجمعية (1999).
- تكريم المدارس المحاذية لمواقع جيش العدو الاسرائلي في قضاء النبطية (عربصاليم – حبوش – كفررمان – النبطية التحتا – النبطية الفوقا – كفرتبنيت – يحمر – زوطر الشرقية – زوطر الغربية ...) وذلك في مركز كامل يوسف جابر (آذار 2000).
- تكريم عدد من أوائل المعلمين في منطقة النبطية ، منهم : سميح بدرالدين – أحمد ظاهر – أحمد جابر – سامي صباح – جعفر نورالدين – وجيه بشارة – عادل صباح – حسن غندور – علي قديح... في مركز كامل يوسف جابر(آذار 2001).
- تكريم الفنانين المبدعين في النبطية في قاعة نادي الشقيف (أيلول 2000).
- تكريم رئيس المنطقة التربوية في النبطية الأستاذ أنور ضو وتهنئته بتعيينه مديراً عاماً لتعاونية موظفي الدولة ، وذلك في مركز كامل يوسف جابر (شباط 2002).
- تكريم الفنان وليد غلمية في ثانوية الراهبات في النبطية (تشرين الأول 2001).
- تكريم المرحوم د. كاظم مكي ، المفتش التربوي العام ، في مركز كامل يوسف جابر (تشرين الاول 2003).
- تكريم عدد من المتقاعدين والشخصيات العلمية ، بينهم الاستاذ أسد زين غندور في مركز جمعية تقدم المرأة (تموز 2010).
- تكريم الفنان خالد العبدالله واحياء سهرة له في جمعية تقدم المرأة (تشرين الأول 2009).
- تكريم الرئيس الأول لمحاكم النبطية القاضي برنار شويري(نيسان 2010).
- تكريم المربية الراحلة المرحومة ليلى نصار (2012).
- تكريم المرحوم الدكتور حسن محمد نورالدين رئيس هيئة تكريم العطاء المميز السابق بعد وفاته في آب (2014).
- تكريم الرئيس أميل لحود (2012).
- تكريم المرحومة المربية الأستاذة فريحة الحاج علي، وقامت هيئة التكريم بتوقيع عريضة حملها الاستاذ يوسف نصار وسعى الى توقيعها من اهالي وتجار النبطية واساتذة المدرسة ، و العريضة

تطالب بإطلاق اسم المربية فريحة الحاج علي على المدرّسة التي كانت تديرها . وقد حمل العريضة الى وزير التربية كل من الاستاذ يوسف نصار والمرحوم الاستاذ عادل صباح والاستاذ علي توبة والمرحوم حبيب جابر وسعادة النائب المرحوم عبد اللطيف الزين . وفعلاً تم اطلاق اسم المربية فريحة الحاج علي على المدرسة التي باتت تعرف باسم مدرسة فريحة الحاج علي.

- تكريم المرحوم المغترب الحاج رضا مروة في حفل افطار سنوي في نادي الشقيف (2015)
- افطار سنوي تكريمي ، تم خلاله تكريم عدد من النساء المبدعات في بلاد الاغتراب من بينهن : الشاعرة اكرام قديح– الأديبة دنيا فياض طعان – الفنانة التشكيلية ديانا زين الدين – المربية فاطمة حيدر طقش – المحامية ديما ابراهيم غندور – الحاجة ربيعة جابر كلوت – الحاجة نعمت السبع جابر – السيدة هيام غدار فخر الدين – الدكتورة هيام مروة ...
- علاوة على تكريم أعداد اخرى من الشخصيات و المؤسسات كتكريم المرحوم الدكتور علي بدر الدين و توزيع كتبه الادبية والعلمية . وتكريم الاعلاميين ، وتكريم الزميل الاستاذ علي توبة على عطاءاته العلمية والخدماتية...

<u>والثّانية بعد العام 2016:</u>

في العام 2017 قررت الهيئة الإداريّة في هيئة تكريم العطاء المميّز أن تنطلق في نوع جديد من التّكريم، مع موازاة تكريم الأفراد المميّزين، والمؤسسات المعطاءة، يلبي الأهداف الواردة في النّظام الداخلي للجمعيّة، والتي تركّز على نشر الثّقافة والمعرفة... فكانت أجندة جديدة للنّشاطات، تتالت على الشّكل التّالي :

- تنفيذ مؤتمر البيئة والمجتمع، الذي جاء تكريمًا للبيئة التي تعرضت إلى أعتى أنواع الانتهاك من قبل السّكان والمؤسّسات العامة والخاصة ذات الصلة، وإهمال من قبل السّلطة (فكان وراء الأكمة ما من نهب وسرقة ووعود كاذبة وتنفيعات و...). شارك في هذا المؤتمر الذي انعقد في قصر الملوك – النبطية ما يزيد على 32 باحثًا وباحثة.

-

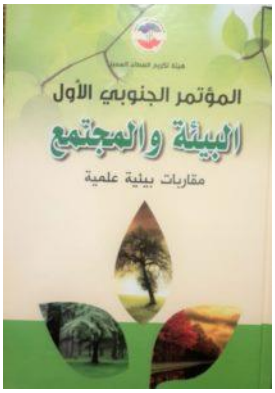

وبعد انتهاء المؤتمر قامت هيئة التّكريم بجمع الأبحاث وإصدارها في كتاب بعنوان: "البيئة والمجتمع"، وهو كتاب علميّ يعرض المشاكل البيئيّة ويضع الحلول السّليمة. وقد طاول البيئة في كل ميادينها .

بعد صدور الكتاب قامت الهيئة بتوقيعه في مهرجان حاشد في قاعة ثانوية الصّباح الرّسميّة بحضور اكثر من 600 مشارك من المثقفين والباحثين والأكاديميين ، وقُدّم لهم الكتاب هدية.

استكمالًا لمتابعة فعاليات مؤتمر البيئة والمجتمع، وحرصًا على متابعة التّوصيّات، شكّلت الهيئة لجنة متابعة للاهتمام بهذا الموضوع، وكان من ضمن نشاطاتها اجتماعًا مع بلديات وجمعيات قضاء النبطية في شهر آب من العام 2017، عرضت عليهم التّعاون على تنفيذ خطة عمل كانت قد أعدتها، تساهم في بعض الحلول البيئية في المنطقة.

كذلك قامت الهيئة بزيارة البيت التّراثي في الدّوير وكرّمت من جمعت هذا التّراث الفنيّ الحاجة أم سامر وهبي، وذلك لتشجيع هذا النّوع من العمل الفنيّ.

وأيضاً نظمت الهيئة حفل تكريم لمغتربين تبوؤا مراكز في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم في شهر كانون الاول 2017 في مطعم نادي الشقيف النبطية، بينهم :

- رئيس الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم في العالم القنصل رمزي حيدر.
- امين عام الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم الاستاذ ابراهيم فقيه.
- الاستاذ غازي قديح رئيس الجالية اللبنانية في دولة بنين (كوتونو).
- الاستاذ ربيع يوسف نصار رئيس الجالية اللبنانية في دولة التوغو

في شباط 2018 قامت الهيئة بتكريم الطّالبة دانيلا زكريا صفا في منزل ذويها في النّبطية لحصولها على الفئة الأوّلى للأوائل في الحساب الفوري. وقدّمت لها شهادة تقدير.

في أيلول 2018 شاركت الهيئة في توقيع كتاب الاديب والشاعر الأستاذ نجيب زبيب بعنوان: "من ناسا لاعماق الفضاء" ، وكانت كلمة لرئيس الهيئة.

في أيلول من العام 2018 نفّذت الهيئة مؤتمرًا ثانيًا بعنوان: مؤتمر الجنوب الثاني: " جبل عامل تاريخ وواقع" وكان الهدف منه تكريم جبل عامل من خلال جمع جزء من تراثه الثقافي، المعرقي، العلمي، الأدبي... وشارك في الأبحاث والمداخلات أكثر من 40 أكاديميًا في اختصاصات مختلفة.

وكعادتها جمعت هيئة التّكريم أبحاث المؤتمر وأصدرتها في كتاب: "جبل عامل تاريخ وواقع".

تم توقيع كتاب المؤتمر الجنوبيّ الثانيّ: "جبل عامل: تاريخ وواقع" في مهرجان حشد أعدادًا كبيرة من المثقفين والأكاديميين والباحثين في ثانوية حسن كامل الصّباح الرّسمية وقُدّم الكتاب هدية للمشاركين.

في كلمة الهيئة في مؤتمر جبل عامل جاء: إن تراث هذا الجبل لايُجمع بمؤتمر وكتاب، بل إنّه يحتاج الى مؤتمرات ومجلّدات لغنى هذا التّراث. وقد وعدت الهيئة بمتابعة هذا النّشاط في جمع التراث، على أمل التحوّل الى جمع تراث مناطق أخرى من لبنان.

في 26 / كانون الثاني/ 2019 شاركت الهيئة في توقيع المجموعة القصصيّة للأديبة الدكتورة درية فرحات بعنوان: "احكي يا شهرزاد".

كما نفّذت هيئة تكريم العطاء المميّز في رمضان 2019 أربع أمسيات شعريّة:

- أمسيتان في قاعة قصر الملوك في النبطية.
- أمسية في قاعة توتانغو نادي الشقيف النبطية.
- أمسية في قاعة سكاي – لاين مقابل مستشفى النجدة الشعبية اللّبنانيّة – النبطية.

شارك في هذه الأمسيات 37 شاعرًا وشاعرة، وحُدّدت شروط المشاركة بـ:

- قصيدة في جبل عامل (موضوعها عن جبل عامل).
- جديدة.
- غير منشورة.

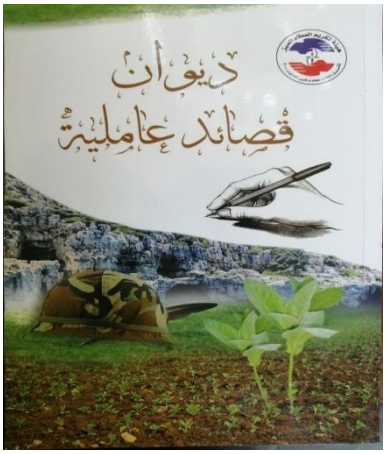

جُمعت القصائد وأصدرتها الهيئة في ديوان بعنوان :"قصائد عامليّة".
تمّ توزيع الديوان أيضًا في مهرجان تكريم الشعر العاملي في ثانوية الصّباح الرّسمية وقُدِّم هدية للمشاركين.

في تموز 2019 شاركت الهيئة في توقيع كتاب "بقايا خطى" للمؤلف فياض مسلم فياض، في نادي الشقيف في النبطية.وكانت كلمة للأستاذ محسن جواد ، وكلمة للأستاذ يوسف نصار.

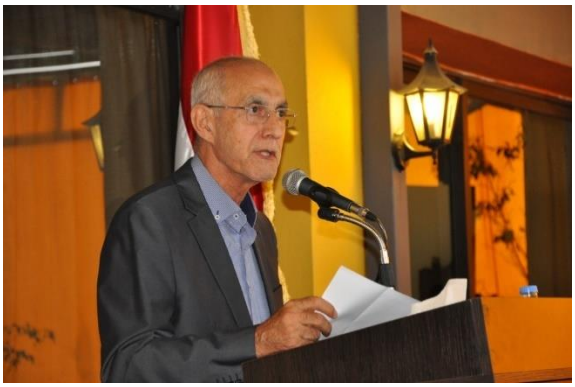

تجدر الإشارة الى أنّ تمويل هذه النّشاطات كان عبارة عن تبرّعات من خيرين ومغتربين وأعضاء من الهيئة الإداريّة يأبون ذكر أسمائهم .

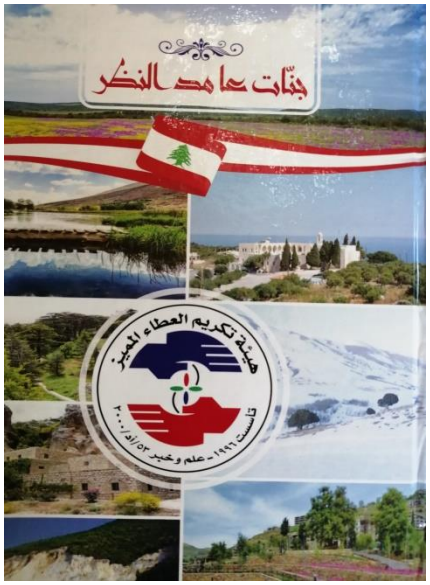

في آب 2018 نفذت الهيئة رحلة علميّة ترفيهية الى منطقة بشري – الأرز امتدادًا الى منطقة عيون أرغش و منتزهات البردوني في زحلة. وقد طُلب من المشاركين تسجيل ملاحظاتهم ومشاهداتهم العلميّة والفنيّة وتوثيقها. وخلال أسبوع، جُمعت الموضوعات وأصدرتها الهيئة الكترونيًا في كتاب علميّ سياحي بعنوان: "جنات عا مد النظر" وأصدرت 30 نسخة ورقيّة وزّعت على المشاركين.

مع موازاة هذه النّشاطات تابعت هيئة التّكريم نشاطاتها في تكريم الأشخاص والمؤسّسات، فقامت بزيارة عدد من الشّخصيّات الفاعلة في الميدان التّعليميّ، والذين مازال أثرهم بارزًا في مجتمعاتنا ومنهم:

1- الأستاذ عبد الامير مكيّ

2- الأستاذ مخول الغزي

3- الأستاذ حسن كحيل

4- الكاتب والمخرج الأستاذ حسن ضاهر

كما نظمت هيئة التّكريم مؤتمرًا علميًا، بالتّشارك مع المجلس القاريّ الأفريقيّ والجامعة اللّبنانيّة الثّقافيّة في العالم بشخص رئيسها الحاج عباس فواز، تكريمًا للاغتراب اللبنانيّ، تحت عنوان : المؤتمر الجنوبيّ الثّالث: "البحث العلميّ حول الاغتراب اللّبنانيّ"، وكان مقررًا تنفيذه في 18 و19 تشرين الأوّل، وقد حالت الثورة في لبنان دون ذلك.

ترقبت الهيئة الوقت المناسب لتنفيذ المؤتمر، حيث عُقد في 21 و22 كانون الأوّل 2019 في قاعة قصر الملوك – النبطية، وحظي بنجاح باهر.

شارك في المؤتمر 42 باحثًا وباحثة وقد جُمعت الأبحاث والمداخلات وطُبعت في كتاب بعنوان: "البحث العلميّ حول الاغتراب اللّبنانيّ"، بلغ عدد صفحاته 880 صفحة. وهو بانتظار الوقت المناسب لتوقيعه وتقديمه هدية للمشاركين، بعد أن تولّى المجلس القاريّ الأفريقيّ جميع التّكاليف.

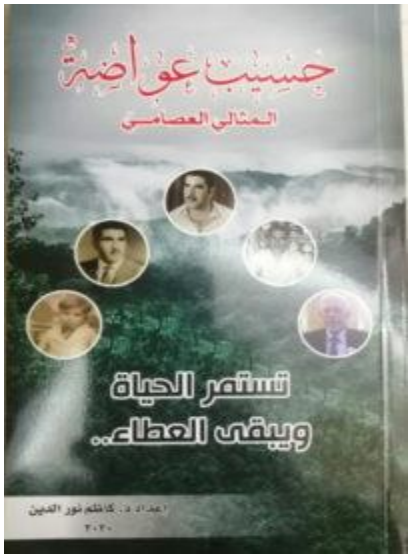

من تبسّم لك، قابله بضحكة كبيرة تضفي السّعادة على قلبه، وبما أن الله سبحانه وتعالى قيّض للهيئة إنسانًا يمتلك كل صفات الإنسانيّة، احتضن الهيئة وسعى إلى استقرارها، فقدّم لها مركزًا لاجتماعاتها وممارسة نشاطاتها. وهذا المركز سيساعد الهيئة في تأسيس مكتبة ورقية إلكترونية تساهم في مساعدة الباحثين وطلاب الجامعات في مختلف الميادين...

اعترافًا منها بالجميل قامت الهيئة باصدار كتاب: حسيب عواضة المثاليّ العصاميّ تقديرًا لمساهمات هذا الحاج الفاضل.

كذلك نظمّت هيئة تكريم العطاء المميّز في شهر رمضان من العام 2020 أربع أمسيات شعريّة في موضوع جديد عن اللّغة العربيّة. ولكن ظروف الكورونا (covid 19) حالت دون تنفيذ هذه الأمسيات ، فلجأت الهيئة الى بثها إلكترونيًا (اون لاين عن طريق فيديوات مصورة)، وفي التوقيت نفسه.

جُمعت القصائد وأصدرتها الهيئة في ديوان شعريّ بعنوان: "قصائد في لغة الضّاد". شارك في روائعه 42 شاعرًا وشاعرة، بينهم شعراء من الدّول العربيّة (سوريا – العراق – المملكة العربية السعودية) ومن مناطق متعددة في لبنان. كذلك تنتظر الهيئة الظّروف المناسبة لتوقيعه وتوزيعه مع كتاب البحث العلمي حول الاغتراب اللّبنانيّ.

تجدر الإشارة إلى أن الهيئة الإداريّة تحرص على إلتزام قانون الجمعيات وتعقد اجتماعًا سنويًّا للهيئة العامة بهدف اطلاعها على النّشاطات والموازنة ونقاشهما وإقرارهما ومناقشة اقتراحات الاعضاء. وفي اجتماعها الأخير قرّرت رفع اجتماعاتها الى اجتماعين سنويًّا (الأوّل في شهر حزيران والثّاني في شهر كانون الأوّل).

اجتماع الهيئة العامة كانون 2019

أخيرًا أخذت الهيئة على عاتقها والتزمت مبدأ: تستمر الحياة ويستمر العطاء، وتستمر الهيئة بنشاطاتها. لذلك هي الآن بصدد إصدار مجلّة الكترونيّة (أدبية، علميّة، ثقافية، اجتماعيّة، اقتصاديّة، فنيّة، قانونيّة...)، نصف سنويّة. وسيصدر العدد الأوّل منها في الأسبوع الأوّل من شهر تموز 2020 .

نحن وإياكم على الوعد

صامدون صمود أرزك يا لبنان

تجربتي مع هيئة تكريم العطاء المميز

بقلم الدكتور مصطفى بدر الدين (اختصاص قلب و شرايين)

باسمه تعالى

تجربتي وهل أسميها تجربة ؟

تجربتي أهي صدفة في حقبة عمر، أم أويقات زمن تجمّعت في قدر؟

تجربتي ماذا أسميها؟؟ وهي ليست تجربة، إنما هي زمن جميل عشته وما زلت، في حلاوة الحدث و مرّه... ولا أنفر ولا أنكر فضائله في تكوين الرصيد...

إنه الرصيد الثمين وقد جَمَعَتْهُ الأيام يضاف الى الحصاد... حصادٌ جُمع في ظلام الليالي و إشراق شمس النهار. إنه درّة ثمينة في ثروة متواضعة رصيدها الانسان الانسان . إنه القيمة المضافة يدفعها المخلوق في دَيْنِهِ لخالقه ...

إنها وسيلة من وسائل السمو للوصول الى المراد في مرضاة الباري عزّ وجل.. وما قيمة العمر دون الذكر الحسن في ملف الذكريات ...

- إنه نبع الحسنة الجارية .
- إنه الماء النقي، يسقي الخلق هدية وقدوة ومثال ...
- إنه رمزية رد الجميل .
- إنه عمل من أعمال الضمير.

صورة لاتشبه إلا من عمل على تكوينها ، ومن ترجمها على صورته: صدق، تفان ووفاء.

وكل هذا لتكون عائلة هيئة التكريم أي هيئة تكريم العطاء المميز .

فيها كلٌ خلاّق، وتكبر الدنيا بها حين يزيد السخاء... إنها الآفاق البعيدة ، فيها صفاء العيون، واليها تنمو الأغصان ولا درب لغصنٍ أخضر ومثمر إلا للعلا، لأن السماء هي المداد ...

هيئة التكريم سطعت منها أضواء علم ونور ومعرفة، فيها غنى الرجاء...

في جائحة غياب القيم، هي البذل والتفاني، هي صقل العقول... والغاية مشاركة الغيور في البناء.

هيئة تكريم العطاء المميز شرف ووسام و فخر، حين تتشابك القلوب والأيدي في التأسيس والمسار... إنها أمانة محفوظة في القلوب الحارة، إنها القسم الصادق للبقاء على العهد ، رئيساً كنت أو عضواً، في خدمة الهيئة ودعم الرفاق.

هذا كان الوعد والعهد منذ البداية وحتى النهاية في مسار حب العطاء.

كلمة وفاء لتجربة مثمرة

بقلم د.درية كمال فرحات

هَمْسُ الكلماتِ...

حدّثتْني الكلماتُ عن قامةٍ شامخة، وألحَّتْ بالسّؤالِ عنه، وتراني أُمسكُ هنا بالكلماتِ أناجيها، وتُناجيني بِما فيها من عبْرةٍ عن أيّامٍ غنيّةٍ، وأعمالٍ مشرقةٍ، أضاءت سماء هيئتِنا، وهكذا صارَ له أن نسجّلَ عباراتٍ تبقى وفيّةً لكلّ الصّفحاتِ الجميلة من أيّامٍ طويلة.

وتتوالى الصّفحاتُ...

بدأَتْ رحلتي في هَيْئةِ تَكريمِ العَطاءِ المُميّزِ بترشيح عضوّ مميّز من أعضاء الهيئةِ، بناء على المبدأ الذي تنتهجه هَيْئةُ تَكريمِ العَطاءِ المُميّزِ في اختيار أعضائها، فكانت سعادتي كبيرةً بهذا التّرشيح، من إنسانٍ مميّز لهيئة مميّزة.

ومسيرةُ هذا الشّخصِ حافلةٌ بالعطاء، فهو من مؤسّسي هذا التّجمعِ الكبيرِ، وكانَ عضوّا ناشطًا فعّالًا، عملَ الكثيرَ من أجلِ تنظيمِ أعمالِ الهيئة، ولم يتوانَ يومًا عن تقديمِ خدماتِه لأجلِ إنجاج كلّ عملٍ من أعمالِ الهيئةِ.

الحَسنُ الحُسنُ...

هو الحَسَنُ والحُسْنُ في أعمالِه، هو نورُ الدّينِ والنّورُ في مسيرتِه، نعم إنّنا نتحدّثُ عن المرحومِ الدّكتور حسن نور الدّين، الذي تناسَلَتْ خيوطُ العطاءِ من أصابعِه واسْتلّ من جعبتِهِ كلّ ما لديه من زادِ المحبّةِ.

تعوّدنا الألقَ بسحرِ كلماتِه، وبحسنِ أخلاقِه مَلَكَ الجميع، وبطيبِ قلبِه جمَعَ الغفيرَ من النّاس، وبحسنِ أسلوبِه الراقي تعامَلَ مع الجميع، كانَ له الحضورُ الجميلُ المميّز، المتعاونُ مع الجميع، فرسمَ للإبداعِ عنوانَ جمالٍ وأناقةٍ. علّمَنا ومازالَ يعلّمُنا الكثير.

غابَ عنّا في لحظةٍ من لحظاتِ الحياةِ الأليمةِ، ففقدْنَاه، وخسرْنَا حضورَه بيننا، لكنّنا لم نخسرِ التّعلّمَ من أعمالِه ومشاركتِه النّاشطةِ في هَيْئةِ تَكريمِ العَطاءِ المُميّزِ.

أعْمَالٌ مُضيئة...

ولأَجلِ ما قدّمَه لهَيْئةِ تَكريمِ العَطاءِ المُميّزِ، من المهمّ أنْ نسطّرَ على هذه الصفحاتِ تجربةَ عملِه فيها، وفي ذلك تعبيرٌ بأقلّ الكلماتِ عن عملِه المعطاء، لنصرَّ على المضي في الطّريقِ، ولا يبقى سوى الوفاءُ والشّكرُ لمسيرةٍ طويلةٍ قدّمَها في رحابِ الأنشطةِ مشاركًا الزّملاء والأعضاء في تطوير الهَيئة.

حَسنُ نور الدّين عضوًا ونائبًا للرّئيس...

شارك الدّكتور حسن نور الدّين مع مؤسّسي الهَيْئة بتكريم ثلّةً كريمةً من العاملين النّاشطين في المجتمع، وباكورةُ هذه الأعمالِ كانت تكريم المرحوم المربي الأستاذ عبد الرّضا نور الدّين، في بيته بعربصاليم تقديرًا له على أعماله ومسيرته التّربويّة.

ومن الأعمال التي نفّذتها هَيْئةُ تَكريمِ العَطاءِ المُميّزِ المميّز حفلًا تكريميًّا لفرقة المكفوفين الموسيقيّة، حيث قدّموا حفلًا موسيقيًّا غنائيًّا، وقد اختاروا قصيدةً من قصائد الدّكتور حسن نور الديّن فقدّموها غناءً.

ومن النّشاطات التّكريميّة التي كانت للمسات الرّاحل الدّكتور حسن نور الدين أثرُها في تنظيمها، هو حفلُ تكريم الثّانويات والمدارس التي كانت في مناطق المواجهة مع العدوان الإسرائيلي، ممثّلةً بمديريها وطاقمها التّعليميّ. إضافة إلى الحفل التّكريمي للفنون، من خلال تكريم القامة الموسيقيّة الرّاحل وليد غلميّة.

حَسنُ نور الدّين رئيسًا للهيئة...

ولم يتوقّف عطاءُ الرّاحل حسن نور الديّن، فتكتملُ تجربته من خلال تولّيه مهامَ رئاسة هَيْئة العطاءِ المميّزِ، فيستمرُّ النّشاطُ، ويتواصلُ التّكريمُ والعطاءُ.

نظّمت هَيْئةُ تَكريمِ العَطاءِ المُميّزِ حفلًا تكريميًّا لمجموعة من رؤساءِ االبلديات السّابقين والمعلمّين المتعاقدين في منطقة النّبطيّة في مبنى جمعية تقدّم المرأة في كفر جوز، بحضورِ رئيس الهيئة الدّكتور حسن نور الدّين، ورئيسة الجمعيّة السّيدة سلمى علي أحمد، وحشد من الشّخصيات، وكانت لنور الدّين

كلمةٌ أشارَ في مستهلّها إلى مسيرة الهيئة ودورها في تنشيط العمليّة الثّقافيّة والتّربويّة والاجتمايّة وتحفيز رجال الفكر والأدب والتّربيّة على بذل المزيد من الجهد والعطاء. وأكّد أنّ الهيئة تكّرم المبدعين والمعطائين في حياتهم ليشعروا بالأمان والرّاحة، وأنّ هناك من يقدّر تضحياتهم وإبداعهم وهم على قيد الحياة.

وتعدّدت الأنشطة الثّقافيّة التّكريميّة التي قامت بها هيئة تكريم العطاء المميز برئاسة الدّكتور حسن نور الدّين، ومنها الأنشطة الحواريّة فكان اللقاء مع الإعلاميّة كوثر البشراوي، حيث استضافتها هيئة تكريم العطاء المميّز بالاشتراك مع جمعية نادي الشّقيف، وقد تحدّثت البشراوي عن الأوضاع العربيّة، وفي ختام الاحتفال قدّم لها نور الدّين درع الهيئة التّكريميّ.

ومن النّشاطات التّرفيهيّة التي أقيمت في أثناء تولّي نور الدّين رئاسة الهيئة، اللقاء مع الفنان الملتزم خالد العبدالله في مبنى جمعية تقدّم المرأة بكفر جوز، وكان احتفالًا ضمّ أعضاء الهيئة بجوّ عائليّ ممتع.

وغيرها من النّشاطات...

عطاء وذكرى...

وتستمرّ مسيرة الهيئة، والغصة تخنقها بفقدان الرّاحل، لكنّ في الاستمرار تكريمًا له ولمسيرته، وما وقفتنا هنا إلّا وقفة وفاء لرجل كانت تجربته غنيّة في سجلّ هيئة تكريم العطاء المميّز كما هي غنيّة في الحياة.

تدريب القيادة : الاسس العالمية لبناء الشخصية القيادية

إعداد : د. عماد سيف الدين

عشرات الآلاف من الاداريين ورؤساء المؤسسات ورواد المجتمع يخضعون سنوياً لدورات تدريبية في القيادة، فيُأهَّلوا علمياً ومهارياً وثقافياً ليتسلموا مواقع حساسة على مستوى التفاعل مع محيطهم الاجتماعي وأروقة اتخاذ القرار...

حكومات وشركات عابرة للقارات، ومؤسسات إقتصادية وإجتماعية وتربوية وسياسية وعسكرية... تحرص على قيادتها من قبل متدربين يتقنون فنون القيادة ويحسنون إثارة دافعية فريقهم للنجاح المستمر ...

إنها عجلة أساسية للبناء الحضاري، فهؤلاء لا يحرصون فقط على النجاح، وإنما أيضاً على تقديم أفضل المستطاع، وترك آثار رائدة تستمر حتى بعد غيابهم، لتشكل بناءً حضارياً دائماً...

وعلى حد قول أحد الدارسين في علم التاريخ، تاريخ العالم ليس إلا سيَرْ القادة، مبدعون قدّموا إنجازات خالدة للثقافة الإنسانية، أو شخصيات غيرت العالم بإنجازاتها الكبيرة .

ولكن القيادة بمفهومها أيضاً تشمل أولئك الذين خرّبوا العالم بحروبهم وغيروا مجرى التاريخ إلى الأسوأ بمفهومهم... فهم أيضاً كان لديهم القدرة الفريدة على التأثير في جماعات بشرية كبيرة نفذت أعمالهم الجنونية، وكان لهم القدرة على التفكير الاستراتيجي الدقيق الذي يجعلهم يتقنون لحظات اتخاذ القرار ولكنهم من أصناف القادة الذين يستحقون لقب القائد السيّئ.

من هنا، فإن الدراسات العلمية التي تعمقت في القيادة وتحدياتها، ومناهجها التدريبية، حرصت على إنشاء حقائب تدريبية تفيد في صناعة قادة لا يتقنون استعمال الأدوات ويمارسون المهارات بأعلى مستوياتها فحسب، بل يستطيعون أيضاً أن يكونوا قادة إيجابيين يحسنون البناء...

من جهة أخرى، لا يعني أبداً أن القائد، هو ذلك الذي يغير التاريخ أو يقدم إبداعات وابتكارات عالمية ليؤثر في مجتمعه العلمي. ففي الحياة قائد تربوي وقائد إجتماعي وأسري، وقائد اقتصادي، وآخر فني...

إنهم أفراد استطاعوا أن يؤثروا في محيطهم المؤسسي وأن يتشاركوا مع غيرهم في مسيرة الإنجاز والنجاح .

إن التدريب القيادي الذي نحن بصدده، يتوجه لكل هؤلاء بدون استثناء، ذكوراً وإناثاً شباناً وشيباً رؤساء ومرؤوسين، وكم من المواقف التي تحملها ذاكرتنا، التي تؤكد لنا أن موظفاً عادياً في المؤسسات قد يمتلك بشخصيته الفذة، وعقله النيّر، وظروفه المحيطة، قدرة على النفوذ والتأثير لا يمتلكها بعض الأحيان رب العمل نفسه الذي يترأسه...

وفي هذه الحالة سنلقي الضوء على التدريب القيادي كمستلزمات وأسس تدفع بنا لأن نكشف عن الفرق بين التدريب القائم على نقل المعارف والمعلومات، والتدريب القائم على تكوين الاتجاهات واتقان المهارات الأساسية لبناء الشخصية القيادية في مجتمعاتنا العربية .

1- <u>الأبعاد النفسية للقيادة :</u>

تصدّر هرم ماسلو Maslow العلوم الادارية والتربوية مدة طويلة من الزمن ، بالرغم من آرائه الأخيرة التي كشفت عن خلل ما في تدرّج الاحتياجات الانسانية كما وضعها بداية .

فنظرية الدافع البشري التي وضعها في العام 1943 ، أتبعها بنظرية أخرى حول الفضول البشري . وترتيب احتياجات الانسان تبدأ بالاحتياجات الفسيولوجية، ثم حاجات الأمان ثم الاحتياجات الاجتماعية ، وتنتهي مع تقدير الذات وتحقيقها ...

من خلال كتابه (الدافع والشخصية) الذي صدر في العام 1954 وبالرغم من تنبهه لتلك العلاقة القائمة ما بين الدافع والاتجاهات الشخصية ، ظلت هذه النظرية بالرغم من اختراقها عالم التدريب والتربية والادارة والدراسات الاجتماعية، لا تجيب عن حضور دوافع أخرى موجودة وقائمة عند الكثيرين من الأفراد . إلى أن جاء ريزونر Reasoner، (أبرز الخبراء الذين عملوا في مجال بحوث تقدير الذات) وكشف النقاب

عن خمسة مكونات لتقدير الذات، تشكّل الاحتياجات الأعلى في تكوين الشخصية. ولأننا نتحدث عن تكوين الشخصية القيادية، فالأمر يكاد يكون أكثر دقة، وأبعد دلالة...

يعالج ريزونر خمسة مكونات يشعر بها الأفراد تتعلق بتقدير زواتهم هي :

1- الشعور بالهوية .

2- الشعور بالانتماء .

3- الشعور بالأمن .

4- الشعور بالهدف .

5- الشعور بالكفاية .

وهي احتياجات تنطبق على كافة الأفراد، لا بل على كافة المجتمعات، فالشخصية التي يتدنى فيها الشعور بالهوية، ستصبح شخصية غير مؤكدة للذات ومضطربة، ما يضعف مكوناً أساسياً من مكوناتها وهو الثقة . والشخصية التي يضعف فيها الانتماء، لا يمكن أن تحرص على بناء اجتماعي متماسك، لأنها فقدت الشعور بالانتماء فيها .

والشخصية التي لا تشعر بالأمان، يسود إدارتها الذاتية الاضطراب والخوف، مما لا يتفق مع مستلزمات القيادة التي تتمتع بالثبات والاستقرار...

والشخصية التي لا تشعر بالهدف، تتناقض كل التناقض مع الشخصية القيادية، التي يميزها استشراف الأهداف بعيدة المدى والتفكير الاستراتيجي ...

والشخصية التي لا تشعر بالكفاية، هي شخصية غير قادرة على الفعل، وإن امتلكت أوسع معرفة وأحسن قرار...

من هنا، أحببت أن أدخل دراسة ريزونر على التدريب القيادي، لأهمية تكامل وتوافق الشخصية القيادية، وعلينا توخي الحذر عند بنائها لتتمتع بدوافع نفسية سوية تفيد في عملية التأثير الايجابي، ذلك أن الشخصية التي يتدنى فيها تقدير الذات لديها مؤشرات سلبية لا تصلح للعمل القيادي وإن صلحت فإنها ستنتج منتجها الذاتي، إضطراب في تقدير الذات عند المتأثرين. في حين أن المجتمع الذي يصبو اليه لا بد

وأن نحرص على رفعه من وحول الاحباطات والاضطرابات حتى تتكون لديه تعويضات نفسية إيجابية تساهم في عملية البناء المجتمعي الذي يفضي بنا إلى نهوض حقيقي ...

من جهة أخرى، إن قاعدة تقدير الذات، ذات المكون الخماسي ستكون من أهم الدوافع المعنوية التي تدفع بالشخصية للريادة أو القيادة، إذ تتوافر فيها هوية لها دلالة نفسانية قوية تساعد في عامل الثقة، وفيها انتماء يساعد على تواصل إنساني فعّال، نابع من ذات سوية وتغذية راجعة من فريق العمل يوازيها كردة فعل طبيعية وتتوافر فهيا رؤية ثاقبة، وأهداف واضحة، تساعد القائد على جمع محيطه وتماسكها من حولها، كما تساعده على الشعور بالكفاية عند اتخاذ القرار من جهتين، جهة الالتفاف من حول القرار، وجهة القدرة على النفوذ في مراحل التغيير والاقناع والتفاوض .

إن الدوافع النفسية التي تدفع القائد قدماً، تقوم أولاً على أساس تقدير الذات من خلال هذه العناصر التي تضم في طياتها :

1- دافع الانجاز ACHIEVEMENT

2- دافع الثقة بالنفس SELF CONFIDENCE

3- الشجاعة COURAGE

4- التوجيه الداخلي INTERNAL DIRECTION

5- دافع القوة POWER MOTIVE

6- مشاركة قوة الآخرين POWER CHAIRING

ويزيد عليها ذلك التفكير التحليلي COGNITIVE ABILITY كدافع رئيسي عند القادة لاستشراف المستقبل واتخاذ القرار .

2- <u>مستويات التدريب القيادي</u> :

إن الاستطلاع بالأبعاد النفسية للقيادة، كانت مهمته الرئيسية الانتباه في عملية التدريب للدوافع الذاتية للقيادة، بصفتها الخلفية الشخصية، أو المثير الداخلي للاندفاع نحو القيادة، كما أنها من جهة أخرى حجر الأساس في التدريب القيادي المتكامل .

ففي هذا التدريب لا بد من مراعاة ثلاثة أنواع من الأهداف :

أ- الأهداف المعرفية .

ب- الأهداف الوجدانية .

ت- الأهداف النفسحركية .

فالنوع الأول، هو النوع المتعلق بالمحتوى المعرفي للتدريب، أو الاجابة عن سؤال (ماذا يجب أن نعرف عن القيادة؟). وفي النوع الثاني، يكون الاهتمام بالدوافع الذاتية التي يجب أن يتم الاهتمام بها، وفي النوع الثالث تخطي المعرفة والوجدان، للتوصل إلى مهارات تطبيقية في المجالات التي سيتدرب عليها المرشح .

ولقد اعتنى بلوم BLOOM بالنوع الأول، وجعله في عدة مستويات : (تذكري – إستيعابي – تطبيقي – تحليلي – تركيبي – تقييمي)، فيما اهتم كراثوول KRATHWOUL بالبعد الوجداني الانفعالي وقسمه إلى عدة مستويات تصل إلى مرحلة التميّز، كما عالج سامبسون Simpson المجال الحسحركي (المهاري) وجعله مراتب تصل إلى مرحلة الأصالة Origination وهذا ما ينبّه بشكل لافت إلى أن التدريب القيادي، لا يكون بمستوى واحد، لا على مستوى المعلومات والمعارف، ولا على مستوى التأثر والتأثير الوجداني، ولا على مستوى المهارات والأهداف الحسحركية . وعليه فإنه يتصاعد دوماً ليبلغ أقصى درجاته في عمليات التدريب

3- <u>ما هي الأمور المشتركة التي يمارسها القادة</u> ؟

تجاوزت الدراسات والاصدارات المطبوعة عن القيادة وتحليلها 16000 إصدار حتى الآن، ومن المتوقع بحسب بعض الباحثين أن تصل في العام 2021 إلى مليون إصدار. ومنذ كسينوفون Xenophon 354 ق.م والمؤلفات تعالج موضوع القيادة كوصف ومكونات وتحليلات بدون أن ترتقي إلى مساعدة أصحاب الاستعداد القيادي على تطوير مهاراتهم القيادية. إلى أن بدأت الدراسات تنضج تدريجياً منذ العام 1926 بدراسة لكاثرين كوكس Catherine cox حول الخصائص العقلية لثلاثمائة من العباقرة والقادة في العالم، ثم من بعد تطور الدراسات المنهجية المتقدمة في علم النفس الاجتماعي، والتي دفعت بالأمور إلى الأمام للإجابة عن السؤال التالي : ما الذي يجب فعله لنصبح قادة ؟...

إن المدخل الرئيسي للإجابة عن هذا السؤال، كان بمعرفة علمية، ودراسة منهجية بالأمور التي تميز القائد عن غيره من الأفراد العاديين، والممارسات السويّة التي لا بد من توافرها لدى القادة . من هنا بات من المهم التنبه إلى ما هو مشترك في هذه الممارسة، حتى نستطيع صناعتها أو رعايتها عند الأفراد

ويعبّر الجدول المختصر أدناه عن هذه العناوين المشتركة :

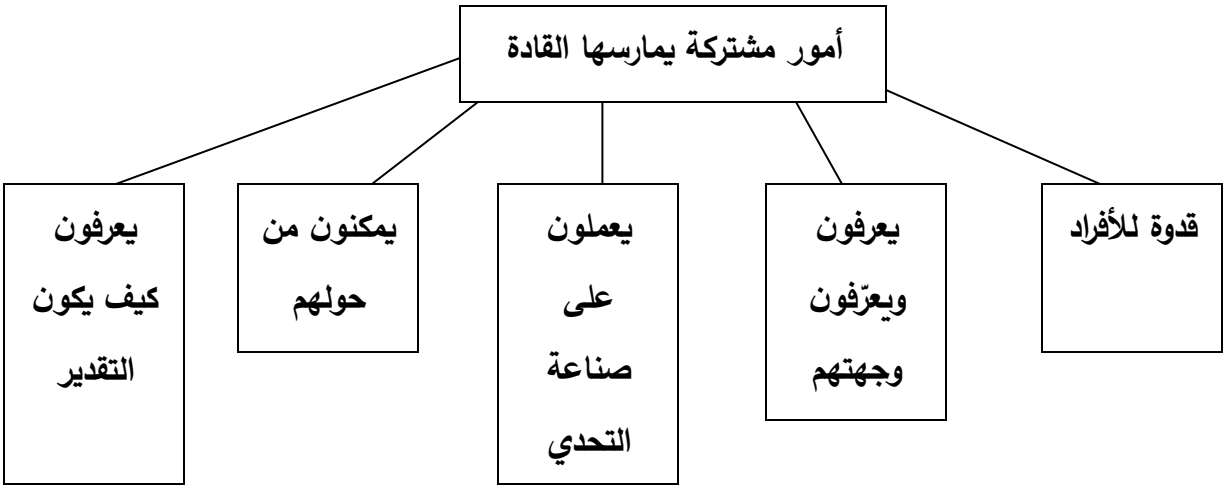

1- **قدوة للأفراد** : (كن نموذجاً للأداء)، لا يمكن أن يتناقض القائد فيما يطلبه ويدعو الناس إليه، وبين سلوكه الشخصي. فالعين في العملية التواصلية أصدق من الأذن، ومجرد أن يكتشف الأفراد بأن ما يدعو إليه القائد، يختلف عن حقيقة تصرفه الشخصي، سيبدؤون بفقد ثقتهم بمصداقيته.

2- **الرؤية** : (ألهم رؤية مشتركة)، يتميز القائد عن غيره من الأفراد بأنه استراتيجي التفكير ولديه استشراف للمستقبل البعيد، وفضلاً عن ذلك فهو يشارك من حوله بهذه الرؤية، التي لها دورها في جمع الفريق واستمراره وتماسكه المستمر. في حين أن الابتعاد عن الرؤية والأهداف المتفق عليها، سيؤثر مباشرة على مستوى تماسك الفريق واستمراريته .

3- **التحدي** : (هناك دائماً طريقة أفضل)، فلا يكفي أن نؤدي مهامنا مثل الآخرين، فما يميزنا هو ذلك التحدي الذي نصنعه في أن نقدّم أفضل المستطاع، ومن البديهي أن ينتقل سلوكنا المتقن والأفضل إلى من حولنا ليقتدوا بنا .

4- **التمكين** : (أفسح لهم المجال)، أي لا بد من افساح المجال للاعداد الذاتي والمساعدة على تطوير المهارات وإعطاء المعلومات اللازمة للفريق، لرفع مستوى الكفاءة عنده وهذا يساعد القائد على إنتاج قيادة من الصف الثاني تساعد على التجدد والاستمرار، وتفويض السلطات بطرق منهجية. والمنظمة التي لا تمتلك القدرة على تحضير قياداتها من الصف الثاني، يصعب استمرارها .

5- **التقدير** : (اشعار الآخرين بالتقدير وتشجيعهم)، وهو من العوامل الرئيسية التي تجعل الفريق يلتف من حول القائد، فهو في حالة ردّة تواصلية تفيد بأن القائد ينجح في تلبية إحتياجاتهم وتطلعاتهم، ويقدر ويحفز همتهم، ويدفعهم إلى الأمام دائماً، مما يجعلهم أكثر إصراراً على التماسك من حوله لتحقيق الأهداف...

4- <u>ما هي متطلبات القيادة الفعّالة</u> ؟

من خلال الكشف عن الممارسات المشتركة التي يقوم بها القادة، يمكننا أن نستنتج تلك المتطلبات التي يجب أن نحرص على وجودها في التدريب القيادي .

فالرؤية، ركن من الأركان الأساسية التي تجعل من الفريق، فريقاً واعياً لأهدافه وتطلعاته، لا يتطلع إلى مستوى قريب المدى بمنأى عن المستويات الأخرى، متوسطة المدى وبعيدة المدى، وبالتالي فإن وضوح الرؤية ووضوح مخططاتها الاستراتيجية والاجرائية، تساعد الفريق على رفع مستوى المساهمة والمشاركة وامتلاك رؤية مشتركة مع أعضاء الفريق الآخرين.

أما **التأثير**، فهو ركن آخر لا وجود للقيادة بدونه، فالقائد شخص يستطيع أن يترك أثره على النفوس والعقول والسلوك، حتى يمتلك زمام الأمور بشكل سحري . وعملية التأثير عملية تواصلية متقدّمة تحرص على بناء علاقات إنسانية ناجحة تخلق ذلك التبادل في الأثر. القائد يتواصل مع الفريق بصورة محفزة وملبية للاحتياجات النفسية والاجتماعية والفريق يحاول أن يرد الأثر بالمثل .

والسلطة، لا مهرب منها في القيادة، فبالرغم من وجود شخصية قيادية تتواصل بشكل محفز ومؤثر كذلك الأمر فإنها تتواصل بشكل حازم بناءً لسلطة ونفوذ، وتتوسع هذه السلطة بدءً من اللوائح والقوانين، وتتخطاها إلى سلطة الكاريزما التي يمتلكها القائد . فهو ليس بحاجة للصراخ ولا للإنفعال حتى تلبى طلباته، لا بل إن إحترامه ووقاره يفرضان سلطة إضافية على اللوائح والأعراف والقوانين...

أما **فريق العمل** فيربطه عقد إجتماعي متين تتوافق فيه الأفراد على ما هو مسموح وما هو ممنوع وعلى ما يساعد على تماسك الفريق بشكل أفضل، ومن الطبيعي أن يرتبط هذا العقد الاجتماعي المتفق عليه جماعياً بالرؤية الرئيسية التي اجتمع عليها الجميع .

5- مهارات القيادة التي يتم التدريب عليها :

تنقسم المهارات القيادية إلى أربعة أقسام رئيسية تتفرع منها عشرات المهارات الفرعية. وهي ليست على سبيل الحصر :

أ- مهارات فنية ، تتسم بإجادة العمل واتقانه ومعرفة واعية بالوسائل والطرائق والاستراتيجيات المتعلقة بموضوعات القيادة .

ب- مهارات إنسانية، تتعلق ببناء علاقات إيجابية مع الآخرين، وفق توافق شخصية قيادية، تتمتع بذكاء انفعالي مرتفع . حيث أن هذا الذكاء يجمع بين ذكاءين اثنين : الذكاء الضمن- شخصي الذي يتسم بالمعرفة الذاتية لدى الأفراد، والذكاء البين – شخصي الذي يتسم بالمعرفة المرهفة بمشاعر وسلوك الآخرين .

ج- مهارات فكرية، تسمح للقائد بممارسة أنواع من التفكير المتقدم يسمح له بدقة النقد، والقدرة على الابتكار، واتقان عمليات التخطيط واتخاذ القرار وغيرها من العمليات الادارية والكفرية وتتمثل هذه المهارات بتفكير متنوع لا يقتصر على نوع واحد كأنواع التفكير المسماة القبعات الست، والتفكير الناقد، والتفكير الابداعي، ومهارات العصف الذهني، والقدرة على الاستدلال الصحيح وغيرها...

د- مهارات تنظيمية، تسمح له بإيجاد نظم متكاملة للمنظمة . وقدرة على التخطيط والتوظيف والمتابعة والتنفيذ والاشراف، وغيرها من المهارات الادارية كالتفويض ووضع الأولويات...

6- الممارسات القيادية الأكثر ممارسة :

من الواضح مما سبق أن ثمة مجموعة كبيرة من المهارات تفرض نفسها على المواقف المتعددة التي يوضع فيها القائد .

وتجدر الإشارة إلى انها ليست على سبيل الحصر... ولكن لا بد من حصر الحد الأدنى منها في عملية التدريب القيادي، لتكون عوناً له في الجمع بين حقائب أساسية، لا يمكن التفريط بها في ممارسة القيادة :

1) مستلزمات التطوير الذاتي، والقدرة على الكشف عن نقاط الضعف ونقاط القوة .
2) ممارسة التحفيز وإثارة دافعية الأفراد .

3) الحرص على تحقيق النتائج وقياسها .

4) القدرة على التواصل الفعال وبناء العلاقات الايجابية مع الآخرين .

5) الممارسات الادارية الناجحة .

6) القدرة على وضع توجهات استراتيجية استشرافية وصياغة الرؤية الواضحة .

7) القدرة على تطوير أفراد الفريق وتدريبه وتأهيله تأهيلاً جيداً، مع الحرص على مساعدة بعض الأفراد ليكونوا قيادات الصف الثاني الذين يضمنون الاستمرار .

8) القدرة على إدارة التغيير وتشخيص وتقييم الوضع الراهن، وربطه بالرؤية المستقبلية، والأهداف الطموحة .

7- **التدريس القيادي وفق عجلة التدريب الخماسية ADDIE MODEL :**

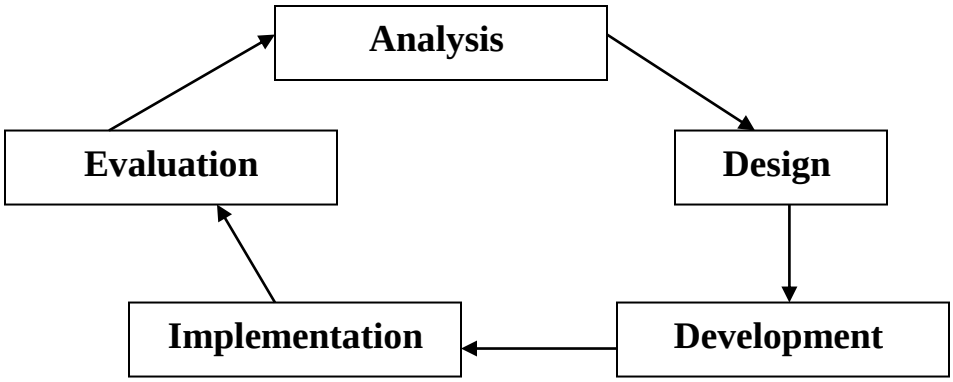

يتطلب تخطيط وتطوير وتنفيذ البرامج التدريبية، طريقة منظمة مرحلياً، والتأكد من تنفيذ كل مرحلة وفق مواصفات الجودة المرسومة لها . وهي تعزز فرص النجاح في التدريب لتلبية الاحتياجات الحقيقية للمتدرب خلال فترة زمنية محدودة .

فالمرحلة الأولى هي مرحلة التشخيص وتقدير الاحتياجات التدريبية، وتعتبر من أهم مراحل التدريب، ذلك أنها تمثل مفتاحاً أساسياً للمدخلات .

ويمكن اعتماد عدة اختبارات تكشف عن حقيقة الاستعدادات الشخصية عند المرشح ومنها :

1- بيانات المرشح Candidate information .

2- اختبار القدرة على التفكير المجرّد Abstract Thinking Test .

3- اختبار القدرات الخاصة Special Ability .

4- اختبار القدرات الشفهية Verbal Ability .

5- مقياس Hermann للسيطرة الدفاعية (HBDI) .

6- اختبار تحليل الشخصية (MBTI TEST) .

حيث يمكن التعرف من خلال هذه الاختبارات على غالبية الاستعدادات النفسية والعقلية واللغوية وغيرها للكشف عن نقاط الضعف التي يجب العمل على ازالتها، ونقاط القوة التي يجب العمل على تعزيزها وتوظيفها في ممارسة القيادة .

كما توضح مرحلة التصميم لأهداف التعلم وأدوات ووسائل التعليم وتنظيم المحتوى التدريبي وتوزيع الوقت والمقياس الزمني للتدريب. ففي هذه المرحلة تحدد مجموعة من الاستراتيجيات المخطط لها لتحقيق الأهداف بنسبة مرتفعة، إذ السؤال المطروح هنا : ما هي أفضل الوسائل والطرائق التي تحقق الأهداف التدريبية ؟ وكيف سننظمها؟

وفي مرحلة التطوير يقوم المصمم بتجميع أصول المحتوى لوضعها موضع التطوير على مستوى الأداء والاكتساب .

ولا بد حينئذ أن نتنبه إلى مستوى التعلم الالكتروني وتكنولوجيا التعليم، حيث يتم دمج التقنيات وخلق القصص المصورة والمحفزة لتنشيط عملية التعلّم والتدرّب.

أما في مرحلة التنفيذ، فلا بد من الانطلاق أولاً من المدرّب وكفاءته، وقدرته على تغطية الكفايات التدريبية بشكل كامل. ومن ثم نتنبه لعملي إدارة العملية التدريبية بتجهيزاتها وأوقاتها ومواردها البشرية المطلوبة لخدمة المتدرب، والمتابعات الاجرائية الدقيقة لكل خطوة تدريبية على مستوى التنفيذ .

وفي مرحلة التقييم نقوم بالتقييم التكويني الموجود في كل مرحلة من مراحل ADDIE فكل مرحلة من هذه المراحل لا بد من تقييمها بشكل دقيق للتأكد من سلامتها وعدم إهمال أو خفض أي مستوى من مستوياتها، ثم تقييم الكفايات التي وضع البرنامج أساساً من أجلها، والسؤال الحاضر في هذه المرحلة : ماذا اكتسب هذا المتدرب بعد هذا العناء الطويل؟...

ولا بد من الإشارة، إلى أن التدريب القيادي، لا يأخذ منحاه النظري فحسب، إذ نحن بصدد التدريب على مهارات وتكوين إتجاهات نفسية وإجتماعية . وهذا يفرض علينا التنبه في المحتوى التدريبي إلى وضع مصادر تعلّم حقيقية، تثقل الخبرات وتثير التفكير وتغيّر الاتجاهات إيجابياً، من ذلك تعريف المتدرّب

بقصص النجاح الواقعيّة والمحفّزة على الانجاز، وهي لها أثر كبير في تكوين اتجاهات إيجابية لدى المتدرب لوضع تحديات تحاكي هذا النمط من النجاح. ولتوسيع آفاق رؤيته وسعة إطلاعه، لا بد من مشاركته في البحث عن تجارب حضارية قديمة ومعاصرة يقوم بعرضها وتحليل أسبابها وآثارها الاجتماعية وتدرجها في بناء التغيير .

ومن باب أولى، أن نضع عند المتدرب تحديات التنمية الاجتماعية على مستوى حيّه وأسرته أو مؤسسته، فمن لا ينجح في حياته القيادية على مستوى الدائرة الصغرى لا يمكن أن ينجح على مستوى الدوائر الأوسع والأكبر...

8- <u>محتويات برامج التدريب القيادي</u> :

فيما يلي لائحة بموضوعات تدريبية رئيسية في التدريب القيادي، وهي ليست على سبيل الحصر :

Leadership – planning – Management – Institutional work – change skills – Intelligence Quotient – Emotional Quotient – the Eight Intelligences – Creative Thinking – Mind Map Skills – Personal Analysis – Motivation skills – Body language skills – Power and influence – Decision Making – six Hats – cort – Meeting Management – Delegation – Marketing – Policti

الهاتف في زمن الحجر : ثورة على العزلة (رؤية سوسيولوجيّة)

د.مأمون طربيّه (أستاذ جامعيّ)

عندما تحمل هاتفك الذّكيّ للاتّصال بشخص معين عليك أن تتذكّر وتشكر مخترعه الأميركيّ مارتن كوبر الذي إليه يعود الفضل بظهور الهاتف المحمول عام 1973، وأجرى بواسطته أوّل اتّصال بعد خمسة أعوام من تطوير إنجازه، لكن كوبر ورغم التّقدّم الكبير في صناعة الخليويّ كان يتوقع أن يصبح اختراعه قديمًا خلال عدة عقود، إذ سيقدّر للبشريّة أن تحصل على "رقائق الكترونية" تُزرع في أجساد النّاس، وتتيح لهم الاتّصال بواسطتها بمجرد ذكر اسم الشّخص المطلوب، قد يكون ذلك مدهشًا ولكن لنفكّر ما حدث مع الخليويّ قبل عقود عندما اعتقد النّاس بأنّه أمره غيرممكن التنفيذ، ولا أحد سيقدر على استخدام هذه الوسيلة بينما لدينا الآن الملايين والملايين من المستخدمين في أرجاء العالم؛ التّغيير الكبير الذي يحصل لن يكون تكنولوجيًّا بل ما سيقوم به النّاس من جراء هذه التكنولوجيا، ستصبح حياتنا معها أكثر مرونةً، وربما أكثر إنتاجية، وسيغدو تواصلنا أيسر. لن يكون شيئًا مستحيلا، فبكبسة زرّ على إحدى زوايا هاتفك أو حاسوبك وتجد نفسك في متاهة عالم افتراضي بل واقعي جديد وفق أبعاد متعدّدة من: صور (*imaging*) تموقع (*positioning*) تراسل (*messaging*) تجارة الكترونية (*e-com*) تصفح انترنت (*web browsing*)، بث مباشر (*calling video*) الاجتماع عن بعد (*videoconference*)، وكل ذلك يحدث عبر الهاتف! أي هاتف؟ بالطّبع المحمول فما هو مآل هذا الهاتف على الأرض بين النّاس بالأثر والفعل والخدمة.

ربّ قائل بأنّ عالم الهواتف بحدّ ذاته ليس بجديد، غير أنّ الجيل الأوّل الذي كان يستخدم تقنية الاتّصال الهاتفيّ المحمول كان قادرًا على الجمع بين القدرة على الاتّصال والتّنقل من مكان الى آخر، ولكن مع دخول "التّقنيّة الرّقميّة" وإنتاج أجهزة أصغر وبكلفة أقل على المستهلكين، وجمع الصّوت والصّورة المتحرّكة والنّصوص معًا، واستحداث الدّمج المباشر مع الانترنت والخدمات المتلفزة على شاشة الجهاز الواحد، يدفعنا إلى التّوقّف عند مآثره المتنامية سيما وأنّه لا يمكن التنبؤ بالآفاق التي سيرتادها الجيل الرّابع والأجيال اللاحقة من الهواتف المحمولة ليس فقط على صعيد تطوّره التّقنيّ وإنّما على صعيد مآثره الاجتماعيّة والعمليّة والأسريّة. كما نظرّ إلى ذلك بعض الباحثين أمثال السّوسيولوجيّ البريطانيّ انتوني غدنز– وعند حديثه عن وسائط الاعلام والمجتمع الحديث– بالقول: "إنّ الهاتف النّقال أداة مدهشة للتّحرّر

الشّخصيّ... ولا مراء في أنّ الهاتف الجوّال يمثل واحدًا من الموارد المهمّة للتّواصل البشريّ في عالم ديناميّ متغيّر لمئات الملايين من النّاس الذين تكتظ ساعاتهم وأيامهم بالمشاغل والاهتمامات، إذ يمكنهم إدارة أعمالهم وأنشطتهم بصورة أكثر كفاءة، ويمكن للأهل أيضًا أن يظلّوا على اتّصال دائم مع أبنائهم وبناتهم وأفراد العائلة الآخرين" (غدنز، 2005) بفعل التّقدم الهائل بتكنولوجيا الاتّصال، الذي فضلًا عن تقريبه المسافات واختصاره الزّمن، أوجد مناخًا اجتماعيًا مفتوحًا عندما أزال موانع الالتقاء والتفاعل، فلم يعد ثمة عزلة حتى عند أبناء الجماعات والأسر والأقارب. فالمهاجر اللبنانيّ إلى مونتريال أو سيدني أو المقيم في باريس بات يطمئن عن أخبار الأهل يومًا بيوم، وحتى ولو لم يكن موجودًا عبر أكثر من وسيلة (المجيب الآلي أو عبر البثّ المباشر من الهواتف الذّكيّة وتطبيقاتها)، لم يعد المرء ينقطع كما في السّابق فعليًّا عن أقاربه وأصحابه وأعماله، وكأنّ الهجرة لم تعد غربة لأنّ المسافات لم تعد بعيدة بفعل وسائل التّواصل المتاحة، إذ أصبح أي واحد منّا لا يتابع أخبار بلده وحسب، وإنّما أخبار قريته ومناسبات أقربائه. مما يعني أنّ ثمة جماعات أقامت أوطانها على شبكة الانترنت، بحيث أصبح بمقدورها أن تتواصل فيما بينها مهما تباعدت مهاجرها من خلال جهاز الكتروني بسيط وذكي.

وعليه نتساءل: أي دور يؤدّيه الهاتف الخليويّ في التّواصل البشريّ في ظلّ عالم ديناميّ متغيّر عند مئات الملايين من النّاس؟ هل يسهم فعليًّا في تنظيم أعمال النّاس بصورة أكثر كفاءة واستطاع الكثير منهم الوفاء باحتياجاتهم الشّخصيّة والمهنيّة بصورة أكثر فعاليّة عبره؟ يبدو ذلك ويتّضح أكثر وأكثر في ظلّ الأزمات، كما هو الحال مع الأزمّة التي خلفتها جائحة كورونا.

التّواصل في عالم متغيّر :

تُظهر المعطيات السّوسيولوجيّة أنّ علاقتنا بالوجود الشّامل تمرّ بواسطة أشياء محسوسة، في ظلّ هذا العالم المتغير تكنولوجيّا وفكريّا واجتماعيّا وسياسيّا واقتصاديًا لم تعد وسائل أعلامك محصورة وكما كانت من قبل، بل توسّعت وامتدت حتى ربت أنواعها على العشرات وطالت بتأثيرها جميع الاجيال، ووسمت هذا العصر باسمها من دون منازع، إذ أصبح القرن الواحد والعشرون قرن التكنو– ثقافي بامتياز (دوبريه،1996)، انتقلنا فيه – معرفيًّا– من وعي اجتماعيّ وفكريّ محدود إلى وعي شامل غير مضبوط الآفاق، يعيش فيه النّاس عالمًا يعدّ من أفضل العوالم: لا عرق، لا مشقات تنقل بل بكبسة زرّ يعبّر أحدهم إلى حيث الحياة ولو إسقاطيّة/ هواميّة، إلى حيث الحقيقة ولو كانت افتراضيّة. إنّ إقامة هذا الاتّصال الافتراضيّ الذي ينحو إلى حدّ ما في أن يصبح واقعًا، أخذ يسمح باستشراف رؤية جديدة في السّياسة والاقتصاد والاجتماع لأنّ البشريّة هي اليوم فعلًا بصدد حالة إنسانيّة مغايرة، مع توطّد الفضاء المعلوماتيّ والتّفاعلات الاجتماعيّة أو المعرفيّة الحاصلة من جرائه بفعل عاملين اثنين:

1- **خطابة الصّورة:** مع دخولنا الفضاء الالكترونيّ وعالم اليوتيوب أصبحنا نرى ذاتنا في عالم من الصّور صورٌ حاجزة غبّ الطّلب، سواءً عبر تصوير مقاطع الفيديو أو التقاط الصّور الفوريّة للحدث/ للمناسبة / للموقف من خلال كاميرا الهواتف الذّكيّة في جيوبنا، أصبح معها للصّورة في حضورها ولحظنتها وقوتها خطابًا يتلاعب بالعقول والمشاعر، وفي أن تكون عنصرًا أساسيًا في تشكيل شخصية الإنسان، وفي تشكيل تصوّراته عن الواقع بشكل يفوق خبراته الفعلية اليومية المعاشة. لقد توغّلت الصّورة داخل وعي الإنسان وأصبحت تؤسّس لاختيارات وتفضيلات وتحفيزات وتحيّزات، وتطلق حاجيات وتحدث رغبات. وتعلن اتجاهات، وتعبّر عن مواقف.

2- **الذّكاء الجماعيّ:** ويقصد به استخدام الإمكانات الهائلة لتكنولوجيا المعلومات في تنمية حركة ناميّة من الوعي الجماعيّ، أي العمل على بناء الاقتدار المعرفيّ إذ لم يسبق لقوّة المعرفة أن أخذت هذا الحجم في تاريخ البشريّة، أين نحن منها الآن؟ هذا ما يتحتّم علينا إنجازه "من تعلّم" معلومات ثابتة الى "تعلّم كيف نتعلم"، نتعلم ماذا؟ نتعلم المرونة الذهنية وقدرة التكيف مع التحولات المتسارعة وتحويل المعرفة الى ممارسة وهذا ما يقتضي تحويل جميع وسائل اعلامنا إلى وسائط ثقافيّة، ومن ثمّ إلى عمليات تعلّم متجددة على الدوام. (كيلش،2000)

بناءً على هذين العاملين أحدث التّواصل الالكترونيّ اليوم تحوّلات عميقة في طبيعة حياتنا وتصرفاتنا، فالمواقع الالكترونيّة المرئيّة أخذت تعيد ماهية العالم الذي نعيش فيه، ولعلّ نظرة سريعة على ما نراه من أحداث وما خبرناه من أزمات (آخرها أزمّة الوباء المستجد) يظهر كم نحن نعيش في عالم من الاتّصال الالكترونيّ ذابت فيه حياتنا بإطار من الشّاشات المرئيّة، وفق هذا العالم بات ما يؤثّر في حياتنا الاجتماعيّة هو بمعانٍ متضمنة في إشارات وصور مكثفة. حتى أصبحنا نستجيب ونتفاعل مع صور إعلامية لا مع أشخاص وأحداث وأمكنة حقيقيّة. وهذا يعني إن ثمة إمكانية في تشكيل هوية منفتحة بعناصر متطوّرة، مواكبة لإشكاليات معاصرة في أفق تشكيل الفرد الواعي بذاته المحدّد لخياراته. ولأنّ الوسائليّة تؤدّي دورًا فاعلًا وفعالًا في تعزيز النّزعة نحو الهوية المنطلقة، حيث تبدو هذه النّزعة من خلال الرّغبة في اقتناء واستخدام الأشياء التّقنيّة الجديدة والأشياء الاتّصالية الحديثة كالهاتف النّقال والكومبيوتر الشّخصيّ والدّخول في عالم التّواصل الاجتماعيّ حتى جعلت شريحة واسعة من النّاس لا تستخدمها فقط كوسائل للرّاحة والتّسلية وحسب، بل لفتح إمكانيات عملية واسعة في مجالات تتعلّق بالفكر والسّياسة والاجتماع؛ أصبحت هذه الوسائليّة بوجودها وانغماسها في حياة النّاس، في عالمهم المعاصر المتغير تيّارًا حضاريًّا جارفًا والانسان مواطنا شموليًّا– عولميًّا وليس محليًّا، بل أصبحت حياتنا وتكنولوجيا الأعلام الجديد توأم روح على النّحو الذي حدث بعلاقتنا مع الهاتف الذّكيّ في زمن الكورونا وظروف الحجر.

الهواتف في ظلّ الحجر المنزليّ :العزلة والتّفاعل

حتى زمن غير ببيعد كنا نتساءل ماذا إذا كان الهاتف النّقال المتقدّم في تقنيانه والسّماء المفتوحة له يمثل اختصارًا للعلاقات الاجتماعيّة(حيث الاستغناء عن الحضور الشّخصيّ للمناسبات بالرّسائل النّصيّة والصّوتيّة المرسلة عبره) او اقتحامًا للحياة الخاصة بالأفراد (حيث يسّر الوصول إليهم في أيّ مكان وفي أية لحظة) وما إذا كانت هذه الآلة المحمولة قلّصت فعليًا دائرة آمان النّاس الشّخصيّة، وبات مصدرًا للضّيق والإزعاج والابتزاز؟ قد تعكس مثل هذه التّساؤلات البعد التّأثيريّ السّلبيّ للهاتف على حياة النّاس اليومية .إلّا أنّ مقاربة هذه الطّروحات في ظلّ الأزمات التي نمر، تجعلنا نعيد النّظر في هذه الإشكاليات ليس لسبب أنّ الهاتف الجوّال لا بد منه رغم ما يحمله من مآثر أو لأنّه طريق المستقبل– على ما نحو نظّر له انتوني غدنز في كتبه علم الاجتماع– ومن لا يستخدمه هو خارج الزّمان والمكان وعالم الغد؛ بل لأهمّية ما بات يمثله بالنّسبة إلى مختلف شرائح المجتمع في ظلّ الأزمات وظروف الحياة القاسية.

إزاء ما فرضته جائحة الكورونا من حجر صحي وحظر تجوال ومكوث منزليّ أيامًا بل أشهرًا، وجد الكثيرون من المحجورين في الهاتف الذّكيّ سلوأهمّ ونافذتهم وغايتهم لإنجاز الكثير من اعمالهم عبر ما اصطلح على تسميته "الحياة عن بعد" (العمل عن بعد/ الدراسة عن بعد/ التّسوق عن بعد/ حتى الزّيارة باتت عن بعد) معه أدرك المحجورون أهمّيته وقيمة وجوده أكثر فأكثر. إذاك طرحت الهواتف الذّكيّة نفسها كتكنولوجيا متقدّمة لها مآثر فاعلة في سيرورة الحياة الآنية والوظيفية والخدماتيّة وأكثر من ذلك أدّت دورًا مهمًّا وناشطًا كوسيط تفاعليّ لتُطمِئنّ وتُطمْئن، تُعلّم وتتعلّم؛ على النّحو الذي حدث في ظروف الحجر إبان أزمّة الكورونا حيث الجميع بات يتجنّب الجميع، لا مصافحة، لا معانقة، لا تزاور، لا لقاءات مباشرة، لا مطاعم، لا مناسبات، لا دور عبادة، لا جامعات، ولا حتى أماكن عامة. وفي ظلّ التداعيات المقلقة والثّقيلة والمخيفة اكتشف الجميع كيف أنّ رؤية النّاس والزّيارات واللقاءات كانت نعمة، وكيف أصبح للقبلة معنًى، وللضّمة اشتياق مرير، وللسّلام حنين مؤجل، عندما تحجر نفسك في البيت وتقاطع أقربائك، ذويك، أولادك وتحاول أن ترأهمّ عن بعد كما لو لم ترهم من قبل إلّا من خلال "هاتف". فهذا يُعيد النّظر في علاقة الإنسان بالآلة، إلى واقع كيف أنّ التّقنيّة شئنا أم أبينا باتت تعيد تشكيل حياتنا، فحتّى وقت قريب كان يأخذ باحثون على إثر تقنيات الأعلام الجديد ووسائله في تعزيز النّزعة الفرديّة التي تتيح للأجيال الإسهام بدور أكبر في تكوين أنفسهم وبناء هويّتهم الخاصة وكيف أنّ معها أخذت وطأة التّقاليد والقيم الرّاسخة بالانحسار في إطار نظام عالميّ جديد، وبدأت الأطر الحياة التّقليديّة تتلاشى لتحلّ محلّها أنماط حياة جديدة، كأنّنا أرغمنا على التّكيّف مع أساليب حياة متغيرة على الدّوام من حولنا، ولكن مع تغيرات العالم على ما فرضته جائحة كورونا كل شئ تبدّل فأصبح هناك معادلات تفاعل جديدة قوامها:

1. تجاوز قيود العزلة فمع ساعات المكوث الطّويلة على الحاسوب الشّخصيّ أو الهاتف الذّكيّ نشطت الاتّصالات بالآخرين في الواقع الحقيقيّ، حيث لم يعد الاتّصال وجهًا لوجه ممكنًا بل ثمة نمطًا آخر من التّواصل والمحادثات والحوارات مع آخرين يعرفون بعضهم البعض فرض نفسه كحاجة.
2. كثافة الاتّصال بالمواقع الإخباريّة والتّردّد على المواقع الإعلاميّة التي تنشر الوقائع والأحداث التي تتم في بقاع كثيرة من العالم في لحظة وقوعها. فأصبح واحدنا يعرف عدد إصابات الوباء المستجد (الكورونا) في أي بقعة من العالم وليس ببلده... وما الذي يتمّ العمل عليه من علاجات ولقاحات..
3. القدرة على القيام بطرح الأفكار التي تعبّر عن رأيك، موقفك، ومناهضة غيرها من الأفكار بحيث تجد نفسك مسأهمًا في تكوين رأي عام إقليميّ أو مشاركًا في نقاش "واتس آبي" إزاء المواقف والقضايا مع أفراد في وقت معين كأنّهم في منتدى .
4. وفرة المعلومات المتعدّدة والمتنوّعة التي تتميز بالكثافة بشكل غير مسبوق، نتيجة الخصائص التي تميّزت بها تكنولوجيا الاتّصال والمعلومات، وأهمّها سعة التّخزين وسهولة الإتاحة، فالعرض والطّلب للصّور والفيديوهات والمقالات والأبحاث بات رهن عملية " search " وكبسة زرّ.
5. إمكانية استخدام وسائل الإعلام الجديد في التّعليم، ففي مجال التّعليم عن بعد حققت دول العالم تقدمًا ملموسًا للاستفادة من شبكة الانترنت في تقديم الخدمة التّعليميّة للمستويات التّعليميّة المختلفة، وانتشرت المفاهيم والاستريتيجيات الخاصة بالتّعليم التّفاعليّ، والتّعلّم من خلال الشبكات والتّعليم الافتراضي والفصول الافتراضيّة وغيرها التي تشير إلى وظيفة الحواسب وقدرة الشبكات في التّعليم.
6. تيسير التّسويق والإعلان، وخصوصًا بالنسبة للمواقع التي تحقّق نسبة أكبر في الاستخدام والدّخول عليها، وأصبحت خدمة الطّلب متاحة أمام الجميع، حتى "دكنجي الحي" وضع رقمه وتطبيقات هاتفه في الخدمة... "ما تتعذّب نحنا منجي لعندك" ،ويعدّ تحقيق هذه الوظيفة بالنّسبة إلى جمهور المتلقين دليلًا على اتّخاذ القرارات الشّرائية تجنّبًا لأيّة مخاطر في انتقال العدوى في الخارج.

إنّه إنقلاب على نموذج التّواصل القديم حيث أصبح بمقدور الفرد العادي في النّموذج الاتّصالي التّفاعليّ الجديد القدرة على تجاوز حدود الزّمان والمكان وفتح باب المشاركة في المعلومات والمعرفة مع الآخرين، لقد منح وسائل الإعلام الجديد بعدًا إنسانيًا تشاركيًا من خلال شبكات التّواصل الاجتماعيّ وتعززت أهيمتها وحضورها أكثر حينما تقيّد النّاس بما فيهم اللبنانيّون بحجر صحي وملازمّة للمنزل أبّان انتشار جائحة كورونا خلال الأشهر الستة الماضية، وما تركته من تداعيات حدّت من خروجهم وفرضت عليهم الانعزال قسرًا، فكان التّواصل الالكترونيّ منفذًا ومعبرًا بل وثورةً على العزلة المفروضة.

على الرّغم من أنّ حياة النّاس تنتظم في جماعات بشريّة تقوم فيما بين أفرادها سلسلة من التّفاعلات إلّا أنّ هناك نمطًا جديدًا من التّفاعل المستجد أحدثته الهواتف الذّكيّة في سلسلة من الارتباطات القائمة والعلاقات المباشرة من خلال تطبيقات وبرامج تسمى بال social media. التي غدت بدورها ليس فقط مجرد صفحات الكترونيّة تنشر المعلومات والأخبار والأحداث الغريبة بل عاملًا مؤثِّرا في نمط العلاقات الاجتماعيّة لما تتركه من تأثير على نمط التّفاعل وصوره، فبعدما كان– التّفاعل– محدّدًا برسالة خطيّة أو بطاقات معايدة بالمناسبات الكبيرة ومحكومًا بالزّمن والمسافة والجهد؛ أصبح اليوم مختصرًا في حضوره الآني والمباشر وفي آلية التّعاطي مع الاخرين. فلو أخذنا ما يعرف اليوم facebook و whats app تجد أن غالبية شرائح المجتمع من نساء شباب وأولاد هي من وسائلهم المفضلة في التّواصل والتّفاعل عبر الصّور والمحادثة والفيديو حتى أصبحت من دون منازع الشّبكة الاجتماعيّة الالكترونيّة والتّطبيقات التّواصليّة هي الأكثر حضورًا بين النّاس في عالم اليوم والعامل الأبرز في كسر العزلة في ظلّ الأزمات. وهكذا "لم يعد فضاؤنا الاجتماعيّ محيطه المنزل أو الحي أو القرية حيث التفاعل الوجاهي قائم ومعروف، وإنّما امتدّ نحو أشخاص وأصحاب بعيدون بما فرضته طبيعة الحياة المستجدة، لقد تسارع نبض الحياة وأصبح التّفاعل مع أجهزة ملزمًا لنتواصل فيه مع جيراننا وأصدقائنا، مما يعني أنّ التّطورات الجديدة في مجال تقنية المعلومات والاتّصالات أعطت زخمًا جديدًا لمسير التّفاعل بين النّاس ووسعت من مجالاته" (طربيه،2017).واكتشف النّاس معها "الفرص المتاحة" لعيش الحياة واستمرارها رغم مآسي الوحدة والانعزال.

المراجع:

1) انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة د.فايز الصياغ، مركزدراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 2005
2) ريجيس دوبريه: محاضرات في علم الاعلام العام– الميديولوجيا، ترجمة د.فؤاد شاهين ود.جورجيت الحداد، دار الطليعة، بيروت، 1996
3) فرانك كيش، ثورة الانفوميديا: الوسائط المعلوماتية كيف تغير عالمنا وحياتنا، ترجمة حسام الدين زكريا، دورية عالم المعرفة، العدد (253) المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والاداب، الكويت، كأنون الثاني، 2000.
4) مأمون طربيه، التفاعل الاجتماعيّ، رؤية نفس اجتماعيّة لمفاهيم الانتماء والتّواصل، دار النهضة العربيّة، بيروت، 2017

فوبيا السياسة

بقلم : د . حسين ظاهر ، استاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية في الجامعة اللبنانية .

قررت الهيئة الإدارية لهيئة تكريم العطاء المميز في محافظة النبطية اصدار مجلة الكترونية ، وعند مناقشة عناوين المحاور الثابتة لهذه النشرة نصف السنوية تعثّر الحوار عند موضوع "السياسة". تخوَّف البعض من ادراج كلمة سياسة ضمن المحاور الرئيسية للمجلة ، وتماشت الأغلبية مع هذا التخوُّف ، وأقرَّت عناوين تشمل كافة ميادين العلوم باستثناء باب السياسة ! ! ؟ . أما أنا فلم استطع إقناع نفسي بصوابية هذا القرار ، فعدت إلى مناقشته في اجتماع لاحق . وتوصلنا إلى اضافة عنوان يشمل موضوعات الحقوق والعلوم السياسية . لماذا يا ترى هذا الذعر من "السياسة" ؟؟

إنَّ الطريقة التي تُمارس فيها السياسة تُضفي عليها إما طابع السوء وبالتالي النفور من السياسة ، وإما طابع الخير والصلاح وبالتالي اندفاع الناس للمشاركة والانخراط في العمل السياسي .

ففي الحالة الأولى ، أي في حال استخدام السياسة لتحقيق مآرب شخصية أو فئوية ضيقة ، تُصبح السياسة مجرَّد صراع على السلطة للوصول إلى مكاسب مادية ومعنوية . هذا النوع من الممارسة السياسية يؤدي إلى الانقسام في المجتمع . إذ تتضارب المصالح الشخصية والفئوية بين الجماعات المكوِّنة للمجتمع الواحد ، ويشعر الكثيرون ، في هذه الحال ، بالقهر والغبن ، ويُلقون على "السياسة" تَبِعة الأضرار والمساوئ

والتفتُّت الحاصل في المجتمع . فينفرون من السياسة ويلجأون إلى السلبية لأنه يصحّ عندهم القول : "ما دخلت السياسة شيئاً إلاّ وأفسدته ".

أما في الحالة الثانية ، فتُمارس السياسة كي تصُبّ في الغاية الطبيعية لها ، التي تتلخّص بالمحافظة على وحدة المجتمع وتقدمه وازدهاره ، والنهوض به كوحدة متماسكة متكاملة . فالمجتمع هو المكان أو الوسط الملائم لحياة الإنسان وتطوُّره ، وهو الإطار للعمل السياسي ومادته في نفس الوقت . إذ إنَّ المُمارسة الصحيحة للسياسة تجعل منها نشاطاً يسمو فعلاً على كافة النشاطات البشرية ، وميزة يختصُّ بها الإنسان دون غيره من الكائنات الحيَّة .

ولا يكفي أن تسوء السياسة في زمن ما ، أو أن تسوء ممارسة السياسيين لها في مكان ما ، لِنُصدر حُكماَ مطلقاً على السياسة والسياسيين ، ونقول : "ما دخلت السياسة شيئا إلاّ وافسدته" . فإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد سياسيون بقدر ما هم رُسُل أو أنبياء ، وقد باشر كلٌّ منهم السياسة وهو يُبشِّر بالرسالة .

والسياسة تتراوح بين حدِّها الأدنى كحاجة أولى من حاجات الاجتماع البشري ، وكضرورة بديهية للتأليف بين المصالح المتنازعة في المجتمع ، وبين حدِّها الأعلى كصورة للحضارة وكعنوان للمستوى التنظيمي التحضُّري الذي بلغه الإنسان .

فالسياسة باتت مسألة حيوية ، ليس فقط بالنسبة للمشتغلين بالسياسة ؛ وإنما بالنسبة لكل أفراد المجتمع . وبات مفهوم السياسة من أكثر المفاهيم انتشاراً وتداولاً بين البشر . منهم من يرى أن السياسة صراع وكفاح ، والسلطة تُتيح للأفراد والفئات التي تملكها أن تؤمِّن سيطرتها على المجتمع ، وأن تستفيد من هذه السيطرة ، وتكون وظيفة السياسة هي الإبقاء على امتيازات تتمتَّع بها أقليَّة وتُحرم منها الأكثرية . والبعض الآخر يرى أنَّ السياسة جُهدٌ يُبذل في سبيل إقرار الأمن والعدالة . والسلطة تؤمِّن المصلحة العامة والخير المشترك . بمعنى أنَّ السياسة هي وسيلة لتحقيق تكامل جميع الأفراد في الجماعة وخلق "المدينة العادلة"، على حدّ تعبير أرسطو الذي عرَّف السياسة بأنها "كلّ ما من شأنه أن يُحقِّق الحياة الخيِّرة في مجتمع له خصائص متميّزة اهمها : الاستقرار والتنظيم الكفء والاكتفاء الذاتي ".

والجدير ذكره أنَّ السياسة قديمة قِدَم الاجتماع البشري . فما أن اجتمع الناس حتى ظهر النشاط السياسي ، وأمست السياسة تؤثر على حياة كل عضو من أعضاء الجماعة ، سواء شارك أم لم يُشارك في حياتها السياسية. إنَّ أيّ تجمعٍ بشري لا بُدَّ له من سلطة تُجنِّبه منطق الغاب ، وتدرأ عنه الأخطار الخارجية . فكان البُعد السياسي الأكثر أهمية للوجود الإنساني ، وأصبحت السياسة اليوم حاضرة في معظم النشاطات الإنسانية حضوراً فاعلاً ومُوجِّهاً وضابطاً ، وغالباً مسيطراً ، وكلُّ شيء في الحياة بات من الممكن أن يُصبح مُسيَّساً .

وبما أنَّ السياسة هي فنّ المساومة والتسوية ، ولا نعرف حضارة نشأت وازدهرت إلاّ في ظلّ الحكمة السياسية، فيكون من واجب السياسيين أن يؤدّوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل . فيُصبح القول بأنَّ السياسة "إخلاص للشيء العام ، ورغبة بتكريس الحياة لخدمة الآخرين ". وتتراجع المقولات والصِّيَغ المنتشرة بين الناس ، مِثال : السياسة هي " ما لا يُقال "، أو هي " فنّ منع الناس من الاهتمام بما يعنيهم ".

أما الوظائف الأساسية للسياسة ، على مستوى الدولة ، فتتحدَّد في : تحقيق الوفاق الوطني والتنمية الشاملة، وتثبيت الأمن في الداخل وعلى الحدود .

فالتنمية الشاملة في جميع المناطق دون تفرقة أو تمييز ، هي شرط لازم لتحقيق الوفاق الوطني . إذ يشعر الجميع ، أفراد وجماعات ، بأهمية المحافظة على المصلحة المشتركة ، ويتعزَّز لديهم شعور الانتماء إلى وطن، وليس إلى منطقة أو جماعة دون غيرها . والبلد الذي يفتقر أهله إلى المصلحة المشتركة ، وإلى التراث والتاريخ المشترك والآمال المشتركة ، لا يكتسب صفة الوطن ولا يصمد في وجه الأزمات والعواصف السياسية، ويفقد بالتالي قوَّته وتضامن بنيه . فينهدم المجتمع كوحدة سياسية ، ويصبح عرضة للاعتداءات أو السيطرة من قِبل قوى أخرى .

وتوفير الأمن الداخلي والخارجي لا يتحقق في غياب عنصرين أساسيين : النظام ، والقيادة .

فالنظام هو الذي يوجّه سلوك الفرد باتجاه المصلحة العامة ، ويُكرهه على التخلي عن نوازعه وأهوائه الذاتية . ولا يُمكننا تصوّر نظام سياسي من دون وجود قيادة . ووجود القيادة ، أو السلطة ، يعني إصدار الأوامر لتحقيق الأهداف . ويفترض بالضرورة وجود أفراد وجماعات تُطيع هذه الأوامر وتنفّذها .

والطاعة في السياسة ، لا تعني مجرد الخضوع ؛ وإنما مشاركة تتصل بالنفع المشترك . وهي بذلك احترام للنظام والقواعد التي تقوم عليها وحدة المجتمع . لذا ، لا يحقُّ للقيادة أن تأمر بأيّ شيء كان وفق رغبتها إذا لم يتوافق الأمر مع الحفاظ على تماسك المجتمع وحمايته . وعندما تفقد القيادة القوة التي تُمكّنها من الحفاظ على المجتمع ، أو عندما تتَّبع أساليب تُعرِّض المجتمع للتفكُّك تزول الطاعة ، وتكون القيادة قد فقدت مُبرِّر وجودها واقتضى تغييرها .

وكذلك الأمر على المستوى الخارجي ، من واجب القيادة حماية المجتمع من أيّ عدوان . فهذه وظيفة سياسية أيضاً . ومن المؤكّد أنَّ التماسك الداخلي في المجتمع يُعتبر عاملاً مهماً في مجال السياسة الخارجية . فالأجنبي يهاب بلداً موحَّداً أكثر بكثير مما يخاف أمةً منقسمة على ذاتها .

نستنتج مما تقدم أنَّ السياسة تُمارس من قِبل القيادة (الحكام) ، وكذلك من قبل مختلف فئات الشعب (المحكومين) :

_ فعلى مستوى القيادة ، إنَّ وصول الحاكم إلى السلطة يأتي كثمرة لعمل سياسي في مواجهة أشخاص أو جماعات أخرى كانت تسعى للوصول إلى نفس المنصب . ومن حيث المبدأ ، ينبغي لهذا العمل الساسي أن تتكافأ أساليبه شرفاً مع غاياته ، ويبقى بعيداً عن الخداع والغش والمناورة .

_ أما على مستوى المحكومين ، فيبرز دور الفئات الشعبية التي تُشكّل ، إذا ما انتظمت في أحزاب وهيئات اجتماعية ونقابية مختلفة ، جماعات ضاغطة على الحكم ، وتؤثر إلى حدٍّ كبير في رسم السياسات ، واتخاذ القرارات أو تعديلها . هذا الدور السياسي للفئات الشعبية يُفترض أن يتعاظم في الأنظمة الديمقراطية ، التي تحترم الحريات وبخاصة حرية التعبير عن الرأي السياسي ، فتتسع بذلك دائرة المشاركة الشعبية في الحكم ، وتتحقق الغاية الأساسية للسياسة . ويصحّ القول بأنَّ غاية علم السياسة هي " إدراك الواقع السياسي بغية

تعديله إلى الأفضل "، أو أنَّ غاية علم السياسة هي تحليل الأفكار والأعمال السياسية وتفسيرها ، في سبيل الإسهام في تحسين مستوى حكم البشر .

وتبقى السياسة بمفهومها الايجابي من أشرف المهن وأنبلها على الإطلاق .

طريق الجلجلة

بقلم الأستاذ اسماعيل رمال

تمضي بلادي في طريق الجلجلة ... يا ليل لبنان المعذّب قائمًا ما أطوله... من للأسارى والحيارى من لسيل الأسئلة... فمراحلُ تطوى ويستشري فسادٌ، هو علّة الأوطان، سرُّ ضمورها، هو صاعقٌ بل قنبلة... واليوم جائحة الكورونا حاصرت كل المطارح يا أخي ونعيش أسوأ مرحلة... النّاس تفترش الشوارع والشوارع مقفلة... الفقر يجتاح البيوت بأسرها والعائلات تقودها التّجار صوب المقصلة ... مازال كسرى في الوجود بثقله عقلية متغلغلة... والظالمون بظلمهم لم يرعووا ، يتعاقبون على العباد ويا لها من سلسلة... ولطالما أذنابهم متنقلة... فالصّمت لا يجدي ولا استسلامكم سيحلُّ يومًا معضلة ... فَيَدُ الجريمة سوف تبقى إن ضعفتم، إن تقاعستم، وحتى العظم فيكم ، موغلة... هل سيبقى ذلك السيّاف يضرب بالرؤوس مجزرًا ؟ وتنوح الأرملة... فانفض غبار الذّل عنك وقل يا أيّها الجبروت يكفي مهزل ... والشعب إن رام الكرامة رائع ما أجمله...

في غروب شمسٍ أمل

العمل التّجاريّ (خبرة ومهارة، استمراريّة وصبر، متابعة ومراقبة، سلوك وأخلاقيات)

استنتاجات من خلال تجربة شخصية

بقلم الحاج حسيب عواضة

تعريف التّجارة :

- التّجارة عبارة عن عمليّة تبادل تقوم علي أساس بيع السّلع أو شرائها، وكذلك تبادل الخدمات من خلال عقد الكثير من الصّفقات التّجاريّة، وتقوم حرفة التّجارة علي أساس التّبديل أو البيع والشّراء، وتهدف إلي إشباع رغبات الفرد .
- تعدّ التّجارة أحد الأنشطة الاقتصاديّة المهمّة التي لا يستطيع أن يتخلي عنها البشر في يوم من الأيام، فمنها يستطيع أن يحصل على جميع إحتياجاته سواء كانت ماليّة أوبضائع (سلع)، وتتنوع السّلع والبضائع فمنها الأوّلية ومنها المنتجة .
- التّجارة هي عبارة عن عملية بيع وشراء للسّلع أو الخدمات، بحيث يدفع المشتري تعويضًا للبائع، ويمكن أن تتم التّجارة عن طريق تبادل السّلع أو الخدمات بين الأطراف، وتُعرف هذه العمليّة باسم المقايضة. إلّا أنّ أكثر المعاملات المعروفة تتم من خلال المال.
- ضمن ميدان الاقتصاد، التّجارة هي العامل الأوّل الذي يقوم عليه الاقتصاد، ومفهومها يتكوّن من عدد من العناصر منها : الطّلب – كسب المال – نوع السّلع التي يتم استخدامها من أجل تحثيث منفعة.

أهمّية التّجارة:

تتلخّص أهمّية التّجارة بما يلي:

- للتّجارة أهمّية كبيرة للمجتمعات فهي الوسيلة الوحيدة التي يتم من خلالها تداول المال، وذلك لأنّ لها الكثير من المصادر التي يستطيع الإنسان أن يحقّق من خلالها المنفعة، كذلك تعدّ التّجارة عملية مكمّلة للصّناعة والزّراعة، ولن يقوم أيّ منهم من دون كسب الأرباح ووجود التّجارة .
- تساعد على تعزيز التّنميّة، والحدّ من الفقر، عن طريق زيادة فرص العمل والاستثمار، وتطوير القطاع الخاص الذي يؤدّي إلى زيادة الإنتاجيّة.
- تعزّز القدرة التّنافسيّة وتساعد على تنوّع الصّادرات.
- تشجّع على الابتكار من خلال تسهيل عمليّة التّبادل المعرفيّ، والاستثمار، والتّنميّة.
- توفّر فرصًا للشّركات المحليّة للمشاركة في الأسواق الجديدة، الأمر الذي يؤدي إلى توسيع الأعمال التّجاريّة، وإزالة الحواجز، وتسهيل عملية التّصدير.
- تؤدّي دورًا مهمًّا في تحسين الجودة، ومعايير العمل، والبيئة، من خلال زيادة المنافسة والتّبادل المهنيّ بين الشّركاء.
- تخلق فرص عمل، من خلال تعزيز القطاعات الاقتصاديّة، والتي تؤدّي إلى خلق وظائف مستقرة، وزيادة دخل الفرد، ومن ثمّ تحسين سبل العيش.

أهمّ المبادئ التي تؤدي الى نجاح مشروع تجاري:

- بداية انطلاق المشروع : تتطلّب تحديد نوعية المنتج الذي سيتم التّعامل معه في المنشأة ، بعد دراسة حاجة السّوق المحلي له، وإمكانية تأمين المواد الأوّلية و تلبية هذه الحاجة.
- ارتفاع جودة المنتج مع خفض نسبة الأرباح، وهذا يتطلّب حرص التّاجر على تقديم المنتج بجودة عالية، والتّميز بالسّعر المقبول في السّوق، وكلّ ذلك يتطلّب دراسة دقيقة ومفصّلة .
- الحدّ من النّفقات غير الضّروريّة، وذلك باتباع التّاجر الاستمراريّة بالمتابعة والمراقبة ، والحرص على الموازنة من خلال مقارنة دائمة للنّفقات والواردات والتّأكيد على الأرباح المرصودة. والتّعديل على أساس ذلك.
- العمل على الاهتمام بالتّدقيق النقديّ، لأنّ الهدف من العمل التّجاريّ هو بذل المال للحصول على مال أكثر، مع وجود هامش ربح. لذلك يجب مراقبة الأموال التي تخرج من المنشأة وتلك التي تحصل عليها.
- بيع المنتج (السّوق) ويتطلّب ضرورة التّرويج للمنتج بشكل سليم وبطريقة ناجحة، تجذب المستهلك. كما يتطلّب التّرويج لاسم الشّركة وذلك من خلال تفعيل قسمي المبيعات والعلاقات العامة.

أسباب نجاح العمل التّجاريّ:

تتعدّد أسباب نجاح العمل التّجاريّ ومن أهمّها:

- **الخبرة و المهارة:** الخبرة من سبل أسباب النّجاح، فهي تساعد التّاجر في أن يكون ملمًّا بكلّ ما يلزم منشأته. والمهارة تساعد في تحقيق الذات وتحقيق الهدف.
- **العمل:** عندما يمتلك الفرد المعارف والمهارات عليه أن يستغلها بالتّطبيق، ويسعى إلى العمل فيها، لأنّ العمل هو المرحلة الفعّالة لإخراج ما يمتلكه الفرد من القدرات.
- **الأمانة في العمل:** من بين العوامل الأساسيّة التي تؤدي إلى النّجاح هي الأمانة في إدارة المشروع، والأمانة في عرض السّلع وبيعها. وأهمّ من ذلك الأمانة في الحفاظ على الجودة التي تتمتّع بها السّلعة .
- **الصّبر:** يعدّ من أهمّ أسباب النّجاح في كلّ الأعمال وبخاصّة في العمل التّجاريّ، باعتباره يؤدّي الى النّتائج المرجوة وتنفيذ المهام في المراحل بدقة.
- **مواجهة المخاطر:** يتعرّض العمل التّجاريّ إلى عدد من المخاطر والصّعوبات والمتغيّرات، لذلك فهو يتطلّب خبرة في كيفية مواجهتها وتخطّي الظّروف الصّعبة التي تعترضها والتي تحدث متغيّرات داخليّة وخارجيّة، بعضها يتعلّق بالسّلعة، والبعض الآخر بالسّوق، والبعض الثّالث بالأحداث التي يتعرّض لها المجتمع. وهذا يتطلّب مواجهة الصّدمة وسرعة التصرف من دون حدوث إنهزام.

عوامل نجاح المشروعات الصّغيرة :

تتعدّد العوامل التي تساعد في نجاح المشاريع التّجاريّة الصّغيرة ومنها:

- امتلاك الخبرة اللّأزمّة لإطلاق المُنتج التّجاريّ باعتبار أنّ لكل نشاطٍ أسراره و تصاميمه الخاصّة، لكي يُلبي احتياجات المُستهلك، وهذا ما يسمّى بسر المهنةِ. ويتطلّب ذلك القدرةِ على تحديد ملامح المُنتج، الأمر الذي يحتاج إلى تدريب الموظفين على إنتاجه ضمن الملامح المحددة.
- توافق استراتيجيّة الإنتاج مع مُتطلّبات المُستهلك حيث يركّز في استراتيجية إنتاج مُنتجات ذات تكلفة مُنخفضة على هامش ربح منخفض، شرط أن يتميّز المنتج بجودة عالية، يسعد بها العملاء المُستهدفين، وبالتالي يزداد الطّلب عليها .
- سرعة تطوير المُنتج لزيادة القدرة التنافسيَّة إذ تعدّ إمكانية تطوير المُنتج من أهمّ العوامل التي تُسأهمّ في استمرار نشاط المنشأة، وتمنحها قدرة تنافسيّة أكبر. فلا يمكن زيادة نسبة الإقبال على منتجات المنشأة، إنْ لم تكن مُواكبة لمُتغيّرات السّوق واحتياجات العملاء. لذلك يجب مراقبة تغيّرات السّوق من حيث الاحتياجات المُستهدفة، ومواكبة التغير الخاصل في المجتمع.

- اختيار فريق عمل يمتلك المهارات المطلوبة كونه يشترط في كلّ عمل تجاريّ مجموعة من الخبرات والمهارات التي يجب توافرها لدى فريق العمل، ليتمّ تنفيذ مراحل الإنتاج بالجودة والتّكلفة المطلوبة. لذلك يجب التّأكد من حسن اختيار فريق العمل وضمان استمراريتهم بأداء جيد لتقديم ما هو أفضل للعملاء.
- الخبرة في مجال العمل تساعد التّاجر على زيادة شبكة علاقاته ومن ثمّ زيادة الطّلب على علامته التّجاريّة في السّوق. لذلك عليه أن يحرص على المشاركة في الفعاليات والمؤتمرات المتعلّقة بنشاط الشّركة، وتكوين صورة واضحة عنه وعن مجال شركته على منصّات التّواصل الاجتماعيّ ووسائل الإعلام.
- إدارة التّدفقات النقديّة بطريقة سليمة لأنّ إدارتها بشكل مهنيّ صحيح تعدّ من أهمّ عوامل بقاء واستمرار الشركة، بل ويسأهمّ أيضًا في نموهاّ وتوسعها.
- التّخطيط الجيّد والإدارة الفعّالة، لأنّ أي مشروع ناجح يتطلّب وجود تخطيط جيد لمهام أقسام المشروع سواء كانت إداريّة أو ماليّة أو تسويقيّة والالتزام بها مع مُعالجة الانحرافات التي تظهر من حين لآخر أولًا بأول. وهنا تأتي أهمّية الإدارة المؤهلّة التي لديها القدرة والخبرة لمراقبة ومتابعة تنفيذ العمل، بالإضافة إلى اتّخاذ القرارات المناسبة في الأوقات المُناسبة لتحسّين سير العمل والأداء.

نصائح تساعد على تطوير مشروع تجاري:

- الحرص على إبقاء العمل منظّمًا، وذلك من خلال التّركيز على قائمة مهام يوميّة والالتزام بتنفيذ كل أمر فيها؛ لضمان استكمالها من دون نسيان أيّ منها.
- دراسة الميزات والمكافآت التي سيتمّ الحصول عليها والتّطلع إلى المخاطر التي يمكن الوقوع فيها وتعترض العمل.
- الاطّلاع على الأفكار والنّهج الجديدة الّتي تفيد في تحسين العمل وجعله مبتكرًا.
- استمرار التّركيز على تحقيق الأهداف قصيرة المدى، وعدم الاستسلام أو توقّع جني الأرباح الكبيرة.
- العمل على فهم ومعرفة السّياسات التي تقوم عليها الأمؤسّسة.
- المواظبة على أن يكون العمل منظمًا، ويلتزم القوانين الاقتصاديّة.
- الحرص على تقديم الأفضل بشكل مستمر.
- تمتع المستثمر صاحب المنشأة بالهدوء والحكمة والبعد عن الاندفاع والتهور.

الأسباب التي تؤدّي إلى الفشل في العمل التّجاريّ ومن ثمّ إقفال المنشأة:

الخلل في أيّ عنصر من عناصر تكوين منشأة تجاريّة يؤدي إلى عدم استمرايتها ثمّ فشلها، ومن أهمّ أسباب ذلك الفشل مايلي:

- قلّة الخبرة وعدم توفر الكفاءات المؤهلّة والمدربة القادرة على تسيير العمل والتعامل مع المنتج .
- انعدام الرؤيا: عدم وجود استراتيجيّة للارتقاء بالمنشأة وتطويره لتواكب التّطور الحاصل في المجتمع.
- الجهل بالتّفاصيل: ضرورة ترجمة الفكرة، والطّموح إلى مشروع تجاريّ ناجح يكون قادرًا على الصّمود والبقاء.
- الأهمّال: عدم تجدّد الخدمات والمنتجات التي تسهم في زيادة عدد العملاء (الزّبائن) وعدم تطوّر المبيعات بسبب الأهمّال، كذلك عدم الالتزام بمقاييس ومعايير الجودة التي تعتبر الفاصل في تفضيل منتجات المشروع.
- عدم التّفرغ: عادة المشروع الجديد يحتاج إلى عناية دقيقة من قبل المؤسّس عبر قضاء اطول وقت ممكن (عدد ساعات أطول) بالتّواجد ومراقبة العمل والتوجيه.
- انعدام الثّقة التّجاريّة بين المنشأة والعملاء.
- التّقليد الاعمى: بعض الذين يرغبون بالاستثمار التّجاريّ، يراقبون المنشآت التّجاريّة الناشطة، ويقلّدون الأكثر نجاحًا، من دون دراسة وهذا يؤدّي في أكثر الأحيان إلى سرعة انهيارها.

هنا بدأت التجارب العملية و حزت على ما وصلت الية من خبرة و نجاح ، وأحاول أن أنقلها اليوم للآخرين

COVID 19 مقابل 5G

بقلم المهندسة جنى حوماني

من المؤكد أن شبكات الجيل الخامس هي المستقبل، ولكن هل لهذه الشبكات تأثير سلبي على صحة الانسان؟ فرضيات وأسئلة كثيرة...

تستخدم شبكات الجيل الخامس بعض نطاقات التردد نفسها التي استخدمتها الأجيال السابقة الثالث والرابع، إضافة الى نطاق ترددات عالية ذات موجات مليميتريه لا يمكنها اختراق العقبات كالجدران مثلا.. لهذا تتطلّب هذه الترددات أجهزة راديو في كل الأمكنة واضعاف مضاعفة من البنية التحتية مقارنة بعمليات نشر الجيلين السابقين وهذا يفرض وجود كم هائل من الهوائيات الصغيرة في الاحياء السكنية وتثبيتها على الاعمدة كإشارات المرور والانارة والاسطح والجدران.. وهذا ما جعلنا نطرح السؤال إذا ما كانت هذه الموجات تحدث ضرر مباشر على صحة الانسان وخصوصا إذا كانت شبكات الجيل الخامس هي وراء فايروس كوفيد 19 المستجدّ.

في البداية، نشر موقع *بي بي سي* تقريرا بعنوان "الصين تطرح واحدة من أكبر شبكات الجيل الخامس في العالم" بعدها أجمعت التقارير أن ووهان هي واحدة من أول المدن التي خضعت لتجارب الجيل الخامس. بعد أقل من شهرين بدأت معاناة ووهان مع تفشي فيروس كورونا وتحوّلت الى بؤرة انتشاره الأولى.. وما يثير الجدل بهذا هو أن الصين بدأت منذ تشرين الثاني 2019، بتركيب تقنيات الجيل الخامس في مستشفياتها، وأتمت نشر 130 ألف محطة بث ومنها 10 الاف في ووهان وحدها ما يعادل عدد المحطات في الولايات المتحدة كلها.

ووهان كانت السباقة في تجربة تقنية شبكات الجيل الخامس والحاضنة الأولى لفايروس كورونا، فهل تقنيات الجيل الخامس مرتبط بظهور كوفيد 19 التاجي؟

في نيسان 2019 أوقفت الحكومة البلجيكية اختبار تقنية الجيل الخامس في بروكسل بسبب مخاوف من اشعاعات محطات البث لأنها قد تكون ضارّة. وطالب أعضاء البرلمان الهولندي حكومتهم بمزيد من الدراسات حول التأثير الصحي لشبكة الجيل الخامس. واتخذت سويسرا إجراءات لرصد تأثير هذه التقنية على البشر مع العلم أن منظمة الصحة العالمية صنفت اشعاعات الترددات الراديوية على أنها من المحتمل أن تكون مسرطنة للبشر عام 2011. والجيل الخامس يستخدم نطاق ترددات عالية جدا مقارنة بما سبقه من الأجيال، فمن المحتمل أن دائرة الخطر ستتمدّد خصوصا أنه يحتاج الى أعداد هائلة من محطات البث والهوائيات والى طاقة عالية. من الجدير بالذكر هنا أنه قبل التسابق العالمي لنشر شبكات الجيل الخامس، يستوجب على الأقل اختبار سلامة استخدام أطوال الموجات الميلي مترية على الانسان. وهذا بالتأكيد ممكن، خصوصا أن هناك تقنيات متعددة منها التي استخدمتها لجنة الاتصالات الفيدرالية منذ 1996 التي تعرف باسم (معدل الامتصاص النوعي) Specific Absorption Rate SARومعايير سلامة الهواتف من قبل لجنة الاتصالات الفدرالية بناء على أحدث التقنيات اللاسلكية المستعملة الان. يقول الدكتور مارتن بال، أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة ولاية واشنطن، أن المبادئ التوجيهية الحالية للجنة الاتصالات الفيدرالية فير كافية لصالح صناعة الاتصالات، وأنه قد يكون هناك اثار سلبية كبيرة على المدى الطويل بعد إطلاق واستخدام الجيل الخامس مثل العقم لدى الذكور والعمى وفقدان السمع وسرطان الجلد وعلى الأرجح مشاكل الغدة الدرقية. ويذكر الدكتور ايريك فان رونجن، رئيس اللجنة الدولية للحماية من الاشعاع غير المؤين ICNIRP، إن تقنيات الجيل الخامس لن تسبب بضرر عندما يتم الالتزام بالإرشادات الجديدة. واستنادا الى تقارير لمنظمة الصحة العالمية، لا جدال في أن المجالات الكهرومغناطيسية فوق مستويات معينة يمكن أن تؤدي الى تأثيرات بيولوجية. ويبقى الجدل قائما في المنظمة حول إذا ما كان التعرض المنخفض المستوى على المدى الطويل يمكن أن يؤثر على صحة الانسان.

هذه المعطيات والأبحاث دفعتنا للتساؤل حول إذا ما كان تمّ الالتزام بالإرشادات الجديدة في عملية التجارب واستخدام الجيل الخامس في مدينة ووهان؟ وهل الارشادات الجديدة كانت مستخدمة من قبل تنفيذ التجربة؟ ولماذا لم يعلن عنها في بداية العام الماضي عندما كان الجيل الخامس قيد التجارب؟

من هنا أتت منظمة الصحة العالمية لتحسم الجدل في العلاقة ما بين شبكات الجيل الخامس وفايروس كوفيد 19 وأكدت أن فايروس كورونا لا يمكن أن ينتقل عبر موجات الراديو أو شبكات الهاتف المحمول المتحرك، بما في ذلك شبكات الجيل الخامس المصنوعة في الصين. كما وأكدت أن فايروس كورونا الذي تسبب في وفاة أكثر من 115 ألف شخص في العالم، انتشر في بلدان ليس فيها أبراج من الجيل الخامس لشبكات الهواتف الذكية. ووجدت منظمة الصحة العالمية أن كوفيد 19 ينتقل عبر رذاذ الشخص المصاب الى الاخرين من خلال السعال او العطس او الحديث عن قرب، كما يمكن أن ينتقل عبر الاسطح الملوثة بالفايروس من خلال لمسها و من ثم وضع اليدين على الفم أو الأنف أو العين.

وعلى الرغم من ذلك، ففي بريطانيا، أقدم أشخاص على حرق أبراج اتصالات خلوية عمدا وظهرت لها مشاهد على مواقع التواصل الاجتماعي حيث تعرض مهندسوها لاعتداءات في مناطق متفرقة من بريطانيا بسبب فرضيات لا أساس لها ربطت بينها و بين تفشي كوفيد19 في العالم. وحذر مشغلو شبكات الهواتف النقالة في المملكة المتحدة من تداول تلك الفرضيات وقالت الهيئة الممثلة لمزودي الشبكات في المملكة المتحدة أن هذه الفرضيات الزائفة والشائعات مثيرة للقلق. نظريات كثيرة ومؤامرات وشائعات تظهر خلال الازمات عندما يعجز العلم والعالم عن تفسير وقوع حدث ما.. مثل ما حدث وما يجري الان بسبب جائحة كورونا.. فما هو الدور الذي يجب علينا فعله خلال هذه الأحداث؟ تقصي الحقائق مثلا والبحث العلمي والمنطقي.. وتشجيع البحث والابتكار وعدم تبني نظريات عشوائية والعمل على نشرها مما يسبب

أضرار جسيمة قد لا نكون آثارها الجانبية علينا وعلى العالم أجمع..

دور البلديّات بين التّنميّة والدّيمقراطيّة[1]

بقلم د. محمد مراد (باحث واستاذ جامعي)

مع دورة الانتخابات البلديّة الأخيرة التي أُجريت في شهر أيار (مايو) المنصرم (2010)، تكون البلديّات اللبنانيّة قد باشرت التّجربة الثّالثة من تجاربها التّنمويّة – الدّيمقراطيّة بعد توقف الحرب الأهليّة، وإبرام وثيقة الوفاق الوطنيّ (وثيقة الطّائف) في تشرين الأوّل (أكتوبر) 1989. فبعد انقطاع دام لأكثر من خمس وثلاثين سنة كانت التّجربة البلديّة الأوّلى (1998 – 2004)، والثّانية (2004 – 2010)، والثّالثة (2010 – 2016).

مع كلٍ من هذه التّجارب الثّلاث راحت سائر المدن والبلدات اللبنانيّة تشهد اهتمامًا متزايدًا بالشّأن البلديّ، هذا الاهتمام إن دلَّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ البلديّة أضحت نقطة التقاء تقاطعت عندها مصالح النّاس كلّ النّاس مواطنين، هيئات اجتماعيّة وقوى سياسيّة شعبيّة ورسميّة على السّواء.

إنَّ الأهمّية في هذا المجال، تكمن في أن تتحوّل حرارة هذا الاهتمام إلى **حوارٍ بلديّ** يؤسّس لتجارب بلديّة غنيّة وناجحة تنمويًّا وديمقراطيًّا.

أودّ أن أتوقّف في هذه الورقة، عند أبرز الأبعاد الوظيفيّة للبلديّة، أي الدّور الذي يمكن أن تلعبه البلديّة كإدارة مدنيّة حاكمة تتمتّع بمساحة من اللامركزيّة على المستويين البلديّ المحليّ والوطنيّ العام.

هناك ثمة أبعاد وظيفيّة عديدة للبلديّة سأكتفي بأربعة أساسيّة منها:

1. **البعد التّنمويّ**
2. **البعد الشّعبيّ للسّلطة**
3. **البعد المدنيّ وأنسنة الفضاء البلديّ المحليّ**

[1] محاضرة أُلقيت في مقر المنتدى الاجتماعي – الإنمائيّ في الغبيري بتاريخ 5 آب (أغسطس) 2010.

4. البعد الدّيمقراطيّ

<u>أوّلًا : البعد التّنمويّ:</u>

البلديّة هي الأداة الأكثر قدرةً على الاستجابة لحاجات النّاس إلى التّنميّة بكل تنوعاتها وصولاً إلى **التّنميّة البشريّة المستدامة** التي هي الهدف الأعلى في البلدان المتقدّمة والنّاميّة على السّواء. وهنا تتحدَّد وظيفة البلديّة على مستويين اثنين:

<u>الأوّل</u>، توفير البناء التّحتيّ والاستجابة لحاجات النّاس إلى الخدمات الحياتيّة الضّروريّة من إنشاء المدرسة، والمركز الطّبيّ، والمكتبة العامة، والملعب الرّياضيّ، والسّوق المحليّ، إلى فتح وتوسيع الطّرقات، ومدّ شبكات المياه والهاتف والكهرباء، وشبكات الصّرف الصّحي، وفرز النّفايات الصّلبة وغير ذلك.

<u>الثّاني</u>، بناء القاعدة الماديّة في المجتمع المحليّ أي القاعدة الاقتصاديّة **(اقتصاد بلديّ)**، وذلك من خلال التّأسيس لمشروعات إنتاجيّة زراعيّة وصناعيّة وحرفيّة وسياحيّة وسواها. وفي هذا المجال بإمكان البلديّة الإفادة من أكثر من مصدر للتّمويل، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- تشجيع الرّأسمال الوطنيّ المدينيّ والرّيفيّ على السّواء على التّوظيف والاستثمار المحلي (وهنا تبرز أهمّية الإفادة من الرّأسمال الاغترابيّ بشكل خاص).
- الاستلاف من بنك للتّمويل البلديّ الذي على الدّولة أن تبادر إلى إنشائه لغرض تطوير العمل التّنمويّ في البلديّات اللبنانيّة.
- استثمار عقارات وثروات تابعة للنطاق البلديّ.

إنّ نجاح البلديّة في وظيفتها التّنمويّة تؤدي إلى نتيجتين متلازمتين:

<u>النتيجة الأولى</u>، تحقيق إنماء متوازن حقيقيّ بين الرّيف والمدينة، الأمر الذي يساعد على تأمين الاستقرار الرّيفيّ ويحول دون ظاهرة تضخم المدن، وهي ظاهرة بدأت بالبروز منذ مطالع عهد الاستقلال الوطنيّ (بيروت الكبرى، زحلة كبرى، النبطيّة الكبرى .....)

<u>النتيجة الثّانية</u>، الحدّ من الفقر والبطالة والهجرة.

<u>الفقر:</u> تظهر المؤشرات الرّقمية من خلال الاحصاءات المتاحة في لبنان للسّنوات الأوّلى من العقد الأوّل من القرن الحالي (القرن الحادي والعشرين)، أنَّ حوالي 15 – 17 % من اللبنانيّين يعيشون حالة فقر حذر أو محسوب أي بأقل من دولارين في اليوم للفرد الواحد، في حين تشير دراسة حديثة لمنظمة العمل الدّوليّة إلى أنّ ما يقارب 35 % من الأسر اللبنانيّة في حالة من الفقر تتراوح بيد حدَّيه الحذر (أقل من دولارين للفرد) والحاد أو المدقع (أقل من دولار واحد للفرد في اليوم).

البطالة، تورد البحوث الميدانيّة التي أجريت مؤخرًا في عدة مناطق لبنانيّة أرقامًا عالية للبطالة بنوعيها السّافر والمقنَّع تصل إلى 30 – 50 % من قوة العمل.

الهجرة، بلغت موجة الهجرة اللبنانيّة (موجة الحرب الأهليّة وما بعدها) أكثر من 750 ألفاً يشكّلون حوالي 20% أي خمس السكان المقيمين في لبنان (ما عدا المخيمات الفلسطينية). وقد شكّلت الفئات العُمريّة الشّابة بين 20 – 50 سنة أكثر من 58 % من هؤلاء المهاجرين، الأمر الذي يشير إلى استنزاف حاد للثّروة الشّابة التي تشكّل الشّرط الضّروري لحيوية العمل من جهة، وأيضًا للأدمغة العلميّة أي العقول من جهة أخرى.

ثانيًا : البعد الشّعبيّ للّسلطة:

البلديّة هي أمؤسّسة للسّلطة الحاكمة بمفهومها الإداري – المدنيّ – الاجتماعيّ. وخصوصية هذه السّلطة أنَّها الأقرب إلى النّاس، لا بل هي من إنتاج النّاس، من نسيجهم الاجتماعيّ والأنتروبولوجيّ والثقافيّ. لذلك، فإنَّ هذه السّلطة إذا ما توفّرت لها مقومات النّجاح المطلوبة، هي المرجعيّة الشّرعيّة الأكثر قدرةً وتأثيرًا في التّأسيس لسلطات قاعدية تكون الرّكيزة القوية للبنيان الهرميّ العام للسّلطة بكل مستوياتها التّراتبية بدءًا من قاعدة الهرم صعودًا إلى قمة السّلطة أي إلى ما يسمى بالسّلطة المركزيّة للمجتمع والدّولة.

من هنا، فإنَّ وظيفة البلديّة ترتكز إلى فرضية أساسية تقول بإمكانية "**الإصلاح من تحت**" أي من القاعدة، وهي فرضية وجدت ترجمتها العمليّة في العديد من دول العالم التي أسَّست نهضتها الوطنيّة الشاملة انطلاقًا من مراكمات نهضويّة بدأت على مستوى مجتمعاتها المحلية أولًا، ثم تدرَّجت نهوضًا شموليًّا طال البنيان الاجتماعيّ – السياسيّ العام للمجتمع، وكذلك للدّولة بوصفها أمؤسّسة كبرى أو مجموعة مؤسّسات ناظمة لهذا المجتمع.

من أبرز شروط نجاح البلديّة في تحوّلها إلى سلطة شعبيّة فاعلة هي ثلاثة:

1. **تحرير المواطن من عقدة السّلطة،** فالمواطن اللبنانيّ، والعربيّ عمومًا، عاش تاريخيًّا أزمّة ثقة مع السّلطة القائمة بكل مستوياتها. وقد نشأت هذه الأزمّة بسبب الوظيفة الخراجية الريعيّة التي مارستها السّلطات المتعاقبة في استحواذها على الفائض الاجتماعيّ للنّاس (الضرائب) بشكل غير عادل في الجباية من جهة، وغير متكافىء أبدًا مع إعادة توزيع لهذا الفائض على شكل خدمات على النّاس من جهة أخرى.
2. **تحرير المواطن من الذّهنيّة الزّبائنيّة التي حكمت علاقته بالسّلطة،** وهي علاقة استتباع اجتماعيّ – سياسيّ، أي الاستزلام لزعامات سلطويّة نافذة كانت تعيد إنتاج نفوذها الزعاميّ – السّياسيّ باستمرار لقاء بعض الخدمات الهامشيّة كانت توفرها لأفراد أو لجماعات عائليّة تابعة لها.

3. **دور البلديّة في ترسيخ وعي القانون وثقافة القانون** لدى النّاس في نطاقها البلديّ. فثقافة القانون هي ثقافة مؤسّساتيّة عامة تنقل المواطن من دائرة العصبيّة القرابيّة الأوّليّة (عائليّة، عشائريّة، مذهبيّة،...الخ) إلى دائرة الجماعة في نطاق المدينة أو البلدة ومن ثم إلى دائرة الجماعة الوطنيّة على مستوى مساحة الوطن.

حتى اليوم، ما يزال هناك ثمة فارق كبير بين ثقافة القانون (ثقافة العامّ) وثقافة المواطن الفرد أو الجماعة العائليّة والعشائريّة والمذهبيّة، وهذا الفارق إنّما يعود إلى طبيعة البنيّة المجتمعيّة اللبنانيّة، والتي هي جزء من البنيّة المجتمعيّة العربيّة بوجه عام، من حيث أنّها ما زالت بنية محكومة إلى ولاءات أوليّة ضاغطة، ولاءات ما زالت أكثر انخراطًا في علاقات أهلية بطريركيّة، الأمر الذي حال حتى الآن، دون قيام علاقات الجماعة المدنيّة والمجتمع المدنيّ.

ثالثًا : البعد المدنيّ وأنسنة الفضاء البلديّ المحلي:

إنّ وظيفة البلديّة كسلطة محليّة تكمن في تنظيم الفضاء الحياتيّ المعيوش للنّاس، إذ توفر لهم حوافز التّفاعل والتّواصل من خلال تغليب العامّ الاجتماعيّ على الخّاص العائليّ أو المذهبيّ أو الفئويّ السّياسيّ. فإنّ إنشاء الطّريق العام، والمدرسة العامة، والمستوصف أو المركز الطّبيّ، والمكتبة العامة، والنّادي الثّقافيّ الاجتماعيّ، والملعب الرّياضيّ، والمشروعات المختلفة ذات الطّابع العامّ، كلها عوامل تساعد على **أنسنة الجماعة البلديّة المحلية**، وتضمن وحدة نسيجها الاجتماعيّ الثقافي، الأمر الذي ينمي في كل مدينة أو قرية حسّ التواصل الانساني في علاقات الجماعة العضوية، ويساعد بالتالي، على انتقال المواطن من دائرة العصبيّة القرابيّة إلى فضاء المجتمع المدنيّ، حيث تغدو المواطنة القاسم المشترك على المستوى المحليّ ومن ثمّ ترتقي إلى المستوى الوطنيّ العام. هنا، تتعزّز وحدة الانتماء إلى الوطن على أساس وحدة الوعي العام من جهة، وتتشابك المصالح والحاجات والتّطلعات المشتركة للنّاس من جهة أخرى.

رابعًا : البعد الدّيمقراطيّ:

لمّا كانت البلديّة أمؤسّسة للسلطة المدنيّة تتمتع بمساحة من اللامركزية، ولمّا كانت هذه الأمؤسّسة تستمد شرعيتها بالانتخاب المباشر من النّاس، فإنّها بذلك، تبقى الهيئة المرجعيّة الأكثر تفعيلًا للممارسة الدّيمقراطيّة سواء في نطاقها المجلسيّ، أي مستوى العلاقات الدّاخلية بين أعضاء المجلس البلديّ من جهة، أم على مستوى إشراك الارادة الشّعبيّة في عمليات التّنميّة وإدارة شؤون المجتمع المحليّ في نطاق المدينة أو القرية من جهة أخرى.

إنّ أهمّ حسنات النظام البلديّ، لما هو نظام إداري يتمتع بقسط من اللامركزية، تكمن في كونه يجمع بين ثنائية السّلطة التقريريّة والتنفيذة في آن واحد. فوظائف المجلس البلديّ أضحت عبارة عن **برلمان شعبيّ مصغّر وحكومة تنفيذية مصغّرة** ينتخبان معًا ويتعايشان معًا في هيئة مجلسيّة واحدة هي هيئة المجلس البلديّ بأعضائه ورئيسه.

إنّ مناقشة موضوعيّة للتّجارب البلديّة الثّلاث التي عرفها لبنان منذ أواسط العام 1998 وحتى اليوم، وذلك لجهة حجم ومستوى المشاركة الشّعبيّة الدّيمقراطيّة فيها، تقودنا إلى تسجيل المعطيات الدّالة التّالية:

1- مساحة الخارطة البلديّة في لبنان:

المقصود بالخارطة البلديّة هو عدد البلديّات القائمة في لبنان مقارنة بإجماليّ الخارطة الإداريّة اللبنانيّة الموصّفة بالمرسوم الاشتراعي الرقم 116 تاريخ 12 حزيران 1959، والذي يحدد إجماليّ عدد المدن والقرى في لبنان بـ 1398 مدينة وقرية.

- عام 1998 بلغ عدد البلديّات 736 بلديّة أي ما يعادل 52% من إجماليّ الخارطة الإدارية، وهذا يعني أنّ 48% من البلدات والقرى كانت لا تزال دون بلديّات.
- عام 2004 ارتفع عدد البلديّات القائمة والمنشأة الى 817 بلديّة أي ما يوازي حوالي 58% من إجماليّ عدد المدن والقرى اللبنانيّة، وبذلك فإنه بقي قرابة 42% من البلدات والقرى بدون بلديّات.
- عام 2010 بلغ إجماليّ عدد البلديّات التي انتخبت مجالسها البلديّة 918 بلديّة أي ما يشكل قرابة 66% من إجماليّ الخارطة الإداريّة، وهذا ما يدلّ على أنّ حوالي ثلث القرى اللبنانيّة ما زالت من دون مجالس بلديّة حتى اليوم.

2- حجم الكتلة المقترعة إلى الكتلة الناخبة:

أ- **في العاصمة بيروت:** من 33% عام 1998 إلى 21% عام 2010.

ب- **في مراكز المحافظات والأقضية:** بين 40 – 50%.

ت-**في البلدات والقري:** بين 50 – 65% (استنفار العصبيات العائلية).

3- حجم المنافسة الدّيمقراطيّة من خلال أعداد المرشحين للعضوية البلديّة:

أ- **في المدن (مراكز المحافظات والأقضيّة):** المعدل الوسطي للترشح بين 3 – 5 مرشحين للمقعد البلديّ الواحد.(في طرابلس وصل عدد المرشحين عام 1998 إلى 172 مرشحًا تنافسوا على 24 مقعدًا أي بمعدل 7.2 مرشح للمقعد الواحد).

ب- **في سائر البلدات والقرى** لم يتجاوز المعدل الوسطيّ أكثر من مرشحين اثنين لكل مقعد بلديّ، ذلك لأنّ الاعتبارات العائليّة هنا ما زالت أكثر قدرة على التّحكم في تحديد المرشحين على نحو مغاير عن الأوساط المدينيّة حيث يتوفر هامش، وإن كان محدودًا، من الحرية الفرديّة. هنا تكمن أهمّية **اعتماد النسبية في الانتخابات البلديّة**، ذلك أنّ مثل هذه النّسبية تؤمّن مساحة أكثر اتساعًا من المشاركة الدّيمقراطيّة في تركيبة المجلس البلديّ. إلا أنّ السّلبية التي قد تعتري النسبية تتمثل في نقل الصراع على السّلطة البلديّة من الشارع إلى داخل المجلس البلديّ، الأمر الذي يشكل عائقًا أمام وظيفة البلديّة في النّهوض التّنمويّ بالمجتمع المحلي. لكن مثل هذا العائق يمكن أن يتضاءل ويزول، نهائيًا فيما إذا توفرت قيادة بلديّة واعية ومسؤولة.

4- حجم المشاركة النّسائيّة:

أ- **في التّرشّح** : تراوح عدد النّساء اللواتي ترشحنَ للعضويّة البلديّة بين 0،5 – 0،7 مرشحة لكل بلديّة، أي بمعدل امرأة واحدة مرشحة لكل بلدتين أو امرأتين لكل ثلاث بلديّات.

ب- **في الفوز بالعضوية البلديّة**، في الدّورات الانتخابية الثّلاث بين (1998 – 2010) بلغ متوسط عدد النّساء اللواتي فزنَ في الانتخابات بمعدل امرأة واحدة عضو بلديّ مقابل 50 – 60 من الأعضاء الذكور، الأمر الذي يشير إلى تدني مستوى المشاركة النّسويّة في العملية الدّيمقراطيّة البلديّة. وهنا تكمن أهمّية اعتماد **الكوتا النّسائيّة (20%)** وهي كوتا وإن كانت محدودة (حوالي 1\5 أعضاء المجلس البلديّ) إلا أنّها تعدّ بمثابة فرصة تشجيعيّة للعنصر النّسويّ في المشاركة الدّيمقراطيّة على قدم المساواة مع الرّجل في تنمية المجتمع المحليّ ونهضته.

5- حجم ومستوى المشاركة في القرار الإنمائيّ الدّيمقراطيّ داخل المجلس البلديّ.

أ- **العلاقات بين الأعضاء داخل المجلس البلديّ:**

-علاقات تعاون إيجابيّ

-علاقات صراعيّة أفضت الى ظاهرة البلديّات المنحلة وهي كثيرة.

ب- **المشاركة في التّحضير لجدول أعمال المجلس الأسبوعيّ:**

- 80% من البلديّات الرئيس منفردًا

- 20% من البلديّات تتدرج من الرّئيس مع عضو بلديّ آخر، إلى الرّئيس مع لجنة بلديّة فإلى الرّئيس مع كامل أعضاء المجلس البلديّ.

ج- **حجم المشاركة في تأليف اللجان:**

- بين 7 – 10 % من البلديّات لا لجان فيها
- بين 20 – 25 % من البلديّات يوجد فيها من 1 – 3 لجان (المشاركة ضعيفة).
- بين 40 – 50 % من البلديّات يوجد فيها من 4 – 6 لجان (مشاركة وسط).
- بين 18 – 20 % من البلديّات يوجد فيها لجان من 7 – 13 لجنة (مشاركة جيدة).

د- المشاركة في تحضير الموازنة:

- أكثر من 50% من البلديّات ينفرد الرّئيس بتحضير الموازنة.
- أقل من 50% مشاركة بين الرّئيس وعضو واحد، إلى الرّئيس ولجنة بلديّة، إلى الرّئيس مع المجلس البلديّ بكامله.

هـ - العلاقة مع سلطات الرقابة:

العلاقة بين البلديّة كإدارة تتمتع بمساحة من اللامركزيّة منحها إياها قانون البلديّات السّاري المفعول الرقم (118\77) والمستويات المتعدّدة لسلطات الرقابة الإداريّة والماليّة، هذه العلاقة كانت تقوم وما تزال، على احتواء المركزيّ المهيمن لِ اللامركزيّ التّابع. وكثيرًا ما كانت هذه العلاقة تنتهي إلى المزيد من التّعقيد والإرباك في العمل البلديّ، ومن ثمّ إلى المزيد من التّراجع على الصّعيد التّنمويّ.

إنّ إشكاليّة العلاقة هنا ليست بين مؤسّستي البلديّة والدّولة، وإنذما هي بين البلديّة والهيئة الحاكمة للدّولة. فالهيئة الحاكمة كانت تضع القانون ثم تعود فتضع نفسها فوق القانون أي فوق الدّولة ومؤسّساتها، ولم نرَ حتى اللّحظة أنّ الدّولة ومؤسّساتها وقوانينها باتت فوق الهيئات الحاكمة بعد.

خلاصة القول، إنّ ثمة ثغرات وإشكاليّات عديدة حكمت وما تزال التّجارب البلديّة في لبنان. من هنا، تكمن الأهمّية كلّ الأهمّية في تعزيز جدليّة العلاقة بين التّنميّة والدّيمقراطيّة وذلك من خلال علاقة واعية للممارسة الدّيمقراطيّة وعلى مستويات ثلاثة:

1- **مستوى المجلس البلديّ نفسه** أي بين الأعضاء البلدييّن.
2- **بين البلديّة والمواطن.**
3- **بين البلديّة وإدارات الدّولة المركزيّة.**

نخلص إلى الاستنتاج الأخير من أنّ توسيع دائرة الوعي المعرفيّ البلديّ يبقى الشّرط الحاسم لإحداث ثقافة تغييريّة جذرية تؤسّس لتجربة تنمويّة – ديمقراطيّة على المستوى البلديّ، هي حجر الزّاوية للتّأسيس لتجربة موازية من التّنميّة والدّيمقراطيّة على مستوى الوطن كل الوطن.

صناعة النفط والغاز وإنتاج الكهرباء في لبنان- تحديات وآمال

بقلم د. زاهي خليل أستاذ مادة البترول في كلية العلوم - الجامعة اللبنانية

يغرق لبنان في أتون أزمة إقتصادية خانقة ويرزح تحت عجز مالي وصل الى حدود 100 مليار دولار. من أهم أسباب هذا العجز الوضع المتردي في مؤسسة كهرباء لبنان التي تكلف لبنان حوالي المليارين دولار سنوياً لتغطية تكاليف إستيراد المشتقات البترولية المطلوبة مع إستمرار التقنين القاسي الذي يطال كافة المناطق اللبنانية. ويعتمد لبنان في إنتاج الطاقة الكهربائية الفعلية الحالية (1700) من اصل (3600) ميغاوات المطلوبة على مادتي الديزل والفيول الثقيل اللتان تتسببان بأضرار جسيمة على الصحة العامة والبيئة والممتلكات ناهيك عن كلفتهما العالية. حالياً, يسعى لبنان إلى تحويل منشآته العاملة وبناء معامل جديدة وتأمين مصادر آمنة ومستقرة لها من الغاز الطبيعي, إما من ثرواته الدفينة الموعودة أو من الأسواق العالمية.

تسعى كل دول العالم إلى التحول من إستخدام الفحم والنفط في إنتاج الكهرباء وإمداد المنشآت الصناعية وغيرها بالطاقة إلى الغاز الطبيعي عندما يكون ذلك ممكناً, مما جعله الوقود الأحفوري الأكثر طلباً في الأسواق العالمية. هذا التوجه, بالإضافة طبعاً إلى إستغلال الطاقات المتجددة (الشمسية والرياح,...) فرضته المشاكل البيئية الخطيرة (الإحتباس الحراري, الشتاء الحمضي,...) التي تسبب به الإستعمال المفرط لمصادر الطاقة الإحفورية. ويعتبر الغاز الطبيعي الأنظف بيئياً لقلة الإنبعاثات الخطرة (أكاسيد الكبريت والأزوت والمعادن الثقيلة والحبيبات الدقيقة وأكاسيد الكربون) الناتجة عن عملية الإحتراق (الرسم 1), والأجدى إقتصادياً بتوفير بين 10-20% من الفاتورة النفطية بالإضافة إلى أنه الأسلم تقنياً للتوربينات حيث يسمح بمضاعفة العمر التشغيلي للمحطة.

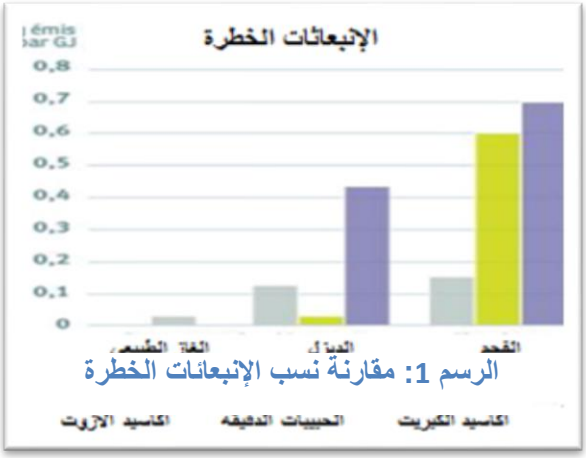

الرسم 1: مقارنة نسب الإنبعاثات الخطرة

في لبنان, كان هناك تجربة قصيرة لعدة أشهر في إمداد

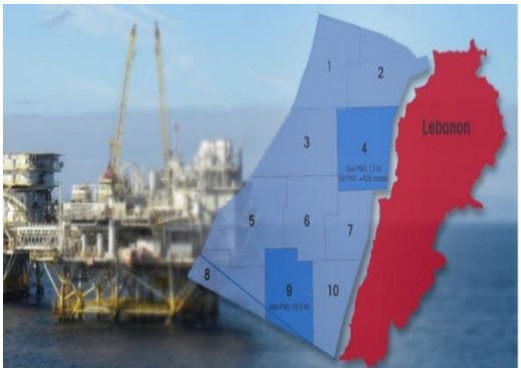

معمل دير عمار بالغاز الطبيعي من الخط العربي (2009) ولكنها توقفت سريعاً بسبب شح الآبار المصرية. مع أنه كان بإستطاعة لبنان الإعتماد على الغاز الطبيعي منذ العام 1998 لتشغيل معملي الزهراني ودير عمارعام في إنتاج 930 ميغاوات. كذلك في تشغيل وحدات الإنتاج الحديثة والبواخر المستأجرة في معملي الجية والذوق في إنتاج 666 ميغاوات منذ عام 2017. لكن المشاكل السياسية وسوء التخطيط أديا إلى غرق لبنان في الديون والتقنين الظالم وتعطيل الدورة الإقتصادية.

كانت نتائج الدراسات الجيوفيزيائية التي أجريت في المنطقة الإقتصادية الخالصة للبنان مدعومةً بالإكتشافات الهائلة التي تمت في سواحل البلدان المجاورة (مصر, قبرص وفلسطسن المحتلة) قد أشاعت جواً من التفاؤل بقرب إستخراج الغاز الطبيعي من قاع البحر وبالتالي إيجاد الحلول التقنية والمالية لأزمة إنتاج الكهرباء ومشكلة الدين العام. لكن الحملة الدعائية التي واكبت الحفر الإستكشافي وبشرت بدخول لبنان نادي الدول المنتجة للغاز الطبيعي لم تكن في محلها البتة ولم تعتمد على أية معايير علمية. إذ أن من الثابت حالياً أن نسبة النجاح في إكتشاف مكامن ذات جدوى تجارية لا تتعدى ¼ والمدة الزمنية اللازمة لإستخراج الغاز من المياه العميقة في بلد لا تتوفر فيه البنية التحتية اللازمة (خزانات وأنابيب وموانئ,...) لا تقل عن سبع سنوات. ففي إسرائيل على سبيل المثال تم حفر ثماني آبار قبل إكتشاف حقل لفيتان الضخم (2010), ومرت عشر سنوات بين فترة الإكتشاف وبداية الإنتاج منه. نتيجة لذلك التسرع, أتى الإعلان عن عدم مكامن غازية بكميات تجارية في البلوك رقم 4 ليرخي بضلاله الثقيلة على مجمل الوضع الإستثماري والإقتصادي في لبنان.

وكانت عمليات الحفر الإستكشافي في البلوك 4 الذي تبلغ مساحته1911 كلم2 ويقع على بعد حوالى 30 كيلومترا شمال بيروت في شباط الماضي, على عمق 1500 متراً تحت سطح البحر ولعمق 4500 م تحت قاعه, تنفيذاً لإتفاقية الإستكشاف والإنتاج المُوقع عام 2018 بين الحكومة اللبنانية وإئتلاف الشركات (توتال الفرنسية,إني الايطالية ونوفاتيك الروسية). ويتضمن العقد أيضاً أعمال التنقيب في البلوك رقم 9 الذي تبلغ مساحته 1742 كلم2 ويقع مقابل الساحل الجنوبي على تماس مع المنطقة المُتنازع عليها مع الدولة العبرية,على أن تبدأ أعمال الحفر فيه أواخر هذا العام (الرسم 2).

الرسم 2: المنطقة الإقتصاطية الخالصة للبنان وتوزيع البلوكات

لكن الأمل بوجود حقول غازية بكميات تجارية في البلوكات الجنوبية ما زال متوفراً باعتبارها تشكل إمتداداً لجيولوجية البحر الفلسطيني مع إعتماد الإعتبارات العلمية وعدم التسرع في إصدار النتائج أوالتوقعات الخاطئة. إذ تشير خريطة الإكتشافات في شرق البحر المتوسط منذ عشرين عاماً الى حصولها في الجزء الجنوبي منه فقط. ففي ساحل مصر تم إكتشاف العديد من الحقول أهمها حقل الظهرعام 2015 ويحتوي على 850 مليار متر مكعب من الغاز جعل منها عقدة الوصل في صناعة الغاز الأوسطية. في قبرص تم إكتشاف حقل "أفروديت" عام 2011 ويحوي 127 مليار م^3 من الغاز وحقل "غلافكوس" عام 2019 ويقعان جنوب الجزيرة. أما في أسرائيل, فقد تم إكتشاف 8 حقول للغاز الطبيعي منها حقل "تمار" عام 2009 ويبعد 38 كلم جنوب الحدود البحرية اللبنانية ويحوي حوالى 250 مليار م^3 من الغاز, وحقل لفيتان عام 2010 ويبعد42 كلم ويحوي 540 مليار م^3 من الغاز ويتيح لإسرائيل أن تصبح دولة مصدرة للغاز, بالإضافة إلى حقل كاريش الذي أُكتشف عام 2017 بالقرب من الحدود اللبنانية (فقط 4 كلم !) مع إحتياط غازي يقدر 50 مليار م^3 (الرسم 3).

هذه المستجدات والمعطيات العلمية تفرض على لبنان العمل سريعاً على تأمين الغاز الطبيعي وإستقرار إمداداته من خلال تنويع مصادره. يمكن تنفيذ ذلك عبر إنشاء خط الأنابيب الساحلي من طرابلس إلى الزهراني مروراً بكافة محطات الإنتاج وتفعيل خط الغاز العربي من مصر التي أصبحت مركزاً إقليمياً لإنتاج وتسييل الغاز الطبيعي وتصديره. كذلك عبر بناء محطة للتغويز عائمة (FRSU) أو ثابتة على اليابسة على الأقل, تسمح بإستيراد الغازالطبيعي المُسال عبر الناقلات وتخزينه وإعادته إلى حالته الغازية.

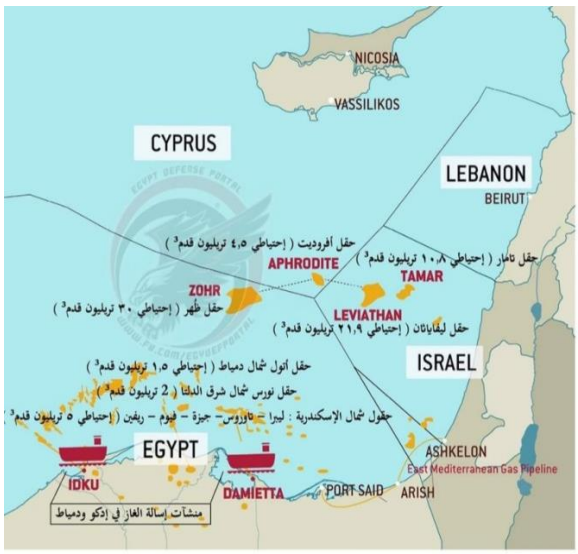

بدأت رحلة البحث والتنقيب عن النفط والغاز في لبنان منذ ما قبل عام 2000 وإستمرت لأكثر من عشر سنوات, كلفت فيها الحكومة اللبنانية عدة شركات متخصصة بإجراء المسوحات الجيوفيزيائية اللازمة والتي خلصت إلى تقدير وجود كميات تجارية مقابل الساحل اللبناني. وعزز هذه التقديرات الإكتشافات التي قامت بها إسرائيل وخاصة في حقل لفيتان مقابل ساحل حيفا عام 2010. وإنطلق العمل بشكل فعلي بعد إقرار البرلمان اللبناني المنظومة القانونية اللازمة من قانون الموارد البترولية في المياه البحرية عام 2010 إلى القانون المتعلق بتحديد وإعلان الحدود البحرية للجمهورية اللبانية إستناداً

إلى قانون البحار عام 2012, إلى قانون الأحكام الضريبية المتعلقة بالأنشطة البترولية عام 2017, بالإضافة إلى قانون دعم الشفافية في قطاع البترول الصادر عام 2019. كذلك أصدرت الحكومة اللبنانية مجموعة المراسيم التطبيقية الملازمة من إصدار المرسوم المتعلق بتحديد المنطقة الإقتصادية الخالصة اللبنانية وإيداع الخرائط العائدة لحدود لبنان البحرية لدى الأمم المتحدة عام 2011 وتقسيم المياه البحرية الخاضعة للولاية القضائية للدولة اللبنانية (الرسم 2), ومرسوم إنشاء هيئة إدارة قطاع البترول, بالإضافة إلى المراسيم المتعلقة بدفتر الشروط ونموذج إتفاقية الإستكشاف والإنتاج عام 2017 .ونتيجة لدورة التراخيص الأولى تم منح كونسورتيوم (توتال-إني- نوفاتيك) حق الإستكشاف في الرقعات رقم 4 و9 وتوقيع الإتفاقية بين الجانبين بتاريخ 9 شباط 2018. كذلك تم تحضير دورة التراخيص الثانية للرقع (1-2-5-8-10) العام الماضي ولكن تم تأجيل إصدارها أكثر من مرة لتستقر في شهر حزيران المقبل. كذلك قام لبنان بترسيم حدوده البحرية مع قبرص عام 2007, تلاها ترسيم قبرص وإسرائيل لحددودهما البحرية نتج عنه محاولة إقتطاع مساحة كبيرة من جنوب المنطقة الإقتصادية الخالصة في لبنان (860 كلم) ونشوء نزاع مع الدولة العبرية حول حق السيادة عليه (الرسم 2). وتُعَرف المنطقة الاقتصادية الخالصة، وفقًا لقانون البحارفي الأمم المتحدة ، بالمنطقة البحرية التي تستطيع الدولة الساحلية أن تمارس حقوقها السيادية في إستكشاف الموارد داخلها وإستغلالها. وتمتد من خط الأساس لساحل هذه الدولة حتى 200 ميل بحري (حوالي 370 كم) يليها المياه الدولية. أما المناطق الواقعة بين الدول الساحلية المتقابلة فتقسم حقوق الاستكشاف مناصفة بين البلدين كما هي الحال بين لبنان و قبرص 125 ميل.

أما إتفاقية الإستكشاف والإنتاج الموقعة مع إئتلاف الشركات فتمتد على خمس سنوات موزعة على مرحلتين (3+2), لكل منها شروطها. وعملاً بنظام مشاركة الإنتاج يتحمل تكتل الشركات وحده مجمل التكاليف الاستثمارية على أن تبدأ بإسترجاعها عند بدء الإنتاج,على أن تتراوح حصة الدولة الكاملة في الرقعتين 4 و9 بين 53 و71 %. بحسب الإتفاقية وخلال مدة الإستكشاف الأولى, يجب على أصحاب الحقوق (الشركات) تنفيذ الحد الادنى من موجبات العمل ومنها تنفيذ جميع أنواع المسوحات الجيوفيزيائية الحديثة اللازمة وتقويمها وحفرما لا يقل عن بئر واحدة بعمق لا يقل عن 4400 م من قاع البحر. يلي ذلك إصدار تقرير أنشطة التقويم خلال شهرين (يُسمح لها بطلب التأجيل). لذا من المفترض أن تصدر شركة توتال التي أشرفت على أعمال الحفر في البلوك 4 تقريرها الرسمي النهائي بعد حوالي الشهرين ويجب أن يتضمن تأكيد وجود إحتياط تجاري من عدمه, وتقديم معلومات هامة عن جيولوجيا المنطقة, ربما تستدعي حفر آبار إضافية. خاصةً أنه كقاعدة عامّة في الصناعة البترولية لا يمكن الإعتماد على نتيجة حفر بئر إستكشافية واحدة التي لا

يتجاوز إحتمال النجاح في العثور على إكتشاف تجاري فيها نسبة 25%. كذلك تسمح هذه المعلومات في إعداد أعمال الحفر في البلوك 9, بالإضافة إلى تأثيرها الأكيد على مسار دورة التراخيص الثانية.

في رحلة البحث عن ثرواته النفطية عانى لبنان وما زال من حالة عدم الإستقرار السياسي أدت إلى هدر الكثير من الوقت والفرص في مراحل مختلفة وخاصة التأخير في إصدار المراسيم التطبيقية وإصدار دورات التراخيص فترة لا تقل عن 4 سنوات. ربما يتسبب هذا التأخير بضياع جزءٍ من ثروات لبنان الدفينة مع إمتلاك إسرائيل البنية التحتية اللازمة والأسبقية في الوقت لإستغلال المكامن المشتركة بالكامل. فحقل كاريش الذي تم إكتشافه عام 2017 ويقدر الإحتياط فيه 50 مليار م3 فلا يبعد حسب التقارير الرسمية أكثر من 4 كلم عن الحدود اللبنانية البحرية (الرسم 4) !!. أما البئر الذي تم حفره فيه فيقع على بعد 15 كلم. فعلياً يمكن التشكيك في الروايات الرسمية الإسرائيلية جول إمتداد الحقل, وما التمسك الإسرائيلي والدعم الأميركي المطلق له في المنطقة المتنازع عليها إلا دليل واضح على الإمتداد الأوسع لهذا الحقل وتداخله في المنطقة الإقتصادية الخالصة للبنان. إضافةً إلى أنه خلال عملية الإنتاج يسمح إنخفاض الضغط في نقطة الإستخراج في عمق البئر بهجرة وشفط الموارد من مناطق الضغط الأعلى دون التقيد طبعاً بالحدود المرسومة. عادةً تعمد الدول المالكة للحقول المشتركة إلى توقيع إتفاقية UNITIZATION لتقاسم الأكلاف والارباح على قاعدة التوزيع الجغرافي للحقل, وهذا ما لا يمكن فعله مع الكيان الإسرائيلي. كذلك تسمح تكنولوجيا الحفر المُوجه (الرسم 5) والتي تشترط المعرفة الدقيقة لجيولوجيا المنطقة إنطلاقاً من منصة واحدة عائمة بتوسيع مساحة الإستخراج في الحقل لمسافات يمكن أن تصل إلى عمق البلوكات اللبنانية (12 كلم). لهذه الأسباب, وبالتلازم مع المضي قدماً في إجراء المناقصات لتلزيم البلوكات الجنوبية, يترتب على لبنان خوض معركة ديبلوماسية شرسة ترتكز على كل عناصر القوة لتثبيت وحماية حقوقه في ثرواته البحرية في المنطقة الإقتصادية الخالصة والتي تحاول إسرائيل السطو عليها.

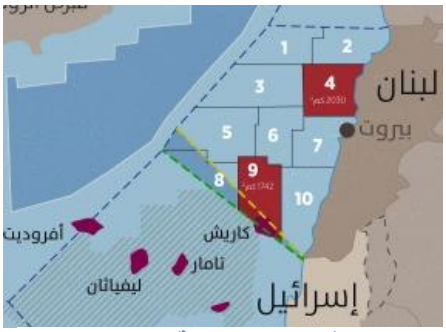

الرسم 4: قرب الإسرائيلية من الحدود البحرية اللبنانية

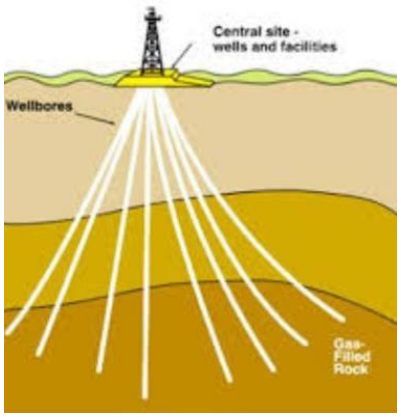

الرسم 5: الحفر الموجه

كذلك تسبب إنتشار وباء الكورونا على مستوى العالم وتطبيق الحجر المنزلي في الكثير من الدول بالإضافة إلى تصاعد الحرب التجارية بين روسيا والسعودية من جهة والحرب الجيوسياسية بين روسيا واميركا من جهة آخرى إلى تراجع الإستهلاك بمعدلات كبيرة في كافة القطاعات الاقتصادية العالمية وحصول بلبلة كبيرة في سوق النفط العالمي. تُرجم ذلك في التراجع الكبير التي شهدته أسعار النفط والغاز بشكل عام وإنعكاسه الكبير على تراجع الإستثمارات في قطاعي النفط والغاز وخاصة في الأماكن ذات الاكلاف الإنتاجية العالية كما في المياه العميقة.

الإغتراب رافعة الإقتصاد

بقلم د. علي السيد

أدرك المتربصون بلبنان أن قوته الإقتصادية تكمن في قوة المغتربين وضخهم الدائم للعملة في إقتصاده وإنشائهم للمشاريع الكبرى على أرضه، فقاموا بمحاصرة المصارف والتضييق عليها من حيث التحويلات وكذلك إعطاء التعليمات بإغلاق بعض هذه المصارف كان آخرها جمال تراست بنك تحت حجج وعناوين واهية (تبييض أموال ودعم الإرهاب) وكل هذه الأمور كانت لدفع المغتربين لعدم ضخ أو إرسال الأموال وخاصة من أفريقيا إلى وطنهم.

والذي يحصل الآن في نظامنا المصرفي من تبخر لأموال المودعين وخاصة بالعملة الصعبة، وفقدان الثقة بين اللبنانيين وخاصة المغتربين منهم بالنظام المصرفي وهذا واضح للعيان، ما هو إلا حلقة من حلقات ضرب الإقتصاد وكذلك المغتربين في آنٍ واحد وطبعاً ضرب لبنان ومقاومته ومناعته وممانعته.

- **تحويلات اللبنانيين**

لقد شكلت التحويلات المالية التي يرسلها المغتربون إلى أهلهم في لبنان رافعة للإقتصاد الوطني، وهذه التحويلات وصلت نهاية العام 2010 إلى 8 مليارات و200 مليون دولار.

إن قيمة التحويلات الإجمالية تصل إلى 25 % من الناتج المحلي الإجمالي ، وهذا رقم ضخم جداً نسبة إلى حجم الإقتصاد اللبناني ، وهذه التحويلات تساهم في زيادة الودائع في المصارف وفي شراء عقارات وأسهم وسندات وإستثمارات[1].

يمكننا القول أن الإغتراب اللبناني ساعد المقيمين اللبنانيين مادياً في أحلك الظروف وساهم بشكل أساسي في النهوض الإقتصادي من كبواته المتعددة وإضافةً إلى ما ورد سابقاً فقد ذكر البنك الدولي أن المغتربين اللبنانيين حوّلوا إلى لبنان خلال عام 2006 ما مجموعه ستة مليارات وخمسماية مليون (6.5) دولار أميركي بينما بلغت مجموع صادرات لبنان خلال الفترة نفسها ملياران وأربعماية مليون (2.4) دولار[2]، يكفي أن ننظر إلى هذه الأرقام كدليل على الإمكانات المتوفرة لدى الإغتراب اللبناني ومدى إستعدادهم لمساعدة وطنهم الأم.

يقول المدير العام السابق للمغتربين الأستاذ هيثم جمعة "لبنان لا ينهض إلا بجناحيه المقيم والمغترب، المغتربون هم لبنان الأبيض وقت الصعوبات السوداء، أمامنا تحديات كبيرة ليس فقط في القارة الأفريقية إنما في كل العالم ، المهم أن نتضامن في ما بيننا ونلتقي معاً في نظرتنا إلى المستقبل".

فكما الطائر لا يحلّق ولا يقوم ولا يطير إلا بجناحيه، كذلك لبنان لا يمكن أن يحلّق أو ينهض وخاصة في إقتصاده الحر إلا بالجناحين المقيم والمغترب.

عندما توقف ضخ الأموال من المغتربين إلى لبنان ولم يعودوا يثقوا بالنظام المصرفي في بلدهم لبنان، نشهد منذ شهور أي منذ فقدان الثقة شبه إنهيار للإقتصاد اللبناني والأمور آيلة إلى المزيد من التشنج والإنهيار، فالمورد الرئيسي للحركة المالية في المصارف ولبنان متوقفة، وكل ما يحصل الآن هو مخطط له

([1])- ساحل العاج نموذجاً لكفاح اللبنانيين – إعداد : تريز منصور .

([2])- الإنتشار اللبناني – منشورات وزارة الإعلام – مديرية الدراسات والمنشورات اللبنانية – 2010.

كما ذكرنا في بداية المقالة ممن يريدون أن تكون قوة لبنان في ضعفه وإنبطاحه أمام مشاريع الهيمنة والتسلط وسلب الشعوب ثرواتها وإلا فالحرب الناعمة التي بدأت من حوالي السنة مستمرة بعدة أوجه إقتصادية ومعيشية ومصرفية.

التعليم العام في لبنان ضحية غياب مزمن للتخطيط التربوي

بقلم د.محسن جواد(مفتش تربوي سابق)

لم نشهد منذ عقود سبعة وصول وزير للتربية حاملًا مشروعًا متكاملًا لتعديل مناهج التعليم بما يتلاءم مع التطور المعاصر في العالم. يستثنى من ذلك الوزير مخايل الظاهر، الذي أطلق في العام 1994 خطة النهوض التربوي، متضمّنة تعديلًا شاملًا لمناهج التعليم العام. وقد نتج عنها تجديد الكتب المدرسية لجميع حلقات التعليم، من رياض الأطفال حتى نهاية المرحلة الثانوية. وقد وضعت هذه الكتب قيد الاستعمال اعتبارًا من 1997 بموجب المرسوم 10225. ويمكننا في هذه المقالة إطلاق بعض الأفكار لتطوير التعليم. وحيث إن من المسلّم به أن المعلّم هو أساس نجاح التعليم، ينبغي توجيه الجهود نحو الإعداد السّليم للمعلّم.

إعدادُ المعلمين أولويةٌ ملحَّة، لا تحتمل التأجيل، في كل مسعى لإصلاح الخلل الخطير في البناء التعليمي والتربوي والاجتماعي في لبنان. وهذه مسؤوليةُ الحريصين على مستقبل هذا الوطن.

في لبنان حالياً رأيان حول إعداد المعلمين، واحدٌ يدعو إلى الإعداد في كلية التربية، والآخر في دُور المعلمين.

أولاً: الإعداد في كلية التربية: يستند إلى القانون 2001/344 الذي لم يطبَّق حتى تاريخه. ونحن نرى أن الإعداد في كلية التربية أمرٌ متعذر، لأسباب، منها الكلفة العالية، سواءٌ أكان الإعداد مركزياً في العاصمة، أو عبر تفريع هذه الكلية إلى المحافظات. وسبب ارتفاع الكلفة الاضطرارُ إلى إنشاء فروع لكلية التربية في المناطق، وقيامُ أساتذة جامعيين بالتدريس. ومعلومٌ أن سياسة السلطة تقفُ ضد أيّ مشروعٍ ذي كلفة عالية، وخاصةً إذا كان يؤدي إلى إنماء في المناطق، ينعش الطبقة النامية.

ثانياً: الإعداد في دُور المعلمين: يستند إلى أن مهمة الإعداد هي أصلاً منوطةٌ بالمركز التربوي للبحوث والإنماء. وللخروج من أَسْرِ النصوص التي تشترط الإجازة للدخول في سلك التعليم، يمكن استصدارُ مرسوم يجعل الإعداد في دور المعلمين، لمدة **ثلاث سنوات**، لحاملي الشهادة الثانوية وما فوق، يتخرج الطالب بعدها حاملاً إجازة تعليمية. ويمكن تعديل تسمية دار المعلمين إلى كلية إعداد المعلمين. كلفةُ هذا المشروع غير عالية، وهي أقلُّ بكثير من مشروع التدريب المستمر المطبق حالياً، بعد أن ثبت أنه قليلُ الجدوى.

يقوم اقتراحنا إذاً على تفعيل دُور المعلمين، لأداء مهمة الإعداد، ويتولى أساتذةٌ ثانويون رسميون التدريسَ فيها، على غرار المعاهد الفنية المنتشرة في المناطق، حيث يقوم أساتذة مهنيون بالتدريس، ويخرِّجون أساتذة يحملون إجازة مهنية LT.

ثالثاً: إن إصلاح الواقع التربوي التعليمي يتطلب ورشةَ عملٍ مفتوحةً ودائمة، تشارك فيها كلُّ الطاقات المؤهلة، سواء على مستوى الخبرة أو على مستوى القرار.

الأسباب الموجبة:

1- من أهم عوامل الاستقرار في المجتمع، سلامةُ الوضع التعليمي، الذي يؤمِّن نشأةً تعليمية سليمة للأجيال؛ وهذا الاستقرار يمثِّل شبكةَ أمانٍ، تحمي المجتمع من الاضطراب.

2- يحرَصُ التخطيط الإنمائي للمجتمعات، على إعداد المعلمين إعداداً جيداً. لكن السلطة التربوية في لبنان ألغت هذا الإعداد، فنشأ اضطراب واضح في الوضع التعليمي لدى بيئات ذوي الدخل الضعيف، وهذه تتوزع في مناطق الجنوب والبقاع الشمالي، وفي عكار. ولقد شكَّل إقفال دور المعلمين ضربةً كبيرةً لجهود الإصلاح في واقعنا التربوي.

3- إن الجمهور الأوسع في المناطق، هو من فئات ترهقها كلفة التعليم الخاص، ولا تستطيعُ المدارسُ الخاصة التابعةُ للمؤسسات، استيعابَ جمهورها الواسع. لذلك فإن دعم التعليم الرسمي يؤمِّن

تعليماً مقبولاً لهذا الجمهور، تدفع الدولة كلفته. ومن البديهي أن العمل على إنجاح التعليم الرسمي، يحقق فائدةً كبرى للفئات المحرومة، بحيث تستفيد من خزينة الدولة في تغطية نفقات التعليم.

4–كانت دورُ المعلمين تمثلُ معبراً طبيعياً لأبناء الطبقة الفقيرة إلى الوظيفة الرسمية، ينجحون فيها بكفاءتهم. وإن إقفال الدور قد أقفل فرصةَ التوظيف أمام الكثير من الطلاب المجتهدين، وضرب عنصراً أساسياً مهمّاً من عناصر الأمان في المجتمع.

- أهم النصوص المرجعية ذات الصلة:

1– القانون رقم 57 تاريخ 2008/12/27. حول أصول التعيين في وظيفة مدرس.
2– المرسوم رقم 12322 تاريخ 2004/4/23. المتعلق بتطبيق القانون 442.
3– القانون رقم 442 تاريخ 2002/7/29. أصول التعيين في وظيفة مدرس.
4– القانون رقم 2001/344. إنصاف حمَلة الإجازة والكفاءة.

التطوع والشباب اللبناني(ورقة بحثية)

إعداد : أ.د. مريانا الخياط الصبوري (مديرة معهد العلوم الاجتماعية الفرع الخامس)
د. شبيب دياب (أكاديمي وباحث)

عرفت المجتمعات القديمة اشكالاً من التضامن وصفه اميل دوركهايم بالتضامن الآلي، ويقصد به تلك النشاطات المشتركة التي يقوم بها المجتمع للحفاظ على أفراده وتأمين استمرارية الحياة فيه، أما المجتمع الحديث فقد تحول التضامن فيه، ودائما حسب دوركهايم، إلى تضامن عضوي بين مكونات المجتمع، وهذا ما عملت الدولة على تنظيمه وضبطه في إطار القوانين العامة التي ترعى الشأن العام، وتؤمن التوازن والتفاعل الايجابي بين قواه الحية.

وإذا كانت فكرة العمل التطوعي قد نشأت ملازمة لعمل الخير والاحسان ، فإن انتشار الفقر وما يرافقه من تداعيات سلبية على الفئات الضعيفة ، دفع بدولة الرعاية في السبعينات من القرن الماضي للاهتمام بالقطاع الأهلي ، وأصبحت المنظمات لا تُدار من قبل المتطوعين، وإنما بجهاز تنفيذي مدفوع الأجر، وأصبح العمل الاجتماعي أكثر مهنية واحترافاً, يفترض التفرغ لتنفيذ برامج تنموية واسعة، وأنشأت الامم المتحدة في العام 1970 برنامج متطوعي الأمم المتحدة ، وهو الذراع التطوعي لمنظومة الأمم، وأوكلت إدارته إلى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، حيث يدعم السلام والإغاثة ومبادرات التنمية في العالم.

وهكذا بات العمل الاجتماعي واحداً من أركان الاقتصاد الوطني سواء من حيث فرص العمل التي يوفرها، أو من حيث الناتج الاقتصادي الذي يحققه. وابتداء من تسعينات القرن الماضي، بدأت المنظمات التطوعية تقوم بالمهام التي تعجز عنها المنظمات الخاصة أو الحكومية، سواء بسبب ضعف مردوديتها، أو لافتقارها للأدوات التنفيذية المناسبة، ومع الوقت بدأت المنظمات التطوعية تترسخ لتقوم بصلة الوصل بين الدولة والمجتمع والقطاع الخاص، واكتسبت وظائف جديدة في دمج الأشخاص الذين يواجهون صعوبات، وفي الكشف المبكر عن المشكلات، كما أن ريادة القطاع التطوعي تُحسب في مجال التنظيم ومباشرة أعمال الطوارئ والاغاثة، فهذا يشكل مختبراً تجريبياً في هذا المجال، تستفيد منه بقية القطاعات.

وفي الوقت الذي تتعرض له مجتمعاتنا الشرق أوسطية إلى مختلف عوامل التجزئة والتفتيت، يسهم العمل

التطوعي في تعزيز مشاعر التضامن الوطني والانساني بين أفراد المجتمع ومكوناته، فهو إذ يقدم الفائدة لبعض شرائح المجتمع ، فإن فوائده تعود على المجتمع ككلّ، خاصة عندما تتناول الممارسات التطوّعية أنماط أنشطة تتصل بالمجتمع المعني بأكمله، كحماية البيئة والدفاع عن حقوق النساء والأطفال والمعوقين، أو التوعية والتوجيه في ما يتصل بقضايا مجتمعية أو حقوقية عامة.

أهمية البحث:

يأتي هذا البحث تلبية لحاجة معرفية نظرية، وحاجة عملية تطبيقية؛ فهو دراسة تجريبية استطلاعية من حيث منهجيتها والأدوات المستخدمة فيها، تهدف إلى الكشف عن أوضاع التطوع والمتطوعين من الشباب، تمهيداً لوضع القواعد أو القوانين الناظمة لهذا القطاع الهام، والذي يتعاظم دوره، مع تراجع دور الدولة الرعائي في مجال التقديمات الاجتماعية.

ومن جهة أخرى، تزداد الحاجة إلى المشاركات التطوعية التي تعزز أواصر التضامن الاجتماعي، في مواجهة محاولات التفتيت وإيقاظ الانتماءات الأولية في لبنان، على حساب الانتماء الوطني.

إن الشباب كفئة فتية في المجتمع بدينامية يمكن أن تساهم، وبشكل فعال، في برامج التنمية الاجتماعية الاقتصادية، سواء تلك التي تنفذها الدولة، أو المنظمات التطوعية. ومع تراجع معدلات النمو، وارتفاع معدلات الفقر، تصبح مجهودات الشباب أكثر ضرورة لمواجهة كل التحديات. وقد أظهرت التحركات الشبابية في السنوات القليلة الماضية، قدرة هؤلاء على التأثير والتغيير في الحياة العامة، لجهة المساءلة والشفافية ومحاربة الفساد.

الأدبيات المتعلقة بالموضوع:

تعتبر اصدارات الشبكة العربية للمنظمات الأهلية[3]، لا سيما التقارير السنوية الصادرة عنها، من المصادر الأساسية للباحث في مجال التطوع والمجتمع المدني ومنظماته، وتعتبر الكاتبة أماني قنديل[4] من تلك الشبكة الأكثر إنتاجاً في هذا المجال .

يعالج التقرير السادس (2006) للشبكة العربية للمنظمات الأهلية موضوع الشباب في منظومة المجتمع المدني، وقد لفت مبكراً إلى دور الشباب المتنامي في الحياة العامة، ودعا إلى الاستفادة منهم كخزان قوة في المجتمع العربي.

وتناول التقرير العاشر (2012) موضوع التطوع في المنطقة العربية، بعد متابعة دقيقة للتحركات الشعبية في مصر وتونس عام 2011. اما الدراسة اللبنانية عن العمل التطوعي فقد أجرتها مؤسسة **عامل** الاجتماعية تضمنت إعادة النظر بالمفهوم التقليدي للعمل التطوعي، وعرضت لأحوال التطوع في لبنان وخاصة المؤسسات التطوعية ونشاطاتها. وقد ساهم في إعدادها عدد من الباحثين الأكاديميين إضافة إلى الباحث الرئيسي.[5]

تناولت الأدبيات الأخرى عناوين متنوعة معظمها يعرض لأهمية العمل التطوعي وإشراك الشباب في إدارة الجهود التطوعية، ومساهمة القطاع التطوعي في الاقتصاد الوطني، ومواضيع أخرى كالعوامل المشجعة على التطوع، وأوضاع المنظمات الحاضنة للتطوع، ومعيقات العمل التطوعي وكيفية تجاوزها. ومنها ما

---

[3]- الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة. انظر التقارير السنوية لاسيما التقرير السادس عام2008، والعاشر عام 2012.

[4]- انظر لائحة المراجع.

[5]-كامل مهنا، في التطوع والمجتمع المدني، دار الفارابي، بيروت، 2013.

يعالج مسألة التطوع من وجهة نظر دينية أو انسانية، وقليلة تلك التي تلتزم قواعد البحث العلمي، كما أن هنالك ما هو من إنتاج العاملين الاجتماعيين، الذين عرضوا خبراتهم الميدانية في مجال التطوع، وقد استفدنا من هذه التقارير غير المنشورة كونها منبثقة عن التجربة الميدانية.

المنهجية المستخدمة:

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فبعد مراجعة الأدبيات المتصلة بالموضوع، طوّرنا استمارة البحث التي تضمنت أسئلة عن البيانات الشخصية لأفراد العينة، وأخرى تتناول الممارسات التطوعية للشباب، إضافة إلى أسئلة مفتوحة تتيح لهم التعبير عن مواقفهم وآرائهم المتعلقة بالتطوع.

استهدفت هذه الدراسة تحديداً طلاب الجامعة اللبنانية للعام الدراسي 2018- 2019 كنموذج للتطوع بين صفوف الشباب اللبناني، فكانت العينة من الفروع الخمسة (صيدا) والفروع الثانية في منطقة الفنار في ضاحية بيروت الشرقية[6]. كما يتوزع الطلاب على مختلف السنوات الدراسية، وقد شملت العينة العشوائية 350 طالباً وطالبة، ينتمون إلى مختلف الكليات[7].

وإلى جانب استمارة البحث، أجرينا عدة مقابلات فردية مع ناشطين متطوعين، وأخرى مع مديري برامج تطوعية. وقد بينت لنا استمارة البحث الخصائص العامة لأفراد العينة وقد جاءت على الشكل الآتي:

يشكل الذكور نسبة 22.5% من أفراد العينة، والباقي من الإناث، وهذا يعكس التأنيث الذي يعرفه التعليم الجامعي عامة، وفي مجال العلوم الانسانية خاصة. ويتوزع الطلاب على كلية الآداب والعلوم الانسانية (34.3%) ومثلها تقريباً من معهد العلوم الاجتماعية (36.5%) والباقي (29.2%) من بقية كليات الجامعة اللبنانية.

ومن بين أفراد العينة هنالك نسبة 62.3% من المتفرغين للدراسة، والباقي يعملون ويدرسون. وتبلغ نسبة العزوبية بينهم حوالي 84%، وتعيش نسبة 56.8% منهم في المناطق الريفية، والباقي في المدن أو التجمعات السكنية المحيطة بها.

فرضيات البحث:

يتأثر الشاب الجامعي بعوامل أسرية ودراسية في موقفه من العمل التطوعي، ومن هذه الفرضية تتفرع عدة فرضيات يمكن عرضها على الوجه الآتي:

- يقبل الشباب من الأسر الميسورة على العمل التطوعي أكثر من أبناء الأسر متواضعة الدخل.
- كلما ارتفع المستوى التعليمي للوالدين؛ ارتفعت حظوظ الأبناء في الإنخراط في العمل التطوعي.
- الشباب من سكان المدن أكثر إقبالاً على العمل التطوعي من أبناء الريف.
- يقبل طلاب العلوم الانسانية على العمل التطوعي أكثر من طلاب العلوم التطبيقية.

[6]- يفد طلاب الفرع الخامس في صيدا من مختلف مناطق الجنوب اللبناني، ومن قضاء الشوف، بينما يتوافد الطلاب الى الفروع الثانية من بقية اقضية جبل لبنان بما فيها ضواحي بيروت الشرقية.

[7]- استبعدت21استمارة لأنها غير مكتملة. او تفتقر الى الصدقية.

- تعتبر الاختصاصات المتصلة بالعلوم الانسانية من العوامل المشجعة على انخراط الشباب بالعمل التطوعي.
- تلعب الحوافز المادية والمعنوية دوراً هاماً في إقبال الشباب على التطوع.
- المنظمات التطوعية الديمقراطية أكثر قدرة على استقطاب المتطوعين.
- إن اشراك المتطوعين في وضع البرامج وتنفيذها، يشجع الشباب على المشاركة في الأعمال التطوعية.

المفاهيم المستخدمة:

يتم استخدام مفهومي التطوع والمتطوع وفقا لمقاربات الباحث لموضوع بحثه، كما أن مفهوم الشباب يستخدم للإشارة إلى فئة سكانية من فئة عمرية معينة، وسنبين فيما يأتي التعريف الإجرائي الذي استخدمناه للمفاهيم آنفة الذكر:

تعريف التطوع

تستهل معظم الأدبيات المتوافرة مقدمتها بتعريف التطوع، ويكاد هذا التعريف أن يكون عينه في كل تلك الأدبيات، مع فوارق بسيطة ترتبط أحياناً بالهدف منه، أو الإطار التنظيمي الذي يتم فيه، أو لإبرازه كقيمة حضارية...الخ، ونورد فيما يلي بعضاً من هذه التعريفات:

" **التطوع** هو عمل اجتماعي إرادي غير ربحي، دون مقابل أو أجر مادي، يقوم به الأفراد أو الجماعات من أجل تحقيق مصالح مشتركة أو مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين، من جيرانهم، أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة، سواء كان هذا الجهد مبذولاً بالنفس أو بالمال"[8].

فالتطوع هنا هو نشاط غير مدفوع الأجر، يقوم به المتطوع باختياره، ويتم التطوع عادة في مؤسسة لا تتوخى الربح، كالجمعيات والنقابات ومنظمات غير الحكومية.

"**العمل التطوعي** هو الجهد الذي يبذله الإنسان من أجل مجتمعه بملء إرادته (لتحقيق الأهداف الإنسانية)، دون انتظار أي مقابل (مادي أو معنوي) مقابل جهوده، سواء كان هذا الجهد مبذولاً بالنفس أو المال ،عن طيب خاطر، في سبيل سعادة الآخرين، مما يؤكد التعاون وإبراز الوجه الإنساني للعلاقات الاجتماعية وإبراز أهمية التفاني في البذل والعطاء"[9].

ولكن التعريف الأكثر شمولاً ودلالة، ذلك الذي اعتمده القانون السوداني، وهو على الشكل الآتي:

"يقصد بالعمل التطوعي أي نشاط طوعي انساني خيري غير حكومي أو شبه حكومي، يقوم به كيان طوعي وطني أو كيان أجنبي مانح أو منفذ لبرامجه، ويكون النشاط ذا أغراض اجتماعية تنموية أو إغاثية أو رعائية أو خدمية أو علمية أو بحثية يتم تسجيله وفقا للقانون"[10]

نلاحظ في هذا التعريف تجاوز الوطني في التطوع إلى الدولي، كما أنه يشمل أنواعاً متعددةً من الأنشطة لا تقتصر على الخدمات الاجتماعية التقليدية بل تتجاوزه إلى الأعمال العلمية والبحثية.

---

[8]-ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، التطوع.

[9]-http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=110332

[10]-http://vb.arabseyes.com/t57465.html قانون العمل الطوعي والإنساني لسنة 1999السودان

ويفنّد البرلمان الأوروبي خصائص العمل التطوعي كالآتي:

- إنه عمل غير الزامي.
- مفيد اجتماعياً.
- غير مدفوع الأجر.
- ليس بديلا عن بنيات الاستخدام التقليدية وإنما متمماً لها.
- تتوفر له البنى المناسبة التي تسمح للمتطوع بأن يمارس نشاطه[11] .

ووفقا لهذا النص، لا تعتبر المبادرات الفردية هنا وهناك عملاً تطوعياً، لأنها لا تتم ضمن بنى مؤسساتية، كما لا تشترط معظم التعريفات الصفة القانونية للمنظمات التي ينخرط فيها المتطوع.

ويرفض البعض اعتبار بذل المال عملاً تطوعياً وإنما تبرعاً، ورغم تقديره كمبادرة خيرية، فإنه لا يرقى إلى مستوى التطوع والذي ينطوي على تقديم الجهد والمشاركة الانسانية في خدمة الآخرين.

وإذا كانت الغاية من التطوع تقديم خدمة للآخرين، فإن مفهوم التطوع يمكن أن يتسع ليشمل النضال السياسي، لما يشكله من ضغوط على السلطة في تغيير سياستها الاجتماعية، وكذلك العمل النقابي الهادف لتحسين شروط العمل لبعض الفئات المهنية.

ويرى مديرو المنظمات التطوعية أن التطوع هو إحدى الوسائل التي تحتاجها منظماتهم لتحقيق أهدافها، إنه إدارة بعض طاقات الشباب في الأعمال الخيرية والتوعية السياسية، كما أنه استثمار للموارد البشرية في العمل الأهلي، وهو إحدى قنوات الثقة والتواصل بين الجمعية الأهلية والمجتمعات التي تعمل بها"[12].

وحدّد القانون الفرنسي وضعية المتطوع وفقا لثلاثة معايير:

1- أن يكون عضواً في جمعية، دون أن يكون هنالك تبعية للمتطوع تجاه الجمعية.

2- أن يخصص المتطوع على الأقل ساعتين أسبوعياً كمتوسط سنوي من وقته للتطوع كدليل على التزامه التطوعي بالحد الادنى.

3- أن يتذكر أن التطوع يشكل قوة عظيمة تغذي المجتمع المدني وتعزز التضامن، مع تشجيع برامج التنمية المحلية.[13]

وهنا أيضاً تُستبعد المبادرات الفردية التطوعية، ليتم اعتماد المؤسسات التطوعية كإطار ناظم للعمل، كما يحدد هذا النص حداً أدنى من الوقت والمجهود لكي يُحتسب عملاً تطوعياً، وهكذا يمكن تعريف المتطوع إجرائياً ولغرض هذا البحث على الوجه الآتي:

المتطوع هو الشخص الذي يلتزم بحرية بالقيام بعمل غير مدفوع الأجر، في خدمة الآخرين، وخارج أوقاته المهنية أو العائلية. ويدخل في هذا التعريف الناشطون في المؤسسات الأهلية الذين يقدمون خدماتهم لقاء بدل رمزي أو مخفّض.

---

[11]-مقررات البرلمان الاوروبي تاريخ 16ديسمبر 1983.

[12] -مقابلة مع د.كامل مهنا مدير مؤسسة عامل.شباط2016..

[13] - http://fr.wikipedia.org/benevolat

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن لا وجود لنصوص قانونية لتعريف المتطوع في لبنان، كما أن ليس هنالك أية قوانين تحمي المتطوع أو تحفظ حقوقه أثناء ممارسة عمله التطوعي.

مفهوم الشباب:

تختلف تعريفات الشباب تبعاً للمقاربة العلمية المعتمدة واهتمام الباحث، وعلى هذا نجد من يعتمد معيار **السن** في تعريفهم، ومنهم من يعرّفهم من خلال الخصائص والحاجات، أو على ضوء البلوغ الجنسي والنموّ الجسدي، ومنهم من ينظر إليهم بمنظار التنشئة الاجتماعية، وقدرتهم على تقبل القيم والمعتقدات...الخ. ففي دراسة عالمية حول قيم واتجاهات الشباب؛ "اعتبر شاباً كل من ينتمي إلى الفئة العمرية 16-29".[14]

إن اعتماد المقياس الديموغرافي في تعريف الشباب لا يفي بالغرض لأن الارتفاع المضطرد لمتوسط العمر المتوقع للحياة يرتفع بشكل مضطرد، ومن شأنه حكماً أن يرفع من سقف الفئة العمرية لهم، هذا إضافة إلى أن الشباب هو مرحلة عمرية مفعمة بالنشاط والحيوية، وتمتد حتى عمر 35، وهذا ما يعتمده المركز الديموغرافي في مصر، وتشير الدراسات إلى أن حجم الشباب من الفئة العمرية 15-35 في المجتمع العربي يتراوح بين 30 و41% من عدد السكان[15].

إن اعتماد الفئة العمرية مهما كانت، يجب ألّا ينسينا الفروقات والتمايزات بين الشباب؛ كالجنس والنشاط الاقتصادي، والإنتماء الاجتماعي وشروط الحياة المتفاوتة بين الريف والمدينة، والتحصيل التعليمي والمهارات المكتسبة وغيرها.

وسنعتمد إجرائياً في هذه الدراسة الفئة العمرية 15 – 29، ونادراً ما نجد في عينتنا الجامعية من بلغ التاسعة والعشرين من العمر.

نتائج الدراسة الميدانية:

سنعرض فيما يلي نتائج المعطيات الاحصائية التي وفّرتها لنا استمارة البحث، وسنحاول تفسيرها على ضوء ما استخلصناه من المقابلات، ومقارنتها بنتائج دراسات سابقة، وذلك ابتداءً من عرض الخصائص التعليمية والاجتماعية للمتطوعين من أفراد العينة.

[14] -.-la jeunesse du monde,une enquete planetaire 2011.paris fondapol.

[15]- اماني قنديل التقرير السنوي السادس للمنظمات الاهلية العربية، الشباب في منظومة المجتمع المدني، الشبكة العربية للمنظمات الاهلية، 2006 ، القاهرة 2007.ص.14.

من هم المتطوعون؟

يعتمد العمل التطوعي بشكل أساسي في عمله على القوى الفتية في المجتمع، وخاصة الطلاب في المرحلتين الثانوية والجامعية، وهؤلاء يقتصر تطوعهم على العطل الصيفية، ولكنهم يتجندون للإغاثة في حالات الحرب وتوقف الدروس.

وبين أفراد عينتنا نجد نسبة 32.1% من المتطوعين أو الذين سبق لهم التطوع، فالذكور أكثر إنخراطاً في العمل التطوعي من الاناث، وقد بلغت نسبة المتطوعين أو الذين سبق لهم التطوع بين الذكور 43.1%، بينما تنخفض هذه النسبة إلى 28.8% بين الإناث. وتعود هذه الفروقات بين الجنسين إلى الحرية النسبية التي يتمتع بها الذكور في مجتمع دراستنا، حيث يمكن للشبان التغيب عن المنزل أو المبيت خارجه تلبية للعمل التطوعي، بينما لا يتيسر ذلك دائما للفتيات.

أما فيما تعلق بمكان السكن والتطوع؛ فقد بينت الإحصاءات أن سكان المدن والتجمعات السكانية الكبرى أكثر انخراطاً في العمل التطوعي من سكان الريف، اذ بلغت نسبة المتطوعين من المدن حوالي 39%، بينما تنخفض هذه النسبة إلى 27% بين أفراد العينة من سكان الريف، وهذا يعود إلى أن المؤسسات التطوعية تعمل في معظمها في المدن أو ضواحيها، حيث الحاجة الماسة إلى الخدمات التطوعية في الأحياء الفقيرة.

وبالنسبة لتفرغ الطالب للدراسة والمتطوعن فقد تبيّن لنا ان هنالك علاقة قوية بين الاقبال على التطوع وتفرغ الطالب للدراسة: فالطلاب المتفرغون للدراسة أقل تطوعا (24.6%) من نظرائهم غير المتفرغين (45.1%)، والواقع أن الطلاب المتفرغين للدراسة هم غالبا في كلية العلوم، أو الكليات التطبيقية، ولا يتسع لهم الوقت للقيام بالأعمال التطوعية، خلافا للطلاب غير المتفرغين للدراسة في الكليات النظرية والذين يجدون وقتا للعمل التطوعي رغم أنهم يعملون.

ومن حيث العلاقة بين التطوع والتصنيف الاقتصادي للأسرة ، نجد أن الإقبال على التطوع من قبل أبناء الأسر الميسورة، أعلى منه بين الأسر محدودة الدخل، فمن بين أبناء الأسر التي لا يصل دخلها إلى 750 دولار أميركي، هنالك 29.2% شاركوا أو يشاركون في العمل التطوعي، والنسبة عينها لمن يتراوح دخل أسرهم بين 750و 1500دولار أميركي ، وترتفع هذه النسبة قليلاً بين أبناء الأسر التي يتراوح دخلها بين1500 و 2250 دولار، ثم ترتفع بشكل واضح في الأسر التي يتجاوز دخلها الشهري 2250 دولار، حيث تصل النسبة إلى61.7%.وهذا يؤكد أن التطوع متيسر لأبناء الأسر الميسورة خلافاً للأسر ذات الأوضاع المتعثرة حيث تنخفض نسبة التطوع بين أبنائها.

بالنسبة للأسر التي لم يسبق لأحد الوالدين أن تطوع، نجد نسبة 17.2 % من الأبناء قد تطوعوا، بينما ترتفع هذه النسبة الى 67.1% بين أبناء الأسر التي شارك أو يشارك أحد الأبوين فيها بالعمل التطوعي، وهذا يعني أن الميل إلى التطوع ينتقل من الوالدين إلى الأبناء، وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية في الأسرة. وقد اقترح العديد من المتطوعين ومسؤولي المنظمات تضمين الكتب التربوية فصولاً تبين أهمية التطوع، بحيث يصبح جزءًا من الثقافة العامة للمجتمع.

أما من حيث الظروف التي تمت فيها أول مشاركة تطوعية، فإن نسبة 6.1% من المتطوعين الشباب كان أول تطوع لهم في ظروف طارئة إغاثية، وغالباًما تكون ظروف الحرب. وهنالك ربع المتطوعين تقريباًشاركوا في مخيمات تطوعية، وهذه المخيمات تقيمها عادة المنظمات الكشفية أو وزارة الشؤون الاجتماعية، والنسبة الأعلى والبالغة 65.3% من الشباب باشروا عملهم التطوعي بالالتحاق بمنظمة أهلية تطوعية، تقدم الخدمات إما بشكل مستمر على شكل خدمات صحية، إما على شكل مساعدات توزع من حين الى آخر، وغالباًما تكون الخدمات في هذه الحالة مخصصة لمحازبين سياسيين.

طبيعة المهمات التطوعية:

إذا كان التطوع قد أخذ تاريخياً شكل عمل ميداني ، كالمساهمة في النظافة العامة أو شق الطرق، أو إسعاف الجرحى، أو مكافحة الاوبئة...الخ، فإن بعض العمل التطوعي اليوم أًخذ شكلا جديداً تمثل بالأعمال المكتبية التنفيذية ، وتأمين الإتصال والتواصل عبر شبكة الانترنت، وشهدنا ما أُطلق عليه إسم متطوعو "الكي بورد"، وهؤلاء الشباب يقدمون خدماتهم بتوزيع الرسائل على الأعضاء، ونشر أفكار منظماتهم بواسطة الانترنت ووسائل الإتصال الاجتماعية المتوافرة، بعد أن كان يتم في السابق بالإتصال المباشر بين الناشط والجمهور، أو عن طريق توزيع المنشورات.

وهكذا يخصص المتطوع من وقته بضع ساعات أسبوعياً في تقديم خدمات عبر الشبكة العنكبوتية، وغالباً ما يجمع المتطوع بين العمل المكتبي والعمل الميداني، كالمشاركة في الاحتجاجات والتظاهرات، أو القيام بتقديم خدمات تربوية أو صحية أو إغاثية.

وتتنوع المهمات التي يكلف بها المتطوعون العاملين في المؤسسات التطوعية، والنسب الأعلى منهم تقوم بأعمال متنوعة حسب الحاجة المباشرة 30.1%، ، ثم نسبة23.7% تقوم بأعمال ميدانية كتوزيع المساعدات أو جمع المعلومات، تليها نسبة 18.3% تقدم خدمات الدعم المدرسي والتعليم بما فيها محو الامية، وتستقطب الجمعيات الكشفية والتوعوية على أنواعها نسبة 17.2% من الشباب المتطوع، ويتوزع الباقي بنسب ضئيلة على الأعمال الإدارية والمكتبية، والأنشطة الرياضية، والإغاثة وأعمال الدفاع المدني، مع ملاحظة أن هنالك فروقات حسب النوع الاجتماعي ، وبالفعل نجد أن المهمات المتعلقة بالإغاثة والرياضة والأنشطة الكشفية هي مهمات يقوم بها الذكور، بينما نجد أن مجال التعليم والدعم المدرسي هو الملعب المفضل للمتطوعات.

هنالك فروقات واضحة بين أفراد العينة من الفروع الخامسة والفروع الثانية من حيث الطابع الغالب على عملهم التطوعي؛ فإذا كانت تتساوى نسبة العاملين في الأعمال الميدانية بين المجموعتين (52.5%)، فإننا لا نجد في الفروع الخامسة من يقوم بالأعمال المكتبية أو الإدارية، خلافاً للفروع الثانية حيث نجد نسبة 4.8% من المتطوعين يعملون في هذا المجال، وتبلغ نسبة العاملين بالمناصرة[16] والتوعية 17.5% في الفروع الخامسة ، بينما ترتفع هذه النسبة إلى حوالي 24% في الفروع الثانية، وقد تبين لنا وجود فروقات دالة بين المجموعتين، سببها أوضاع الجنوب اللبناني الذي تعرض لاعتداءات اسرائيلية وحروب متكررة

[16]. المناصرة هي الدفاع عن حقوق الفئات الضعيفة او المهمشة في المجتمع كالأطفال والنساء والمعوقين، باعتماد وسائل الضغط السلمية باتجاه انصافهم بما في ذلك العمل على تعديل القوانين.

تستوجب العمل الإغاثي الميداني، بينما تعرف محافظة جبل لبنان، حيث توجد الفروع الثانية، استقراراً أمنياً ملحوظاً، وحيث يغلب طابع المدافعة والمناصرة على الأنشطة التطوعية، ومعالجة مشكلات تعاطي المخدرات، والانحراف، وحماية الأطفال ومناهضة العنف الأسري، وكلها أنشطة يغلب عليها الطابع المكتبي والتوعوي.

وتتداخل مجالات العمل التطوعي مع طبيعة العمل، فالعمل الميداني قد يكون صحياً كحملات التلقيح أو الاهتمام بالبيئة الصحية، كما يمكن أن يكون جمعاً للمعلومات الإحصائية، أو توزيع مساعدات في حالات معينة، وكذلك برامج الدعم المدرسي قد تكون في المدارس أو بزيارات للأسر، وهذا المجال يكاد يكون حكراً على المتطوعات، ومعظم المنظمات التطوعية تكلف المتطوعين بمهام متنوعة حسب الحاجة. أما من حيث المجالات التي يعمل فيها المتطوعون فهي تُحدّد من قبل إدارة المنظمات وبالتفاهم مع المتطوع، وقد باتت هذه المنظمات أكثر تخصصاً، فهنالك المؤسسات التي يغلب عليها الطابع الصحي، وهي الأكثر انتشاراً في لبنان، وهنالك المنظمات المهتمة بالمناصرة والمدافعة والبيئة وأعمال الإغاثة الخ.. ويتوزع المتطوعون على هذه المنظمات فيقومون بالأعمال التي تسند إليهم تبعاً للحاجة، لذلك نجد أن المتطوعين في عينتنا يعملون غالباً في مجالات متعددة (49%)، تليها الأنشطة المتعلقة بالتوعية والتمكين وخاصة تلك المعنية بشؤون المرأة (16%)، ثم الأمور الصحية (14%). ويتوزع الباقي وبنسب ضئيلة على بقية المجالات. وهذا التنوع في العمل التطوعي يدل على مسألتين؛ الأولى تتعلق بتنوع المؤسسات التطوعية وتوزعها على مختلف النشاطات الانسانية، جراء الحاجات المتزايدة والمشاكل التي تتعرض لها الجماعات المختلفة، والثانية تتعلق بالمتطوعين أنفسهم وتنوع خياراتهم ومحاولاتهم اكتساب خبرات في مجالات مهنية مختلفة.

مهارات المتطوع والتدريب:

يكلف المتطوعون بأعمال متنوعة، ولدى سؤالنا ما إذا كانت الأعمال المطلوبة من المتطوع تتطلب مهارات خاصة، كالخبرة في مجال الصحة، أو تقنيات التواصل الاجتماعي، أو كتابة المشاريع، فقد أفادت نسبة 40% من المتطوعين أن هنالك مهارات خاصة مطلوبة، والنسبة المتبقية 60% أجابوا بأن لا مهارات خاصة مطلوبة، إذ يكفي حضور المتطوع وقيامه ببعض الأعمال العادية، كجمع المعلومات أو توضيب وتوزيع المساعدات، أو القيام بالاتصالات وما شابه، وهذه مهام لا تتطلب مهارات خاصة، ويمكن لأي متطوع أن يقوم بها.

إلا أنه وتلبية لبعض الحاجات، تقوم المنظمات التطوعية بتدريب المتطوعين على أعمال خاصة، كالاهتمام بألعاب الاطفال، أو استخدام الاستمارة في جمع المعلومات، أو مهارات التواصل والإتصال، لذلك تُخضع هذه المؤسسات المتطوعين إلى دورات تدريبية، تتفاوت مدتها تبعاً للحاجة، ولكن المباعدة بين الدورات التدريبية وعدم التواصل المستمر بين المنظمة والمتطوع، تجعل من التدريب قليل الفائدة للمنظمة، وإن كان ذا فائدة على المتطوع نفسه. وهكذا يمكن أن يكون التدريب فرصة لكي يحقق المتطوع بعض المهارات التي تعينه في مستقبله[17].

وقد أفادت نسبة 31.3% من المتطوعين أنهم لم يخضعوا لتدريب قبل القيام بالعمل التطوعي، أما النسبة

[17]- مقابلة مع الاتاذ اسعد حيدر.جمعية النجدة الشعبية اللبنانية شباط2016.

المتبقية (68.7%) فقد خضعت للتدريب، وهذه النسبة المرتفعة تعبر عن الاهتمام بتأهيل المتطوعين من قبل المنظمات التطوعية، وهذا توجه إيجابي للمنظمات باستخدام المؤهلين أو الاختصاصيين للقيام بالأنشطة المختلفة.

المتطوع وادارة العمل التطوعي:

تأسست الجمعيات الأهلية الاولى في لبنان أواخر القرن التاسع عشر، وقد راكمت خبرات هامة في العمل الاجتماعي، وواكبت التطورات الهامة التي حصلت في مجال الاتصال والتواصل، ولكن الجديد ظهور المنظمات الشبابية منذ أواخر القرن العشرين، وهي منظمات صغيرة، علمانية، تعتمد على التمويل الخارجي، وتعمل في مجالات حقوق الانسان والمواطنة والديمقراطية وحل النزاعات، ومنها المنظمات الأكثر نشاطاً وفعالية تلك المهتمة بشؤون البيئة وسلامتها.

بقيت هذه الجمعيات الصغيرة مبعثرة الجهود، بينما انضوت المؤسسات الكبيرة في تجمعين هما: تجمع المؤسسات الأهلية التطوعية في لبنان، وملتقى الهيئات الانسانية غير الحكومية في لبنان،

ويتم التنسيق بين كل المنظمات في حالات الحرب، وتشكل بمجموعها قوة ضاغطة عندما يتعلق الأمر بالقوانين الناظمة للقطاع التطوعي.

في نهاية كل مشروع تطوعي تعمد غالبية المنظمات إلى تقييم العمل، بغية الاستفادة من التجربة لتفادي الثغرات في البرامج اللاحقة، ولدى سؤالنا المتطوعين عن آرائهم بالنسبة لتوزيع المهام أثناء القيام بالعمل، أجابت نسبة 68.7% أن توزيع المهام كان جيداً، بينما أجاب الباقي 31.3% بأن لا بأس بالتوزيع، ونلاحظ فروقات واضحة في الآراء بين الذكور والاناث، فإذا كانت نسبة 54.8% من الذكور ترى أن توزيع المهام كان جيداً، فإن هذه النسبة ترتفع إلى 75% بين الإناث اللواتي يعتبرن أن توزيع المهام كان جيداً.

ولدى سؤالنا المتطوعين عما إذا كان يتم إرهاقهم أثناء العمل التطوعي، أفادت نسبة57% أنه لا يتم إرهاق المتطوعين، بينما أجابت نسبة30% أنه يتم إرهاقهم إلى حد ما، ونسبة 13% صرحت بأنه فعلاً يتم إرهاق المتطوعين أثناء العمل. ولا شك أن عملية إرهاق المتطوعين تتعلق بطبيعة العمل التطوعي وظروفه كالحرب، والقيام بأعمال الإغاثة الذي يستمر أحياناً لساعات طويلة، وقد أفادنا المتطوعون بأنهم يتفهمونه ولا يعترضون عليه، ولكنهم يرفضون استغلالهم من قبل المنظمة التطوعية، وهم راضون عن إدارة المؤسسات ويثقون بها، إلا أنهم يراقبون هذه الإدارة ويبدون ملاحظاتهم في الوقت المناسب.[18]

واستطراداً سألنا المتطوعين كيف يقيّمون إدارة التطوع التي عملوا معها، فأفادت نسبة 63.9% أن الإدارة كانت جيدة، بينما أفادت نسبة 23.6% بأن الإدارة كانت حسنة، ونسبة 8.3% قيمت إدارة المشروع وسط، ونسبة 4.2% أفادت بأن إدارة المشروع سيئة.وقد استنتجنا من خلال المقابلات أن الشباب ، وفي الغالب الأعم ، ينخرطون في مؤسسات تطوعية تتناسب مع توجهاتهم السياسية أو الطائفية، وإذا كان لديهم ملاحظات حول إدارة المنظمة، فإنهم لا يصرحون بها بغية عدم الاساءة إلى المنظمة أو الحزب الذي يتعاطفون معه، ويفضلون إثارة الموضوع في الأطر التنظيمية الخاصة، وضمن أوساطهم الحزبية.

[18]- مقابلة مع المتطوع ب.ع.شباط2016.

وعند الحديث عن المشاركة والرضا عن إدارة العمل التطوعي، حاولنا بالسؤال عن مدى ممارسة الديمقراطية أثناء العمل في المشروع، فأجابت نسبة 62.2% بأن الإدارة ديمقراطية، وأفادت نسبة 34.7% بأن الإدارة ديمقراطية وإنما إلى حد ما، فقط نسبة 3.1% صرحت بأن الإدارة غير ديمقراطية، والمعروف أن الروح الديمقراطية في العمل التطوعي تشجع المتطوعين وتشعرهم بأهميتهم من خلال ممارسة المشاركة أثناء التحضير للعمل، وأيضاً أثناء التنفيذ.

المشاركة:

يشكو المتطوعون غالباً من استخدامهم كأدوات تنفيذية فقط، وقد أثبتت التجارب الحقلية أن إشراك المتطوعين في التخطيط ووضع البرامج، من شأنه أن يرفع من مستوى ونوعية الخدمات التي تقدمها المنظمات التطوعية، ولدى سؤالنا ما إذا كان المتطوعون قد أُشركوا بوضع البرامج المنفذة، أفادت نسبة 63.6% من أفراد العينة أنه تم اشراكهم في التخطيط ووضع البرامج، بينما النسبة المتبقية 36.4% قامت بتنفيذ العمل فقط، . إن نسبة المشاركة العالية في وضع البرامج تزيد من فرص نجاح المشاريع المقدمة، كما أن مشاركة المتطوعين المحليين تعني الاستفادة القصوى من البرامج، وتلبيتها الحاجات ذات الأولوية للمجتمع المعني، وهذه نقطة تحسب في صالح المنظمات التطوعية.

الحوافز:

تعتبر الحوافز من العوامل المشجعة على العمل التطوعي ، لذا تلجأ المنظمات إلى تكريم المتطوعين كنوع من التعويض المعنوي عن الأتعاب ، أو تقدم بعض الحوافز المادية كهدية عينية أو بعض مصاريف الإنتقال وما شابه ، ولدى سؤالنا المتطوعين عما إذا كانت المنظمات تقدم لهم حوافز معينة، أفادت نسبة 76% منهم أن المنظمات تقدم حوافز معنوية، ونسبة 3% تقدم حوافز مادية فقط، وأفادت نسبة 7% من المتطوعين أن المنظمات التي عملوا أو يعملون فيها تقدم حوافز مادية ومعنوية، أما المتطوعون الذي أفادوا بأن المنظمات التي يعملون فيها لا تقدم أية حوافز فقد بلغت نسبتهم 14%. وإذا كان المتطوع لا ينتظر أجراً لقاء عمله، فهو غالباً ما يفضل عدم تكبد مصاريف الإنتقال، خاصة إذا كان طالباً لا يعمل، ولا يريد أن يحمّل أهله مصاريف إضافية. كما أنه يشعر بالرضا والسعادة عندما يتم تكريمه معنوياً من قبل إدارة المؤسسة، وأمام الآخرين من أقرانه أو مجتمعه المحلي، وهذا ما يؤكد أهمية تقديم بعض الحوافز المادية والمعنوية للمتطوعين.

الموقف من العمل التطوعي:

إن ثقافة التطوع هي جزء من الثقافة العامة في المجتمع ، وهي راسخة في الوجدان الشعبي، وذلك عن طريق القيم الدينية أو الاجتماعية المتمثلة بعمل الخير والاحسان، ولكن العمل الاجتماعي ليس عملا خيرياً صرفاً حسب ما يراه الشباب، فهو غالباً ما يكون واجهة للعمل السياسي سواء للأحزاب أو الشخصيات السياسية[19].

يتأثر الموقف من التطوع بعدة عوامل، منها ما هو ذاتي ويتعلق بشخص المتطوع، ومنها ما هو موضوعي ويتعلق بانتمائه الاجتماعي والثقافة التي تم استبطانها عن طريق التنشئة الاجتماعية، يضاف اليها البيئة الحاضنة للتطوع، أي توفر المنظمات التطوعية المناسبة، ولمعرفة موقف المجتمع من العمل التطوعي ضمّنا

[19]- مقابلة مع المتطوع ر.ج. شباط2016.

استمارة البحث ثلاثة أسئلة عن الموقف من هذا النشاط، الأول عن موقف الأهل، والثاني عن موقف الأصدقاء والمحيط الشبابي الذي يعيش فيه المجيب، والثالث عن موقف الشاب المجيب نفسه، فجاءت النتائج على الشكل الآتي:

1- موقف الأهل:

يشجع 71.3% من الأهل أبناءهم وبناتهم على العمل التطوعي، وهنالك نسبة 26.8% لا موقف لهم من العمل التطوعي أو أن الأبناء لا يعرفون موقف الاهل، والأهم أن نسبة 2% تقريباً منهم لا يشجعون أبناءهم على العمل التطوعي، مع ملاحظة الفروقات بين أهالي الشبان وأهالي الشابات، إذ أن هنالك نسبة 73.6% من الشابات يشجع اهاليهن على العمل التطوعي، بينما تنخفض هذه النسبة إلى 63.4% بين أهالي الشبان. وخلال المقابلات مع الشبان تبيّن أن الفارق بين الجنسين يعود إلى أن الاهل لا يجدون مبرراً لتشجيع الذكور على العمل التطوعي، لأن لهم الحرية التلقائية بذلك، بينما تستأذن الفتيات أهاليهن ليشاركن بالعمل التطوعي، كما أن الاهل يشعرون بضرورة تشجيع الفتيات، وذلك لتحريرهن من القيود التي تفرضها الأسرة اللبنانية على خروجهن من المنزل. وغالباً ما يشترط الأهل على أبنائهم وبناتهم أن يتطوعوا في منظمات غير حزبية، ذات طابع انساني عام، أو تابعة لمؤسسة دينية معروفة حسب ما أفادنا المتطوعون [20].

كما أن هنالك فروقات في الموقف من التشجيع على العمل التطوعي بين أهالي الشباب تبعاً لمشاركتهم بالعمل التطوعي، وبالفعل هنالك نسبة 88.4% من الأهل الذين سبق لهم أن تطوعوا يشجعون أبناءهم على التطوع، وتنخفض هذه النسبة الى 63.7% بين الأهل الذين لم يسبق لهم أن تطوعوا، وهذا يعني أن هنالك انسجاماً في مواقف الأهل من التطوع وبين ممارساتهم التطوعية، ما خلا نسبة 11.6% من الأهل سبق أن تطوعوا، ولا يشجعون أبناءهم على التطوع، وهذه النسبة الضئيلة تعبر عن تجربة سلبية خاضها الأهل.

2- موقف الاصدقاء:

نادراً من نجد بين أصدقاء أفراد العينة من يعارض أو يقف موقفاً سلبياً من العمل التطوعي (2%)، وهنالك نسبة 30% تقريباً لا يعرفون موقف أصدقائهم، أما النسبة الأعلى من أصدقاء أفراد العينة أي الشباب الذين يشبهون عينتنا فهي 68% تشجع على العمل التطوعي، ومع أن هذه الاجابات هي تقدير ذاتي من المجيبين عن ثقافتهم وتلك المنتشرة بين الشباب؛ فإنها تؤشر على إمكانية الاستفادة من الطاقات التي يختزنها الشباب اللبناني بإشراكهم في الأنشطة التطوعية. يؤكد استنتاجنا هذا أننا لا نجد بين المجيبين إلا قلة قليلة لا تصل إلى 1% لا تشجع العمل التطوعي، وهنالك نسبة 84.8% تشجع على المشاركة في التطوع، فقط نسبة 12.1% تشجع على العمل التطوعي وإنما ضمن شروط معينة، وقد تبين لنا من خلال المقابلات التي أجريناها أن أبرز هذه الشروط هو عدم استغلال المجهودات الشبابية لمنفعة شخصية أو لتسخيرها لأغراض سياسية.

كما تبين لنا أنه عندما يشجع الأهل على العمل التطوعي، فإن الأبناء يشجعون أيضاً، وبنسبة تصل إلى 99% تقريباً بين مشجع ومشجع في بعض الحالات، حتى في أوساط الأهل الذين يعارضون العمل التطوعي فإن أبناءهم يشجعون على المشاركة في العمل التطوعي. والأمر عينه بالنسبة للأصدقاء، وهذا يعني أن آراء

[20]- مقابلة مع المتطوع ر.ج. شباط 2016

الشباب لا تختلف عن محيطهم الاجتماعي سواء في الأسرة أو بين الأصدقاء.

العوامل المشجعة على التطوع:

طرحنا في نهاية الاستمارة ثلاثة أسئلة نستطلع فيها آراء المجيبين حول العوامل المشجعة على التطوع ، وتلك المعيقة له، كما طلبنا اليهم تقديم اقتراحات لتشجيع العمل التطوعي، فعلى السؤال الأول المتعلق بالعوامل المشجعة على التطوع أكد الشباب على أهمية التربية الأسرية التي تعلي من شأن عمل الخير، ومساعدة الآخرين، بالاستناد الى القيم الدينية والاجتماعية، ولكنه يجب تعزيز هذه القيم بتقديم بعض الحوافز للمتطوعين، والتي يمكن أن تكون مادية على شكل تقاضي بدل رمزي عن النشاطات التي يقوم بها الشباب، أو معنوية، وتكون على شكل شهادات تمنح للمتطوع في نهاية كل برنامج ، يُكرّم فيه المتطوعون في احتفال أمام العامة، كما أكد الشباب على أهمية الدوافع الذاتية للمتطوع؛ كالشعور بالافتخار والانجاز عند القيام بالأعمال الخيرية، ومن الاقتراحات التي يمكن أن تشجع على العمل التطوعي تنظيم رحلات للمتطوعين، وإقامة حفلات للتعارف فيما بينهم ، وتنظيم سهرات كشفية ترفيهية يتخللها ألعاب وعرض المهارات في الموسيقى والغناء والمسرح. الخ.

أما العوامل **المعيقة** للتطوع فإن الآراء توزعت بين ما هو متعلق بالمتطوع نفسه، وما هو متعلق بالمؤسسات التطوعية؛ فالشباب المتطوع يثير مسألة ضيق الوقت بسبب متابعة الدراسة أو العمل، كما يعارض الأهل أبناءهم في التطوع تخوفاً من الأوضاع الأمنية، كما أن الأوضاع المعيشية الصعبة للأسرة، تدفع بالشباب إلى التفتيش عن عمل مأجور لتأمين مصاريفهم الشخصية أو مساعدة الأهل.

أما فيما يتعلق بالمؤسسات التطوعية فإن بعض الشباب يرى أن العمل التطوعي لم يعد بريئاً كما في السابق، وذلك بسبب تسخيره لبعض المصالح الفئوية، أو الدعاية لحزب سياسي، هذا إضافة إلى الشبهات حول شفافية بعض المنظمات الأهلية واستغلالها المتطوعين لمصالح شخصية خاصة.

أما الاقتراحات لتطوير العمل التطوعي وتنشيطه، فقد قدم الشباب، وخاصة الذين سبق لهم التطوع اقتراحات لتطوير وتشجيع العمل التطوعي، وهي اقتراحات ناتجة عن خبرة وممارسة من قبلهم، وفي مقدمة هذه الاقتراحات تأتي مسالة تقديم الحوافز المادية والمعنوية للمتطوعين، وكذلك اشراك المتطوعين في وضع البرامج التنفيذية أو على الاقل الاطلاع عليها بكاملها. وأثار البعض مسألة الديمقراطية والمشاركة في اتخاذ القرارات، من أجل توثيق الروابط ضمن الفريق، فيشعر المتطوع بالمسؤولية وأهمية الدور الذي يؤديه. فاطلاع المتطوع على أهمية وقيمة العمل الذي يؤديه يعزز إيمانه به، ويرفع من قيمة التأثير الذي سيحققه.

اقترح الشباب نشر الوعي التطوعي في المدارس والجامعات، وعن طريق الكتب المدرسية والتنشئة الاجتماعية الأسرية للطفل، كما يمكن أن يكون لوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة دوراً هاماً في هذا المجال. كما اقترح الشباب الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي وإنشاء صفحات على الويب لتشجيع الانخراط في الأعمال التطوعية.

إن أكثر ما يسعد المتطوعين اعتراف الآخرين بهم، لذلك على إدارة التطوع أن تثمن عملهم بعد الانتهاء من كل مشروع، وأن تظهر تقديرها للإنجاز الذي حققه المتطوعون، وهذا ما يعزز ارتباطهم بمنظمتهم التطوعية.

==========

الخلاصة

رغم مظاهر التراجع التي عرفها القطاع التطوعي منذ مطلع الألفية الثالثة، فإن هذا القطاع لا يزال يستقطب شريحة واسعة من الشباب اللبناني. وبسبب القيود المفروضة على الفتيات في مجتمعنا اللبناني، فإن الشبان أكثر انخراطاً في العمل التطوعي من الشابات، وسكان المناطق المدينية منهم أكثر انخراطاً في التطوع من سكان المناطق الريفية، وقد عبّر المقيمون في الريف عن رغبتهم بالمشاركة بالأعمال التطوعية، إذا ما توفرت لهم البيئة التطوعية الحاضنة والفرص المناسبة.

لم تبين المعطيات الاحصائية التي وفرتها استمارة البحث أية فوارق بين طلاب فروع الجنوب وطلاب الفروع الثانية[21]، سواء في خصائصهم العامة أو في الموقف من التطوع والمشاركة في العمل التطوعي. بينما تقف الظروف الدراسية عائقاً أمام انخراط طلاب الكليات التطبيقية في العمل التطوعي خلافا للكليات النظرية.

إن التحرر من الضغوط الاقتصادية يساعد الشبان على التطوع؛ فأبناء الأسر الميسورة أكثر انخراطاً في التطوع من أبناء الأسر الأقل يسراً. كما أن تجربة أحد الوالدين بالعمل التطوعي تشكل عنصراً مساعداً على إقبال الأبناء والبنات على التطوع. والتجربة الشخصية سواء للآباء أو الأبناء تعلي من شأن التطوع في نظرهم.

تعتبر الجمعيات التطوعية الأطر الطبيعية للمتطوعين، فالإدارة الحكيمة هي تلك التي تستقطب وتحافظ على متطوعيها، وقد عبر معظم المتطوعين عن رضاهم عن إدارة التطوع وتوزيع المهام على المتطوعين، رغم أنه بالإمكان تحسين تلك الإدارة. كما عبر بعض المتطوعين عن انزعاجهم من المهام المرهقة التي يُكلَفون بها في بعض الأحيان، ومع ذلك فإن الغالبية منهم راضية عن أن أداء الإدارة بشكل عام، فهي تشرك الشباب غالباً في التخطيط وتنفيذ البرامج، ويقدّر الشباب هذا المنحى الديمقراطي لدى إدارة التطوع، كما عبّرت الغالبية العظمى عن رضاها عن الحوافز المعنوية التي تقدمها المنظمات للمتطوعين.

من المؤكد أن الثقافة السائدة في مجتمعنا بشقيها الديني والاجتماعي تشجع على العمل التطوعي، وهذا ما لمسناه من مواقف كل من الأهل والأصدقاء والمجيبين أنفسهم، وإذا كان هنالك من تحفظات، فذلك يعود إلى الشروط العامة التي يتم فيها العمل التطوعي، وقد ألحَق المتطفلون على هذا القطاع اضراراً به، خاصة بعد أن توفرت للجمعيات أموال طائلة من قبل الجهات المانحة، وبات التطوع مجلبة للمنفعة المادية في بعض الأحيان، حتى وإن كانت منفعة رمزية أو متواضعة.

يجني الشباب المتطوع فوائد عديدة من عملهم، فالتطوع ينمّي قدراتهم ومهاراتهم الشخصية، ويتيح لهم التعرف على الثغرات التي تشوب نظام الخدمات في المجتمع، ويمكنهم من التعبير عن آرائهم وأفكارهم في

[21]– يفد طلاب الفرع الخامس في صيدا من مختلف مناطق الجنوب اللبناني، ومن قضاء الشوف، بينما يتوافد الطلاب الى الفروع الثانية من بقية اقضية جبل لبنان بما فيها ضواحي بيروت الشرقية.

القضايا العامة وتحديد أولوياتها، كما أنه يشكل فرصة لتأدية الخدمات بأنفسهم، وحل مشاكلهم بجهدهم الخاص. وهو إلى ذلك وسيلة لإثبات الذات والانتقال من الفردية إلى الجماعية، إلى تغليب الانتماء الوطني على الانتماءات الاولية؛ لذا، ونظراً لأهمية القطاع التطوعي نقترح اجراء دراسات معمقة لعوامل الجذب والطرد في المؤسسات التطوعية، والتعرف إلى المشكلات والعوائق التي تحد من الانخراط فيها، وآراء الشباب وتوقعاتهم من خلال اختبارهم للمجال التطوعي، بغية تطوير هذا القطاع الذي يمكن أن يكون واحداً من الأدوات الفعّالة في مجال التنمية الاجتماعية الاقتصادية، ومواجهة المشكلات الاجتماعية المختلفة.

==========

المراجع:

1-سعيد بن سعيد علوي وآخرون المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1992.

2-اماني قنديل وآخرون، مؤشرات فاعلية منظمات المجتمع المدني، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة 2010.

3-موسى شتيوي وآخرون، التطوع والمتطوعون في العالم العربي، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة 2000.

4-التقرير السنوي السادس للمنظمات الأهلية العربية، الشباب في منظومة المجتمع المدني، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، 2006، القاهرة 2007.

5-التقرير السنوي العاشر للمنظمات الأهلية العربية، التطوع في المنطقة العربية، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية 2011، القاهرة 2012.

6-دليل منظمات المجتمع المدني،2008، وزارة الشؤون الاجتماعية، بيروت.

7-اماني قنديل، تفعيل دور المنظمات غير الحكومية المعنية بالشباب في مصر، منشرات الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة 2007.

8-شبيب دياب وآخرون، دراسة وظائف الخدمات الاجتماعية وأوضاع العاملين فيها في لبنان، وزارة الشؤون الاجتماعية، بيروت 1980.

9-اماني قنديل، اي دور يلعبه المجتمع المدني؟ منشورات الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة.2011.

10-اماني قنديل، الموسوعة العربية للمجتمع المدني، منشورات الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة 2008.

11-اماني قنديل، المجتمع المدني والمتغيرات الجديدة الثورية والاصلاحية، منشورات الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة، يونيو 2011.

12-عبير حسن، الجمعيات الأهلية في مصرن موقع مجلس مدينة الزرقان 17 -4-2010.
13-كامل مهنا، في التطوع والمجتمع المدني، دار الفارابي، بيروت،2013.
14-عزت عبد الهادي، العمل التطوعي في فلسطين، مركز بيسان للبحوث والانماء 1999.

15-أيمن عبد المجيد، تراجع مشاركة الشباب والشابات في سوق العمل برؤية نوع -اجتماعية، المجلس الدولي للسكان، القاهرة 2010.

16-البرلمان الاوروبي، مقررات تاريخ 16ديسمبر 1983. la jeunesse du monde, une enquête planétaire-
172011.paris fondapol

راضي علّوش في إبداعاته الجماليّة

بقلم د. محمد فران

لعلَّ شروق الشّمس اليومي أمرٌ طبيعيٌ، إذا نُظر إليه نظرةً سطحيّةً تتجدَّدُ فيها حقائب الأيام الدّاعية إلى السّأم والضّجر، وأمَّا إذا نظر الإنسان إلى هذا الشّروق نظرة تأمليّة إستبصاريّة، لوجد أنّ فيه ما يدعو إلى أن ينتظر جديدًا، وأنَّ شمس هذا اليوم لن تكون كشمس سابقه، وأنَّ ثمة دعوة صارخة تدفعه إلى ارتشاف ماء سلسبيل عذب يحقق الإرتواء بعد ظمأ شديد، لأنّ العين التي تتلذّذ بالنّور يمكنها أن تستأنس بنسائم الحريّة.

ونحن في هذا الصّدد، أمام موقفين اثنين، موقف ماديّ بحت، وموقف روحيّ معنويّ، لا سيّما إذا ارتبط الأمر بفعل الكتابة بعامة، والكتابة الفنيّة بخاصة، ولا سيّما بما له علاقة بالوجدان والذّوق القائمين على ارتباط الأنساق اللّغويّة بواقع الإنسان الحيّ، وما يثيره هذا الواقع من المشاعر والأحاسيس، وإمكانية تأكيد صور الانفعال بها، بصيغة سلسة حيَّة نابضة تحمل لنفسها صفة الإبداع، كما تحمل لصاحبها في آن، سمة الخلود.

ولهذا كان قَسَم ربّ العالمين في مطلع سورة القلم من القرآن الكريم :﴿ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، فالقلم بتأكيد رب العالمين دلالة على أنه آلة الخطِّ المناطُ بها فعل الكتابة، وعلى ذلك كان أمر الله : إقرأ لأنّ القيمة الأساس للكلام تكمن في الاعتماد على المسطور، وليس على كلام المشافهة الذي يذهب أدراج الرّياح.

وعليه وبعد أن استقامت للأدب العربيّ سليقته، وشمخت هامته، شعرًا ونثرًا إلى محاكات الزّمان، نرى أنّه، ومنذ عهوده الأوّلى، قد جرى العمل على خطين متوازيين في تحقيق حركيّة الإبداع، ولاسيما الشّعر منه، خط فيه التأنقُ وحسنُ الصّياغة بدءًا ب"أوس بن حجر" إلى تلميذه وربيبه "زهير بن سلمى" إلى ولدي زهير "كعب" و" بجير" وتلميذه "الحطيئة جرول"، إلى "كثير" و"الفرزدق"، ومن ثمّ إلى " أبي تمام الطائيّ" فـ"المتنبي" و"أبي العلاء" و"مهيار الديلمي"، إلى "صفي الدين الحلي" والشاب الظريف " محمد بن عفيف التلمساني. وخطٍ سلسٍ سهلٍ ممتنعٍ إنساب الشّعر فيه وجدانيًا خالصًا بدءًا بـ "امرئ القيس" إلى "طرفة بن العبد" إلى "عنترة" و"عمروبن كلثوم"، إلى "حسان بن ثابت الأنصاري"، إلى "عمر بن أبي ربيعة" ، إلى "ابو نواس" و"ابن الرومي" والبحتري" و"أبي فراس الحمداني" وغيرهم .

وفي هذه المقالة سأكتب عن الأستاذ راضي سالم علوش ومجموعته الأدبية، التي وفَّق صاحبه بين النّمطين السّالفين فجعلها خالية من التّكلُّف والإسفاف في آن، إذ أنَّ القارئ ليجد فيها رضىً ومنفعة ومتعة، وهي نوعان: الأوّل، عبارة عن مجموعة قصصيّة نشرت سنة 2005 تحت عنوان "جزيرة النّسيان"، ومجموعتين شعريتين نُشرت الأولى تحت عنوان "رياح ورياحين"، ونُشرت الثّانية سنة 2008 تحت عنوان "رقاق غزلٍ". أما النّوع الثّاني فهو عبارة عن دراسة نقديّة منهجيّة نُشرت سنة 2012 تحت عنوان "جبران والحداثة" وقوامها روحٌ علميّةٌ صافيةٌ توخت في إخراجها الأمانة والنزاهة والتّجرّد والموضوعيّة، فكان لها ما أرادت في صحة الرّصد والتّحليل والاستدلال وبُعد المرمى وسموّ الغاية.

وإذا عرض أفلاطون (429 – 337 ق.م) على لسان سقراط (469– 399 ق.م) وهو يحاور فيدروس (phaerdrus) قائلًا: "أحسب أنّك توافقني على أنَّ كلُّ خطابٍ يجب أن يكون منظَّمًا مثل الكائن الحيّ، ولكنّه في جسده وأعضائه مكوَّن بحيث تتحقّق الصّلة بين عضوٍ وآخر، ثم بين الأعضاء جميعًا، فيكون بذلك، الأستاذ راضي علوش قد حقّق في نصوصه الأربعة اللّحمة بين أجزاء كلّ منها مؤكدًا أنَّ للأدب الصادق مكونين اثنين: الأوّل ماديٌ، ولموضوعات اللّغة، مجتمعة، فيه نصيبٌ كبيرٌ، والثّاني معنويّ وللعقل والمخيلة والعاطفة فيه نصيب أكبر. وما البناء العضويّ عنده سوى تنظيم الإنفعالات، وإخضاع التّعدّد للوحدات الأساسيّة كوحدة المتكلّم ووحدة الموضوع والوحدة المنطقيّة ووحدة المتلقي التي من شأنها أن تجانس بين كل الأجزاء المكوّنة، بعد استخراج النّظام من الفوضى، لأنّ الهام عنده، فيما أبدع ما يكونه لا ما لا يعنيه لما يتمثل فيه من قوّة الإثارة والإيحاء.

وإذا أردت التّأكّد من صدق ما نهدنا إليه في مؤلفات الرّاضي الرّضي، لا بد من إمعان النظر مليًّا، حتى تتبادر إلى الذّهن الوحدة العضويّة في نصوصه وما يرمز إليه كلّ نصٍ منها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، وبعد قراءة نصّ "جزيرة النّسيان" يخرج القارئ منها وهو يلوي رأسه بسمو ما ترمز إليه حيث تردد اختصارًا: أنّ أي شعب تتمثّل في نفسه إرادة الحياة لابدّ له أن يجعل أرضه مقبرة للظّالمين وبلاده المنسية منارة تهدي إلى سبيل الرّشاد هاتفًا:

كُنْ كالحسامِ وقلْ ما أنتَ مُعْتقد للمستبدِّ ولا ترهَبْ إذا احْتَدمَ
إنَّ الجيادَ تلوكُ اللّجم مزبدة غيضًا، ولكنّها لا تبلغ اللّجما

وأما الأقصوصة "نوم في غير محله"، فترى بأنّها ترمز إلى أنّ اللّحمة الأسرويّة والقرويّة والوطنيّة والإقليميّة وحتى الأممية منها، لا يمكن أن تتزعزع ما دام النّاس فيها قد تدرَّعوا بثوب العاطفة الصادقة في حياة هانئة مبنية على حسن التّعاطي الخلاب.

وأما الأقصوصة "عالم العوالم" فترمز إلى العنت الجائر في تمثُّل الأهل، في مجتمعاتنا المختلفة، للقيم الموروثة الضّالة التي تجعل من المحبّة الصّادقة نارًا تدمّر حياة البشر، وتفكّك العرى بين أواصر المجتمعات التي ينبغي لها أن تسعى وبقوة، إلى السّعادة المؤتزرة بالفرح إنسجامًا مع قول نزار قباني:

الحبُّ في الأرضِ بعضٌ منْ تصوّرنا لَو لَم نَجدْه عليها لاخْترعْنَاه

وحتى لا نشرب البحر كي نحسّ بطعم الملاحة، نكتفي بهذا القدر من المجموعة القصصيّة، لننصرف إلى الشّعر في "رياح ورياحين" و"رقاق غزلٍ" وبإيجاز أيضًا إذ عدّ الشّاعر راضي علوش أنّ الشّعر لغة داخل اللّغة على حد قول"بول فاليري" لأنّه يعدّها قائمة على قوة الإيحاء في الأدب كونها قادرة على الخلق من خلال تجسيدها للمعاني وتشخيصها للجماد، لإخراج الكلام من حيّز التّقرير إلى مجالات الإبداع الواسعة.

ومن ذلك قوله في الفدائيّ:

ودَّع الأهل سريعًا ثم غاب ... وبعينيه اغتراب ... ومضى كالريح يطوي الأرض، يعدو كالسحاب ...

أو قوله: لم يمت يا أمُّ لا، لا تندبيه... إسألي فينا الجباه... إسألي فينا رؤاه... كيف حلَّت في ضمير الأفق نسرا؟ كيف باتت في ثنايا الليل فجرا؟

أو قوله:

عصف الرّياح هنا والثّلج و المطر والأرض ترقب فاديها وتنتظر
عصف الرّياح هنا من كل ناحية والقلب يشقى بنار البعد ينفطر

وقوله غزلًا:

مذ رأتكِ العين راحت تتجلى ترسم الحسن ظلالًا من سناكِ
أي حسنٍ، أي سحرٍ، أي طيبٍ كل طيب الأرض فيضٌ من بهاك
امسحي الأحزان عن وجهي بوعدٍ ما براه الحزن يبرا بلقاكِ

وقوله كذلك:

شاقني يا ليل شهدٌ وأرق وانجذابٌ في مواويل الحدق
وحكايا جنَّ فيها عاشقٌ وجنون العشق زهوٌ وألق
وفراش يكتسي من آهنا حلل الوجد وبوحًا من حُرق
شاقني يا شوق فارحم مهجتي وانتشلني من بُوار وغرق

وقوله أخيرًا

من بحر عينيكِ يا ليلاي أرتشف سحرًا يجود به الإلهام والشغف
جودي عليَّ فقلبي اليوم في مرضٍ والطرفُ شاكٍ براء الشوق واللهف

أنتِ الجمالُ أيا ليلى فمعذرة كلُ البيان يلاقي العجز إذ يصف

أكتفي بهذا القدر من الشواهد من دون أن أشير إلى مواطن الجمال فيها عرضًا وتحليلًا تاركًا ذلك لجميع القراء الألبَّاء من أكاديميين ومثقفين ...

اللّغة العربيّة والمصطلحات المترجمة(ورقة بحثية)

إعداد : الأستاذة الدكنورة دلال عبّاس

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى تبيان أهميّة التّرجمة ودورها في إغناء اللّغة العربيّة في عصر النّهضة الشّاملة، عَنيتُ العصرَ العبّاسيّ، والطّرق التي استُخدمت في تعريب الألفاظ غير العربيّة، وذلك من خلال استقراء كتب التّراث. ويُقسّم إلى مقدّمة وثلاثة مباحث غير منفصلة: في المقدّمة كلام على التّرجمة بوصفها من أهم طرق التّثاقف والتّأثّر والتّأثير المتبادلَيْن بين الشّعوب.

في المبحث الأوّل كلام على أنّ العربيّة لم تكن بمنأى عن التّأثّر باللّغات الأخرى منذ ما قبل الإسلام، وأنّ اللفظ الدّخيل فيها بيّنٌ واضحٌ في الشّعر الجاهليّ وفي النّصّ القرآنيّ.

في المبحث الثّاني كلامٌ على التّرجمة في العصر العبّاسيّ التي بلغت ذروتها في عصر المأمون، والتي كانت الجسر الذي عبرت بواسطته ثقافات الأمم المختلفة التي انصهرت في الدولة الإسلاميّة، وأغنت الثّقافة الإسلاميّةَ العربيّةَ اللّغة بالمصطلحات الجديدة، مع الأخذ في الحسبان الفرق بين طريقة التّعاطي مع الألفاظ في عصر القوّة والشّعور بالتفوّق، ومثيلتها في عصر الانحطاط والشّعور بالدّونيّة.

في المبحث الثّاني: نماذج من المصطلحات الدّخيلة والمترجمة بالعربيّة، وكيف أُخضعت لمنهاج اللّغة العربيّة، إمّا بإيجاد بديل عربيٍّ لها أو بتغيير بعض الأصوات، من طريق حذف ما ليس من أصوات العربيّة، أو إلحاق وزن اللفّظ بأحد أوزان العربيّة..

الخاتمة: تلخّص أهمّ النتائج والتوصيات...

الألفاظ المفتاحيّة: التثاقف– التّرجمة– المصطلحات الدخيلة – المصطلحات المعرّبة...

المقدّمة

من البداهة القول إنّ التّرجمة بوصفها نشاطًا فكريًّا وثقافيًّا شائعًا بين الأمم، قد شكّلت على مرّ العصور عاملًا من عوامل التّلاقي والتّفاعل بين الشّعوب، وآثارُها واضحةٌ وجليّة في تواصلِ الحضارات والانفتاح على الثّقافات المتباينة، وتمثّلٍ لها، وجعلِ الآداب والمعارفِ والفنون والثّقافات نتاجًا تشترك الإنسانيّة جمعاء في إنشائه وإغنائه بمساهماتها الخلاّقة على مرّ العصور، وإن نحن عدنا إلى التّراث المعرفيّ الإنسانيّ

نجد أنّ التّرجمة أدّت أدوارًا مهمّة في الحضارات العالميّة، وقد ظهرت أهميّة التّرجمة منذ أن نجح اليونانيّون في صياغة الأسس النظريّة للعلوم التي كانت تُمارسُ بشكل عمليٍّ في معظم الحضارات الشرقيّة القديمة؛ وربّما كان هنالك تواصلٌ وأنماطٌ من التّرجمة قبل الحضارة اليونانيّة، ليس هنالك من أدلّة قاطعةٍ على وجودها لاندثار معظم الشواهد في عددٍ من الحضارات السابقة. وبالتّرجمة نُقلت المعارف من حضارةٍ إلى أخرى ومن شعب إلى آخر، فضلًا عن نقل الإبداعات الثقافيّة والفنّيّة والأدبيّة. وبعد انهيار الحضارتين اليونانيّة والفارسيّة، صارت اللّغة العربيّة هي لغة العلم والفنون المختلفة طيلة العصور العبّاسيّة، وفي جميع الحواضر الإسلاميّة، وفي نهاية العصور الوسطى، ومنذ بداية سقوط الأندلس، نشطت حركة التّرجمة الأوروبيّة للعلوم العربيّة والإسلاميّة؛ ومنذ عصر النهضة إلى يومنا هذا تنشط حركة النّقل من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة..

لقد غدَت هذه الحلقات المتصلة من العطاء إرثًا حضاريًّا كبيرَ الفائدة للإنسانيّة كلّها، والعرب كغيرهم من الشّعوب كانت لهم علاقات سياسيّة وتجاريّة وعلاقات جوار بالشّعوب الأخرى، وقد تركت الآراميّة والحبشيّة والفارسيّة في العربيّة منذ ما قبل الإسلام آثارًا لا تُنكر، لأنّها كانت لغةَ الأقوام المتمدّنة المجاورة للعرب في القرون السابقة للهجرة، وفي رحلتي الشتاء والصيف كان العرب يشترون سلعًا لها أسماء روميّة أو فارسيّة، ويعودون بها إلى ديارهم، ويلفظون أسماءَ تلك الأشياء بطريقة عربيّة تُنسي السامع أصلها غير العربيّ، وهذا أمرٌ نلحظه اليوم، حين نسمع حولنا ممّن لا يعرفون اللّغات الأجنبيّة، كيف يطوّعون اللفظة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة، ويلفظونها بطريقةٍ تحولُ أحيانًا بين السامع ومعرفة أصل اللّفظة الأجنبيّ.

يمكن القول إنّ اللّغات كالنّاطقين بها تتحاور وتتثاقف وتتبادل المعرفة، وتستعير ما تفتقده من ألفاظ في ما بينها، فما من لغة في العالم خالصةً كما قد يتصوّر البعض، فاللّغة الحيّة تؤثر وتتأثّر وتُعطي وتأخذ. والعربيّة استطاعت منذ أقدم العصور أن تستوعب ما داخلها من لفظٍ غريب، وتُخضعه سماعيًّا لنظامها اللغويّ وأبنيتها اللفظيّة، حتى قبل أن تتقعّد هذه الأبنية وتتقونّن، أي قبل أن يضع اللغويّون القواعد النّحويّة والصرفيّة للّغة، وما لم يتمكّنوا من ابتداعِ قاعدةٍ صرفيّة له، قالوا إنّه سماعيّ، وما لم يجدوا له مثيلا في أبنيةِ العربيّة قالوا إنّه دخيلٌ أو معرّب؛ وإذا تتبعنا تاريخ اللّغة العربيّة ونحوِها وصرفِها وقواعدِها وكلماتِها وتراكيبِها، فسوف نكتشف أنّ صرفها وقواعدها، وأساليبَ التراكيب والاشتقاق فيها ثابتةٌ لم تتغيّر على مدى ما نعلم بحسبِ الآثار المكتوبةِ التي وصلت إلينا، وكلّ ما حدث أنّ شجرتها الباسقة كانت تتخلّى عن أوراقها الصفراء والذابلة، وتستبدل بها أوراقًا جديدة، ونهرُها كان يتّسع من حيث الكلماتُ والمفردات، كلّما احتاجت إلى ذلك، من دون أن تتخلّى عن كيانها وأبنيتها وقوانينها، ولم تداخلْها عواملُ الانحلال والفَناء، أو التشويه والتحريف، وهو ما لم يحدث في اللّغات الأخرى، التي دخلها التحريف والإضافة والحذف والإدماج والاختصار...

هذه الورقة لا تبحث عمّا أعارته العربيّة لغيرها من اللّغات، وهو أكثر ممّا اقترضته بكثير بل عمّا دخلها فعرّبته، وجعلته جزءًا من ثروتها، وتُركّز على الفارسيّ الدخيل أكثر من غيره، لا سيّما في العصر العبّاسيّ، كي لا يتشعّب البحث أكثر ممّا يحتمل، اعتمادًا على ما حصّلته الباحثة من معرفةٍ طيلة خمسين عامًا من تدريس العربيّة، وأربعين عامًا من تدريس الفارسيّة، ومعرفة كافيَة باللّغة الفرنسيّة، وجزئيّة بالإسبانيّة والانجليزيّة والتركيّة العثمانيّة.

إنّ تأثّر اللّغة العربيّة باللّغات الأخرى، يعود إلى ما قبل الإسلام، فنحن حين نراجع تفاسير القرآن الكريم، والمعاجم الكبرى، يفجأنا كثرة الدخيل في اللّغة العربيّة قبل نزول القرآن الكريم، وفي الشّعر الجاهليّ، ثمّ في العصور التي تلت...

لكنّ أعجميّة تلك الألفاظ غطّى عليها إخضاعُها لموازين العربيّة وقوانينِها، وفي المعجم يقول لك ابن منظور أو غيره إنّ هذا اللفظ روميّ، لأنّ وزنه ليس من أوزان العربيّة[1]... ونحن نتذكر من عهد الفتوّة لفظة السّجنجَل في معلّقة امرئ القيس [ترائبُها مصقولةٌ كالسّجنجَل]، ونتخيّل ذلك التاجر المكيَّ الذي رأى، لأوّل مرّة، هذا الشيءَ الذي سُمّيَ في ما بعدُ "المرآة"، في أحدِ الأسواق التي كان يقصدُها في رحلتيْ الشتاء والصيف، اشترى هذا الشيءَ واسمَه الأعجميّ، لكنّ الاسمَ الغريب تحوّل على لسانه وعلى ألسنة الذين اشتروه إلى لفظة السّجنجَل. على هذا النّحو وما يشبهه كانت تدخُل العربيّةَ مصطلحاتٌ جديدةٌ، كما كان من الطّبيعيّ أن يقتبسَ العرب في المناطق التي سكنها الفرس أو بسطوا نفوذَهم فيها[2]، الكثير مما كانوا يحتاجون إليه أو ينفعهم من أمور الحضارة "مما كان يعوزهم في باديتهم أو في مدنهم الكبرى، مما لا عهد لهم به[3]؛ وقد أُتيحَ لبعض العرب في الجاهليّة من خطباءَ وشعراءَ وزعماءَ قبائل، أن يتردّدوا على بلاط الحيرة، وكانت الفارسيةُ وتقاليدُ الفرسِ منتشرةً فيها، فأخذوا من ألفاظها وعاداتها، وتعلّموا قصصَها وأخبارها، وسمّى البعضُ نفسَه أو أولاده بأسماء فارسيّة عرّبوها: فلقيطُ بنُ زُرارة الجاهليّ سمّى ابنته "دختنوس" باسم ابنةِ كسرى "دُخت نوش"[4]، وسمّى قيسُ بنُ مسعود ابنه "بُسطام" باسم أحد ملوك الفرس "أوستام"، وكان النُعمان بن المنذر يُسمّى "أبا قابوس"، وقابوس معرّب "كاووس" الفارسيّة، وذكره النابغة بهذا الاسم في شعره[5]، وقد عمل بعض العرب في بلاط الأكاسرة، منهم لقيط بن يعمر الأياديّ، وعديّ بن زيد العباديّ، اللذان كانا يقرآن الفارسيّة ويترجمانها بالعربيّة، وقد جاء في شعر عديّ بن زيد العباديّ الكثير من الألفاظ الفارسيّة[6]. كما أنّ بعض شعراء البوادي كانوا يقصدون الحيرة والمدائن وبلاد فارس كالأعشى وهو القائل "وطال في العجم ترحالي وتسياري"، وقد اقتبس من ألفاظهم الكثير ممّا ضمّنه شعره[7]. وإذا ألقينا نظرةً على الألفاظ الفارسيّة المعرّبة في الجاهليّة وصدر الإسلام، نجدُ أنّ العرب أخذوا من الفرس الكثير من أسماء المآكل أو الأزهار، أو النّباتات أو الأشجار ممّا لا تُنبته الجزيرة العربيّة، وأسماء الملابس والآواني، والجواهر والعطور والأصباغ، وكذلك

أسماء الملابس والآواني والجواهر والعطور والأصباغ، ومختلف الأبنية، وأسماء الآلات الموسيقيّة، وأسماء بعض السّفن ومصطلحات البحر والأدوية والأسلحة، والدّروع، وألفاظ التّجارة، وأسماء المناصب الإداريّة وغيرها، وإنْ نحن أخذنا أنموذجًا من شعر الأعشى، نرى إلى أيّ حدّ تحتشد في شعره هذه الألفاظ المعرّبة، في قصيدة واحدة، ووَرَدَ غيُرها في قصائده كلّها:

لنا جُلّسانٌ عندهـــا وبنفسجٌ / وسيسنبرٌ والمرزجوش منمنمـــا
وآسٌ وخيريٌّ ومرْوٌ وسوسنٌ / إذا كان هِنزِمِنٌ ورُحتُ مخشَّمـا
وهـــــــفرم والياسمينُ ونرجسٌ / يُصبّحنـــا في كلِّ دجن تغيّما
دمستقٌ سينينٍ ودنٌ وبـــــربطٌ / يجـــاوبه صنجٌ إذا ما ترنّما[8]

والملاحظ أنّ الألفاظَ الفارسيّة الدّخيلة، قد أُخضعت لمنهاج اللّغة العربيّة، بتغيير بعض الأصوات من طريق حذف ما ليس من أصوات العربيّة، أو إلحاق وزن اللفظ بأحد أوزان العربيّة؛ نجد في القرآن الكثير من اللفظ الدخيل الذي كان مستخدمًا في العربيّة حين نزول الوحي . السريانيّ والآراميّ منه حافظ على لفظه، لأنّ الأصل الساميّ واحد، أمّا الفارسيّ فقد جعلته ألسنة العرب عربيًّا بعد أن استبدلت ببعض حروفه حروفَها.

من الألفاظ التي أخذها العرب من الآراميّة والسريانيّة[9]، بحكم مجاورتهم لليهود وسواهم من أصحاب الملك الألفاظ " قرأ، كتب، كتاب، تفسير، تلميذ، فرقان، قَيّوم، زنديق، تلا "، أمّا لفظة قرأ فقد استخدمها العرَب حين عَرَفوها بمعنًى غير معنى التلاوة، فكانوا يقولون: هذه الناقة لم "تقرأ سلًى قط"، يقصدون أنّها لم تحمل ملقوحًا ولم تلد ولدًا، ومنه قول عمرو بن كلثوم: "هجان اللون لم تقرأ جنينا"[10]، في حين أنّ الفعل قرأ استُخدم في القرآن بمعناه الأصلي أي "تلا"، كذلك فإنّ الألفاظ الواردة في القرآن على وزن فعلان، صيغتُها آراميّة:

مثل الفرقان[11]، القرآن[12]، المرجان[13]، ومن الدخيل الفارسيّ[14] الذي ورد في الشّعر الجاهليّ وفي القرآن الكريم: لفظة الإبريق (س الواقعة، ى 17 – 18)، معرّب "آب ريز" (آب= الماء وريز من ريختن: الصب)، والاستبرق أي الديباج الصفيق الغليظ وهو معرّب "استبره"، ورد في (الرحمن/ 54، والكهف/ 31، والدخان/ 53، والإنسان/ 21)؛ ولفظة السجّيل (الفيل/ 4، وهود / 80، والحجر/ 74) حجارةٌ كالطين اليابس أصلها "سنگ" و "گل" أي الحجارة والطين، ولفظة سُرادق (الكهف / 29)، أصلها في الفارسيّة سردار أو سرا پردة؛ والمِسك (المطففين / 26)، أصلها الفارسيّ مِشك، ولفظة المقاليد، أي المفاتيح (الشورى /12، والزمر / 63)، واحدها الإقليد والمِقليد، أصله كليد الفارسيّ، وقال ابن منظور في مادّة قَلَد، إنّ اللفظ مشترك بين الفارسيّ والروميّ واليماني والكردي.

وبعد الفتوحات الإسلاميّة تعمّقت العلاقة بين العرب والفرس، بعد أن تقدّم المسلمون للمرّة الأوّلى في عهد الخليفة الثّاني (رض) إلى العراق وإيران، وأسلم من أسلم من الفرس طوعًا، وانضمّوا إلى الجيش الإسلاميّ، وأقرّ المسلمون السكّان في أرضهم وأمّنوهم على أنفسهم وأموالهم، ثم ما كان من هجرات العرب إلى المناطق واستقرارهم فيها، كلّ ذلك أدّى إلى أن يمتزج السكّان الأصليون والوافدون، وأن يُقارب بعضُهم بعضًا، وأن يُصهِر من أسلم منهم، إلى من وَفد عليهم، وأن يكون هنالك هذا الاختلاط، الذي كان من ثمراته جيلٌ جديدٌ لفّته الحياة الإسلاميّة الجديدة، بما كان من طوابعها وسِماتها[15], وهكذا فإنّ حركةَ الفتوح الإسلاميّة في إيران جعلتِ العربَ يختلطون بالدم الآريّ ويستمعون إلى لغةٍ تخالفُ لغتَهم، هي اللّغة البهلويّة، إحدى أصول الأسرة الهندو–أوروبيّة... وتُفسحُ مجالًا للاختلاط ما بين لغتها الأم ولغةِ القوم، فتتبادلان الصلات والتّأثير والتّأثّر، وتنشأ من هذا التزاوج بين اللغتين لغةٌ يمكننا أن نسمّيَها لغةَ التفاهم، يتكلّمها عامّةُ النّاس، إلى أن تصيرَ بعد أربعة قرون من الهجرة، لغةَ إيران الرسميّة، ويضطر أهلُها أن يكتبوها بالحروف العربيّة...

2– التّرجمة في العصر العبّاسي

المشهور المتداول أنّ عمليّة التّرجمة من الفارسيّة بالعربيّة جرت في العصر العبّاسي، هذا صحيح، لكنّها بدأت قبل ذلك: لقد اقتبس المسلمون نظامَهم الإداريّ من النظام الإداريّ الإيرانيّ، إذ نُظمت الدفاتر منذ عهد الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب بأسلوب الدفاتر والدواوين الإيرانيّة القديمة، وكانت اللّغة الديوانيّة أحيانًا لغةً فارسيّة، وفضّل المسلمون من الفرس في ما بعد أن ينقلوها إلى العربيّة بأنفسهم، ويذكر ابن النديم أنّ "الديوان" نُقل إلى العربيّة في زمن الحجّاج، والذي نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم.[16]

ذُكر كذلك أنّ كتابًا كان موجودًا في مكتبة هشام بن عبد الملك، موضوعُه تاريخُ الفرس وسياستُهم، مترجمٌ من الفارسيّة بالعربيّة[17]، إلاّ أنّ العبّاسيين هم الذين سخّروا كلّ قدراتهم في استقطاب الثّقافات المختلفة اليونانيّة والهنديّة والفارسيّة، وممّا لا شكّ فيه أنّ أمواج التّرجمة من الفارسيّة، كانت الجسرَ الذي عبرت من خلاله ثقافاتُ الأمم المختلفة التي انصهرت في الدولة الإسلاميّة، وأغنت الثّقافة الإسلاميّة، وذلك لعناية خلفاءِ بني العبّاس ووزرائهم بعمليّة التّرجمة[18]، وما أبدوه من اهتمام بيّنٍ بالحركة العلميّة، وتشجيعهم العلماءَ والمترجمين، هكذا تحوّلت ثقافات فارس والهند واليونان إلى ثقافة العرب المسلمين وزوّدتها بأزوادٍ وعناصرَ لم يكن لها بها عهدٌ من قبل، وقد تمّ هذا التحويل من طريقين: طريق النّقل والتّرجمة... وطريق تعرّب شعوب الشرق وانتقالهم إلى العربيّة حاملين إليها موروثاتهم وفنونَهم ومعارفَهم.

لقد بدأت حركة النّقل إلى العربيّة مع أبي جعفر المنصور وشهدت دعمًا كبيرًا في عهد الخليفة هارون الرشيد الذي ذُكر أنّه كان شغوفًا بسماع المواعظ الإيرانيّة، وكان ينتقي مؤدّبي أولاده من الإيرانيين..

وقد بلغت حركة النّقل ذُروتها في عهد الخليفة المأمون الذي وسّع مدرسة التّرجمة في بغداد، فصارت تُعرف بـ "دار الحكمة"، وألحق بها مكتبةً ومرصدًا، وجاء بعددٍ كبيرٍ من العلماء الذين يُتقنون العربيّة واللّغات الأعجميّة، فجعل عليهم شيخًا رئيسًا، يختار الكتب، ويُعيد النظر في ترجمتها، وكان حنين بن إسحاق من أشهر الذين تولّوا هذا المنصب.

لقد كانت حركة النّقل التي ازدهرت في العصر العبّاسيّ من أبرز العوامل التي أسهمت في تسريع النهضة الثقافيّة والعلميّة لذلك العصر.

كانت الكتب التي موضوعها السياسة الملوكيّة عند الفرس أولى الكتب التي تُرجمت من الآثار الأجنبيّة في الأدب والسياسة، وأوّل المترجمين في عهد أبي جعفر المنصور كان ابنَ المُقفّع (روزبه بن داذوبه)، الذي ترجم بالعربيّة منطق أرسطو الذي كان منقولًا من قبل إلى الفارسيّة، وكليلة ودمنة الذي كان منقولًا إلى الفارسيّة البهلويّة عن الهنديّة[19]، (ترجمة سنة 1333هـ/ 749 م)، وقد ألّف بالعربيّة عددًا من الكتب والرسائل، تبدو فيها عناصر الثّقافة الفارسيّة: وهي الأدب الصغير، والأدب الكبير، واليتيمة في الرسائل[20]، وترجم كتاب "التاج في سيرة أنوشروان" وكتاب "خداينامه" وهو تاريخ الفرس من مبدأ ملكهم إلى نهايته، وسمّاه تاريخ ملوك الفرس، وكتاب آيين نامه، أي نُظُم الفرس وعاداتهم، ورسالة تنسر، قاضي قضاة أردشير بامكان، هذه الرّسالة اندثر نصّها البهلويّ، وضاعت ترجمتها العربيّة، ولم يبقَ سوى ترجمةِ ابن اسفنديار للنصّ العربيّ بالفارسيّة.

وقد ذكر المؤرّخون عددًا آخرَ من المترجمين المعاصرين لابن المقفع، لم تصلنا ترجماتهم كـ"محمّد بن جهم البرمكيّ"، و "ابن شاهويه الإصفهانيّ"، و"الحسن بن سهل"، الذي ترجم قسمًا من الحكمة الخالدة كما ذكر ابن مسكويه[21]، وإسحاق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة بـ أخبار نامه، ومنهم إبان بن عبد الحميد الذي ترجم كتاب السندباد، وكتاب حلم الهند[22]، وقد جاء في طبقات الشّعراء لابن المعتز أنّ إبان اللاحقي هو من نظم كليلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفّع في خمسة آلاف بيت من الشّعر[23]. ومن المترجمين عن الفارسيّة، أيضًا، الحسنُ بن موسى النوبختيّ، وأحمدُ بن يحيى البلاذُريّ المؤرّخ المعروف، والحسنُ بن سهل، ومحمّدُ بن جهم البرمكيّ، وداذويه بن شاهويه الإصفهانيّ، وبهرام بن مردانشاه... ومن الكتب التي تُرجمت ،أيضًا، كتاب عهد أردشير، وكتاب موبذ موبذان، وكتاب أدب الحرب وتوقيعات كسرى.

وقد استقى المؤلّفون تاريخ الفرس من الكتب التي ترجمها ابن المقفّع وغيرُه، فالمسعودي يذكر أنّه قرأ بمدينة إصطخر سنة 303 هـ، كتابًا عظيمًا فيه من أخبار ملوك الفرس وسياساتهم وأحوالهم، ما لم يجدْه في كتبهم التي قرأها من قبل مثل خداينامه وآيين نامه وكهنامه ... كما أنّ حمزة الإصفهانيّ عدّدَ ثمانية كتب في تاريخ الفرس، استمدّ منها ما كتبه في تاريخه، ومنها كتاب سِيَر الملوك، ترجمة ابن المقفّع.

كما أنّنا نجد في كتاب التاج[24]، المنسوب إلى الجاحظ اقتباسًا كثيرًا من نظم الفرس وعاداتهم وتقاليدهم قبل الإسلام، يخالطه اقتباسٌ عن المأثور عن العرب في الجاهليّة والإسلام.

في هذا السّياق لا بدّ لنا من ذكر الدّور الذي أدّته مدرسة جنديسابور وعلماؤها في تلك المرحلة التاريخيّة. أسّس هذه المدرسة كسرى أنو شروان في النصف الثّاني من القرن السادس الميلاديّ، وكانت مدرسة زرادشتيّة توافد إليها العلماء الهاربون من اضطهاد البيزنطيّين، من أثينا والرها وسائر المراكز، وكان معظم أساتذتها من المسيحيّين النسطوريّين[25]، وكان أنوشروان معجبًا بالثّقافة اليونانيّة الرومانيّة، فرحّب بالفلاسفة الذين تشتّتوا بعد أن أغلق يوستنيانوس الهياكل والمدارس في أثينا... امتزجت في جنديسابور الثّقافات المتنوّعة من يونانيّة وسريانيّة وفارسيّة وهنديّة، وبقيت السّريانيّة لغة التدريس فيها واشتُهرت بالفلسفة والفلك والطّبّ.

ومن المرجّح أنّ اللّغة العربيّة كانت معروفة في جنديسابور، قبل فتح العرب المدينة لقربها من الحِيرَة المدينةِ العربيّة المشهورة. في كلّ الأحوال، كان الأطباء في هذه المدرسة يستخدمون اللّغتين العربيّة والفارسيّة في العصر العباسيّ، كما يشهد على ذلك ما يرويه ابن أبي أصيبعة عن جورجيوس رئيس أطباء جنديسابور، عندما التقى بالخليفة المأمون، وخاطبه باللّغة العربيّة وباللّغة الفارسيّة.[26]

من أهم كتب الحِكم والأمثال الفارسيّة، التي أثّرت في الأدب العربيّ، كتاب بندنامه بزرگمهر [مواعظ بزرجمهر]، وكتاب خداينامه [سيَر الملوك]، وتاجنامه [كتاب التاج]، وآيين نامه [النظم]، والقصص الرمزيّ لا سيّما كليلة ودمنة، الذي ترجمه ابن المقفّع ليُصلح انحراف الخليفة المنصور، وهو يرجو أن يقرأه الخليفة فيعدِل عن غِيّه، وأن يقرأه الشعب فيغضب لظلمه، وإن كان ظاهرَ الكتاب اللهو والتسلية, وقد اهتمّ الأدباء واللغويّون بـ كليلة ودمنة، ونقلوا منه حكايات وأمثالًا، كابن قتيبة في عيون الأخبار أو ألّفوا على منوالها كما حُكي عن كتاب القائف للمعريّ، الذي لا يزال مفقودًا، وكتاب ابن الهبّارية في الشّعر، الصادح والباغم، الذي طُبع عدّة مرّات، وغيرهما.[27]

كما ذكرنا من قبل تأثّر أدباء العربيّة شعراء وكتابًا في العصور العبّاسيّة بالخصائص الفنيّة للحِكَم والنصائح والوصايا المترجمة من الفارسيّة[28]. ولمّا ضاع أصل هذه الحكم، عاد الكتّاب والشّعراء الإيرانيّون بعد القرن الرابع الهجريّ ونقلوها إلى الفارسيّة.

وإن كان بعضُ المصنّفين والكتّاب المتأثّرين أو المقتبسين، قد أعرضوا عن ذكرِ مصادر مادتهم المقتبسة، فإن هنالك من كان يصرّح أحيانًا باسم الكتاب الفارسيّ الذي نقل منه مادته، كقول ابن قتيبة: "وقرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه"، أو "قرأت في كليلة ودمنة".[29]

ويذكر الكاتب أحيانًا أنّه أخذ مادّته من كتاب للعجم من دون تحديد لكتاب بعينه، ومثل هذا المسلك غيرُ قليل في مؤلّفات الجاحظ[30] وابن قتيبة.[31]

ينقل الكاتب أحيانًا حكمة فارسيّة قائلًا: كانت الحكماء من الفرس تقول: كذا... أو كقول الجاحظ: قيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسيّ[32]. أي شيءٍ للعيّ؟...إلى آخر القصة المعروفة...

وكان من صور تعامل المصنفين مع المقتبسات من المصادر الفارسيّة في العصور العبّاسيّة، أنّهم كانوا يأخذون نصًّا أو رسالةً – وأحيانًا– كتابًا فارسيًّا، فيضمّون إليه مطالب ومقتبساتٍ عربيّة في الغرض ذاته، وذلك ما فعله ابن مسكويه في كتابه: أدب الفرس والعرب، الذي ألّفه على أساس رسالة فارسيّة هي "جاويدان خِرَد" [الحكمة الخالدة]، ثم أضاف إليه موادَّ ثقافيّةً ذاتَ مصادرَ فارسيّةٍ وهنديّةٍ ورروميّةٍ وعربيّة.

ما يمكن أن نلاحظه بالنّسبة إلى المصطلحات التي استُخدمت في التّرجمة في العصر العباسيّ، هي أنّ ما تُرجِم مباشرةً من الفارسيّة بالعربيّة، بحث المترجمون عن معادله العربيّ كما لاحظنا بالنّسبة إلى عناوين الكتب التي ذكرناها، أو أنّهم عرّبوا اللفظة الأجنبيّة نفسها قبل أن يُدركوا أنّ لديهم لفظةً معادلةً لها، كما جرى بالنّسبة إلى لفظة "فيلوزوفيا" أو "فيلوصوفيا" اليونانيّة التي عُرّبت "فلسفة"، وخضعت لنظام الاشتقاق العربيّ، علمًا أن لفظة "الحكمة" كان يمكن أن تكون معادلًا مناسبًا لها[33].. في كلّ الأحوال إنّ الأطوار المتعدّدة التي مرّت بها حركة ترجمة الفلسفة في القرنين الثالث والرابع الهجريّين[34]، إنّما تعبّر عن التخبط الذي رافق هذه العمليّة في المرحلة الأوّلى، لا سيّما أنّ ترجمةَ الفلسفة كانت تتمّ من اليونانيّة إلى السريانيّة فالعربيّة، فضلًا عن التّأثير السلبي لضعف سليقة المترجمين السريان باللسان العربيّ، وتجاهل مضمون العقيدة الإسلاميّة، أمّا المرحلة الثّانية أو الطور الثّاني من أطوار التّرجمة فيتمثّل بحركة تنقيح النقول الواسعة التي دخل فيها بعض المترجمين وفلاسفة الإسلام، حيث إنّهم قاموا بإصلاحها بما يتلاءم، على قدر الإمكان ومقتضيات مجال التداول الإسلاميّ العربيّ؛ وبات بمقدور المترجمين أن يصحّحوا الكتب التي ترجمها من سبقهم، كما ذكر حنين بن اسحق أنّه حين ترجم كتاب جالينوس في علم بقراط بالتشريح، هذ الكتاب الذي كان أيوب الرهاوي قد ترجمه من قبل، بالغ هو (أي حنين)، في تلخيصه، وقال بشأن كتاب تشريح آلات الصوت المنسوب إلى جالينوس، إنّه لخّصه بأجود ما أمكنه..[35]

لقد كان الغالب على التّرجمة العربيّة للفلسفة اليونانيّة، أنّ لغات مختلفة (السريانيّة والفارسيّة) توسطّت فيها توسّطًا أثّر تأثيرًا سيّئًا في العلم بمضمون هذه الفلسفة: أوّلًا التوسط السريانيّ الذي استند إلى الاشتراك في الأصول اللغويّة التي تجمع بين اللسان العربيّ واللسان السرياني، فضلًا عن أنّ اللسان السرياني كان قد حصّل بفضل سبقِه إلى ممارسة النّقل على عدّة إصطلاحيّة وحصيلة تركيبيّه تفيدان اللسان العربيّ في إنشاء لغة فلسفيّة تقنيّة خاصّة به لما بين اللسانين من تقارب في الأصول... كما أنّ اللّغة

الفارسيّة هي الأخرى توسّطت في نقل الفلسفة اليونانيّة إلى العربيّة، وإن كانت سعة هذا التوسّط أقلّ بكثير من سعة نظيره السرياني، فقد أوردت بعض المصادر أنّ ترجمات جزءٍ من كتب المنطق، مثل كتاب المقولات وكتاب العبارة ، وكتاب التّحليلات والمدخل إلى المنطق، تمّت من الفارسيّة بالعربيّة، فمعلوم أن جملة من الكتب الفلسفيّة اليونانيّة نُقلت إلى الفارسيّة وعملت على تكوين روح التفلسف بين الفرس، نجد آثارها في المصطلحات التي تمّ تعريبها مثل الجوهر "گوهر"، غير أنّ هذا النّقل الفارسيّ لم يثبت حصولُه رأسًا من اليونانيّة، بل يجوز أن تكون اللّغة السريانيّة قد توسّطت فيه، حتّى وإن كان هنالك من نقل من اليونانيّة إلى العربيّة مباشرة، فمن غير المستبعد أن يكون قد استعان بالنقول السريانيّة التي تدخل في المجال العلمي للنصّ الأصلي الذي يباشر نقله إلى العربيّة، سواء سبق أن ترجمها هو بنفسه أو ترجمها غيره، فيحاكي أشكالها وطرائقها ويستمدّ من مصطلحاتها وتراكيبها، لا سيّما وأنّ الحاجة ماسّة إلى الاستفادة من احتكاك اللّغة السريانيّة الطويل باللّغة اليونانيّة، هذا الاحتكاك الذي أثمر في ما بعد لغةً تقنيّةً لا يمكن إلاّ أن تنتفع بالنسج على منوالها اللّغة العربيّة، التي تشارك السريانيّة في بعض خصائص بناها اللسانيّة.[36]

يُستنتج من قول "أبي حيان التوحيدي" "أنّ اللّغات تتباين فيما بينها، اصطلاحًا وتركيبًا"[37]، و"أنّ النقول أضعف من الأصول مبنًى ومعنًى"[38]، أنّه يلمّح إلى الانحرافات التي دخلت على التّرجمات بسبب هذا التوسط، وعدم وجود معجم ثابت للمصطلحات الفلسفيّة معروفةٌ مصادرُه وأصحابه...

أوّل تلك التّرجمات من اليونانيّة التي كانت معقّدة بالعربيّة ويصعب فهمها، هي نسخة ميتافيزيقيا أرسطو، والذين درسوا هذه التّرجمات أشاروا مثلًا إلى أنّ أرسطو يستخدم كلمة "eidos"، اليونانيّة لتعني "الصيغة" (في حين إنّ الصيغة تتكوّن من "الشكل" و "المادة"، وأيضًا، تعني "النوع" (حين نقول إنّ الصيغة تتكوّن من "الشكل" و "المادة")، وأيضًا، لنعني "النوع" (حين نقول إنّ الإنسان نوع من "أنواع" الحيوان)، لكن في العربيّة هناك كلمتان منفصلتان للتعبير عن هذين المعنيين هما ("الصورة" و"النوع"). ونتيجة لهذا كان على المترجمين بالعربيّة كلما صادفوا كلمة "eidos"، أن يقدّروا أيًّا من هذين المعنيين كان يدور بخَلَد أرسطو (وإن كان الأمر واضحًا في بعض الأحيان، لم يكن كذلك في أحيان أخرى)[39]. ولمثل هذه الأسباب عكف الكندي على تصحيح ترجمات أفلاطون.

أمّا المصطلحات التي دخلت العربيّة بكثرة بسبب اختلاط العرب بالفرس، لا سيّما في الحواضر الكبرى في العصر العباسيّ فتلك المصطلحات التي رأينا مثيلاتها في القرآن والشّعر الجاهلي، قد تجاوزت ذلك إلى كلّ ما له علاقة بعلم النبات والزراعة، والأسماء والأعلام والمصطلحات المنزليّة والموسيقيّة ومصطلحات الطبخ والأطعمة، وعلم الحيوان..

إنّ مراجعة سريعة لمعجم البلدان مثلًا تعطينا فكرة عن الأسماء الفارسيّة المعرّبة التي أُطلقت على المدن الإيرانيّة بتبديلٍ بسيط في بعض حروفها، كما أنّ بعض المدن في العراق اكتسبت أسماء فارسيّة معرّبة، وقد عرّب العرب المئات من أسماء البلدان ومنها مدائن كسرى السبع التي فُتحت أيّام عمر بن الخطاب (رض)، مثلًا عرّبوا "توسفون" "الطيسفون"، و"هنبوشابور" "جنديسابور"[40]، و"سگستان" صارت "سجبستان"[41]، و"شيروان" صارت "سيروان"[42]، و"گرگان" صارت "جرجان"..

أما "انو شيروان" فقد صار اسمه "انو شِروان"، و"بهرام گور" صار "بهرام جور"، و"شابور" صار "سابور"، و"كاوْوَس" صار "قابوس"، و"خسرو" صار "كسرى" و"يزد گرد" صار "يزدجرد"...

ومن المصطلحات الموسيقيّة التي كان بعضها قد ورد في شعر الأعشى[43]، وتكرّر ورودها في العصر العبّاسي، "البَرْبط"، وهو تعريب "بَرْبت"، و"الصّنج" معرّب "سنج"، أو "چنگ" و"الطَّنبور" و"الطّنبار" معرّب "تنبور" وأصلها "دُنَه بَرَه" إليَة الحمل على سبيل التشبيه، و"السيكاه"[44] لحن موسيقي هو في الفارسيّة "سِه گاه"، و"الصُرناية" معرّب "سُرنا"[45]، و"الكمنجة" معرّب "كمانچه".[46]

من بين الألفاظ الدخيلة المعرّبة التي وردت في كتاب البخلاء[47]، للجاحظ يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر: المَرْوزي (ص17)، كوز الخزف، مسرجة خزف (ص20)، الذهب الإبريز (ص21)، قلنسوة (22)، السِّكباح والطُّبارهج (اللحم المقلي ص 23) ، الشاذرْوان (ص 24)، الآيين (بمعنى القواعد والقوانين)، (ص 25 و97 وغيرهما)، مهرَويه (ص 26 اسم شخص).

الآريّ (كوخ يُبنى للحيوان ص 27)، المكّوك (أداة للوزن ص 30)، الدرهم والقيراط والجريب [لقياس الأرض ص 31]؛ الفانيد والخزيرة (حلوى، ص 31)، المرقشيشا (حجر القدّاحة ص 32)، الكيران جمع كير (ص33)؛ أرزن (ص35)؛ جوارِشْن (مهضّم ص 35)، خوان النرد أو تخت النرد وخوان الخبز (ص36)، بَرْنكان (الجبّة، ص 36)؛ البِرْسام (ضربة الشمس، ص 38)...

والأمر على هذا النّحو إن نحن تصفحنا كتبًا أخرى مثل ديوان الأدب للفارابي[48]، ومعظم نتاج ذلك العصر، نثرًا أو شعرًا.

الملاحظ في المرحلة الأوّلى من التفاعل، أنّ العرب استخدموا المصطلحات الأجنبيّة، بعد أن أخضعوها لأنظمة تلفّظ العربيّة، وأوزانها.

استخدموا للخمرة الباذِق[49] تعريبًا لـ "باده" الفارسيّة وصرّفوها كما يُصرّفون اللفظ العربيّ الأصيل، والبياذقَة: الرجالة، والبيذق حجر الشطرنج، وقال المتنبي:

أبَذرِق ومعي سيفي، وقاتل حتى قتل، والبذْرقَة= الخُفارة، تعريب بدرقة بالفارسيّة..

وقالوا الدهقان وأصلها "دِهْگان" مالك الأرض، وجمعوها: الدهاقنة؛ وعرّبوا الأعياد الفارسيّة واشتقوا منها أفعالًا ومصادر: فقالوا النيروز "نوروز" وقالوا نورزنا، والسّدق والسذَق[50] (تعريب سَدَه أحد أعياد الفرس)، ومهرجان[51]، (تعريب مهرگان، أحد أعياد الفرس)، وقالوا مَهْرَجَ وتَمَهْرَجَ، واخذوا لفظة "مُهرْ" (الخاتم بالفارسيّة) وبنوا منه فعلًا، وقالوا مَهَرَ، وربما جاءت لفظة المَهْر بمعنى الصُّداق من مِهْرْ (أي المحبّة والعلاقة الخالصة).. واستعملوا لمائدة الطعام لفظة "الخُوان"[52]، وجمعوه الأخوِنة ولفظة "الطاجن"[53]، معرّب "تاپه"[54]، والجوزَينَق[55]، (حلوى معرّب "گوْزينة" والفالوذَج[56]، والفالوذَق (نوعٌ من الحلواء معرّب "پالوده"، وجمعوه الفواليذ..

وحتمًا الدخيل من الألفاظ، كان كثيرًا جدًّا، وهدفنا ليس إحصاء المصطلحات الدخيلة، وإنّما تقديم نماذج عنها.

إنّ أدلّة التمييز بين الألفاظ المعرّبة والعربيّة كثيرة أبرزها أن ينقل إلينا أحد أئمة اللّغة العربيّة، أنّ اللفظ أعجميّ معرّب؛ خروج وزن اللفظ عن أوزان الأسماء العربيّة؛ أن يكون أوله نونًا ثمّ راءً، فإنّ ذلك لا يكون في كلمة عربيّة؛ أن يكون آخره زايًا بعد دال؛ أن يجتمع فيه الصاد والجيم، أو القاف والجيم؛ أن يكون رباعيًّا أو خماسيًّا عاريًا من حروف الذَلاقة وهي(الباء والراء والفاء واللام والميم والنون)...

أختم بالقول إنّ اللّغة العربيّة التي نحبّها إلى درجة التقديس لأنّها لغة القرآن الكريم آخر الرسالات السماويّة، كانت كالناطقين بها منذ أقدم العصور على صلة بغيرها من اللّغات، أخذت وأعطت، وكان ما أعطته لغيرها أكثر أخذت حين صارت لغة الدين الذي آمنت به شعوبٌ تختلف لُغاتُها اختلافًا جذريًّا عن العربيّة، وهي أخذت من اللّغات الأخرى، ما كان ينقصها، وأخضعته لأنظمتها الصوتيّة والصرفيّة، حتى ليظنَّ من لا يعرف أصول تلك الألفاظ أنّها عربيّةُ الأصل، حوّلوا الفيلاصوفيا اليونانيّة إلى فلسفة وصاغوا منها فعلًا وقالوا فلسف وتفلسف، وأخذوا گوهر الفارسيّة، ولفظوها "جوهر" وقالوا جوهرة ومجوهر وتجوهر، ووسّعوا معاني تلك الألفاظ، ولو ساروا على هذا المنوال وقالوا تلفون وتَلفنَ وتلفنةً، لكان تعبيرهم هذا أولُ على الفعل من هتف وهاتف... ولمّا صدّروا هم الحضارة العلميّة في العصر العبّاسيّ انتقلت تسمياتهم للعلوم والرياضيات والاختراعات، إلى لغات العالم، وما اخترعه الخوارزميّ صار Algoritme؛ على سبيل المثال...

ولا مانع اليوم من تعريب أسماء ما لم يخترعه العرب بأنفسهم وإخضاعه لنظام العربيّة الصرفيّ، كأن يقولوا فَسبَك وفيسبوك وفسبكةً، أو أن تعكف مجامع اللّغة العربيّة وتتفق على لفظ واحد مناسب، كما اتفقوا على "التقنيّة" و"التِّقانة، وما شابه، لا أن يستخدم المغاربةُ مُصطلحًا والمشارقةُ مصطلحًا آخر، لتبقى الفصحى لغة موحّدة، صامدةً في وجه الأعاصير، كما صمدت بفضل القرآن، بعد خروجها من الحجاز إلى أنحاء الدنيا...

لائحة المصادر والمراجع

المصادر

1- فضلاً عن القرآن الكريم

2- ابن دريد، جمهرة الأدب، تحقيق سالم الكرنكوي، حيدر آباد الدكن، لا ط، 1344 هـ.

3- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 2،2007 م.

4- الفيروز آبادي، مجد الدين محمّد، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، لا ط، 1324هـ.

المراجع العربيّة

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1882 م.

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار البلاغة، بيروت، لا تا.

3- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة للنشر، 1961.

4- ابن قتيبة، عيون الأخبار، بيروت، دار الثقافة للنشر، لا تا.

5- ابن النديم، الفهرست، نسخة مصورة عن طبعة طهران، تحقيق رضا تجدد، 1970 م، وطبعة مصر، لا تا.

6- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمّد الطيّان، ويحيى العلم، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، لا تا.

7- ابن سينا، كتاب النجاة، تقديم ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لا تا.

8- ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه محمّد الضنّاوي، دار الكتب العلميّة، بيروت ط 1، 1999.

9- ابن مَسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد (421 هـ) الحكمة الخالدة (جاويدان خِرَد)، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1982 م.

10- ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الساتر فرج، ط 2، دار المعارف بمصر، لا تا

11- ابن المقفّع، كليلة ودمنة، و الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر، بيروت، 1964.

12- ادى شير، الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، الطبعة الثامنة، 1987.

13- آرنولد توماس، تراث الإسلام، تعريب جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، 1972 م.

14- أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا ط، للا تا.

15- الأخويني البخاري، هداية المتعلمين في الطب، منشورات جامعة الفردوسي، مشهد 1371 ش [1992م].

16- البستاني بطرس، دائرة المعارف، بيروت، لا تا.

17- البلعمي، أبو علي محمّد بن محمّد، تاريخنامه طبري [تاريخث البلعمي]، تصحيح محمد روش، طهران، منشورات نو، 1366 ش[1987م]، مج 1.

18- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت 1968.

19- الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب التاج ، المنسوب إليه، تحقّيق وتقدّيم فوزي عطوي، الشركة اللبنانيّة للكتاب، بيروت- لبنان، 1970.

20- الجاحظ، عمرو بن بحر، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، سلسلة ذخائر العرب 23، دار المعارف بمصر، لا تا.

21- حتّي، فيليب، وآخرون، تاريخ العرب، بيروت، دار الكشّاف، ط 12، 2007.

22- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصريّة، 1965 – 1966.

23- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، لا ط، لا تا.

24- الخوارزمي، محمد بن موسى، كتاب الجبر والمقابلة، ط 1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968 م.

25- دائرة معارف العالم الإسلاميّ، الترجمة العربيّة، إشراف غلامعلي حداد عادل.

26- الرازي، أبو بكر، الطب الروحاني، تقديم عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، 1978.

27- شكري فيصل، المجتمعات الإسلاميّة، دار العلم للملايين، بيروت 1966م.

28- شوقي، ضيف، تاريخ الأدب العربيّ، (العصر العباسيّ الأوّل)، ط 4، دار المعارف، القاهرة، 1966.

29- شيخو، لويس، وآخرون؛ مقالات فلسفيّة، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1911.

30- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط 4، 1965 م.

31- الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ليدن، 1881 م.

32- طلس، محمّد أسعد، تاريخ العرب، بيروت، دار الأندلس، ط 3، 1983 م.

33- عبّاس، دلال، القرآن والشعر، دار المواسم، بيروت 2010.

34- عبّاس، دلال، بها الدين العاملي أديبا وفقيها وعالما، دار الحوار، بيروت، ودار المؤرخ، 1995.

35- عبد الرحمن، طه، فقه الإسلام، مج 1، المركز الثقافي العربي، ط 2، بيروت، 2000.

36- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، دار الأندلس، ط 2، 1945م.

37- عبد اللطيف، حمزة، ابن المقفّع، دار الفكر العربيّ، ط 3، 1965 م.

38- عبد النور، جبّور، المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1984م.

39- العرفي، محمّد، لباب الألباب، تصحيح إدوارد براون، ليدن، بريل، 1354 هـ/ 1906م.

40- الفارابي، ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار العمر، مراجعة د. ابراهيم أنيس، القاهرة، لا تا.

41- فيصل، شكري، المجتمعات الإسلاميّة، دار العلم للملايين، بيروت 1966م.

42- كفافي، محمّد،وآخرون؛ تراث فارس، بيروت، لا تا.

43- محقق، حسين، الكلمات العربيّة المستعملة في اللغة الفارسيّة باللغة العربيّة، الكويت، لا مكا، لا ط، 1978م.

44- محمدي، محمّد، الترجمة والنقل عن الفارسيّة في القرون الإسلاميّة الأولى، كتب الآيين والتاج، منشورات قسم اللغة الفارسيّة وآدابها في الجامعة اللبنانيّة، بيروت، 1964م.

45- المسعوديّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلاّ، منشورات الجامعة اللبنانيّة، 1966 م.

46- مصاحب، دائرة المعارف الفارسيّة، طهران، أمير كبير، 1381ش [2002م].

47- الميداني، أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط 2، لا تا.

48- الهروي، جواد، موفق الدين علي، الأبنية عن حقائق الأدويّة، تصحيح أحمد بهمنيار، مقدمة حسين محبوبي الأردكاني، طهران، منشورات جامعة طهران، 1346 ش، [1967م].

49- هلال، محمّد، غنيمي، الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لا تا.

50- مجلّة الثقافة العالميّة، السنة الرابعة والثلاثون/ مايو – يونيو 2016، العدد 193.

المصادر والمراجع الفارسيّة

1- أسدي، طوسى، أبو منصور أحمد بن علي، لغت فرس، تصحيح فتح الله مجتبائي، وعلى أشرف صادفي، طهران، منشورات خوارزمي، ط 30، 1365ش، [1986م].

2- پادشاه، محمّد، آنندراج- فرهنگ جامع فارسى [المعجم الفارسي الجامع]، إشراف محمّد دبير سياقي، طهران، منشورات خيام، لا ط، 1336ش، [1957م].

3- خلف تبريزي، محمّد حسين، برهان قاطع، تحقيق محمّد معين، طهران، منشورات امير كبير، ط 40، 1361ش، [1982م].

4- دهخدا، علي أكبر، لغت نامه دهخدا، [معجم دهخدا]، تحقيق محمّد معين، وسيّد جعفر شهيدي، طهران،

5- منشورات جامعة طهران، ط 2، 1377ش، [1998م].

ويشرئّب عرف الديك مستطلعاً أحوالنا / فنطمئنه : كل ما حولنا في سبات عميق حتى يغير الله سبحانه الحال الى غير حال ...

كيفية التخلص من الأدوية المنتهية الصلاحية، وبقايا الأدوية المنزلية المستعملة

بقلم د. كاظم نورالدين

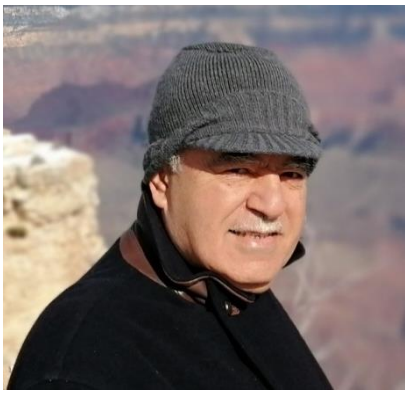

تمهيد

بلغت حوادث التسمم عن طريق الخطأ Unintentional Poisonings الناجمة عن تناول الأدوية في المنزل، (في الولايات المتحدة وحدها، في عام 2007) أكثر من ربع مليون حالة(وفق ما تم تبليغه لمراكز مكافحة التسمم Poison Control Centers بالولايات المتحدة)، ولذا تعد الأدوية من المصادر الرئيسية للتسمم المنزلي عن طريق الخطأ..

كذلك لاحظت إحدى الدراسات أمرًا مهمًا ومثيرًا للدهشة، هو أنه في حالات تسمم الأطفال بالأدوية عبر تناولها عن طريق الخطأ، تمت ملاحظة وجود 45 % من الحالات سببها عدم حفظ الدواء في أوعية مقاومة للأطفالChild – Resistant Containers ، أي التي يُفترض أن تعمل بطريقة لا يتمكن الطفل معها من فتح عبوة الدواء! وهو ما يجعلنا نشك حول حقيقة فاعلية وجدوى تلك العبوات في منع حصول حالات تسمم الأطفال بالأدوية المحفوظة فيها.

ونظراً لعدم إلمام السكان في المجتمعات، فإن معرفة وسيلة وكيفية التخلص من الدواء هي إحدى المعلومات المهمة التي ينبغي للصيدلي ذكرها لمتلقي العلاج الدوائي عند تسلمه له، كما ينبغي للمريض سؤال الصيدلي عن هذا الأمر حال عدم ذكره له.

ماذا يعني تاريخ انتهاء صلاحية الدواء؟

تاريخ انتهاء صلاحية الدواء تضعه الشركة المنتجة، لأنه بمثابة تحديد قانوني لآخر يوم تضمن فيه فاعلية منتجها، ضمن ظروف الحفظ التي تذكرها في شهادة التعليمات المرفقة عادة. وهو ما ينطبق على الأدوية المصروفة بوصفة طبية، والأخرى التي تُباع دونما الحاجة إلى تلك الوصفة من طبيب. وقد صدرفي العام 1979 قانون إلزام شركات الأدوية في الولايات المتحدة بوضع تاريخ انتهاء الصلاحية.

ويتم تحديد هذا التاريخ وفق معايير إدارة الغذاء والدواء، بناء لاختبارات تُجريها الشركة المنتجة على ثبات مكونات الدواء الكيميائية، وتتراوح المدة غالبًا بين 12 و60 شهراً من لحظة الإنتاج(تختلف بين منتج وآخر). وهذا التاريخ يسري الإعتماد عليه حينما تكون عبوة الدواء غير مفتوحة، أي بإغلاق الشركة المنتجة، وحال فتح عبوة الدواء، مثل الأقراص، أو الكبسولات الدوائية الموضوعة في عبوة بلاستيكية، أو الدواء الذي على هيئة شراب سائل، فإن تاريخ الصلاحية يتغير بالكلية ولا تُستخدم عبارة Expiration Date بل تستخدم عبارة «يُستخدم قبل تاريخ كذا Beyond – Use Date «أو عبارة «لا تستخدم بعد تاريخ كذا Do Not « Use Afterأو «تخلّص من الدواء بعد تاريخ كذا .Discard After «وتنصح هيئة وضع معايير الأدوية في الولايات المتحدة United States Pharmacopeia باستخدام العبارة الأولى من بين العبارات الثلاث المذكورة.

وعلى سبيل المثال، قد تصبح المدة أسابيع بالنسبة للشراب، أو بضعة أشهر بالنسبة لأقراص الدواء، ولذا فإن أقراص أو كبسولات الدواء التي تصرفها الصيدلية في المستشفى وتضعها في علبة بلاستيكية ذات غطاء، تختلف في تاريخ انتهاء الصلاحية للدواء نفسه عند وضعه في كيس بلاستيكي لا غطاء محكماً له، وكلاهما يختلف عن تاريخ انتهاء الصلاحية للأقراص نفسها في عبواتها الأصلية التي أتت من الشركة المنتجة، وعليه يتعين على المريض ملاحظة هذه الأمور وسؤال الصيدلي عن ذلك.

ترى الرابطة الأميركية للطب American Medical Association أن فاعلية كثير من الأدوية هي بالفعل أطول من تاريخ الصلاحية المكتوب على عبوة الدواء، ومن هذا تفرع برنامج تمديد مدة الصلاحية Shelf Life Extension Program، الذي يُختصر بـ«SLEP»، بالاتفاق مع إدارة الغذاء والدواء الأميركية، وتابع البرنامج 122 نوعاً من مختلف أنواع الأدوية، وتبين أن 88 % منها بقيت فاعلة لمتوسط مدة نحو6 أشهر بعد انتهاء تاريخ الصلاحية المكتوب على عبوة الدواء. وكان من نتائج هذا البرنامج بعد ذلك تمديد مدة الصلاحية المكتوبة على عبوات أنواع عدة من الأدوية. ولكن يبقى من الصعب جدًا على المريض تمييز هذه الأمور في أنواع الأدوية المختلفة، ولذا يُطلب من المرضى الالتزام بالتاريخ المكتوب فقط، ضمانًا لسلامتهم ولفاعلية معالجتهم.

انتهاء الصلاحية

إن التعامل السليم مع كميات الأدوية المنتهية الصلاحية Expired Medicines يتطلب إدراك عدد من الجوانب المهمة لضمان سلامة المرضى وسلامة البيئة، وثمة عدد من العناصر التي يتم بموجب اتباعها تحقيق هذين الأمرين.

وفق إصدارات إدارة الغذاء والدواء، فإن استخدام الأدوية المنتهية الصلاحية تصرّف خطر، وقد يُؤدي إلى أضرار صحية، لذلك لا توجد ضمانات بأمان استخدام الدواء بعد تجاوز تاريخ الصلاحية. وعند وجود دواء منتهي الصلاحية يجب أن تتم عملية التخلّص منه بطريقة سليمة، وحينما لا تتوفر على العبوة إرشادات التخلص من الدواء، فإن ثمة برامج (في بعض الدول) لاسترجاع الأدوية بطريقة سليمة للتخلص منها، وحينما لا تتوفر بقرب المرء تلك الخدمة، فإن بعض أنواع الأدوية يُمكن التخلّص منها بوضعها في أكياس بلاستيكية محكمة الإغلاق، ورميها ضمن النفايات المنزلية، وبعضها يُنصح بالتخلص منها في المرحاض. وتفيد الإدارة المذكورة بأنها بدأت في سبعينات القرن الماضي مطالبة شركات إنتاج الأدوية بوضع تاريخ انتهاء الصلاحية على الأدوية التي تُصرف بوصفة طبية والأدوية التي تباع دونما الحاجة إلى وصفة طبية. وتشدد على أن تاريخ انتهاء الصلاحية المكتوب على عبوة الدواء جزء مهم في تحديد ما إذا كان المنتج الدوائي آمنًا للاستخدام، وسيعمل كما يُفترض.

ومن الضروري للمريض قراءة هذه المعلومة والالتزام بها. ذلك أن الأدوية المنتهية الصلاحية قد تكون أقل فاعلية أو خطرة نتيجة حصول تغيرات في تراكيبها الكيميائية، أو انخفاض فاعليتها الدوائية. كما أن التخزين غير السليم وغير المطابق لمتطلبات حفظ نوع الدواء، مثل الرطوبة و الحرارة في الغرفة.. وغيرها، لأن هذه العوامل تُسهم في خفض فاعلية الدواء قبل بلوغ تاريخ انتهاء صلاحيته، ولذا ولضمان صحة الاعتماد على تاريخ انتهاء الصلاحية، ينصح بحفظ الدواء في الظروف الملائمة لذلك، والتي عادة ما تسجّل في شهادة المعلومات.

تعتبر بداية السنة فترة مناسبة لإلقاء نظرة على جميع الأدوية الموجودة لدى الاسرة ، للتعرف على الأدوية التي يجب التخلص منها ، إما بسبب أنها أصبحت قديمة جداً ، أو أننا لم نعد بحاجة اليها .

عادة ما يتم شرح وقت التخلّص من الدواء على علبته (إما بانتهاء الصلاحية أو بعد الفتح بشهر وغيرها...)' أما في الأدوية اللاوصفية، والعينات المجانية . سوف نجد تاريخ الصلاحية مطبوع أو محفور أسفل العلبة أو على جنبها وكذلك على حافة أنابيب المراهم والكريمات، ويرمز لها ب(Exp)، وأما الأدوية التي لا يوجد عليها تاريخ صلاحية ولا نعرف تاريخ شراءها ، الأفضل التخلّص منها فوراً ودون تردد.

نذكّر أن طريقة حفظ الأدوية تؤثر على صلاحيتها وبالتالي تفقد فعاليتها . فحفظها في مكان رطب وحار ، قد يجعلها تفقد صلاحيتها حتى لو لم ينته تارخ الصلاحية ، وهذا اذا لم تتحوّل الى مواد سامة . مثلاً "التتراسكليت" (مضاد التهابات)، عندما تنتهي صلاحيته يسبب مشاكل خطيرة تؤثر على الكلى .

بعض الأشخاص بتخلصون من الأدوية المنتهية الصلاحية بواسطة "السيفون"، حرصاً على أن لا يتسمم بها اطفالهم عندما يجدونها في سلة المهملات، ولكن لاينصح بذلك لأنها قد تضر بالنباتات التي تسقى بماء المجاري ، وبالتالي تسبب ضرراَ بالحيوان و الانسان تباعاً.

لكي نتخلّص من الأدوية القديمة بأمان ، علينا أن نحرص على الأخذ بالنصائح التالية :

- عدم رمي الأدوية في سلة المهملات لكي نحمي الأطفال من التسمم بها.
- نتخلص من جميع الأدوية في علبها الاصلية ونحرص على أن تكون العلب محكمة الاغلاق، ولاننثر الأقراص نثراً.
- نضع زجاجات الأدوية السائلة المتبقي فيها كمية من الدواء في أكياس بلاستيكية ، ونربطها جيداً كي لايتسرب الدواء في حال انكسار الزجاجة .
- نضع جميع الأدوية المطلوب التخلص منها في حاوية مهملات مغلقة .
- نسارع الى التخلّص من محتويات سلة المهملات المنزلية المحتوية على الأدوية بنقلها الى الحاوية الموجودة في الشارع ، ليتم تفريغها من قبل عمال النظافة .

متى يتم التخلص من الأدوية وكيف؟

يلعب الدواء دورًا مهمًا في معالجة الأمراض، وحينما لا يُحتاج إليه أو عندما يبلغ تاريخ انتهاء الصلاحية له، فإن التخلص السليم منه يُقلل من احتمالات حصول حوادث إساءة الاستخدام، سواء تناولها بالخطأ من قبل الصغار أو البالغين أو تناولها قصدًا لغير ما صُرفت له. وثمة عدة خيارات لإتمام التخلص من الدواء بطريقة سليمة يُمكن المرء من خلالها أن يُحقق ذلك، نذكر منها :

– إرجاع الدواء المنتهي الصلاحية،او بقايا الأدوية ، بأسرع ما يُمكن ودون تأجيل بلا داع، إلى المستشفى، او الصيدلي أحد أفضل الطرق للتخلص السليم التي تساهم في خفض احتمالات إساءة استخدامه. وتتوفر في كثير من المستشفيات برامج استرداد أدوية المرضى تلك، وهي من ضمن مسؤولياتها.
– للتخلص المنزلي، حينما لا تتوفر للمرء تلك الخدمة ، فإنه وفق إرشادات إدارة الغذاء والدواء الأميركية، هناك بعض أنواع الأدوية التي يُمكن التخلص منها عبر طريقة التخلص المنزلي ضمن النفايات المنزلية، وذلك وفق اتباع الخطوات التالية:

* خلط أقراص وكبسولات الأدوية، دون كسرها أو طحنها، مع مواد غير مستساغة وغير متقبلة للتناول مثل الأوساخ أو بقايا القهوة المطحونة.
* وضع الخليط في وعاء مثل كيس بلاستيك وأحكام إغلاقه.

* ألقِاء ذلك الكيس ضمن الزبالة المنزلية.

* أزالت ومسح كل المعلومات الشخصية، مثل الاسم والرقم الطبي عن عبوات الأدوية قبل إلقائها مع الزبالة المنزلية.

وتتضمن هذه الإرشادات أمرين:

الاول : حفظ المعلومات الشخصية الطبية مثل نوعية الأدوية التي يتناولها المريض لعلاج أمراض معينة لديه.

الثاني : جعل الدواء الملقى في النفايات غير قابل للتناول عن طريق الخطأ من قبل الإنسان أو الحيوان.

– كما يمكن التخلص المنزلي من بقايا الأدوية عبر إلقائها في المرحاض، وسحب السيفون لإخراجها مع مياه الصرف الصحي، ولكن هذه الطريقة وفق ما تشير إليه إدارة الغذاء والدواء مناسبة لعدد محدود من الأدوية التي تشكل خطورة عالية حال تناول جرعة منها، أي الأدوية التي لا يُمكن إلقاؤها مع النفايات المنزلية ضمانًا لتجنب استخدامها عن طريق الخطأ. و لا تعد عملية التخلص من الأدوية عبر الإلقاء في المرحاض الوسيلة المُثلى. ويتم البحث عن طرقٍ أفضل.

لا يخلو بيت من أدوية غير مستخدمة أو زائدة عن الحاجة، فغالبا ما يتبقى في منازلنا دواء تم التوقف عن استخدامه لتمام الشفاء، أو لقيام الطبيب بتغيير الدواء المستخدم، أو لانتهاء تاريخ صلاحيته فلا يمكن استخدامه. وبالتالي فإن التخلص من تلك الأدوية يصبح السبيل الوحيد للتعامل معها، ولكن للأسف الشديد فإن الممارسات الشائعة للتخلص من الأدوية تتسم بخطورة شديدة، إذ إن لها العديد من التأثيرات السلبية على صحتنا وبيتنا.

ممارسات خاطئة يجب الحذر منها، ومن بينها:

* إعطاء الأدوية الزائدة عن الحاجة لأشخاص آخرين، أو التبرع بها. لان ذلك يتسم بالخطورة الشديدة بسبب ابتعاده عن الإشراف المباشر للطبيب أو الصيدلي، كونه قد يعرض صحتهم للخطر، فليس كل ما يصلح لمريض بعينه قد يصلح لمريض آخر حتى ولو تشابهت الحالة المرضية.

* التخلص من الأدوية غير المستخدمة، سواء كانت صالحة للاستخدام أو منتهية الصلاحية، عبر إلقائها مباشرة في القمامة وهذا أمر فائق الخطورة، لانه يعرض تلك الأدوية لإعادة استخدامها ، أو حتى بيعها من قبل بعض الأشخاص، خاصة إذا كانت تلك الأدوية ذات تأثير على الحالة النفسية والمزاجية.

خطوات تتبع قبل التخلص من الدواء:

* قبل التخلص من أي دواء، يجب قراءة نشرة المعلومات الدوائية الخاصة به، فإذا وجدت محاذير أو إرشادات معينة محددة حول كيفية التخلص من هذا الدواء بشكل خاص نتبعها حرفياً.

* إذا لم يكن هناك أية إرشادات محددة، نقوم بإفراغ الأدوية من حاوياتها تماما في كيس بلاستيكي محكم الغلق يمنع تسرب الماء.

* أضافة مخلفات أخرى إلى الكيس البلاستيكي يمكنها أن تجعل محتوياته غير مرغوب فيها مثل بقايا القهوة المستخدمة سابقا أو بقايا الشاي أو نشارة الخشب...

* أغلاق الكيس البلاستيكي بإحكام والقيام بتحريكه لخلط محتوياته، ثم تخلص منه في سلة المهملات.

* إذا لم تعرف كيف تتخلص من فائض الدواء، لا تتردد في طلب المساعدة من الصيدلي الذي تتعامل معه.

تقترح منظمة "سيدر انفيرومنتال" cedar"– تقنية جديدة لإعادة استخدام الأدوية بدل طمرها مع النفايات العادية ، حرقها في أفران شركة الترابة، كما حصل مؤخراً وأدى الى اعتراضات للأهالي في القرى المجاورة، إلا ان البحث في خلفية المسألة وتاريخيتها يطرح أسئلة أبعد وأعمق من الخلاف التقني. وهذه كانت تجربة غير ناجحة.

إذا كانت الأدوية المنتهية الصلاحية تصنف ضمن النفايات المنزلية الخطرة والتي تحتاج الى معالجة خاصة، فلماذا لا يتم وضع خطة خاصة مع غيرها من النفايات المنزلية المصنفة خطرة مثل البطاريات والأجهزة الإلكترونية، بالتعاون مع البلديات وتجميعها في مستوعبات تمهيداً لإعادة تصديرها الى بلد المنشأ، خصوصاً انها تشترك جميعها في المواصفات بأنها خطرة وبأنها مستوردة؟

يعتبر التخلص من الأدوية المنتهية الصلاحية أمراً شائكاً في جميع أنحاء العالم، حيث تلجأ المجتمعات الصناعية إلى حرق الأدوية المنتهية الصلاحية مع السيطرة على الانبعاثات بينما تلجأ المجتمعات الأقل ثراءً إلى طمر تلك النفايات.

أخيراً أملنا أن يأتي اليوم الذي يستطيع فيه لبنان الاكتفاء الذاتي في معالجة نفاياته الدوائية. عن طريق تنفيذ خطة وطنية طويلة الأجل لإدارة النفايات، تقوم على المبادئ الصحية والبيئية السليمة؟وذلك بتجهيز

معامل نموذجية في لبنان للقيام بهذه المهمة؟ رغم عدم التأكد من قدرة السياسيين على تحمّل مسؤولياتهم في المدى القريب بسبب الجو السلبي السائد في البلد والذي من خلاله تشكّك كل جهة بأي مبادرة .

ختاماً، يبقى القول ان انتهاء صلاحية الأدويّة يسلّط الضوء على مشكلة في سلسلة الإمداد تكتنف اختيار الأدوية والتقدير الكمي والاقتناء والتخزين والتوزيع والاستخدام. وهنا الحاجة إلى تبيان العوامل المساهمة في انتهاء الصلاحيّة في كل مرحلة من حلقة الإمداد بهدف تصميم إستراتيجيّات واقعيّة تحدُّ من تلك المشكلة..

البيئة النقية تضاعف الحياة

بقلم الاستاذ نجيب زبيب ، باحث في الشؤون الفضائية ، وعضو جمعية أصدقاء ناسا.

يعتبرعلم الفلك من أكثر العلوم إفادة للانسان، وأشدّها التصاقاً بحياته، رافقه منذ فجر التاريخ، منذ أن أخذ هذا الانسان ينظرإلى السماء، كما ننظر نحن الآن الى التلفزيون، ولم يكن يعنيه منها سوى الشكل الظاهر لها فقط. سيما تلك النجوم الزّهْر المتألّقة التي تمر فوق رأسه في الليالي المظلمة، جماعات إثر جماعات لاتتغيّر ولا تتبدّل، فيرى فيها نماذج وأشكالاً لما يراه على الأرض، فهذا صيّاد وهذا كلب وهذا ثور وهذا حَمَل، وهنالك دب وزرافة ووحيد القرن وتنّين ونسر وأفعى ودجاجة وغير ذلك.

كان اهتمامه أولاً متعلّقاً بالقبّة الزرقاء، التي ترتفع فوق رأسه، لكن وبفضل جهوده الدائبة وتطوّره المستمرّ أصبح الكون يعني لإنسان اليوم كل هذا الكون المترامي الأطراف، والغارق في البعد وراء حدود الخيال. هذا وأنت تنظر إلى مايمكنك أن تنظر إليه اليوم، فإنك تنظر في الحقيقة إلى الماضي الغابر السحيق، الغارق في البعد، لأنّ أنوارها الواصلة إلينا عبر المسافات الشاسعة، قد أمضت آلاف السنين حتى وصلت إلينا، ونحن عندما نراها الآن، فإننا نراها في الحالة التي كانت عليها في ذلك الزمن، علماً بأنّ تلك الأنوار ليست هي كل ما تبعثه تلك الأجسام إلينا، لأنّ القسم الأكبر منها يتبدّد في الطريق عبر الفضاء.

هذا الكون يتألف في معظمه من الهايدروجين بصورة رئيسية، ومن الهليوم، ومن ذرّات الأوكسجين والكربون والأوزون والنيتروجين على شكل غبار كوني .

بدايات الكون

إنّ معظم علماء الفلك اليوم متفقون على أنّ هذا الكون قد حدث بعد الانفجار الكوني العظيم Big Bang في زمن موغل في القدم، قدّره العلماء بين 10و15 مليار سنة، وعند انفجار تلك الطاقة الهائلة تشكّلت الغازات والغبار الكوني، والنجوم والسُدم والمجرّات، وعلى إثر ذلك الانفجار، تبدّدت تلك الأجسام وتفرّقت في كل اتجاه، وتباعدت ولا زالت تتباعد أكثر فأكثر، ولازال الكون يتمدّد حتى يومنا هذا وإلى ماشاء الله تعالى.

عمر الكون

في أواخر سنة 2001 تمكّن بعض العلماء الأوروبيين، وبواسطة استخدام أجهزة قياس مثبتة على متن التلسكوب الفضائي (هابل) الذي يدور حول الأرض، من تحديد عمر الكون ب 13 مليار سنة وهو الأدق حتى الآن.

وكلٌّ في فلك يسبحون

إنّ كل مافي هذا الكون العظيم يتحرّك، فتجمّعات المجرّات تتحرّك وتدور ويتباعد بعضها عن البعض الآخر ملايين السنين الضوئيّة، وداخل هذه التجمعات فإنّ كل مجرّة تتحرّك وفق نظام معيّن بالنسبة لرفيقاتها. كذلك فإنّ تجمعات النجوم تتحرّك وتدور ويتباعد بعضها عن بعض؛ وداخل هذه التجمعات فإنّ كل نجم منها يتحرّك وفق نظام معين بالنسبة لرفاقه، ويبتعد عنها، كما أنّه يتحرّك باندفاعه الذاتي أيضاً؛ وكذلك السّدُم والسّحب والغبار الكوني، كل شيء يتحرّك ويدور وفق نظام عجيب غريب، أحكمته يد الخلاّق العظيم، فتبارك الله أحسن الخالقين.

جُزُر المحيط الكوني العظيم

ذكرنا قبلاً الغازات التي يتألف منها هذا الكون، لكن ماذا عن الجُزُر؟ هذا ما سنتكلم عنه فنقول: يشتمل هذا الكون على:

1 – النظام الشمسي بكل مافيه من كواكب وتوابع لها، ويبحث في حركاتها ومداراتها وأبعادها وميل محاورها بما فيها الأرض والقمر والشهُب والنيازك والمذنبات.

2 – النجوم والحشود النجميّة وأنواعها وتركيبها وأقدارها والغازات التي تملأ الفراغ بينها والسُّدُم والغبارالكوني الكثيف.

3 – نظام المجرّة وأنواع المجرّات الكثيرة التي لاتكاد تُحصى والتي تتألف كل واحدة منها من غاز وغبار وضباب كثيف من التراب والسّحب ودخان الفراغ النجمي بينها ومن بلايين فوق بلايين من النجوم المختلفة الأحجام والأقدار، والتي ربما كان لكل نجم فيها شمس كشمسنا، لها نظامها الخاص بها ولها كواكبها التي تدور حولها ولهذه الكواكب أقمار وتوابع.

الانسان والكون وعلم الفلك

يعتبرعلم الفلك الأقدم بين العلوم جميعها. فقد شغل عقله واستقطب اهتماماته منذ أقدم الأزمنة، لما فيه من ظواهر وأحداث وأسرار مدهشة عجيبة.

وإذا كانت اهتمامات الانسان القديم لم تتعدّ هذه القبّة الزرقاء التي ترتفع فوق رأسه، وإذا لم يكن غرضه بادئ الأمر أكثر من بيان مايظهر له من الحركات السماوية واستعمال الأنواء، وربطها بأحوال الهواء، وحوادث الجو، فإنّ هذا العلم تطوّر كثيراً عبرالعصور وازدادت مواضيعه وتشعّبت طرقه. ومع تطوّره هذا تطوّرت وسائل الرصد وارتقت، واختُرعت آلات حديثة لتواكب هذا التطور وتكون قادرة على تمكين الانسان من الكشف عن مجاهل هذا الكون، ودراسته بطرقٍ علمية صحيحة.

إنّ معظم الأمم القديمة إن لم تكن كلها قد أسهمت في صنع هذا العلم، وعملت على تطويره، ولم تقم حضارة قديمة على الاطلاق الا وكان لها نصيب في هذا التقدم، ودائماً بفضل ماحفظته لنا الآثار التاريخية من معلومات حول هذا الموضوع؛ فإنّ الانسان القديم رأى نفس المجموعات التي نراها نحن اليوم، منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، فرصدها ووصفها وتخيّل لها أشكالاً ورسوماً كتلك التي يراها على الأرض، وأعطاها الأسماء المناسبة لها.

– فقد وصلت إلينا منذ أيام البابليين ملاحظات فلكيّة مدهشة بدقّتها، مسجّلة على لوحات من الطين والآجرّ المشوي، التي وجدت في خرائب **بابل**، تدل على أنّهم اعتمدوا نظاماً حسابيّاً دقيقاً، يقسم الساعة إلى 60 دقيقة، ودائرة الفلك إلى 60 درجة، كما تدل على أنهم راقبوا السيّارات، وميّزوا بينها وبين النجوم الثابتة؛ كما أنّهم قسموا السنة إلى 12 شهراً ووضعوا لها أسماء وقسموا الاسبوع إلى 7 أيام.[22]

– أما الصينيون فقد كانت لهم اهتمامات ذات أثركبير في علم الفلك، فقد عرفوا الكسوف والخسوف، وبنوا مزاول شمسيّة، وكانوا أسبق من غيرهم في صنع أوّل أجهزة الرصد على الاطلاق؛ كما استنبطوا جهازاً لقياس المطر وللزلازل.

– كذلك كان للمصريين القدماء معارف واسعة ومتقدمة في علم الرصد والفلك، فقسموا اليوم إلى 24 ساعة واستخدموا الساعة المائيّة والساعة الشمسيّة، وعرفوا منازل القمر والنجوم، وربطوا بين فيضان النيل والنجمة القطبيّة.

---

[22] راجع كتابينا (الكون العظيم أعماقه وخفاياه والمحيط الكوني وأسراره)

- أما القفزة النوعيّة لعلم الفلك فكانت على أيدي الاغريق الذين وضعوا لهذا العلم أصوله وقواعده، عندما قال طاليس Thales(636 – 546) ق.م بكروية الكون، ثم تلاه أرسطو (284 – 222)، ثم تلاه هيباركوس Hipparchus (190– 120) ق.م الذي اكتشف الحركة التراوحيّة لمحورالأرض. ثم جاء بعده بطليموس ptolemeo (367 – 283) الذي اكتشف عدم انتظام حركة القمر، وأثبت حركات النجوم، حتى اعتبر مادوّنه في كتابه (المجسطي) مرجعاً أساسيّاً وحيداً ظلّ معمولاً به حتى جاء (كوبرنيكوس) .

- أما العرب، فلم يكن لهم في جاهليتهم دراسات منظمة لافتقارهم للوحدة المركزية للدولة، وجل معلوماتهم كانت لاتزيد على معرفة الضرورات البدائيّة، وهذا ما أدى بهم إلى خلط علم الفلك بالتنجيم، وربطوا كغيرهم حركات الكواكب والأبراج بما يحصل على الأرض؛ حتى وصل بهم الأمر إلى عبادة بعض الكواكب فمنهم من عبد الشِّعرى كبعض قبائل قريش وخزاعة وحِمْيَر، ومنهم من عبد عُطارد كعرب تميم، ومنهم من عبد الزُّهرة فسمُّوها العّزَّى كالقبائل العربية التي كانت تقطن في نواحي بادية الشام والعراق.

لكن ما إن أطلّ العصر الذي سبق الاسلام بقليل حتى كانت لديهم معلومات واسعة في هذا المجال، بدليل وجود أسماء الكواكب والنجوم والأبراج في قصائد معظم الشعراء؛ فكان عندهم: الجَدْي والناطح والعيّوق والقائد والسها وبنات نعش والفرقدان والدبران والشعرى وسهيل, كما كان عندهم الأسد والجوزاء والسما، كان الأعزل والرامح وغيرها.

الاسلام وعلم الفلك

كانت قفزة علم الفلك العملاقة عندما جاء الاسلام، فقد حرّر هذا الدين الفكر الانساني من عقاله، وأطلق الوعي، وأبطل عبادة الكواكب، ووجّه الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، فكانت تعاليمه وفرائضه تقتضي معرفة عميقة في علم الفلك، لأنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بأمور الدين والعبادات، فعكف علماء المسلمين عليه باهتمام ليس له نظير، حرصاً منهم على فهم الآيات القرآنيّة الشريفة من جهة، وعلى عدم الوقوع في الخطأ والاخلال بالعبادات من جهة أخرى، لأن تحديد وقت الأذان والقِبلة وولادة القمر في أول شهر رمضان المبارك وتحديد الغروب والشروق ووقت الامساك وأوقات الصلاة وغيرها, فضلاً عن نزول عدة سور في القرآن الكريم فيها إشارات واضحة إلى ظواهر الكون وأحداثه مثل: **الشمس والقمر والنجم والليل والفجر والضحى والعصر والانشقاق والتكوير والزلزلة والرعد** وغيرها. وقد أقسم الله تعالى بكثير من مخلوقاته، وتفرّد

بهذا القسم فقال: ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم** ﴾ وقال: ﴿ **والّيلِ إذا يغشى والنهارِ إذا تجلّى** ﴾ وقال: ﴿ **والضحى والّيلِ إذا سَجَى**﴾.

كل هذا يتطلّب من الانسان المسلم معرفة دقيقة واسعة بعلم الفلك؛ لهذا انتشر العلماء المسلمون في كل اتجاه مدفوعين بأوامر الله الداعية صراحة إلى عمل الفكر والبحث والاستطلاع والنظر في ملكوت السموات والأرض، وكذلك بأحاديث الرسول الكريم (ص) التي تحض على طلب العلم، فراحوا يبنون المراصد في طول البلاد الاسلامية وعرضها. من بلاد الصين شرقاً إلى بلاد الأندلس غرباً، فاخترعوا الاسطرلابات والأزياج، وأوجدوا المعادلات الرياضية، والأسس الصحيحة لعلم المثلثات، ورسموا الخرائط الفلكية وجداول النجوم، وأعطوها اسماء عربية. وفي هذا العلم لمعت أسماء كثيرة كان لأصحابها فضل التقدم في التحقيق والتدقيق والابتكارمثل: البتّاني **أبو عبد الله محمد بن سنان 0858 – 929) ب.م، عبد الرحمان الصوفي (903 – 986)، البوزجاني(940 – 998)، – ابن الهيثم (965- 1039)، البيروني (962 -1048)، الزرقالي (1029- 1087)...**

وإذا كان الانسان حتى اليوم لايزال عاجزاً بالرغم من تقدمه العلميّ هذا، عن رؤية الكتلة النجميّة العظيمة تجاه مركز المجرّة، والاحاطة بأسرارها وسبر أغوارها، فهو أمام غيرها من المجرّات الكثيرة الدائرة في عباب هذا الكون العظيم أعجز، وهو لايملك أمامها إلاّ أن يعلن أنّ ما اكتشفه من هذا الكون، لايزال أقلّ بكثير ممّا لم يكتشفه منه حتى الآن، وأن هذه المنجزات المذهلة التي حققها في مجال الفضاء لاتزال خجولة متواضعة.

وإذا كانت السماء في المفهوم القرآني تعني الكون بأسره بما فيه من عوالم ونجوم، فهل تكون السموات السبع التي ذكرها القرآن الكريم، سبعة أكوان ولكل كونٍ أرضه فتكون سبعة مثلها كما تشيرالآية الكريمة: ﴿ **الله الذي خلق سبع سمواتٍ ومن الأرض مثلهنّ.** ﴾.(2) وإذا كانت هذه السموات طباقاً بعضها فوق بعض كما تشير الآية الكريمة الأخرى:

(ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) (3). فهل أنّ الانسان سيتوصّل بعد امتلاكه سلطان العلم إلى النفوذ من أقطار السموات والأرض ويتمكّن من اكتشافها وسبرأغوارها ومعرفة أسرارها واحدة واحدة كما تشيرالآية الكريمة. ﴿**والقمرإذا اتّسق لتركبُنّ طبقاً عن طبق**﴾**(4)**. وإذا كان الأمركذلك، فمتى يُلمّ الانسان بأسرار هذه الأكوان وهو لايزال حتى الآن مشغولاً بحيّزٍ ضئيل جدّاً من مجرّته، التي لم يُغادرها بعد إلى العوالم الأخرى في هذا الكون، إنّه مصداق قوله تعالى:

﴿**وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا**﴾**(5)**

أسئلة لم يتمكّن العلم الحديث من الاجابة عنها بعد، إنّها لاتزال فوق حدود العقل للانسان المعاصر، فهولايستطيع بمخترعاته وآلاته الحاليّة بلوغها، غيرأنّ الزمن يأتي دائماً بما هوعجيب.

لقد أماط التقدّم العلمي اللثام عن كثيرٍ من الأشياء التي لم يكن الانسان على علمٍ بها من قبل، ولم يكن يعرفُ أسبابها، فأبانها وأوضحها وقدّمها حقائق لايتطرق الشكّ إليها من قريب أو بعيد. ولم يكن القرآن الكريم بمنأى عن تطوّر العلم هذا ولا بمعزل عمّا توصّلت إليه الانسانيّة من تقدّم منذ فجر التاريخ وحتى اليوم، بل كان منه في الصّميم، وكان السبّاق إلى معرفتها والاحاطة بها، وإنّك لتجد فيه إشاراتٍ واضحةً ودعواتٍ صريحة للحضّ على العلم وإنعام الفكر والنّظر في ملكوت السموات والأرض، حيث تتجلّى عظمة الله تعالى وقدرته وسلطانُه في كل شيء، من الذّرّة ، أصغر جسمٍ غير مرئيّ ، إلى العوالم العليا المتغلغلة في أغوار الفضاء والمتنقّلة من سماء إلى سماء، ماخرةً عُباب هذا الخضمّ الأبديّ العظيم، وهي تلفّ وتدور حول بعضها، فلا ازدحام بينها ولا تصادُم، وِفق نظامٍ دقيق أبدعته قدرةُ خلاّقٍ عظيم، لايتغيّر ولا يختلّ، ولا تخرج عنه ولا تحيد، منذ أن كان هذا الكون في مبدأ الأفق الزمنيّ السحيق.

قال تعالى: ﴿**قل انظروا ماذا في السوات والأرض**﴾ **(6)**

وقال تعالى: ﴿**لَخلق السمواتِ والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون**﴾ **(7)** وقال تعالى: ﴿**سَنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحق**﴾**(8)**.

وإذا كان أحدث قانون علمي يقول بتمدّد الكون واتساعه Expanding universe ، وتباعد المجرّات بعضها عن بعض ، فإنّ القرآن الكريم قد أحاط

بهذه الحقيقة العلمية وبغيرها من الحقائق منذ أكثر من أربعة عشر قرناً قال تعالى: ﴿**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون**﴾ **(*)**

وعندما اكتشف الانسان أنّ الأرض ليست كرة كاملة الاستدارة، وأنّها منتفخة في الوسط، ضيقة عند القطبين، وأنّ قطرها القطبي ينقص عن قطرها الاستوائي بحوالي 26,6 ميلاً، كان القرآن الكريم قد سبقه إلى إعلان هذه الحقيقة بقوله تعالى : ﴿**أولم يروا أنّنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**﴾ (10)

كما جاء فيه إشارات ولُمَح، تومىء إلى بدايات الكون المادي ونهاياته، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **أولم يرالذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما** ﴾(11)

وقال تعالى : ﴿ ثم **استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾(12)

وعندما كان الناس يعتقدون أنّ الأرض هي مركز الكون وأنها ثابتة، قال القرآن الكريم ﴿ **وترى الجبال تحسبها ثابتة وهي تمرّ مرّ السحاب**﴾(13)

وقال أيضاً : ﴿ **وكلٌّ في فلك يسبحون**﴾(14)

وعندما اكتشف الانسان أيضاً أنّ الأرض في سيرها حول الشمس تهتزّ وتتمايل، وأنّه لولا ثبوت الجبال فيها لاضطربت دورتها، قال تعالى :

﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ (15)

وعندما أكّد العلم أنّ القمر جسم معتم مظلم بذاته، يأخذ نوره من الشمس، كان القرآن الكريم يقول: ﴿ وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجا ﴾(16). فالنور يصدر عن السراج ويؤخذ منه وليس من ذاته، كما هي حال السراج..

ثم أكّد ذلك في مكان آخر فقال: ﴿ **وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا.** ﴾ (17)

وعندما انتشر مذهب الوجوديين الزنادقة Unreligious, Unbeliever في الغرب وقالوا أنّ الطبيعة أوجدت نفسها، وأنّ الانسان وُجد صدفة، وأتى داروين بمذهبه في أصل نشوء الانسان، قال القرآن الكريم في ذلك:

﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.** ﴾ (18)

وعندما احتار الفلاسفة في مصير الانسان بعد الموت، وأنكروا البعث. قال القرآن الكريم في أربعة مواضع: ﴿ **الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون** ﴾(19). ثم أكّد ذلك في مكان آخر بقوله: ﴿ **إنّا نحن نحي ونميت وإلينا المصير**﴾ (20) وغير ذلك من الأدلّة والبراهين.

وإنّي لأرى أنّه كلما تقدّم العلم، وزادت قوّة إدراكنا ومشاهداتنا، كلّما اتضحت لنا تلك الاشارات، وظهرت معانيها أكثر، وصارت قريبة إلى عقولنا، فتتكشف لنا أسرارها، وتظهرعظمة الله تعالى، فتصبح دراسة الكون عندها شيئاً يقرّبنا من الله تعالى، لاسيّما بعد أن نرى صغر عالمنا الأرضي الذي نعيش فيه، إذا ما قسناه

بغيره من هذه العوالم، والذي يعادل حبّة رمل واحدة بالنسبة لما على شواطئ بحار ومحيطات الأرض جميعها من رمال. ولعلّ إلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله:

﴿ إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾(21)

أما للقفزة الجبارة التي قام بها الانسان أخيراً في هذا المجال، واختراقه جوَّ الأرض واكتشافه للاشعاعات الكونيّة الآتية من الفضاء الخارجي وتمكنه من تحليل الطيف Spectrum، وقيام علم الفلك الراديوي Radio Astronomy، أن وضع نفسه وجهاً لوجه أمام العوالم السابحة في مجاهل الفضاء، خارج حدود نظامنا الشمسي، ووضع رجله بثبات ولأول مرّة على شاطيء هذا المحيط الكوني الواسع، وراح يستعدّ لاكتشاف مافيه من الجزرواحدة إثر واحدة، متسلّحاً بأحدث ما توصل إليه العلم من اختراع أجهزة علميّة متطوّرة، مسطّراً بذلك أروع انتصار للعقل البشري منذ مطلع وعي الانسان وحتى يومنا الحاضر.

في ختام هذا البحث عن الكون، لابد لي من الكلام عن الأرض، بيتنا الكوني الذي نعيش فيه. إنها الكوكب ذو السماء الزرقاء، المتشحة بالبياض، والمشبعة بغاز النيتروجين، والمتفرّدة بالمحيطات ذات المياه السائلة والغابات الخضراء والمروج الواسعة، حيث تعجّ الحياة وتضجّ وتصطخب بكل ما خلق الله تعالى من أشكال الحياة فيها.

إنها الأرض أحد شواطئ هذا المحيط الفضائي العظيم، وبيت الانسان المكيّف، ومأواه وعالمه الوحيد بين هذه العوالم التي يعجزعقل الانسان عن الاحاطة بها، إنها مأواه الذي يلائمه، والمهيّأ دون غيره لاحتضان الحياة فيه. وقد خصّ الله تعالى الأرض دون غيرها من الكواكب والنجوم بكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تشير إلى ارتباط الانسان الدائم بها. وحتى الآن لم يعثر العلماء على كوكب واحد توفرت فيه شروط الحياة غير الأرض على كثرة مافي هذا الكون الفسيح من كواكب ونجوم ومجرّات. وهي الأكبر بين الكواكب الداخلية الأربعة: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ.

يغطي الماء حوالي 71% من سطحها ويغلّفها جو رقيق مؤلف من 78% نيتروجين و 21% أوكسجسن وبعض ذرّات من الغازات الأخرى

ولا تنحصر أهمية هذا الغلاف في أنه يسبب الحياة عليها, ولكنه يعزلها ويقيها من الأخطار، والكوارث التي يمكن أن تصيبها من جرّاء القصف المستمر من الشّهُب والنيازك، كما يحميها من تقلبات الحرارة واختلاف درجاتها ويثبت طبقة

الأوزون التي تقيها من أشعة الشمس وألسنة اللهب المنبعثة منها، ويجعلها صالحة للحياة، وليس هناك كوكب آخر يتمتّع بهذه الامتيازات غيرها . ولو كانت قريبة للشمس بمقدار ملم واحد لانعدمت الحياة فيها من شدة الحرارة كما الحال في الزهرة وعطارد. لو كانت بعيدة عن الشمس بمقدارملم واحد لانعدمت الحياة فيها من البرودة كما هي الحال في الكواكب الأخرى. فسبحان الله العظيم الذي قال:

إنّا كل شيْ خلقناه بقَدَر .

فعلاً خلق الله كل شيء بقدر، سبحانك رب الكون العظيم

المثلية الجنسية بين الإباحة والتجريم

بقلم أ. د. وسام غياض (أكاديمي و باحث)

لقد أُثيرت مؤخراً على مواقع التواصل الإجتماعي مسألة بغاية الأهمية تتعلّق بمدى شرعية أو عدم شرعية المثلية الجنسية بحيث تعارضت نظرة القضاء والمجتمع الى هذه الحالة بين مؤيّد ومعارض وفقاً لمعايير مختلفة، وبين من يعتبرها ممارسة لحرية شخصية ومن يعتبرها حالة مرضيّة لا بدّ من معالجتها، بعنى آخر هل أنّ المثلية الجنسية هي جريمة يُعاقَب عليها في قانون العقوبات وغيره من القوانين الأخرى أم أنها حق طبيعي مشروع للإنسان؟

أمام هذا التناقض الإجتماعي والقضائي كان لا بُدّ من تسليط الضوء على هذه الظاهرة التي بدأت تتغلغل داخل مجتمعاتنا تحت عناوين مختلفة فتارةً تحت شعار ممارسة الحقوق الطبيعية وطوراً تحت شعار تكريس الحرية الشخصية في إختيار الميول الجنسية...

فالمثلية الجنسية Homosexualité هي عبارة عن توجّه جنسي بين أشخاص من نفس الجنس.

L'homosexualité désigne une forme de monosexualité caractérisée pour une attirance sexuelle ou par des sentiments amoureux envers une personne du même sexe (1).

ومن الثابت علمياً أنّ المثلية الجنسية ليست مسألة جديدة أو حديثة، لا تقتصر فقط على الإنسان بل هي موجودة أيضاً منذ القدم وفي عالم الحيوان.

ففي الديانة اليهودية تعتبر المثلية الجنسية من أكبر الخطايا ويُعاقب عليها بالإعدام كل من تجاوز الثالثة عشر من عمره مثلما جاءت به تعاليم العهد القديم.

وكذلك الأمر في الديانة المسيحية التي تعتبر المثلية الجنسية خطيئة كبيرة تخالف الفطرة التي خلق الله البشر عليها، وكانت الكنيسة قديماً تعاقب المثلية الجنسية بالإعدام والتعذيب أما في الوقت الراهن فتحاول الكنيسة إصلاح المثليّين بدلاً من قتلهم أو معاقبتهم.

أما الشريعة الإسلامية فنصّت على أنّ عقاب ممارسة المثلية الجنسية هو القتل ولكن لا توجد طريقة محدّدة لتنفيذ العقوبة وهي تتراوح بين الرمي من أعلى شاهق والرجم حتى الموت.

وفيما يتعلّق بالقوانين الوضعية نلاحظ أنّ القانون الفرنسي كان يُعاقب المثليّين بعقوبة الإعدام حتى نهاية القرن الثامن عشر.

1- https://ar.m.wikipedia.org – le 9/04/2019

ومع الثورة الفرنسية عام 1791 قامت فرنسا بنزع الصفة الجرمية عن الأفعال المثلية بين الراشدين Dépénalisation de l'homosexualité ولكن مع السماح للظابطة العدلية إحصاء المثليّين وتنظيم ملفات شخصية لهم وذلك بهدف منع دعارة القاصرين.

وفي العام 1974 خُفِّض سن الرشد الجنسي (L'âge de majorité sexuelle).

في حالة المثلية من 21 الى 18 سنة تحت طائلة العقوبة.

ومنذ عام 2004 وضع المشرّع الفرنسي قانوناً حمائياً صرفاً لصالح المثليّين بحيثُ أنه يعاقب بظروف مشدّدة كل من يتعرّض للمثليّين بعبارات علنية تحض على الكره والإهانة والتفرقة.

وفيما بعد شرّعت فرنسا زواج المثليّين عام 2013(1). ومنذ ذلك الوقت أصبح الأزواج المثليون قادرين على تبنّي الأطفال قانونياً.

ولكن إذا كان الواقع الفرنسي وطبيعة المجتمع الغربي قد ساهما الى حدٍّ كبير في الوصول الى تشريع المثلية الجنسية إلاّ أنّ هذا الأمر لا يمكن إعتماده بهذه السهولة في المجتمعات العربية وخاصةً المتديّنة منها نظراً لإعتبارات عديدة إجتماعية وثقافية ودينية وعائلية...

ففي لبنان يوجد قانون يجرّم هذا النوع من العلاقات المثلية بشكل صريح ولكن للأسف البعض إما يتجاهله أو لا يعرفه(2).

فالمادة 68 من هذا القانون تنص على أنّ: "كل صاحبة بيت عمومي أو بيت تلاقي أو بنسيون مشبوه يقبلون بإرتكاب فظيعة اللواط عندهم يعاقبون بالحبس من أسبوع الى ستة أشهر وبإقفال محلهم نهائياً".

والمادة 69 منه أضافت أنّ: "كل شخص يثبت عليه إرتكاب اللواط تجري عليه أحكام المادة السابقة وإذا كان مريضاً يساق الى المستشفى للمعالجة" ونحن نرى بأنّ المادة 69 السالفة الذكر لا تحتمل التأويل، فهي تعتبر المثلية الجنسية جريمة قائمة بذاتها تستوجب معاقبة فاعلها، ومن جهة أخرى تعتبر مرتكبها مريضاً يتوجّب معالجته.

1- أقيم أول حفل زواج رسمي مثلي فرنسي في 2013/5/29 في مدينة Montpellier جنوب فرنسا.

2- يراجع بهذا الخصوص قانون حفظ الصحة العامة من البغاء الصادر بتاريخ 21931/2/6 www.legallaw.ul.edu.lb

أضف الى ذلك أنّ هذه النصوص القانونية الصادرة منذ عام 1931 تعتبر نافذة وواجبة التطبيق من قبل المحاكم اللبنانية لأنّ القانون يبقى قائماً وساري المفعول مهما مرَّ عليه الزمن طالما لم يصدر قانون آخر يلغيه صراحةً أو ضمناً.

إنّ ما يستدعي الإنتباه أنّ الإجتهاد القضائي في لبنان يتجاهل بشكل مطلق هذه النصوص النافذة وقد ظهر ذلك جلياً في العديد من الأحكام والقرارات القضائية الصادرة عنه...

إنّ اللجوء الى تطبيق أحكام المادة 534 من قانون العقوبات(1) سواء لجهة تجريم المثلية أو إباحتها حسب قناعة كل قاضٍ كونه يمثّل ضمير الجماعة لا يعتبر برأينا كافياً لمعاجة هذه المسألة.

ففي 2009/12/3 صدر أول حكم قضائي في لبنان عن القاضي المنفرد الجزائي في البترون في سياق لملاحقة جزائية ضد شابّين إدّعت عليهما النيابة العامة على أساس المادة 534 عقوبات التي تجرِّم المجامعة خلافاً للطبيعة حتى سنة حبس لوجودهما في وضع متلبّس. وقد آل الحكم الى وقف التعقّبات في وجه الشابّين لأسباب عدّة، بعضها واقعي إذ تبيّن للمحكمة عدم ثبوت الأفعال المعزوة إليهما، وبعضها قانوني ومفادها أنّ الأفعال المذكورة، على فرض صحتها، لا تخضع لمفهوم "المجامعة خلافاً للطبيعة".

ومن هذا الجانب عُدَّ الحكم سابقة قضائية، قد تكون الأولى من نوعها في الشرق الأوسط. وقد إعتبر هذا القاضي في متن حكمه وعند شرحه للمادة 534 عقوبات أنَّ المشرّع اللبناني لم يضع معياراً لمعرفة ما هو مخالف للطبيعة وما هو ليس كذلك وإسترسل في تحليل مفهوم "خلافاً للطبيعة". فإعتبره مفهوماً قابلاً للتغيير ومرتبطاً بذهنية المجتمع وأعرافه ومدى تقبله أنماطاً طبيعية جديدة غير مألوفة منه أو غير مقبولة.

وهنا يمكن أن نطرح التساؤل التالي: هل أنّ المجتمع اللبناني بكافة أطيافه أصبح قادراً على تقبّل هذه الأنماط؟

الجواب برأينا حتماً سلبي ففكرة الزواج المدني "Le marriage civil" وفكرة المساكنة "Le concubinage" على سبيل المثال لا الحصر هي أفكار لا تزال محل نقاش حادّ سواء على المستوى التشريعي والقضائي أو على المستوى الإجتماعي والديني.

1- تنص المادة 534 عقوبات على أنّ: "كل مجامعة على خلاف الطبيعة يعاقب عليها بالحبس حتى سنة واحدة".

وإذا كان حكم القاضي المنفرد الجزائي في البترون هو الأول من نوعه على الساحة القضائية اللبنانية فإنه لم يكن الأخير في هذا المجال (عدم تجريم المثلية الجنسية)، فقد كرّت السبحة القضائية وصدرت العديد من الأحكام والقرارات القضائية في هذا السياق(1).

ففي 2016/5/5 أصدر القاضي المنفرد الجزائي في المتن قراراً قضى بإبطال التعقّبات بحق شخصٍ إدُّعي عليه سنداً للمادة 534 عقوبات بحيثُ إعتبر القاضي أنّ عبارة "مجامعة على خلاف الطبيعة" الواردة في المادة المذكورة لا تنطبق على فعل العلاقة الجنسية الحاصلة بين شخصين من الجنس نفسه. وقد توصّل القاضي الى هذا الإستنتاج مستنداً الى كون عبارة "خلاف الطبيعة" جاءت غير محدّدة الإطار والمقصد والمدلول، وأنّ مفهوم الطبيعة يتبدّل بحسب المنظار المتّخذ لتفسيره خاصةً عندما يتعلّق الأمر بالعلاقات الإنسانية الخاضعة لتطوّر المفاهيم والأعراف والمعتقدات(2).

وهو بذلك إستبعد الربط الحتمي لهذا المفهوم بالقواعد الدينية والإجتماعية وأعاد تالياً الى القضاء سلطة تفسيرها على نحو ينسجم مع المبادئ العامة المكرّسة في النظام القانوني اللبناني، بدءاً من الدستور الى المعاهدات الدولية وعلى رأسها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمبادئ المكرّسة من قبل الأمم المتّحدة، وفقاً لمبدأ تسلسل القواعد القانونية: "Le principe hierarchique de la loi" المكرّس بمقتضى المادة 2 أ.م.م. وإستند القرار أيضاً على مراجعة منظمة الصحة العالمية التي إعتبرت منذ عام 1990 أنّ المثلية الجنسية ليست إضطراباً أو مرضاً، وبالتالي لا تتطلّب علاجاً...

وفي الواقع إنّ هذا التوجه القضائي لجهة عدم معاقبة المثلية الجنسية لم يقتصر فقط على القضاء الجزائي العدلي، بل تعدّاه الى القضاء العسكري(3) بحيثُ صدر عن مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية قراراً قضى بمنع الملاحقة بحق أربعة عسكريّين أُحيلوا أمامه بجرم المادة 534 عقوبات.

1- حكم رقم 2014/34 تاريخ 2014/1/28 (موقع المفكّرة القانونية الإلكترونية)

حكم رقم 2017/15 تاريخ 2017/1/26 (موقع المفكّرة القانونية الإلكترونية).

2- لا بُدَّ من الإشارة هنا الى أنّ وفي حال تشريع المثلية الجنسية في لبنان فإنّ المسألة لا تقف عند هذا الحدّ بل هناك تبعات كبيرة كالزواج والأسرة والإرث وغيرها...

3- قرار مفوّض الحكومة لدى المحكمة العسكرية بيتر جرمانوس تاريخ 2019/3/30.

وقد برّر مفوّض الحكومة قراره هذا بأنّ المادة 534 عقوبات لم تميّز بين رجل وإمرأة وأنّ مصطلح خلافاً للطبيعة يعتبر ضبابياً وأنّه يمكن لمجامعة بين رجل وإمرأة أن تعتبر مخالفة للطبيعة في بعض الحالات وأنه لكي تعتبر المثلية مخالفة للآداب والأخلاق العامة يجب أن تحصل بصورة علنية أو بإحدى الوسائل المذكورة في المادة 209 عقوبات(1).

وحيال هذا القرار نطرح التساؤل التالي: هل هناك رغبة لتشريع المثلية الجنسية أم أنّ هذه الظاهرة أصبحت أمراً غير محرّم ولا يستدعي الملاحقة القانونية؟

إنّ الإجابة على هذه التساؤلات تقتضي منّا إنصاف شريحة كبيرة من قضاة لبنان لا يزالوا يتمسّكون بتجريم وملاحقة ومعاقبة المثلية الجنسية في أكثر من موقع.

ففي قرار حديث صادر عن محكمة إستئناف الجنح(2) في جديدة المتن بتاريخ 2018/7/12 الذي صدّق حكم القاضي المنفرد الجزائي(3) في المتن لجهة عدم تجريم المثلية الجنسية، وأنّ مثل هذه الأفعال يعتبر ممارسة حق سنداً لأحكام المادة 183 عقوبات(4)، نقرأ مخالفة قانونية جريئة للقاضي طارق بو نصّار التي نصّت حرفياً على ما يلي: "إنّي إذ أحترم رأي الأكثرية، أخالفه وأوضح ما يلي:

1- تنص المادة 209 عقوبات على أنه: تعد وسائل نشر: 1- الأعمال والحركات إذا حصلت في محل عام أو مكان مباح للجمهور أو معرض للأنظار أو شاهدها بسبب خطأ الفاعل من لا دخل له بالفعل.

2- الكلام أو الصراخ سواء جهد بهما أو نقلا بالوسائل الآلية بحيثُ يسمعها في كلا من لا دخل له بالفعل. 3- الكتابة والرسوم والصور اليدوية والشمسية والأفلام والشارات والتصاوير على إختلافها إذا عرضت في محل عام أو مكان مباح للجمهور أو معرض للأنظار أو بيعت أو عرضت للبيع أو وزّعت على شخص أو أكثر.

3- محكمة إستئناف الجنح الجزائية في جبل لبنان (الغرفة الثانية عشرة) – قرار رقم 2018/330 تاريخ 2018/7/12 برئاسة القاضية رندى كفوري والمستشارين زيدان وبو نصّار.

3- حكم رقم 2017/15 تاريخ 2017/1/26 صادر عن القاضي المنفرد الجزائي ربيع معلوف والذي تمّ إستئنافه من قبل النيابة العامة الإستئنافية.

4- تنص المادة 183 عقوبات: "لا يُعد جريمة الفعل المرتكب في ممارسة حق بغير تجاوز".

"إنّ القانون اللبناني وتحديداً نص المادة 534 عقوبات يعاقب كل مجامعة على خلاف الطبيعة دون أن يشترط حصولها علناً أو بوسائل علنية خلافاً لما جاء صراحةً في نصّي المادتين 531 و 532 عقوبات الواردتين في النبذة عينها، ولو أراد المشترع إشتراط الوسائل العلنية لكان فعل صراحة، إلاّ أنّ نيّة المشترع واضحة لجهة إعتبار المجامعة على خلاف الطبيعة تعرّضاً للآداب والأخلاق العامة في جميع أشكالها"، ويضيف القاضي بو نصّار في متن مخالفته: "إنّ ما يعزّز قناعتنا في ذلك هو أنّ حتى العلاقات الطبيعية والتي لا تدخل ضمن فئة "المجامعة على خلاف الطبيعة" تعد تعرّضاً للآداب والأخلاق العامة إذا حصلت علناً بحيثُ لم يكن المشترع بحاجة الى نص المادة 534 عقوبات لو لم تكن نيّته إستثناء المجامعة على خلاف الطبيعة والمعاقبة عليها دون أي شرط آخر، ولا يستقيم التفسير أو القياس في معرض النص الجزائي الواضح والصريح".

ونحن نشاطر القاضي بو نصّار الرأي بأنّ عبارة "المجامعة على خلاف الطبيعة" لا تحتاج الى تفسير، لأن في الطبيعة البشرية ومنذ التكوين تحصل المجامعة بين جنسين مختلفين وهذا ما يعتبر أمر طبيعي "acte normal"، أما ما يحصل من مجامعة بين شخصين من نفس الجنس البيولوجي فهو أمر على خلاف الطبيعة "acte anormal" وبالتالي يتوجّب معاقبته سنداً لأحكام المادة 534 عقوبات ولا شيء يمنع برأينا من تطبيق المادة 69 من قانون حفظ الصحة العامة من البغاء الصادر عام 1931 والمشار إليه أعلاه...

وغني عن البيان أنّ المشرّع اللبناني لم يُعاقب على مجرّد الميول الجنسية إنما يعاقب برأينا على المجامعة المتأتّية عنها وبالتالي فلا تستقيم الإدانة ما لم يقم الدليل على حصول المجامعة، لا مجرّد الدليل على أنّ الشخص مثلي الجنسي...

وفي الواقع لم تكن المخالفة المذكورة أعلاه الوحيدة قضائياً في تأكيد تجريم المثلية الجنسية والمعاقبة عليها بل هناك أحكاماً عديدة سبقتها نذكر منها على سبيل المثال القرار الصادر عن محكمة الجنايات في بيروت عام 2011(1) والذي حكم على المتّهم بجرم اللواط بالحبس 6 أشهر تطبيقاً لأحكام المادة 534 عقوبات.

وكذلك القرار الصادر عن نفس المحكمة عام 2013(2) والقاضي أيضاً بحبس المتّهم 6 أشهر عن جريمة اللواط وفقاً لجنحة المادة 534 عقوبات.

1- قرار محكمة الجنايات في بيروت رقم 133 تاريخ 2011/4/11.

2- قرار محكمة الجنايات في بيروت رقم 199 تاريخ 2013/4/22.

وفي عام 2016 رفضت محكمة الجنايات في بيروت(1) إبطال التعقّبات بحق مجموعة شبّان مثليّين أو إعفاءهم من العقاب بحجّة أنّ قانون العقوبات اللبناني يُدين مثل هذا الجرم ولا يتسامح إزاءه حتى ولو كان مشرَّعاً ومباحاً خارج لبنان وأنّ إلغاء تجريم العلاقات المثليّة المخالفة للطبيعة نزولاً عند المعاهدات والإتّفاقات الدولية(2) التي تتعارض أحكامها مع نص المادة 534 عقوبات، ليس من مهام المحاكم إنّما من إختصاص المجلس النيابي...

وقد جرّمت المحكمة في حكمها جنحة ممارسة اللواط المنبثقة عن جريمة قتل وقعت في محلّة الجعيتاوي عام 2010 سنداً لأحكام المادة 534 عقوبات معتبرة أنّ المعاهدات والإتّفاقات الدولية تُعطي لكل إنسان الحق بالخصوصية، وتراعي مبدأ الكرامة الإنسانية، وعدم جواز التمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين أو اللغة... لا يعني تشريع العلاقات المثليّة لأنّ كلمة "الجنس" تعني الرجل أو المرأة ولا تعني الميول الجنسية لكل منهما.

ومن المعروف أنّ مبدأ تسلسل القواعد القانونية(3) يقضي بضرورة تطبيق المعاهدات الدولية في حال تعارضها مع النصوص الداخلية. إلاّ أنّ الفقه الحديث(4) أخذ منحى معاكس تماماً وبالتالي أقرّ بجواز عدم الأخذ بالمعاهدات الدولية عند تعارضها مع القوانين الداخلية وأنه يتوجّب على الدولة التي ترتبط بمعاهدة دولية أن تعدّل نصوصها الداخلية لكي تتلاءم مع تلك المعاهدة. وقد أيّد الإجتهاد الفرنسي هذا الطرح في العديد من أحكامه(5).

1- قرار محكمة جنايات بيروت – رقم 488 تاريخ 2016/6/7 منشور في مجلّة محكمة – عدد 9 – تموز 2016.

2- نذكر منها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948 والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966.

3- تنص المادة الثانية من قانون أصول المحاكمات المدنية: "على المحاكم أن تتقيّد بمبدأ تسلسل القواعد. عن تعارض أحكام المعاهدات الدولية مع أحكام القانون العادي، تتقدّم في مجال التطبيق الأولى على الثانية..."

4- NGUYEN coa DYN: “Droit international public” – 8ème éditions

5- L.G.D.J. Cass-civil- 1ère chambre – 10 Mars 1993 Dalloz – 1993 – P 361

وفي الواقع إنّ ما نصّت عليه المادة الثانية من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966 الذي صدّق عليه لبنان عام 1976 تصب في هذا الإتّجاه إذ ألزمت كل دولة طرف في هذا العهد إذا كانت تدابيرها التشريعية أو غير التشريعية القائمة لا تكفل فعلاً إعمال الحقوق المعترف بها في هذا العهد بأن تتّخذ ما تراه ضرورياً لهذا الإعمال...

بناءً على ما تقدّم نلاحظ أنّ البلدان التي شرّعت العلاقات المثلية كفرنسا مثلاً قد كرّست ذلك بقوانين وضعية داخلية بحيثُ أنه لو كانت هذه العلاقات المثليّة طبيعية ومباحة لما أقدمت على النص عليها بقوانين داخلية وإكتفت بما هو وارد في المعاهدات الدولية لأنّ الأصل هو الإباحة والجواز والإستثناء هو المنع والتجريم...

خلاصة القول أنّ مسألة المثليّة الجنسية هي من المسائل الدقيقة والحساسة داخل مجتمعاتنا المحافِظَة على الكثير من المبادئ والقيم والعادات والتقاليد والأعراف وغيرها...

إنّ الضبابية التي تُحيط بنص المادة 534 عقوبات والتي فسحت المجال أمام تناقضات قضائية كبيرة لجهة تفسير روح النص والبحث عن نيّة المشترع الأساسية تستدعي برأينا على الأقل تدخّلاً تشريعياً سريعاً يؤدّي الى تبنّي وجهة نظر واضحة تتجسّد في إعتماد نصوص قانونية صريحة تُعاقب أو تُبيح المثليّة الجنسية بشكل لا يحتمل التأويل وهذا ما يضع برأينا حدّاً لهذا الشرخ القضائي الحاصل حيال هذه المسألة إذ لا إجتهاد في مورد النص الصريح...

ناهيك عن إمكانية العودة الى قانون حفظ الصحة العامة من البغاء الصادر عام 1931 والذي كما ذكرنا يعتبر المثليّة الجنسية (اللواط) جريمة ويُعاقب عليها بالحبس حتى ستة أشهر وإن كان هذا القانون قديماً أو كان خاصاً يطبّق في حالات معنية أي (داخل بيوت التلاقي أو البيوت العمومية)...

وطالما أنّ القاعدة القانونية هي وليدة الحياة الإجتماعية وطالما أنّ السائد في مجتمعاتنا هو المحافظة على النظام العام الإجتماعي والديني والأخلاقي فلا أتصوّر أنّ المشرّع اللبناني سيتقاعس عن إجراء التعديلات القانونية لبعض النصوص الجزائية لكي تصبح أكثر إنسجاماً مع النظام العام اللبناني المحافظ الى حدّ كبير في هذا المجال (المثليّة الجنسية) أو غيره.

حكاية عز وأمل

بقلم الاستاذ ابراهيم فقيه(الرئيس الفخري للمجلس القاري الافريقي)

كلمات وعبارات، ألفناها وعرفناها، عشناها وعايشناها، مثل : الغربة والاغتراب والمغتربين، الهجرة والمهاجرين و المهجّرين، الإنتشار والمنتشرين... تلك هي كلمات بأبعادها ومعانيها وآمالها وأمانيها ، ليست غريبة على مسامع اللبنانيين الذين عرفوها وتأثروا بها، وتفاعلوا معها منذ زمن بعيد، بل منذ تواجدهم على هذه الارض، كغيرهم من الشعوب على امتداد الكرة الارضية . والهجرة لاتعني الانسان فقط، أوتنحصر فيه بل تنطبق هذه الحالة على كافة الكائنات الحيّة والمخلوفات. فالطيور المهاجرة تهاجر من المناطق الباردة الى الدافئة ، أو من الشمال الى الجنوب، وكذلك الاسماك في البحار والمحيطات ، والشمس تهاجر من الشرق الى الغرب ، وكذلك الرسل والانبياء كانوا يهاجرون لنشر رسالاتهم، والتقويم الاسلامي سمي بالتقويم الهجري، وفي الآية الكريمة " سبحان من أسرى بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى "، ونبي الله نوح هاجر مع من حمل معه على متن السفينة، فنجوا من الطوفان ، وكليم الله موسى هاجر لأربعين يوماً الى الوادي المقدّس طوى، ليرى وجه الله، وروح الله عيسى" لم يقتلوه، ولم يصلبوه ولكن شبّه لهم به، فهاجر الى جوار العرش، وخاتم الانبياء محمد هاجر من مكة الى المدينة، ليواجه مع الأنصار المشركين، لإعلاء كلمة لا إله الا الله، والشهداء يهاجرون من دار الفناء الى دار البقاء ...

ولطالما هاجر الشعراء والأدباء والعلماء والفلاسفة والفنانون عبر احلامهم الى عالم آخر . والحديث على الغربة و الهجرة و الإنتشار بأسبابها ونتائجها موضوع واسع لامجال للغوص في تفاصيله، فما نحن بصدده الحديث عن الاغتراب اللبناني بإختصار خلال فترة من الزمن وبالتحديد في القارة الافريقية ، خلال العقود الخمسين الأخيرة التي عايشتها تقريباً، ومن موقع المسؤولية ، لما لهذه الطاقة الاغترابية من قدرة على دور مؤثر على الواقع اللبناني في مجالاته الاقتصادية والاجتماعية والتنموية الشامل ، لمدى أهمية الخبرة التي

اكتسبها المغتربون عبر عشرات السنين في بلاد الاغتراب ، وللدور الهام الذي لعبوه ولا زالوا في تنمية وتطوير المجتمعات الحاضنة لهم ، ولأن القوانين و الأنظمة في الاميركتين واستراليا وكندا تسمح لمكتسبي الجنسية في بلادهم بالوصول الى المراكز التي يستحقونها ، والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم، حيث عرفنا شخصيات لبنانية أو متحدرة من أصل لبناني تبوءوا أرفع المسؤوليات والمناصب الرسمية والاجتماعية والاقتصادية والمهنية ، كذلك فإن الكثير من اللبنانيين المغتربين في أفريقيا تركوا بصماتهم ولا يزالون وعبر الأجيال في كافة مواقع المسؤولية ، وفي مجالات التنمية والاقتصاد والعمران ورسموا بصدق جنيهم لوحة رائعة تمثل صلابة الجنوبي واللبناني وقدرته على التواصل والتفاعل والتعايش مع كافة الشعوب، وأطياف المجتمعات ، كما يملكون قدرة هائلة على الوصول الى مبتغاهم و تحقيق أهدافهم مهما كانت الصعوبات، وكثرت العقبات ويبنون امبراطورياتهم في المهجر ، بينما كثيراً ما يصعب عليهم اختراق الحواجز التي تضعها في وجههم الطبقة السياسية الحاكمة، والقوى المؤثرة و المهيمنة على ارض الواقع اللبناني ، لأن الحاكم في لبنان بتعاطى مع المغتربين كبقرة حلوب.

ففي خطابات المسؤولين وعلى منابرهم وعبر شاشاتهم يتغنون بالاغتراب والمغتربين، ويعتبرونهم الجناح الآخر والأهم الذي يحلّق به لبنان ، وعلى أرض الواقع ينظرون اليهم كأرقام عددية ومالية وليسوا كمواطنين يجاهدون خارج الوطن .

فالاغتراب اللبناني حكاية الإرادة الصلبة لشعب عظيم قدره أن يحيا بعز وكرامة مهما كثرت الصعوبات وتعاظمت المعطيات وتراكمت المطبات ، شعب وصفوه بطائر الفينيق ينبعث من بين الرماد ليحلّق عالمياً في سماء الحرية ، بدأت هجرته لينقل الحضارة عبر البحار ، وليعلم الحرف وقواعد التجارة و حب الحياة .

هذا الاغتراب الذي يمثل ملايين المغتربين بين المنتشرين عبر أصقاع الأرض ليحتل مع كل مغترب قصة عز تحكى للأجيال ، حقهم على وطنهم ودولتهم أن تكون الدولة اللبنانية لهم ظهرا وظهيراً، راعياً وحاضناً، أباً واماً. فأكثر من عشرة ملايين مغترب لبناني أو متحدّر يستحقون وزارة خاصة بهم ترعى شؤونهم ، عنيت وزارة المغتربين كأهم الوزارات الكاملة المؤسسات ، وعبر هذه الوزارة يمكن أن تبدأ رحلة الألف ميل عبر الخطوة الأولى لتنظيم شؤونهم كطاقة هائلة تساهم بالشكل الأرقى في تثبيت الدعائم الاقتصادية لإنقاذ لبنان ، وإعداد دراسات علمية وعملانية بين الوطن الأم والبلاد التي يتواجد فيها جاليات لبنانية موعودة . وذلك بدءاً

من إجراء احصاءات اللبنانيين في الخارج ، لملفات شاملة ، وإعداد دراسات ميدانية للمغتربين في كل بلد يقيمون ويعملون فيه، وتحديد مجال عملهم، ومواقعهم و طاقاتهم وقدراتهم، و تأثيرها في مجالات عملهم و كيفية استثمارها ، عبر استمارات واقعية صادقة/ علمية و عقلانية ، والعمل على قاعدة بيانات ميدانية بكل ما يتعلق بقدرات و امكانات ومناطق إنتشار وتمركز المغتربين ، والإستعانة بها في التخطيط من أجل الإستفادة من تلك القدرات الهائلة ، بما يعزز ثقة المغتربين بدولتهم وربطهم بوطنهم الام ، والعمل على إنتشار غرف صناعة وتجارة بين كافة الدول المتواجدين فيها ، لتبادل الخبرات والصناعات و الإنتاج.

ويمكن للدولة اللبنانية وعبر وزارة المغتربين بالتعاون مع المؤسسات الاغترابية الممثلة لهم كالجامعة اللبنانية الثقافية في العالم و المجلس القاري الافريقي، لدرس حاجات الجاليات، وقدرتها على التفاعل مع المجتمع المضيف والدول المضيفة وطرق تطوير التعاون و إمكانية الإستثمار المزدوج بين الوطن الأم ودول الإنتشار ، كذلك المساعدة في قدرة الفعاليات والطاقات الاغترابية على توطيد العلاقات بين الدولة اللبنانية و أسواقها والأسواق العالمية ، وهنا المفيد جداً إنتشار جمعيات ولجان صداقة وتعاون في المجالات التنموية والاقتصادية والاجتماعية و السياسية والثقافية وغيرها ... وتبادل بعثات متخصصة و إقامة معارض مشتركة وتبادل الزيارات الرسمية والإنتاجية وإنتشار لوبي لبناني في المهجر ضمن التوجيه الوطني والثوابت الوطنية وحماية لبنان لكل اللبنانيين .

لقد لعب الاغتراب اللبناني دوراً أساسياً فاعلاً في التنمية الاقتصادية منذ تواجد المغتربين في البلاد الحاضنة لهم، حيث كان ينمو هذا الدور تدريجياً متأثراً بالمتغيرات السياسية و الاقتصادية الحاصلة في تلك البلاد، ولطالما كان ينعكس هذا الدور الاغترابي الإيجابي فرصة إيجابية للمغتربين أنفسهم ، وتعزيزاً لعلاقاتهم الوطيدة مع البلدان المضيفة لهم حكومات وشعوباً ومؤسسات،لان الغاية الاساسية للمعترب اللبناني حيث تواجد سواء في الاميركيتين وخاصة البرازيل وخيراتها واستراليا واوروبا ، ناهيك عن القارة الافريقية على إمتداد مساحاتها الخضراء ، وكذلك الدول العربية وبعض الدول الأسيوية ، لأن المغترب اللبناني يتمتع بميزة خاصة ، حيث أنه يعتبر أن البلد الذي يعمل وينتج ويعيش فيه هو وطنه الثاني، يتعلق به وبشعبه ودولته، مقيماً أفضل العلاقات مع كافة شرائح المجتمع ، متأثراًبعاداتهم، متعايشاً مع تقاليدهم ، مؤثراً فيهم علماً وثقافة وإجتماعاً، دون أن يتدخل في الشؤون السياسية للبلاد محترماً قوانينها، خاضعاً لانظمتها المرعية

الإجراء ، وكما لم تبخل تلك البلدان بحضانتها للمغترب اللبناني، والتساهل معه، وإفساحها في المجال لتحقيق طموحاته ، فإن اللبناني سواء حصل على جنسية تلك البلاد أم لم يحصل فإنه يعيش مواطنا ناشطاً وفاعلاً دون أن ينسى وطنه الأم لبنان تواجداً ومساهمة في تنمية اقتصاده ومؤسساته الاجتماعية والمدنية ، وحماية وحدته الداخلية ، بالرغم من أن الدولة اللبنانية ومؤسساتها وبعض أنظمتها البالية لم تتح للمغترب دوراً فاعلاً يمكنه من تثبيت تجاربه الناجحة في الخارج داخل وطنه الذي هو بأمس الحاجة الى هذه الآفاق الواسعة من الرؤية المتطورة، التي يتمتع بها والذي مارس ولا يزال بحرية أوسع وإحترام أفضل في بلاد الإنتشار مما أتاح له المساهمة الفاعلة والأساسية في دفع عجلة التنمية في البلاد التي يتواجد فيها جاليات لبنانية وازنة . وظهرت في العالم أسماء مؤسسات وشخصيات هامة و فاعلة معروفة جداًعلى مستوى الكرة الارضية، في عالم المال والاقتصاد والسياسة، ويشكل الإنتشار اللبناني في الخارج رأسمالاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً كبيراً يجب إدراك حجمه والإلتفات الى كيفية توظيفه في سبيل تشكيل لوبي اغترابي ضاغط على الدول ومراكز القرار لدعم القضية اللبنانية و العربية المحقة و العادلة . وكما استطاع الاغتراب اللبناني أن ينجح في تنمية المجتمعات الحاضنة له ، وأن يلعب دوراً رئيسياً في متغيرات السياسة الاقتصادية في تلك البلاد ، إستطاع أن يطور نفسه أيضاً ويفعّل دوره في تنمية التبادل الإستثماري و التجاري بين الدول العربية التي ينطلق منها بنشاطه الاقتصادي ، وهذا يؤكدعلى ضرورة تفاعل القوى الاغترابية اللبنانية وتعاونها بشكل مؤسساتي منظم و مدروس ، وهنا تبرز أهمية الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم ومجالسها القارية ، خاصة المجلس القاري الافريقي العمود الفقري للجامعة ، التي ترعى شؤون وشجون المغتربين في جميع أنحاء العالم . ويبقى للدولة اللبنانية بعداً منتظراً في رعاية هذا الاغتراب وحضانته والإستفادة من تجربته وقدراته، لانه يمثل امبراطورية لاتغيب عنها الشمس ،وحبذا لو وعت الطبقة السياسية الحاكمة في لبنان لأهمية هذه الطاقة المستندة على قدرتها الذاتية دون دعم رسمي لبناني ، هذا قبل استخراج الثروة النفطية والغاز من أرض لبنان وبحره ، فماذا نقول عندما يحين موعد الإستفادة من هذه الثروة المنتظرة إذا أحسنا إدارتها وإستثمارها في الإنعاش الاقتصادي بعد الإنهيار المالي و النقدي الذي يعيشه هذا الوطن .

لقد تميز الاغتراب اللبناني بانفتاحه على المجتمعات والشعوب التي حضنته، وبتفاعله مع البلاد التي لجأ اليها المغتربون سعياً للعمل والعيش الكريم او هروباً من الحروب والمشاكل الامنية و الاقتصادية التي عانى منها لبنان ولايزال منذ أكثر من مائة عام . ولعل شخصية اللبناني وحبه للإنفتاح على الآخر والتفاعل معه،

أكسبه قدرة فائقة على تحمل الصعاب في الغربة من جهة، وفرص النجاح والتفوّق من جهة أخرى ، وشغفه في إكتشاف ما وراء البحار ، وأتاح له سهولة التأقلم والتناغم مع شعوب العالم . كما أن ما ميّز اللبناني المغترب عن غيره من المهاجرين أنه يعتبر البلد الذي يعمل وينتج فيه بمثابة بلده الثاني ، فيساهم في نهضته وعمرانه وتنميته، كما يشارك أهاليه عاداتهم وتقاليدهم وأفراحهم وهمومهم ، ويساهم في حل مشاكلهم . لذا توصل المغتربون الى اكتساب جنسية الدول المضيفة وحازوا على ثقة شعوبها ومسؤوليها ، منذ وطأت أقدامهم تلك الأرض،على إمتداد القارات الى يومنا هذا بنجاح وتفوق، ونسجوا علاقات اجتماعية واسعة النطاق من الإهتمام بالشأن الصحي والاجتماعي والتنموي والثقافي والعملاني والأدبي، كذلك على مستوى التربية والتعليم وفي كافة المجالات .

لايتبادر لأذهان البعض أن الاغتراب اللبناني المنتشر عبر العالم ، والمشع بوجوده في كافة مجالات الحياة أنه يمتلك طاقات هائلة في مجالات العلم والطب والفن والأدب لاتقل أهمية عن غيرهم من اللبنانيين المقيمين على إمتداد الساحة الثقافية التي تختزن قيمة طاقة هائلة الى القيم الانسانية التي تحاكي التاريخ منذ قرون من الزمن .

والكل يعلم أن الاغتراب اللبناني يشكل لها تنظيم آلية للعمل الوطني لكانت شكلت الذراع الاقوى على ترك بصماته في كافة أنحاء المجتمع ولكانت اسست لامبراطورية حضارية منطلقة من وطن صغير الحجم ، كبير الطاقة ، قوي العطاء. لكن الظروف التي مرّ بها هذا الوطن ولا يزال للاسف منذ إعلان كيانه ، لم تسمح له عبر نظامه المتخلف والمثقل بشوائب الطائفية ورواسب الاقطاع بكافة أشكاله القديمة والحديثة ، وقفت عائقاً دون السماح لهذه الطاقة من تحقيق مداها عبر العالم، من تحقيق أمانيهم في بناء مجتمع متقدّم، يحكمه القانون ، وتسوده المواطنة الحقة، لاقامة دولة القانون والمؤسسات ، دولة العدالة و المساواة ، تحتكم لحقوق الانسان وسعادته، لذلك فإن الفعاليات الاغترابية مدعوة اليوم الى توحيد الجهود و الطاقات من أجل تفعيل المؤسسات الممثلة لهم والعاملة من أجل حماية مصالحهم، ونشر ثقافتهم، والإستفادة من تجاربهم وخبراتهم ليتسنى لهم المساهمة الفعالة في حماية الوطن وإنقاذه من الإنهيار القادم بالتعاون و المشاركة مع هيئات المجتمع المدني من المقيمين الساعين لانقاذ وطنهم ، والتأكيد على سيادته و استقلاله في وقت تهبّ العواصف العاتية من كل جانب ، وتهدده الأخطار المنتسرة من كل الجهات الى جانب المخاطر الاقتصادية

والمالية و النقدية والمشاكل الاجتماعية المستعصية على أكثرية المجتمع اللبناني، وكل ما يهدد الكيان ومن فيه ، وليعود للاغتراب اسطورته التي حاكها عبر القرون من الزمن بجهد خارق، وقدرة فائقة، ليحيا الاغتراب ويحيا الوطن .

في مجاهل الاغتراب

الأسباب الحقيقية للأزمة المالية والإقتصادية اللبنانية وإمكانية تحويل التهديدات الى فرص وحلول

إعداد الدكتور محمود عبدالرؤوف كوثراني(أستاذ جامعي وباحث)

مقدمة

منذ بزوغ مشروع الدولة وما رافقها من تطورات وصولاً الى حالتها الراهنة، مع كل الإختلافات في الأنظمة السياسية والإقتصادية، لم تغب المشاكل والأزمات عن معظمها سواءً بسبب ظروف قاهرة، أو بسبب سوء إدارة، أم غيرها من الأسباب التي أدت الى معاناة شعوب وإرباك حياتها وضياع أحلامها.

فالأزمات المالية والإقتصادية لا تتولد بشكل مفاجئ كما الكوارث الطبيعية أو الأوبئة، بل تتولد بشكل تصاعدي نتيجة تراكمات متلازمة مع إهمال وسوء ادارة ينتج عنهما هدر وفساد، وغياب التخطيط الإستراتيجي والخطط المرحلية المنبثقة عنه، ما يؤدي الى تصاعد الدين العام وصولاً الى فقدان السيطرة عليه، ومن ثم تبدأ مرحلة الأزمة التي تلزم المعنيين بالبحث عن حلول لها.

ان الدول التي وصلت الى درجة التقدم، لم يكن لها أن تصل اليها في ظل غياب التخطيط وعدم الإستفادة القصوى من الموارد الطبيعية وغير الطبيعية المتوفرة أصلاً في كل الجغرافيات، وان بشكل متفاوت. فالمشكلة الأساسية تكمن في كيفية إدارة هذه الموارد واستثمارها كي تساهم في الوصول الى هذه الدرجة التي تطمح الكثير من الدول الوصول اليها، لكن هذا الطموح كي يصبح حقيقة يحتاج الى ظروف ومناخ مناسبين يمكن لأي دولة في العالم أن تؤمنهما في حال تمتعت بحرية القرار وحرية التصرف بمواردها دون تدخلات تعيق العملية، فضلاً عن توفر النظام السياسي والمؤسساتي والكفاءات التي تستطيع القيام بواجباتها دون عوائق.

مرت العديد من الدول بأزمات مالية وإقتصادية، منها دولاً متقدمة وأخرى نامية، لكنها استطاعت بفضل الخطط الناجحة أن تحول أزماتها الى فرص نجاح حقيقية. فأمريكا على سبيل المثال لم تكن بمنأى عنها منذ اوائل القرن العشرين وتحديداً عام 1907 عندما انهارت البورصة وفقدت أكثر من 50% من قيمتها، وتكرر الأمر مع بدايات القرن الواحد والعشرين حيث شهدت الأسواق الأميركية تراجعاً كبيراً عام 2008، لكنها بعد فترة قصيرة تجاوزت هذه الأزمة. وهناك دولاً نامية كانت تعاني من ازمات على مستوى ماليتها

وإقتصادها لكنها نهضت بفعل الإرادة والتخطيط، نذكر منها ماليزيا وسنغافورة المقتطعة منها والتي أصبح لإقتصادها مكانة على المستوى العالمي بعد ان وصل ناتجها المحلي الى اكثر من 225 مليار دولار عام 2019، وهي عبارة عن جزيرتين، المأهولة منهما مساحتها أقل من 600كلم2، وعدد سكانها أصبح حوالي 6 ملايين نسمة.

أما لبنان الذي عاش فترة قصيرة من النمو والنشاط الإقتصادي الظرفي، وهي فترة ما قبل الحرب الأهلية، بالرغم من الخلل الكبير في استخدام عائداته التي لم تكن بشكل عادل وأمثل، ما أعاق توليد قطاعات إنتاجية تؤشر الى قوة في الإقتصاد تتمثل في توازن قطاعاته، الا ان الذي حصل كان تقليص النشاط الإنتاجي لصالح النشاط الخدماتي، ما ادى الى خلل قطاعي كبير جعل قطاع الخدمات يسيطر اليوم على حوالي 90% من النشاط الإقتصادي، وهذا مؤشر خطير، خاصة ان المعروف عن هذا القطاع انه يحتاج الى استقرار أمني وسياسي للحفاظ على نشاطه وقوته واستمراره، وهذا لم يتوفر في بلد يعيش منذ الإستقلال إما حال من الهدنة أو الحرب، ما يعني ان اعتبار لبنان وإقتصاده بلد خدمات هو ضرب من الجنون المخطط والمتعمد، الهدف منه اضعاف قطاعات الإنتاج الى الحد الذي بتنا نفتقد فيه الإنتاج المحلي ونعتمد على الإستيراد بنسبة تفوق ال 80%، ما يكبد الدولة مبالغ كبيرة من العملات الصعبة لتغطية عمليات الإستيراد، حيث تجاوزت عام 2018 ال20 مليار دولار، وهذا بمثابة استنزاف للعملة الصعبة وانتحار نقدي. هذه السياسة كانت واضحة لدى المسؤولين والمتابعين والكل على يقين انها ستؤدي الى أزمة في وقت قريب، وهذا ما حصل فعلاً، حيث وصلنا الى ما كان متوقعاً من سياسات مالية وإقتصادية بدأت آوائل التسعينات مع مفعول تراكمي للفترة الممتدة بين عام 1983 والعام 1989، ولم تنتهي حتى اليوم. اعتمدت هذه السياسات على مسارين وتحت ذريعة إعادة الإعمار، الدين الفوضوي اي غير المنظم من جهة، ورفع الفوائد على السندات التي وصلت الى أكثر من 40% فترة التسعينات من جهة أخرى. كانت هذه البداية بمثابة المخطط المعد للبنان الذي اعتمد على مسارين أيضاً :

الأول : رفع المديونية الى أعلى مدى ممكن.

الثاني : ضرب القاعدة الإنتاجية من خلال الإهمال المتعمد لقطاعات الإنتاج.

ان الهدف من سلوك هذين المسارين هو الوصول الى الأزمة التي يصبح من الصعب معالجتها دون مساعدات دولية، والجميع يعرف ما الذي يترتب على هذه المساعدات التي من المؤكد انها ستكون مشروطة، وشروطها من الطبيعي أن تكون مكلفة أكثر من تكاليف معالجة الأزمة نفسها.

بناء عليه، نجد أن الأزمة المالية اللبنانية بدأت ملامحها مع السياسات التي اعتمدتها الحكومات المتعاقبة من العام 1992 منذ اول انتخابات نيابية بعد الحرب، واهمها الموازنات وأبواب الإنفاق، ومشاريع اعادة الإعمار ومحاصصة التلزيم بالتراضي، وغياب الرقابة، والتوظيف النفعي دون ادنى معايير، وكل انواع الهدر والفساد الذي لم يكن ينقصه الا تشريع ليصبح قانوني، حيث باتت توجد أعراف في هذا المجال أقوى من القوانين نفسها، ما تسبب في سلوك الدين العام مساراً تصاعدياً، من أقل من مليارين دولار عام 1991 الى 91 مليار مع نهاية عام 2019، ما يقارب ضعف الناتج المحلي، دون أن يبرر ذلك بانجازات توازي قيمة هذا الدين.

كما الأزمة المالية إن الأزمة الإقتصادية أيضاً سلكت مساراً تصاعدياً سلبياً تجلى في تراجع قطاعات الإنتاج بشكل واضح لصالح قطاع الخدمات الذي كاد ان يكون القطاع الإقتصادي الأوحد، بعد تراجع قطاع الزراعة من أكثر من 11% بداية التسعينات الى أقل من 5% من الناتج المحلي، أيضاً قطاع الصناعة تراجع من حوالي 20% الى أقل من 7%. امام هذا التراجع الذي لا يمكن الا ان نضعه في خانة الإهمال المتعمد، يتبادر الى الذهن السؤال التالي:

ما هي الأسباب الحقيقية للأزمة المالية والإقتصادية اللبنانية وهل يمكن تحويل التهديدات الناجمة عنها الى فرص؟.

أولاً : الأزمة المالية اللبنانية (الأسباب، النتائج والحلول)

1- الظروف التراكمية التي أدت الى الأزمة المالية في لبنان

ان الأزمات المالية التي تتعرض لها الدول لا يمكن أن تحصل بشكل مفاجئ وان كانت سمة الأزمات هي المفاجأة، لأن المؤشرات على حصول الأزمة تبدأ بالظهور تدريجياً كمشكلات وتتطور بشكل مضطرد حتى يأتي اليوم الموعود أو ما يعرف بانفجار الأزمة، وهذا ما حصل في لبنان مع نهاية العام 2019 بعد أن بدأت ملامح الأزمة المالية بالظهور. ويمكن تحديد هذه الظروف كالتالي:

- يعود العمر التراكمي للأزمة المالية الى عام 1983 عندما بدأت عمليات الإنفاق بشكل غير مسبوق، ومعظمها على الشؤون العسكرية والتسليحية، حيث صرف في هذا المجال أكثر من 25% من الموازنة العامة، في حين لم تكن الدولة منخرطة بشكل مباشر في الأعمال العسكرية التي بدأت عام 1975،

واستمرت عمليات الإنفاق هذه بوتيرة تصاعدية حتى آواخر عام 1989، لذلك كانت تعتبر بمثابة ارهاق للخزينة التي هي اصلاً مرهقة بسبب توقف الجباية في معظم المرافق.

- مخاوف المودعين من تدهور سعر العملة المحلية نتيجة الإجتياح الإسرائيلي وما ترتب عليه، دفعتهم الى تحويل اموالهم من الليرة اللبنانية الى الدولار للحفاظ على قيمتها، ما أدى الى تراجع احتياط المصرف المركزي بالعملة الأجنبية من 3 مليارات دولار الى 600 مليون دولار لتأمين الطلب، كما ان المركزي كان يقوم بعملية تمويل الدولة لسد العجز وتأمين عمليات الإنفاق المختلفة.

وهنا يتبادر لنا السؤال التالي : لماذا لجأت الدولة الى هذا الإنفاق الذي رفع عجز الميزان التجاري بشكل كبير في ظل تراجع عمليات التصدير نتيجة توقف عدد كبير من المصانع عن الإنتاج، كما تراجع القطاع الزراعي ايضاً، ما رفع فاتورة الإستيراد الى مستوى قياسي حينها؟.

- آواخر العام 1989 انهى اتفاق الطائف الحرب، لكنه لم ينهي المسار التراكمي للأزمة المالية، لا بل كانت نهايتها بمثابة فرصة لعدد محدود من قوى الأمر الواقع الذين اتفقوا بالتكافل والتضامن على التحاصص في كل مؤسسات الدولة ومواردها. كما ان كل الحكومات التي توالت على البلاد منذ نهاية 1992، راهنت على عودة الاقتصاد اللبناني الى سابق عهده كمركز خدماتي وسيطي بين الاقتصادات العربية والاقتصادات الغربية المتطورة كما كان الحال قبل عام 1975 لكن رهانها لم يكن موضوعي وتشوبه الكثير من التساؤلات، وغير مبني على المعرفة المعمقة للمتغيرات التي طالت العالم بأسره بشكل عام، ومنطقة الشرق الأوسط وتحديداً الدول التي كان يعتمد عليها لبنان في عمليات التمويل، والسياحة التي كانت تضخ العملات الصعبة، وبعض الإستثمارات العقارية والخدمية بشكل خاص، ومنها دول الخليج العربي، لأنها خلال الخمسة عشر عاماً تغيرت أحوالها واستغنت عن لبنان بشكل كبير في كثير من هذه الأمور، فضلاً عن استبدال السوق اللبناني في عمليات الإستيراد التي استبدلتها بأسواق أخرى تبين لها ان أسعارها أقل بكثير من أسعار السلع اللبنانية التي لم تعد تستطيع المزاحمة بسبب ارتفاع أكلاف إنتاجها الى الحد الذي أفقدها القدرة التنافسية، وهذا أيضاً ساهم في خفض تدفق العملات الصعبة بشكل كبير.

- رهان الحكومات على حصول السلام في المنطقة بشكل حتمي وسريع، بالرغم من كل السياسات الإسرائيلية العدوانية والسياسات الأميركية المنحازة لإسرائيل. وأتت اتفاقية أوسلو عام 1993 لتزيد قناعة المسؤولين اللبنانيين بأن حصول السلام السريع سيسمح للبنان بأن يتبوأ مركزاً مرموقاً اكثر من ذي قبل في المنطقة. وقد تأثرت الحكومات اللبنانية بخطط الحكومة الأميركية المتحالفة مع إسرائيل بالنسبة لمشروع

الشرق الأوسط الجديد، وإقامة منطقة تجارة حرة شرق أوسطية تشمل العرب وإسرائيل والأتراك في شبكة من العلاقات الاقتصادية والمالية المكثفة. ورغم كل الإشارات السلبية التي كان يمكن رصدها من التحركات الإسرائيلية، ومنها بشكل خاص استمرار احتلال جنوب لبنان والتوسع الاستيطاني في الضفة الغربية وغزة والجولان المحتل، لم تعدّل الحكومات اللبنانية المتعاقبة خططها الاعمارية المبنية على فرضية مزدوجة خاطئة (استعادة لبنان دوره التقليدي كأنه لم يتغير شيء في المنطقة وحصول السلام السريع) التي لم تشمل إلا الإنفاق الباذخ على بعض البنية التحتية المركزة في العاصمة مجدداً.

- تخفيض تصاعدية ضريبة الدخل الى مستويات دنيا، أي بين 2 % و 10 %. وهذا إجراء غريب للغاية في بلد خرج من حرب شعواء ويحتاج الى إيرادات ضريبية اضافية لتمويل نفقات الاعمار وتقديم التعويضات والتسهيلات للمواطنين والشركات المتضررة من الأعمال العسكرية والحربية. ولا يوجد في العالم بلد خرج من حرب طويلة إلا وقام بفرض ضرائب استثنائية على الثروات والمداخيل العالية، ولو بشكل مؤقت، او قام بفرض اكتتاب الزامي في سندات خزينة طويلة الأمد وبفوائد منخفضة (3 او 4 % بغض النظر عن نسبة التضخم) لكي تتوفر للدولة إمكانيات التعويض عن الخسارات وتحمل تكاليف إعادة ترميم البنية التحتية.
- اصدار سندات خزينة بفوائد مرتفعة جداً وصلت الى أكثر من 40% ، ما ساهم بثراء فاحش للقطاع المصرفي وأصحاب الرساميل الكبيرة، وبدء بشق طريق المديونية المتنامية والمضطردة التي على ما يبدو هي جزء من مخطط اعد للبنان بهدف تحقيق أهداف محددة، وهنا بيت القصيد لأن هذه السياسات هي التي أوصلت لبنان اليوم الى ما هوفيه منذ آواخر العام 1992. **وفي هذا المجال قال في احد اللقاءات وزير مالية أسبق لشخصية سياسية آواخر التسعينات عندما سأله عن جدوى رفع الفائدة على سندات الخزينة الى هذا الحد، كانت إجابته صادمة وهي أن هذا الأمر هو مشروع ضرب الإقتصاد اللبناني.**

-السياسات النقدية والمصرفية التي انتهجتها الإدارة الجديدة لمصرف لبنان منذ العام 1993 والتي كانت غريبة للغاية، حيث كان المصرف يقوم بشراء كميات كبيرة من الدولارات بسعر 1800 ل.ل كي لا تنخفض قيمة الدولار أمام العملة المحلية كما كان متوقع الى ما بين 700ل.ل والـ1000ل.ل، وفي الوقت نفسه فرض مصرف لبنان احتياطات إلزامية على الودائع المحررة بالليرة اللبنانية، بينما أعفى الودائع المحررة بالدولار والعملات الأجنبية الأخرى من هذا الاحتياط

الإلزامي، كما نظم غرفة مقاصة للشيكات بالدولار ما سهل استعمال الدولار في المدفوعات الداخلية.

- سن مجلس النواب قوانين تشتمل على مبالغ مالية محررة بالدولار بدلاً من العملة الوطنية (وهذا مناف تماماً لمبادئ السيادة الوطنية)، كما اصبحت كل الوزارات تقبل بتلقي فواتير الموردين للسلع والخدمات بالدولار الأميركي بدلاً من العملة الوطنية، وذلك حتى بالنسبة الى المشتريات الجارية والعادية للإدارات مهما كانت قيمتها.

أما التسليفات فقد أصبحت كلها بالدولار، فاعتاد اللبناني ان يفتح حسابين لدى مصرفه، أحدهما بالليرة اللبنانية يُستعمل للإيداع والاستفادة من الفوائد العالية، والآخر بالدولار للإيداع واستعماله للمدفوعات الجارية. ومن مساوئ هذا النظام انه شجع بعض المتمولين على الاستدانة بالدولار لدى الجهاز المصرفي لشراء سندات خزينة بالليرة اللبنانية وقبض الفرق الشاسع بين الفائدة على العملتين وهو قد بلغ في بعض الفترات 30 %.

بناءً على ما تقدم تتضح المبررات التراكمية للأزمة المالية التي يتعرض لها لبنان اليوم، لأن استشرافها كان سهلاً للغاية في ظل هذا الأداء الذي زاوج بين قرارات غير مسؤولة لمسؤولين ينفذون سياسات على ما يبدو مخططة من قبل جهات تعرف مسبقاً الى أين يجب أن تصل الأمور، وفي توقيت محسوب، لتحقيق غايات أدناها إخضاع لبنان وقبوله بشروطها. فالنفط لم يكن بعيداً عن هذه الشروط، وسلاح المقاومة الحاضر الدائم، فضلاً عن القضية الفلسطينية التي هي جوهر المشكلة، حيث يعتبر لبنان من المعنيين الرئيسيين بها. فهذه الشروط الرئيسية الثلاثة فضلاً عن أخرى ثانوية ليس أقلها التدخل في مفاصل الحياة السياسية وبعض التعيينات في مواقع الدولة المتقدمة التي تبقى حاضرة عند كل استحقاق. وعليه كيف للبنان بحجمه الجغرافي والسكاني والإقتصادي أن يتحمل كل هذه التراكمات دون أن يصل الى مثل هذه الأزمة؟.

2- مقترحات وحلول لتحويل تهديدات الأزمة المالية الى فرصة

تدفع الأزمات دائما مراكز القرار ومواقع المسؤولية للبحث عن الحلول السريعة والممكنة لتلافي التكلفة المادية والزمنية والتبعات التي تترتب عليها وأهمها ما هو مرتبط بها بشكل مباشر أو غير مباشر، خاصة التضخم وانهيار العملة الوطنية أمام العملات الصعبة والتي بدورها تضع الدولة والمواطنين أمام حال من الفوضى العارمة، وتتولد فئة من المستفيدين المحتكرين لهذه الأزمة وعلى رأسها كل من يتعاطى بالشأن النقدي من مصارف ومحلات صيرفة ومن ورائهما من نافذين يؤمنون لهم الحماية على أساس تقاسم المغانم والمنافع الناتجة عن هذا الإحتكار.

بناء عليه لا بد من إيجاد حلول سريعة وليس متسرعة لإنهاء الأزمة ومترتباتها بأسرع وقت ممكن بهدف تخفيض كلفتها المادية والإقتصادية والإجتماعية، لذلك نقترح التالي:

- إلغاء كل التشريعات التي أدت الى دولرة الإقتصاد.
- استعادة أموال الفوائد التي حصلت عليها المصارف والشركات والأفراد بصورة غير شرعية، خاصة تلك التي تمت من خلال قروض بالدولار الأميركي وتم تحويلها الى الليرة اللبنانية لشراء سندات خزينة بها بفوائد فاقت ال 43% وكانت الفائدة المحققة منها حوالي 30%.
- سن تشريعات تمنع التعامل بالدولار الا في الحالات المبررة ولغايات تحقق مصلحة وطنية للإقتصاد ولغايات التعليم.
- تجميد عمل الصيارفة لمدة ثلاث سنوات بعد أن تبين أنهم أحد الأسباب الرئيسية للتلاعب بسعر الصرف، وحصر العمليات بالمصارف مع رقابة مشددة على هذه العمليات التي يجب أن تكون مبررة بحسب القوانين التي تحكمها.
- تشجيع مصرف لبنان أصحاب رؤوس الأموال اللبنانيين في الخارج وغير اللبنانيين لوضع ودائع بالدولار مع ضمانات عقارية أو ضمانات من خلال إحتياط الذهب مع فوائد مقبولة، لتعزيز احتياط المصرف من العملات الصعبة التي تحتاجها عمليات الإستيراد.

ثانياً : الأزمة الإقتصادية في لبنان

1- أسباب الأزمة الإقتصادية

إن وثاقة الإرتباط بين مالية الدولة وإقتصادها تجعل من الأزمة المالية الحالية مقدمة لأزمة إقتصادية مسوغاتها حاضرة بحجم حضور الأزمة المالية. فالأزمة الإقتصادية وإن اختلفت بظروفها ومبرراتها لكنها لا تختلف بآثارها على الدولة والمواطن.

إن المقدمات الظرفية للأزمة الإقتصادية بدأت عملياً مع بداية الحرب الأهلية لكنها لم تنتهي بانتهائها كما كان متوقعاً وكما هو طبيعي. لأن خسارة القطاع الصناعي الكبيرة أثناء الحرب بسبب الدمار والتوقف القصري أديا الى غياب الإنتاج اللبناني عن الأسواق العربية وغير العربية، ما دفع المستوردين الى استبدال السوق اللبناني بأسواق أخرى استمروا معها بسبب تناسب النوعية والسعر، كما أن إهمال الدولة المتعمد والمخطط لتقليص حجم الإنتاج الصناعي كان واضحا لدى الصناعيين والمتابعين، ويمكن تأكيد ذلك من خلال عدم تنفيذ مشروع المناطق الصناعية التي لا تساوي تكلفتها مبلغاً يذكر أو يؤثر على مالية الدولة قياساً مع عمليات

الهدر والفساد المتمثلة بالمشاريع والتلزيمات بالتراضي التي أرهقت الخزينة دون جدوى، في حين أن دعم القطاع الصناعي مهما كلف دعمه يساهم في التخفيف من عمليات الإستيراد التي بدورها تخفض من حجم الحاجة الى العملات الصعبة على المستوى النقدي والمالي، وفي نفس الوقت تستقطب اليد العاملة التي تخفف من حدة الأزمة الإجتماعية بسبب ارتفاع نسب البطالة وبالتالي نسب الفقر المرتبطة نسبياً بها. كما أن لبنان تجاوز بعلاقاته الدولية قدرته على تحصين القطاعات الإنتاجية من خلال الدخول بعلاقات تجارية ثنائية وتكتلات عربية ودولية، شرع بموجبها السوق اللبناني منذ العام 1996 حتى اليوم أمام السلع الأجنبية بطريقة جائرة، حيث أن الإنتاج الأجنبي قادر على المنافسة بسهولة ويسر، لأن تكلفة الإنتاج في الكثير من الدول وخاصة الصين وتركيا وبعض الدول العربية متدنية جداً قياساً مع تكلفة الإنتاج اللبناني، وهذا ما دفع بعدد كبير من أصحاب المصانع الى إقفالها وقسم آخر قلص عدد العاملين، وهذا الأمر بدء عملياً منذ آواخر التسعينات وما زال مستمراً حتى اليوم، وعليه يصبح الإستثمار في القطاع الصناعي عديم الجدوى لا بل هو بمثابة مخاطرة كبيرة. لذلك لم يعد لدى المستثمر في القطاع الصناعي اي نية للمجاذفة وانتقل الى الإستثمار في قطاع الخدمات حيث المخاطر أقل. وفي هذا السياق وتأكيداً لتعمد الدولة إضعاف قطاعات الإنتاج لحساب قطاع الخدمات أذكر على سبيل المثال ما سمعته شخصياً من نقيبي أصحاب معامل الأحذية والدباغات في لبنان بعد لقائهما أحد رؤوساء الحكومات السابقين لشرح معاناة هذين القطاعين الصناعيين المرتبطين والمتمثلة بالمنافسة الأجنبية التي ساهمت بإقفال أكثر من 80% من المعامل والدباغات ليأتي رده صاعقاً بالنسبة لهم ولقطاع الصناعة ككل، عندما قال لهم أن لبنان ليس بلداً صناعياً ولا زراعياً عليكم بيع مصناعكم أو إقفالها والإتجاه نحو الخدمات أفضل لكم ويدر عليكم أموالاً دون مخاطر. إن هذا الكلام حينما يصدر عن مسؤول بهذا المستوى ذلك يعني أن هناك خطة ممنهجة لتدمير قطاعات الإنتاج والإعتماد على الخارج في تأمين حاجاتنا التي وصلت الى أكثر من 85% ما رفع فاتورة الإستيراد الى حوالي 24 مليار دولا عام 2019 ، وعليه من الطبيعي أن يتعرض لبنان الى أزمة مالية وإقتصادية تفرضها الحاجة المصطنعة للعملة الصعبة لتمويل عمليات الإستيراد حتى من سلع تنتج محلياً لم يعد باستطاعة الدولة حمايتها في ظل السوق المفتوحة التي أصبحت أمراً لا يمكن الهروب منه، بعد أن أصبحت التكتلات الإقتصادية هي النموذج السائد في العلاقات التبادلية بين الدول وليس العلاقات الثنائية التي يمكن أن يتم التحكم بها وتراعي مصلحة الطرفين.

وينطبق ما تقدم بالنسبة للقطاع الصناعي على القطاع الزراعي أيضاً لجهة ارتفاع تكاليف الإنتاج وحدة المنافسة وانعدام الجدوى الإقتصادية من الإستثمار في الزراعة الذي أيضاً عانى وما زال من عدم إكتراث الدولة له وتركه دون أي دعم يذكر ويتجلى ذلك في الموازنات المخصصة لهذا القطاع والتي بالكاد كانت

تكفي رواتب الموظفين، بالرغم من محاولات جرت منذ العام 2010 لدعم هذا القطاع لكن بقي الأمر دون الحد الأدنى المطلوب.

لقد ازداد الاعتماد على الاستيراد لتأمين الحاجات الغذائية الأساسية والكمالية، ووفقاً لإحصاءات الجمارك اللبنانية فاقت فاتورة استيراد المواد الغذائية نحو ستة أضعاف قيمة الصادرات الغذائية اللبنانية في 2018، عندما استوردنا منتجات غذائية بقيمة 3.5 مليار دولار، وهي تشكّل أكثر من 80% من حاجاتنا الغذائية. وفي نفس السياق تبيّن إحصاءات الأمم المتّحدة أن عدد سكّان الريف تراجع بين عامي 1950 و2018، من 68% إلى 11% من مجمل سكّان لبنان. ووفقاً لإدارة الإحصاء المركزي، تراجع عدد العاملين في الزراعة من 19% إلى 6% من مجمل القوى العاملة بين عامي 1970 و2015. ويعيش 40% من الأسر في الريف تحت خطّ الفقر. وتراجعت حصّة الزراعة من مجمل الناتج المحلّي من 9% إلى 3% خلال الفترة نفسها. أمّا وفقاً لوزارة الزراعة، فعلى الرغم من أن 63% من مجمل مساحة لبنان صالحة للزارعة، إلّا أن المساحة المزروعة بالفعل الآن لا تتجاوز 22%.

بناءً على ما تقدم، تصبح الصورة أكثر وضوحا وتحديداً للمسؤوليات في كل ما يتعلق بهذا القطاع والطريقة التي تم التعامل بها معه بالرغم من أهميته كمصدر للأمن الغذائي وكمشغل أساسي لليد العاملة التي تعاني من بطالة غير مسبوقة بتاريخ لبنان عندما وصلت بين الفئات الشبابية الى حوالي 40% دون أن تلوح في الأفق أي خطط للمعالجة سوى بعض الخطابات التي لم تعد تسكن كما كانت من قبل.

2- مقترحات وحلول للأزمة الإقتصادية لتحويل التهديدات الى فرص

وكأن ما أصاب قطاعات الإنتاج وخاصة الصناعة من دمار وسرقة للمصانع لم يكن كافٍ لإخراج الصناعة بنسبة كبيرة من التداول المحلي والخارجي، لأن عودة الدولة التي كانت حلم يراود كل اللبنانيين بشكل عام والصناعيين منهم بشكل خاص لم تكن على قدر هذا الحلم لا للبنانيين ولا للصناعيين الذين بدءوا رحلة معاناتهم مع إهمال الدولة للقطاع، وكلفة الإنتاج العالية، والمنافسة الأجنبية الشديدة لمنتجاته م التي كانت تصل في كثير من الأحيان الى السوق اللبناني بأقل من نصف أكلاف إنتاجها محلياً، خاصة بعد أن شرعت الحكومة الأسواق أمام هذه المنتجات طوعاً وقسراً دون أية إجراءت تساعد في تحصين القطاعات المستهدفة، وتخفف الأكلاف.

وبناءً على ما تقدم نقترح الحلول التالية:

أ - في ما خص القطاع الزراعي

1- تشجيع ودعم الزراعات الإستراتيجية من خلال شراء الدولة للمحصول بأسعار تشجيعية مناسبة، ورفد القطاع الصناعي بما يلزم منها لتحويلها.
2- حصر المشاعات العائدة للدولة والبلديات والسماح باستثمارها زراعياً بمبالغ رمزية، واستصلاح ما يمكن استصلاحه لهذه الغاية.
3- إلغاء البيع بالأمانة، وإنشاء أسواق شعبية في كل القرى بالتعاون مع البلديات لخفض الأسعار على المستهلك وفي نفس الوقت إبعاد الضرر الإحتكاري عن المزارع من قبل تجار الجملة.

ب- في ما خص القطاع الصناعي

1- على الحكومة تقديم مشروع اقتراح قانون الى المجلس النيابي لإنشاء المؤسسة الوطنية لدعم الإنتاج، يعمل فيها كادر متخصص متطوع كي تكون بعيدة عن التوظيف السياسي والمذهبي، مهمتها تلقي مشاريع الجدوى من الخريجين المتخصصين في مجالات صناعية تتمتع بقابلية الإنتاج في لبنان وتتوفر بعض أو معظم المواد الأولية اللازمة للإنتاج، وعلى هذه المؤسسة تقديم التمويل اللازم للمشروعات التي تنال القبول بحسب الشروط المحددة لذلك، على أن يتولى إدارة المشروع مجلس إدارة يتمتع بالمواصفات المطلوبة على قاعدة الحوكمة، بهدف حمايته من الفساد، وتبقى المؤسسة بمثابة سلطة الوصاية على المشروع لحين الإنتهاء من استعادة رأس المال، وبعدها يتم توزيع المشروع كأسهم على كل العاملين كلٌ منهم بحسب موقعه الوظيفي ونسبة الجهد الفكري أو الجسدي الذي يساهم به، أي أن ملكية المشروع تصبح للعاملين بعد سداد رأس المال. كما أن العاملين لا يتقاضون رواتب بل نسب من الأرباح بحسب الأسهم المحددة سابقا لكل منهم، وهذا بحد ذاته حافز كبير ودافع للعامل والموظف كي يبذل قصارى جهده لتحقيق أعلى درجات الإنتاجية كونه مالك جزء من المشروع وليس موظفا فيه. هذه باختصار بعض النقاط التي تبين الهدف من لإنشاء المؤسسة وآلية عملها ودورها ونوع سلطتها.

اما عن تمويلها فهو سهلاً وليس معقداً، يمكن تمويلها من هبات ومساعدات محلية وخارجية، ومن رأسمال توظيفي مساهم إذا دعت الحاجة، أو أموال على سبيل الإعارة من ممولين محليين

وخارجيين، بالإضافة الى عائدات ضريبية محصورة بنسبة من أرباح المصارف وضرائب على كبار المكلفين وغيرها من الضرائب التي لا تطال صغار المكلفين.

2- بناء مناطق صناعية اليوم قبل الغد وفي جميع المحافظات، وبعض الأراضي جاهزة لهذا الغرض، ويمكن أن تبنى هذه المناطق بطريقة الBOT عن طريق شركات تستوفي رسوم تحددها الدولة وبعد إنتهاء المدة تقوم الدولة بإدارتها.

هذه الحلول ليست الوحيدة إنما مقترحات قد تساعد في حال توفرت النيات والإرادة والقرار عند صناع القرار، وبدأ العمل الجدي لدعم قطاعات الإنتاج التي لم يعد إهمالها يتناسب مع الأزمة لأنها جزء أساسي منها وفي نفس الوقت هي الحل.

أهمية الاحصاء وسبل ترقية دوره في التنمية المحلية

إعداد : د. سونيا بيطار (أستاذة جامعية و باحثة)

أحرزت فكرة التنمية انتشاراً واسعاً منذ الستينيات، وكانت بالنسبة لدول العالم الثالث هدفاً رئيساً وموجهاً لسياساتها وخططها وبرامجها التنفيذية، كما أعطت الشعوب أملاً بالتطور والتقدم والرفاهية. ومنذ ذلك الحين، كانت التجارب الدولية على اختلاف مصادرها تحدث التطور تلو الآخر في مفهوم التنمية، الذي انطلق من قاعدة اقتصادية بحتة، تتجه إلى تنمية الإنتاج، وزيادة الثروة على المستويين القومي والفردي، إلى جانب الاهتمام بتوفير الخدمات التي من شأنها رفع مستوى الحياة الاجتماعية صحياً وتربوياً ومعيشياً... ومن ثم تقدم هذا المفهوم نحو اعتماد التلازم بين الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، ليظهر مفهوم التنمية الشاملة[23]. استمر مفهوم التنمية بالتطور، ليأخذ شكلاً متكاملاً بارتكازه إلى الناس، فنشأت التنمية البشرية باعتبارها عملية تهدف لتوسيع خيارات الناس، وذلك عن طريق توسيع القدرات البشرية والطريقة التي يعمل بها الناس، أي ما يفعله الناس وما يمكن أن يفعلوه[24].

أما التطور الهام على المستوى التطبيقي، فتمثل بالتوجه نحو تعزيز التنمية المحلية، المرتكزة إلى مفهوم التشاركية. ما يعني القيام بمجموعة من العمليات والنشاطات الوظيفية الهادفة إلى النهوض بكافة المجالات المكونة للمجتمع المحلي، بالارتكاز إلى المشاركة المجتمعية المتمثلة بالجهود التي يقوم بها الأفراد بجميع فئاتهم لحل مشكلاتهم،[25]، وكذلك بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني، وبالتفاعل مع السلطات المحلية في مجال تقييم القدرات والحاجات وبناء الخطط والبرامج، والمشاركة الفعالة في التنفيذ وأخيراً في التقييم. ويتحقق من هذه المشاركة تلبية حاجات المشاركين من جهة، وتحقيق الصالح العام من جهة أخرى. إذن فالتنمية

[23] مهى المقدم، 1978. مقومات التنمية الاجتماعية ومقوماتها، بيروت: معهد الانماء العربي، ص. 26.

[24] عبدالله عطوي، 2004. السكان والتنمية البشرية، بيروت: دار النهضة العربية، ص. 23

[25] وليد هلال، 2010. تقرير حول منهج الاسكوا في برامج ومشاريع التنمية المحلية والتنمية بالمشاركة، الأمم المتحدة، ص. 7.

المحلية هي عملية تغيير تتم من القاعدة الى القمة، وُتبنى على المشاركة الفاعلة لمختلف الفاعلين المحليين في سبيل الوصول إلى التحسين المادي والثقافي والروحي للأفراد. وهذه العملية لا تكتمل دون مراعاة المحيط الذي يعيش فيه الإنسان[26]. وهذه المشاركة تؤدي الى رفع الجدوى الاقتصادية والاجتماعية للمشروعات وتضاعف من فعاليتها التنموية. [27]

ما تجدر الإشارة إليه، هو أنه في كل مراحل تقدم عملية التنمية مضموناً وتطبيقاً، كان علم الإحصاء الأداة الرئيسة لتحديد القدرات واستقصاء الحاجات، وتمّ الارتكاز على معطياته لبناء الخطط العلمية الدقيقة، ومن ثم اللجوء إليه لقياس وتقييم مستوى التقدم المحقق.

هذه الاعتمادية كانت مع مرور الزمن، تشهد ترسخاً وتحسناً مستمرين. فاليوم، باتت المجتمعات تتجه أكثر فأكثر إلى الاعتماد على البيانات الإحصائية، وذلك نتيجة التقدم الذي أحرزه المجتمع الدولي نحو التحول إلى مجتمع معلوماتي، يعتمد فيه المخططين وأصحاب القرار في مؤسسات القطاعين العام والخاص، وكذلك الأفراد والجماعات من باحثين ومهتمين وسواهم، على المعلومات والبيانات الإحصائية الاقتصادية والاجتماعية الدقيقة، لمساعدتهم على تحديد الخيارات المتاحة، سبيلاً للتمكن من وضع السياسات والاستراتيجيات المناسبة واتخاذ القرارات اللازمة، لانجاز التقدم المنشود في تنمية المجتمع على مختلف المستويات الوطنية والمحلية وشتى المجالات المجتمعية.[28]

يواجه الباحثون في لبنان مشكلة غياب، مقصود أحياناً، لقاعدة إحصاءات دقيقة يمكن للدراسات والأبحاث أن تستند عليها. فعدا عن النقص في الإحصاءات، هناك تضارب في الأرقام الواردة في المسوحات الجزئية لبعض الوزارات والجهات المعنية. إضافة إلى ذلك، يوجد ندرة في المتخصصين الإحصائيين المؤهلين لإجراء أبحاث كمية ذات قيمة تحليلية عالية. ولذلك كله فإن الأبحاث الكمية بأغلبها تعتمد على الإحصاء الوصفي بأحسن الأحوال.

---

[26] عبد الحسن الحسيني، 2018. التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة – قراءة في تجارب الدول العلربية وفلسطين المحتلة والصين وماليزيا، بيروت: الدار العربية للعلوم، ص. 14.

[27] اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا (الاسكوا)، 1998. التنمية المحلية في المناطق الريفية العربي، مفاهيم وتجارب، نيويورك: منشورات الأمم المتحدة، ص. 17.

[28] ا الأمم المتحدة، 2004. إدارة الشؤون الإقتصادية والإجتماعية، شعبة الإحصاءات، دراسات في الطرق، السلسلة واو، العدد 88، دليل التنظيم الإحصائي، ط3، تشغيل الوكالات الإحصائية وتنظيمها، نيويورك: الأمم المتحدة، ص 2.

مساهمة في محاولة إيجاد المخارج لتلافي هذه المشكلة المعوقة للتنمية ببعديها الوطني والمحلي، فإننا سنلقي الضوء في هذه الورقة على نقاط ثلاث هي التالية :

- النقطة الأولى: أهمية الإحصاء في التنمية المحلية.
- النقطة الثانية: قواعد العمل المناسبة، والشروط الواجب توافرها.
- النقطة الثالثة: آليات ووسائل تفعيل دور الاحصاء في التنمية المحلية.

النقطة الأولى: أهمية الإحصاء في التنمية المحلية.

يعنى علم الإحصاء بجمع الحقائق التي تؤشر على حالة الدولة أو المجتمع وبتصنيف تلك الحقائق ومناقشتها، بمعنى آخر، هو العلم الذي يختص بالطرق العلمية لجمع البيانات وتنظيمها وتلخيصها وعرضها ثم تحليلها وتفسيرها، وإجراء المقارنات واستنتاج العلاقات بين المتغيرات بهدف استخدامها في اتخاذ القرارات المناسبة.

تتكون كلمة الإحصاء (statistics) من جزئين: (state) وتعنى الدولة او الحكومة، و (istics) ومعناها المتعلقات، وبذلك تدل الكلمة على كل ما يتعلق بالدول او متعلقات الحكومة. وفى اللغة العربية سمي علم الاحصاء وهو العلم الذي يتعلق بالعد والحصر والاحصاء.

تاريخياً، استخدمت المجتمعات البشرية الإحصاء، كنظام للعد والترقيم لانشطة الدولة كما هو مدون في مسلة حمورابي وآثار الحضارات البابلية والاشورية واليونانية ووادي النيل، فعمليات البيع والشراء وحساب الجند والحيوانات تعتبر كلها عمليات احصائية برغم بساطتها. وقد استخدم هذا العلم قدماء المصريين حيث قام بناة الأهرام بعمل تعداد لسكان مصر وثرونها، واستخدموا النتائج في تنظيم مشروع البناء. وكذلك قام رمسيس الثاني بعمل تعداد للسكان لغرض توزيع الأراضي عليهم بطريقة عادلة.[29]

عرف المسلمون فكرة الاحصاء واستخدموه في عد افراد الجيش والضرائب والأسلحة. ويستخدم العرب بعض المقاييس الإحصائية مثلا (خير الامور اوسطها)، وكذلك فقد ورد الاحصاء في القرآن الكريم (واحصاهم وعدهم عدا).

اما في العصور الحديثة وتحديداً خلال القرن السابع عشر، تطور علم الإحصاء مع ولادة الاحصاء الحيوي

[29] أشرف أحمد أبو حليمة، 2018. الاحصاء في العلوم السلوكية والتربوية والاجتماعية، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص. 23.

على يد الانكليزيJhon GRANT الذي كان اول من أحصى الولادات والوفيات وقام بحساب توقعات البقاء عند اعمار مختلفة ونشر نتائج ابحاثه عام 1662. ومع الثورة الصناعية في أوروبا، كثرت المشكلات الصناعية والتي استدعت استخدام الوسائل العلمية والعملية الكفيلة بحل هذه المشكلات وتوقع نتائجها مستقبلا. وأدى كل ذلك الى ازدياد الإعتماد على علم الإحصاء.[30]

تطور الإحصاء مع تطور وظائف الدولة الحديثة وتنوعها، بالتوازي مع تطور الاستعانة بالنظريات الرياضية (خاصة علم الاحتمالات وقوانينها) في فهم المسائل وشرحها وتحليلها، ونتيجة لذلك اكتسب علم الإحصاء الصبغة العلمية وجذب اليه اهتمام العلماء في الكثير من الدول، فنشأت الجمعيات العلمية للإحصاء، وصدرت المجلات العلمية المتخصصة بهذا العلم، وعقدت المؤتمرات لمناقشة الأبحاث الإحصائية[31]. إلا أن التطور الكبير الذي شهده الإحصاء ترافق مع تطور المعلوماتية، حيث أصبح بالإمكان جمع المعطيات من عينات كبيرة تمثل المجتمع المدروس، ودراسة متغيرات متعددة وشبكها مع بعضها البعض وتحليلها وتفسيرها بالإعتماد على إختبارات وطرق إحصائية متقدمة، من الصعب بل من المستحيل إنجازها يدوياً. فقد أدى التقدم المحرز في تكنولوجيا الاتصالات السلكية واللاسلكية وتكنولوجيا الكمبيوتر والبرامج الإحصائية المرتبطة بها الى تطور كبير في نطاق عمل المؤسسات الإحصائية وقدرتها على معالجة البيانات الخام.[32] وبذلك أصبح الإحصاء وسيلة مهمة في البحث العلمي في مجال العلوم الصرفة، أو العلوم الإنسانية، ومن هذه المجالات: الطب، الهندسة، الاقتصاد، الصناعة، الزراعة، علم الاجتماع، علم النفس، الإدارة، الرياضة.

من المسلّم به أن الانتقال من مستوى تنموي إلى آخر، يستدعي وضع خطة أو برنامج متكامل ومحدد الأهداف والخطوات من جانب الجهات المحلية المعنية، ونقصد هنا البلدية. وما يضمن هذا الانتقال، هو اعتماد قادة تحديد السياسات والخطط والبرامج على معطيات دقيقة ومعلومات واضحة.

إذا طلب منا أن نفسر حدث ما، فمن الممكن ان نقوم بذلك دون مساعدة الإحصاءات، ولكن التفسير ينجح أكثر إذا استندنا على الإحصاءات. ذلك أن الإحصاءات تسمح: بالكشف عن الواقع، بإعداد خطط أفضل،

---

[30] قيس علوش: "الإحصاء"، جامعة بابل، كلية الإدارة والاقتصاد، متوفر على الرابط:
http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=9&depid=3&lcid=38368 ، تاريخ الدخول: أيار 2020.

[31] أشرف أحمد أبو حليمة، مرجع مذكور سابقاً، ص. 24.

[32] الأمم المتحدة، دليل التنظيم الاحصائي، مرجع مذكور سابقاً، ص 30.

متابعة مراحل تنفيذ الخطط، وبالتحقق من النتائج. فنحن "نحتاج الى الإحصاءات لا لمجرد توضيح الأشياء بل لكي نعرف أيضاً بدقة ما يحتاج الى الشرح".[33]

الإحصاءات هي أساس لمجموعة هائلة من القرارات اليومية الخاصة والعامة. ولقد جاء في رسالة الأمين العام للأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي للإحصاء (20 تشرين الأول من كل سنة):

"لقد تغلغلت الإحصاءات في جميع جوانب الحياة العصرية. وهي الأساس الذي يقوم عليه كثير من القرارات التي تتخذها الحكومات والشركات والمجتمع المحلي. وهي توفر معلومات عن الاتجاهات والقوى التي تؤثر على حياتنا وتسمح لنا بفهمها. وتؤثر الإحصاءات التي تُجمع عن طريق المسوح والتعدادات على التخطيط للمدارس والمستشفيات والطرق ومرافق كثيرة غيرها".[34]

ليس القصد من العملية الإحصائية جمع أكبر قدر من الأرقام كي ندعي أننا على دراية تامة بأحوال المجتمع المحلي، ذلك أن سبب الرقم أهم من الرقم نفسه، فتحليل سبب الفقر أهم من رقم الفقر. ففي الواقع، إن جمع الأرقام هو أمر، أما ماذا سنفعل بعد الحصول على الرقم هو أمر آخر، فالأكثر أهمية على هذا المستوى هو إختيار الطريقة التي نعرض فيها الأرقام لتكون مفهومة ولنستفيد منها. وعليه، لا يكفي أبداً الحصول على إحصاءات دقيقة، بل يجب معرفة تفسيرها، سواء بالنظر إلى الأرقام الأساسية منفردة، أو بالموالفة بين الأرقام المجمعة لتوضيح الرقم الأساسي، واستخلاص النتائج للإنتفاع منها، على سبيل المثال، لا تكافح معرفة الأرقام الجريمة، بل تساعد في إتخاذ القرارات المناسبة، وسن القوانين الكفيلة بخفض معدلات الجريمة. وكذلك الأمر، لتفسير دقيق لمؤشر الفقر يجب ان نأخذ بعين الإعتبار مؤشرات التعليم والصحة والبطالة...

تطورت المؤسسات الإحصائية منذ تسعينيات القرن الماضي في معظم الدول العربية ومنها لبنان، حيث تعزز الإتجاه نحو استخدام الإحصاءات الرسمية كمدخل في صنع السياسات واتخاذ القرارات التي تحتاجها النشاطات الاقتصادية والإجتماعية بما يتوافق مع متطلبات كل بلد[35]. تعتبر البيانات الإحصائية الأساس في

---

[33] J.A. SCHUMPETER, 1955. History of Ecomomic Analysis. London: Allen and Unwin.

[34] متوفر على الموقع https://www.un.org/ar/events/statisticsday/sg_message.shtml، تاريخ الدخول: أيار 2020

[35] اسماعيل علوان الدليمي،2008. الهياكل التنظيمية للأجهزة الإحصائية في الدول العربية، المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية، حزيران – آب 2008، ص. 1.

وضع الخطط التنموية ومتابعتها. وهي من أهم الأدوات التي يستخدمها راسمو السياسات ومتخذو القرارات في مختلف المجالات (الصحة، التعليم، المالية،...). وعليه يمكن التحدث عن البنية التحتية الإحصائية التي تلعب دوراً مهماً في التخطيط السليم.

إن مواكبة التطور العلمي تتطلب بناء القدرات الإحصائية: أي القدرة على جمع وانتاج ونشر الإحصاءات الصحيحة وذات العلاقة والاستخدام الواسع، والتي تمتاز بالدقة الكافية والتكلفة القليلة نسبيا والمستندة إلى تصانيف ومعايير معتمدة دولياً. أما الجهات المعنية بمسألة بناء القدرات الإحصائية فهي المؤسسات الإحصائية، الوحدات الإحصائية المنتجة للبيانات في المؤسسات الحكومية وموظفو الإحصاء بجميع فئاتهم، ومستخدمي البيانات. وهنا تبرز ضرورة تسهيل تدفق البيانات الى المؤسسة الاحصائية وبالعكس، ومنح الاحصائيين فرصة تحليل البيانات واعداد الدراسات.

<u>النقطة الثانية: قواعد العمل المناسبة، والشروط الواجب توافرها</u>

السؤال الذي يطرح هنا: كيف نستفيد من الإحصاءات بشكل أفضل؟

لمعالجة هذه المسألة لا بد من التركيز على عدد من النقاط :

1 – كفاءة العاملين على الإحصاءات: من الضروري وجود فريق يتمتع بالكفاءة والمهارات العالية لضمان جودة ونوعية العملية الإحصائية في كافة مراحلها: جمع – تبويب – عرض – وصف – تحليل. لذلك من الضروري تعميق تواصل الجامعة مع المجتمع المحلي باعتبار أن الكفاءات المطلوبة لإدارة وإنجاز العملية الإحصائية متوفرة فيها، وبوسعها توفيرها.

2 – الوعي الإحصائي: يرتبط نجاح العمل الإحصائي بشكل أساسي بمدى استعداد أفراد المجتمع ومؤسساته لتوفير البيانات والمعلومات الدقيقة التي يمكن الاعتماد عليها في وضع البرامج والخطط على مختلف المستويات. ولأن الوعي الإحصائي ما يزال دون المستوى المطلوب، فإن العديد من الصعوبات تواجه المحققين في الحصول على البيانات الدقيقة من بعض الأسر والمؤسسات، مما يتطلب بذل الجهود لتنمية الوعي الإحصائي في المجتمع عبر الوسائل المختلفة، مثل تنظيم الندوات وإعداد النشرات..

3 – تحويل الإحصاءات إلى خطط: إن الغاية من توفير البيانات والمعلومات الإحصائية تتمثل في استخدامها في اتخاذ القرارات وصنع السياسات وتقويم الأداء. فالبيانات والمعلومات الإحصائية تتيح لنا

إمكانية التنبوء بالإحتياجات وفهم طبيعتها وآثارها[36]، كما تكشف هذه المعلومات المشكلات، وتسمح لنا بترتيبها وفق جدول للأولويات، أي وفق أهمية الحاجات بالنسبة للمجتمع المحلي، ومن ثم يأتي دور المؤسسات العملاني وفي مقدمتها البلدية في تحديد طبيعة المشروعات التنموية ذات الجدوى، التي يمكن اقتراحها للتغلب على المشكلات وفق أولوياتها، ووفق الإمكانيات الذاتية المحلية المتوفرة.

فالبلدية، كما هو معلوم، هي ركن أساسي في التنمية المحلية نظراً للصلاحيات المعطاة لها حسب القانون البلدي اللبناني[37]. وهي تعنى بكل شأن ذي منفعة عامة، وهي شبيهة بحكومة محلية، وهي أيضاً إطار مناسب لتفعيل مشاركة المواطنين في إدارة الشأن العام[38]. وبناء على ذلك، تلعب البلدية دوراً أساسياً في التخطيط للتنمية المحلية، تحت رقابة السلطات المركزية[39]. لذا، فإن تحدي عصرنة العمل البلدي بما يضمن جودة الخدمات وسرعتها، والقدرة على الاستشراف والتخطيط، يتطلب وجود جهاز إداري كفوء، واستخدام التقنيات الحديثة كالمكننة وتوفر المعلومات حول الواقع الديمغرافي والاجتماعي والثقافي والبيئي والاقتصادي للنطاق البلدي.[40]

4 – إتاحة المعلومات والبيانات الإحصائية : من مصلحة البلدية، التي يقع على عاتقها مسؤولية أساسية في تحقيق التنمية المحلية، كما سبق وذكرنا، أن تفتح قنوات الاتصال والتفاعل لتبادل القضايا والآراء لتحسين الحياة عن طريق العمل الجماعي التفاعلي بين مختلف القطاعات الرسمية والخاصة والأهلية.

كي نرفد هذه العملية بأكبر قدر ممكن من عوامل النجاح، ولكي نحقق أوسع مشاركة قاعدية، لا بد من التعامل مع العملية الإحصائية بوصفها نظاماً[41]، وتوفير البيانات والمعلومات الإحصائية الدقيقة والصحيحة التي يحتاجها المجتمع بمختلف قطاعاته ومستوياته المؤسساتية والجمعية والفردية. وبما ان الإحصاءات غير

---

[36] الأمم المتحدة، دليل التنظيم الاحصائي، مرجع مذكور سابقاً، ص 33.

[37] قانون البلديات وقانون المختارين والمجالس الاختيارية، الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم 118، بتاريخ 30 حزيران 1977، معدل بتاريخ 29 كانون الأول 1997.

[38] مشروع الأمم المتحدة الإنمائي، المديرية العامة للدراسات والمعلومات، 2002. ندوة حول واقع العمل البلدي في إطار اللامركزية الإدارية. مجلس النواب اللبناني، 8 تموز 2002، ص 3.

[39] سليمان ولد حامدون، 2010. اللامركزية الإدارية ومساهمتها في التنمية المحلية، ليبيا: منتدى الموارد البشرية، ص 10.

[40] ديمة صادر، 2018. تجربة العمل البلدي في لبنان: الإنجازات والعوائق والتحديات. بيروت: المركز اللبناني للدراسات، ص. 40.

[41] الأمم المتحدة، دليل التنظيم الاحصائي، مرجع مذكور سابقاً، ص 2.

معروفة بما فيه الكفاية، فإن توفير إستغلال الإحصاءات على نحو أشمل يعتبر جزءا لا يتجزأ من الجهود المطلوبة لتعزير العمل الإحصائي.[42]

وتجدر الإشارة الى أن المبادئ العشر للاحصاء التي وضعتها الأمم المتحدة، تهدف الى حصول المستخدم على بيانات إحصائية مستقلة، موثوق بها، سرية، مع حرية الوصول اليها، قابلة للمقارنة، إطلاع الجمهور على النصوص التشريعية. وتماشياً مع هذه الأهداف، فقد تمت مراجعة النصوص القانونية المنظمة للنشاط الإحصائي للمنظومة الإحصائية في العديد من البلدان.[43]

النقطة الثالثة: آليات ووسائل تفعيل دور الاحصاء في التنمية المحلية.

إن إحداث نقلة نوعية في المنظومة الإحصائية، يتطلب إنشاء مرجعية معلومات مركزية هدفها تأمين المعلومات الدقيقة من مصادرها المختلفة، الوطنية والمحلية[44]، وذلك من خلال التنسيق على المستوى المركزي ما بين إدارة الإحصاء المركزي، ومختلف المراكز الإدارية في الوزارات والمؤسسات العامة والخاصة، من جهة، وبين مختلف المراكز والمؤسسات المنتجة للمعلومات الإحصائية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، والحرص على تقوية حلقات التواصل ما بين مكونات المنظومة الإحصائية وبينها وبين والمستفيدين منها. هنا تبرز أهمية التشبيك الألكتروني بين مختلف مكونات المراكز والمؤسسات الإحصائية والمعلوماتية، لضمان تأمين البيانات والمعلومات الإحصائية في الوقت المناسب وبالكفاءة اللازمة.

هكذا، فإن توفير البيانات الإحصائية الدقيقة والموثوقة، وتيسير الاستفادة منها، يعتبر ركناً أساسياً في رفد جهود التنمية المحلية، التي تقع على عاتق البلدية المنوط بها تطوير الأوضاع الاقتصادية والتربوية والصحية والبيئية في نطاقها. وذلك من خلال توفير المشاركة الواعية لمختلف العناصر الفاعلة في المجتمع، وعقلنة

---

[42] Handbook of Statistical Organization: A Study on the Organization of National Statistical Services and Related Management Issues (1980). Studies in Methods Series F, Nu.28 (United Nations Publication), p. 25.

[43] Euroststst, "Cadre juridique pour les statiatiques europeennes: la loi statistique" compact guide. Edition 2010, p. 3.

[44] الأمم المتحدة، دليل التنظيم الاحصائي، مرجع مذكور سابقاً، ص. 11.

الحوار والتفاعل بين مختلف شرائح المجتمع وتلويناته، بما يضمن وضع الخطط الرشيدة، وتوسيع المشاركة الشعبية والمؤسساتية في عمليات التنمية الواعية والموثوقة.

إلى جانب البلدية وبالتفاعل معها، تلعب الجامعة دوراً تنموياً أساسياً، حيث يؤدي التعليم الجامعي ثلاثة وظائف رئيسة هي التعليم وإعداد القوى البشرية والبحث العلمي إضافة إلى خدمة المجتمع، وهو بذلك يضطلع بدور بالغ الأهمية في تطوير المجتمع وتنميته، فغاية الجامعة الحقيقية ومبرر وجودها ومشروعيتها تتمثل بارتباطها بمجتمعها وخدمته.

لقد أدت التحولات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي شهدها العالم المعاصر إلى حدوث تحولات في فلسفة الجامعات ورسالتها ووظائفها وأدوارها، لمواكبة تلك التطورات من خلال التصدي لحل المشكلات التي يواجهها المجتمع[45].

تضم الجامعات غالباً نخبة من العلماء والباحثين في مختلف التخصصات يمكن الاستفادة من خبراتهم في إجراء الدراسات والبحوث وتقديم الاستشارات العلمية والدورات التدريبية وسواها من الأعمال[46]. إن إنخراط الجامعة في العملية التنموية تتطلب قيام علاقة منتظمة بين الجامعة وقطاعات المجتمع الإنتاجية والخدماتية، كما تقتضي أن تنسجم برامجها وخططها مع مشكلات وقضايا المجتمع، وأن تعدّ الطالب إعداداً جيداً يجمع ما بين تحصيله المعرفي ومهاراته الميدانية، كي يساهم مساهمة فعالة في تحقيق أهداف التنمية.

إن اقتصار نشاط الجامعة على الجانب التعليمي والبحث الأكاديمي يخلق فجوة كبيرة بين رسالتها في خدمة المجتمع وطاقتها المعرفية غير المستثمرة، مما يعطل جانب أساسي من دورها في تطوير وتنمية المشاريع الاقتصادية والتنمية الاجتماعية كجزء أساسي من رسالتها الجامعية[47].

فبإمكان الجامعة أن تلعب دوراً أساسياً في تطوير النظام الإحصائي، من خلال تكوين الكوادر المؤهلة لإنتاج المعلومة الإحصائية، ونشر الثقافة الإحصائية لدى الطلاب وتعريفهم بأهمية الإحصاء في التخطيط التنموي. وفي كل ذلك تأكيد على إسهام الجامعة في بناء الدولة الوطنية الحديثة، عبر تعصير قوى الإنتاج وتنميتها والعمل على نشر الوعي[48]. وهذا يتطلب عدم الإكتفاء بتدريس الإحصاء من الجانب النظري، والتوجه نحو

---

[45] أحمد الخطيب، 2003. البحث العلمي في التعليم العالي، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص. 93.

[46] محمد نبيل نوفل، 1992. تأملات في مستقبل التعليم العالي، الكويت: دار سعاد الصباح، ص. 194.

[47] نبيه العبيدي، 2010. استراتيجية التمويل للجامعات المنتجة – جامعات المملكة العربية السعودية والبحرين نموذجاً، مجلة الأكاديمية العربية في الدانمرك، ص.4. متوفر على الموقع:
rooad.net/uploads/news/astratygyt_altmwyl_rev.1_2712331.doc ، تاريخ الدخول: أيار 2020.

[48] محمد مهدي مسعودي، 1992. "مكانة الإنتاج الجامعي في الثقافة الوطنية"، سلسلة علوم التربية، العدد 3، تونس، ص.147

تفعيل الشراكة العلمية الفعلية بين الجامعة والمؤسسات الوطنية المنتجة للإحصاءات، من اجل عدم الازدواجية وتعظيم الفائدة والاستفادة.

إن إدراك أهمية البيانات الإحصائية بالنسبة للمجتمعات الوطنية والمحلية، واعتماد الأساليب العلمية في جمعها ومعالجتها وتحليلها، وأيضاً توفيرها بأيسر السبل وأسرعها وبجودة عالية للمستفيدين منها، قضايا يجب أن تحظى بعناية مختلف الجهات المعنية بالشأن التنموي. وبالفعل، نكاد نجزم أنه لا يختلف إثنين اليوم على ضرورة استخدام البيانات الإحصائية وأهميتها عند وضع الخطط واتخاذ القرارات وصنع السياسات وتقويم الأداء. وعلى رأسي طاولة التشاركية التي تجمع مختلف مؤسسات المجتمع المدني والأهلي، إضافة إلى القطاعين العام والخاص، نجد من جهة البلدية كفاعل تنموي رئيس في التنمية المحلية الواعية الموجهة بالمعلومة الإحصائية ، ومن الجهة المقابلة نجد الجامعة كعامل مؤثر في توفير ومعالجة المعلومة الإحصائية، جمعاً وتصنيفاً وتحليلاً. على أساس هذا الوعي، والممارسة المستنيرة، والتشاركية التعاضدية، يمكن تفعيل دور علم الإحصاء في التنمية المحلية، ليصبح دوراً أساسياً في الانتقال بالمجتمعات نحو حياة أفضل.

المراجع

– أبو حليمة أشرف أحمد ، 2018. الاحصاء في العلوم السلوكية والتربوية والاجتماعية، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

– حامدون سليمان ولد ، 2010. اللامركزية الإدارية ومساهمتها في التنمية المحلية، ليبيا: منتدى الموارد البشرية.

– الحسيني عبد الحسن ، 2018. التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة – قراءة في تجارب الدول العلربية وفلسطين المحتلة والصين وماليزيا، بيروت: الدار العربية للعلوم.

– الخطيب أحمد ، 2003. البحث العلمي في التعليم العالي، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

– الدليمي اسماعيل علوان ،2008. الهياكل التنظيمية للأجهزة الإحصائية في الدول العربية، المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية، حزيران – آب 2008.

– صادر ديمة ، 2018. تجربة العمل البلدي في لبنان: الإنجازات والعوائق والتحديات. بيروت: المركز اللبناني للدراسات.

- العبيدي نبيه ، 2010. استراتيجية التمويل للجامعات المنتجة – جامعات المملكة العربية السعودية والبحرين نموذجاً، مجلة الأكاديمية العربية في الدانمرك، متوفر على الموقع:
rooad.net/uploads/news/astratygyt_altmwyl_rev.1_2712331.doc ، تاريخ الدخول: حزيران 2020.
- عطوي عبد الله ، 2004. السكان والتنمية البشرية، بيروت: دار النهضة العربية.
- علوش قيس: "الإحصاء"، جامعة بابل، كلية الإارة والاقتصاد، متوفر على الرابط:
http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=9&depid=3&lcid=3836 8 ، تاريخ الدخول: حزيران 2020.
- المقدم مهى ، 1978. مقومات التنمية الاجتماعية ومقوماتها، بيروت: معهد الانماء العربي.
- مسعودي محمد مهدي ، 1992. "مكانة الإنتاج الجامعي في الثقافة الوطنية"، سلسلة علوم التربية، العدد 3، تونس.
- نوفل محمد نبيل ، 1992. تأملات في مستقبل التعليم العالي، الكويت: دار سعاد الصباح.
- هلال وليد ، 2010. تقرير حول منهج الاسكوا في برامج ومشاريع التنمية المحلية والتنمية بالمشاركة، الأمم المتحدة.
- قانون البلديات وقانون المختارين والمجالس الاختيارية، الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم 118، بتاريخ 30 حزيران 1977، معدل بتاريخ 29 كانون الأول 1997.
- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا (الاسكوا)، 1998. التنمية المحلية في المناطق الريفية العربي، مفاهيم وتجارب، نيويورك: منشورات الأمم المتحدة.
- مشروع الأمم المتحدة الإنمائي، المديرية العامة للدراسات والمعلومات، 2002. ندوة حول واقع العمل البلدي في إطار اللامركزية الإدارية. مجلس النواب اللبناني، 8 تموز 2002.
- الأمم المتحدة، 2004. إدارة الشؤون الإقتصادية والإجتماعية، شعبة الإحصاءات، دراسات في الطرق، السلسلة واو، العدد 88، دليل التنظيم الإحصائي، ط3، تشغيل الوكالات الإحصائية وتنظيمها، نيويورك: الأمم المتحدة.
- Handbook of Statistical Organization: A Study on the Organization of National Statistical Services and Related Management Issues (1980). Studies in Methods Series F, Nu.28 (United Nations Publication).

- Euroststt, "Cadre juridique pour les statiatiques europeennes: la loi statistique" compact guide. Edition 2010.

- SCHUMPETER J.A., 1955. History of Ecomomic Analysis. London: Allen and Unwin.

متوفر على الموقع https://www.un.org/ar/events/statisticsday/sg_message.shtml، تاريخ الدخول: حزيران 2020

تطوير النظام التعليمي في لبنان حاجة وطنية

بقلم د. حسان قبيسي (أكاديمي وباحث)

لكي أستطيع أن أبين أن تطوير النظام التعليمي في لبنان هو حاجة وطنية ، علي أن أوضح الإلتباس القائم عند البعض بين مفهومي الوطن والدولة .

فالوطن هو تلك الرقعة الجغرافية المحددة ، التي يقيم عليها مجموعة من البشر ، يجمع بين مكوناتها الدينية والعرقية الإنتماء الوطني . فكل كيان سياسي / جغرافي قائم ، هو من حيث المبدأ ، وطن لأبنائه المقيمين على أرضه . أما الدولة ، فهي تلك السلطة السياسية التي أوكل إليها مهام إدارة شؤون الوطن الحياتية . وأهم هذه المهام :

- تأمين شروط الحياة للمواطنين : مسكن ، ومأكل ، وتربية ، وصحة ، وأمان ...
- تحويل الأبناء الوافدين من المواليد الجدد ، المواطنين بالقوة ، إلى مواطنين بالفعل .

وللقيام بهذه المهام :

- تسن الدولة القوانين .
- توجد المؤسسات الكفيلة بتلبية حاجات الوطن والمواطنين ، وفقا لتلك القوانين .
- تراقب وتقوِّم عمل تلك المؤسسات ، وتعمل على سد الثغرات فيها ، وعلى تطويرها .

والنظام التعليمي هو إحدى الإجراءات التي تعتمدها الدول لخدمة الوطن والمواطنين .

فهل أن النظام التعليمي في لبنان الذي وضع منذ نشأة لبنان ، يعمل اليوم لخدمة الوطن ؟

ما هي مهمة التعليم على المستوى الوطني ؟؟

إنها باختصار: **تحويل أبناء الوطن إلى مواطنين من خلال تزويدهم بعموميات الإنتماء لهذا الوطن،** وأعني بها :

- اللغة الوطنية
- القيم الإجتماعية والعيش الإجتماعي
- تعزيز الإنتماء إلى الوطن من خلال التعرف عليه : مقوماته، تاريخه، مشكلاته،وتطلعاته...
- قبول المواطن الآخر المختلف على المستويات الجنسية والدينية والمناطقية والإقتصادية ... والتعايش معه
- تحويل المواطن إلى مستهلك واع وإلى منتج فاعل

يقوم التعليم بهذه المهام بواسطة :

- إعداد منهج تعليمي موحد يفرض اعتماده في كل المؤسسات التعليمية ، وبدون استثناء
- إعداد الهيئة التعليمية وتدريبها لتحقيق غايات المنهج
- مراقبة ما يجري في المدارس ، كل المدارس ، والعمل على سد كل الثغرات فيها
- تطوير المنهج والمدارس والهيئة التعليمية ، بشكل دائم ومستمر ، تماشيا مع التطور والتغير
- إتاحة الفرصة لكل أبناء الوطن لتلقي التعليم ، دون كلفة مادية ، وبنوعية واحدة متطورة

ولكن !! كيف تقوم الدولة اللبنانية حاليا بهذه المهام ؟؟

- فهي أولا تعتمد مدارس طبقية تختار تلامذتها تبعا لمستواهم المادي
- وهي تعتمد ثانيا مدارس طائفية تختار تلامذتها تبعا لانتمائهم الطائفي والمذهبي
- وهي ثالثا تسمح لتلك المدارس أن تدرس المنهج التعليمي الذي ترتأيه وبالكتب الأجنبية التي ترتأيها
- وهي رابعا تمنع أجهزة الرقابة التربوية من تقصي ما يجري في تلك المدارس
- وهي خامسا تسمح لمدارس أجنبية تعتمد مناهج أجنبية لتعليم أبناء الوطن
- وهي أخيرا وليس آخرا لا تفرض التعليم الإلزامي على كل ابناء الوطن

هذا الواقع التعليمي لم يأت من فراغ ، فالسلطة السياسية في لبنان، وككل سلطة سياسية أخرى، تمارس نفوذها بما يتوافق مع مصالح النظام السياسي القائم ، الذي هو في لبنان نظام طائفي طبقي بامتياز ، جاء نتيجة لتراكم تاريخي معين.

ولكي نصل إلى توضيح القول بأن تطوير النظام التعليمي حاجة وطنية ، لا بد لنا :

أولا : بيان كيف تكون النظام التعليمي في لبنان

ثانيا : بيان كيف أدارت الدولة التعليم في لبنان ، وباختصار شديد ، منذ تكون الوطن اللبناني .

ثالثا : بيان الحاجة الوطنية اليوم لنظام تعليمي قادر على الإسهام في بناء الوطن واستمراره وتقدمه .

كلنا يعرف أن الأرض التي سميت لبنان كانت ، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، جزءا من السلطنة العثمانية التي استمرت تسيطر على المنطقة حوالي أربعمئة سنة . وكان التعليم في هذه السلطنة شأنا دينيا يديره أولي الأمر في الطوائف والمذاهب .

فالمسلمون السنة ، وهم من طائفة السلطنة ، يدير أمر تربيتهم وتعليمهم في مدارس الدولة مفتٍ يعينه السلطان . أما الطوائف المحمدية الأخرى ، فتولى أمر تعليم ابنائها ، رجال الدين فيها ، دون أن يكون لهم الحق في إنشاء المدارس .

أما عند الطوائف المسيحية ، فكان التعليم موجودا في كل دير وكنيسة . فمنذ أواسط القرن السابع عشر، عمد رجال الدين الموارنة إلى تأسيس مدارس انتشرت في جبل لبنان الماروني . (وهذا الكلام للمؤرخ فؤاد أفرام البستاني 1950) ولم تلبث بقية الطوائف المسيحية أن سارعت هي الأخرى إلى إنشاء مدارس لها ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر .

إضافة إلى التعليم الطوائفي ، عرفت المناطق اللبنانية ، نوعا آخر من التعليم ، هو تعليم المبشرين والإرساليات . وهو يعود في جذوره إلى العام 1535 تاريخ توقيع الإتفاقية الفرنسية – العثمانية الأولى ، التي مُنحت فرنسا بموجبها بعض الإمتيازات ، وأهمها حماية الكاثوليك في الشرق (حوراني 1954). وقد جُددت

هذه الإتفاقية في الأعوام 1673 و1740 حيث تكرس بموجبها اعتراف السلطنة بحق فرنسا بحماية مسيحيي الشرق .

أول خطوة لإنشاء تعليم تديره الدولة كان في العام 1838 مع إنشاء المدارس الملكية

وفي العام 1845 أنشئت مدارس المعارف . وفي العام 1846 تم إنشاءُ مجلسٍ دائمٍ للمعارف يحل محل السلطات الدينية في الإشراف على التعليم . وفي العام 1847 تحول مجلس المعارف إلى وزارة المعارف العامة . وفي العام 1869 صدر قانون خاص بشؤون التعليم ، قسم المدارس إلى فئتين :

- مدارس المعارف التي يعود إنشاؤها وإدارتها إلى الدولة
- المدارس الخاصة التي تؤسس وتدار من قبل الأفراد والهيئات ، ولكنها **تخضع لموافقة وزارة المعارف ومراقبتها** .

وفي العام 1913 صدر قانون آخر للتعليم ، جعل التعليم الإبتدائي **إلزاميا ومجانيا** في مدارس الدولة .

" ولكن هذا التعليم الرسمي ، كما توثق الكوميساريا الفرنسية العليا ، ظل مقتصرا على عدد قليل من المدارس لا يؤمها إلا أولاد الفقراء الذين كانوا في غالبيتهم من المسلمين ، وكانت شديدة الإنحطاط في مستوى برامجها وتجهيزاتها . اما المدارس الخاصة ، فكانت كلها نصرانية ، وهي حسنة التنظيم ، وذات مستويات راقية ، وتنحصر في جبل لبنان " .

هل اختلف الواقع التعليمي مع حلول الإنتداب الفرنسي ؟

أبدا . بل كرس الواقع التعليمي الذي كان قائما ، فأبقى المدارس الخاصة ، وأنشأ بعض مدارس المعارف الإبتدائية في المناطق التي ألحقت بلبنان الكبير ، فتكرست دونية التعليم الرسمي ، وتفوق التعليم الخاص ذو الصبغة الدينية المسيحية . فالمدارس الرسمية لم تتعد نسبتها إلى الخاصة واحد إلى عشرة . ومن اصل 993 مدرسة في لبنان الكبير عام 1921 لم تكن حصة التعليم الرسمي إلا 129 مدرسة بنسبة 5،10 % إرتفعت في العام 1943 مع نهاية الإنتداب إلى 19 % وهذا الإحصاء في أواخر العهد الإنتدابي 1942– 1943 يؤكد ذلك :

العدد الإجمالي للمتعلمين هو 146 ألف طالب يتوزعون طائفيا كما يلي :

97 الف مسيحي	% 70
34 ألف سني وشيعي	% 5،24
5 آلاف درزي	% 6،3
5،2 ألف أقليات	% 8،1

التعليم مع دولة الإستقلال

بعد صراع طويل حول إنشاء لبنان الكبير الذي ألحق بلبنان الصغير ،جبل لبنان ، مناطق عكار والبقاع وجبل عامل ، وهي مناطق متعددة الطوائف مع أكثرية مسلمة ، عُقد مؤتمر في بكركي في العام 1941 تمثلت فيه جميع الطوائف اللبنانية وجاءت مقرراته تطالب بالإستقلال الكامل للبنان ، وبناء مؤسسات الدولة على أساس التمثيل الطائفي . ليشكل فيما بعد حجر الأساس الذي بني عليه ميثاق دولة العام 1943 الذي عُرف بالميثاق الوطني ، والذي أنتج لبنان ودولته الطوائفية .

وهكذا ظل لبنان لبنانات بتعدد الطوائف . صحيح أن ممثلي الطوائف معظمهم من الإقطاعيين ، مع بعض ممثلين للبرجوازية المالية الناشئة ، إجتمعوا معا ليؤلفوا جهازا للدولة ، ولكن كلا منهم كان محكوما بالعمل تحت سقف طائفي ، لأن وجوده هو وجود طائفي بالأساس .

وهكذا فان دولة الإستقلال لم تُرد التصدي لأية فئة طائفية أو لأية ممارسة طائفية ، ومنها بالطبع التعليم، المصان بحرية التعليم الخاص ، والمعبر عنه في الدستور بحرية إنشاء المدارس ، وخروج هذه المدارس عن أية رقابة من وزارة التربية والتعليم او التفتيش العام ، وحريتها في تعليم المنهج الذي تريد، في الكتاب الذي تريد ، دون أية رقابة أو ضوابط ، ولا ننسى ، بالمقابل المالي الذي ترتأيه .

أما التعليم الرسمي ، المجاني ، والخاضع لرقابة وزارة التربية والمؤسسات التابعة للدولة من تفتيش وإرشاد ومركز تربوي ، والملتزم بالمنهج التربوي الذي تعتمده الوزارة ، فقد ظل ، وهذا مؤسف للغاية ، في مرتبة

متدنية من حيث البنية المادية والبشرية ، فهو لا ينتشر إلا في المناطق التي ألحقت بلبنان الصغير، وهي ذات طابع طائفي معين . ومن يراجع الإحصاءات حول طوائف طلاب هذا التعليم يتأكد من ذلك .

وهكذا راحت كل طائفة ، من خلال التعليم الخاص ، تسعى إلى إعادة إنتاج نفسها من خلال التعليم الخاص ومنافسة الطوائف الأخرى ، من خلال تقوية مؤسساتها التعليمية الطائفية ، وبمساعدة مادية من الدولة ، في سعي إلى احتضان أبناء الطائفة أوالمذهب .، وإعدادهم لإحتلال مواقع الطائفة في إدارات الدولة ومؤسساتها على أساس تمثيلهم لطائفتهم وحماية مصالحها ، وليس على أساس الإسهام في البناء الوطني . وظل التعليم الرسمي ملجأ لأبناء فقراء الطوائف ، المسلمة بشكل خاص ، وظلت عناية دولة الإستقلال به عناية شديدة الهشاشة على كل المستويات

– فالمدارس الرسمية إنطلقت مدارس إبتدائية، تنتهي بالسنة الخامسة وشهادة السرتفيكا. ولا يحق لخريجيها من حاملي هذه الشهادة، الإنتقال إلى مستوى أعلى، في المدارس الخاصة، إلا بعد المرور بمرحلة تعليمية تسمى التكميلية، ومدتها سنتان ، مهمتها إستكمال تعليم التلميذ الرسمي ليصبح بمستوى متعلمي المدارس الخاصة.

– بعد ذلك ، زيدت سنوات المدارس التكميلية إلى اربع سنوات ، تنتهي بامتحان شهادة البروفيه .

– أما المدارس الثانوية الرسمية فلم تر النور إلا في العام 1955 وكانت وقفا على المدن الكبيرة .وبعضها كان يضم مرحلة تكميلية، تغير إسمها بعد ذلك إلى المرحلة المتوسطة ، وما زالت .

والأسئلة التي تطرح في هذا المجال :

+ أقفلت دور المعلمين الإبتدائية أواط ثمانينات القرن الماضي، وراحت المدارس الرسمية الإبتدائية تعتمد معلميها بالتعاقد، دون اي إعداد مسبق.

+ بدأت كلية التربية في الجامعة اللبنانية من أواسط تسعينات القرن الماضي بإعداد معلمين متخصصين بمواد تعليمية لصفوف محددة ، ولكن وزارة التربية لم تباشر بتعيينهم في المدارس الرسمية ، بل تركتهم ليعملوا في المدارس الخاصة ، على الرغم من أن كلفة إعدادهم عالية جدا ..

+ تحول تقسيم المدارس الرسمية إلى ثلاثة: إبتدائية، متوسطة ، وثانوية .

ولكن الأمر الملفت هو:

– هناك مدارس إبتدائية تضم صفوف رياض أطفال وأخرى لا تضم

– هناك مدارس إبتدائية تنتهي الدراسة فيها بالصف السادس ، وأخرى بالصف التاسع

–هناك مدارس متوسطة لا تضم إلا صفوف المتوسط السابع والثامن والتاسع .

– هناك مدارس ثانوية تضم الصفوف المتوسطة والثانوية معا ، وأخرى لا تضم إلا الصفوف الثانوية . وهي لا تستقبل طلابها إلا بعد إجراء إمتحانات قبول ، ولأعداد محدودة من الطلاب.

+ ومن جهة ثلنية هناك المدارس الخاصة المجانية التي لا تضم إلا صفوف المرحلة الإبتدائية والتي ينتمي معظم تلامذتها إلى الفئات الإجتماعية الإقتصادية الفقيرة ، وكانما نهاية التعليم عند هؤلاء هو نهاية هذه المرحلة .

+ بينما من جهة ثالثة ، هناك المؤسسات التعليمية الخاصة المدفوعة الأقساط (الطائفية والإجنبية والتجارية) يضم معظمها المراحل التعليمية جميعها وهي مخصصة لأبناء العائلات الغنية القادرة على تأمين إستمرارية تعليم أبنائها ...

+ والأسئلة التي نطرحها بهذا الصدد :

– ما هو مبرر الإستمرار في هذا التقسيم الطائفي الطبقي للمدارس في لبنان ؟

– لماذا لا يتم إعداد كل المعلمين في لبنان قبل مباشرتهم التعليم من قبل كلية التربية بعد توسيع عملها على المناطق اللبنانية كافة ، ويصبح شرط إمتهان التعليم الحصول على شهادة من كلية التربية .

– لماذا لا تتم مراقبة ما يجري في المدارس الخاصة من حيث : تعيين المعلمين ، وتدريبهم ، وإختيار الكتب والمناهج...للتأكد من إنسجامها مع الخيارات الوطنية ، مع الإشارة إلى حقيقة بات يعرفها الجميع ، هي أن المنهج الوطني الموحد هو ضرورة وطنية لا بديل عنها .

– لماذا لم توجد مدرسة رسمية شاملة تضم مختلف المراحل التعليمية ، ولماذا الإستمرار بإجراء الإمتحانات الإصطفائية بين مراحل المدارس الرسمية ؟

– لماذا لم يصبح التعليم بعد في لبنان إلزاميا ومجانيا كما هو حاصل في معظم دول العالم ؟

– لماذا تستمر الدولة بتمويل المدارس الخاصة المجانية من اموال الخزينة الوطنية العامة ؟

– لماذا تستمر الدولة بتقديم المنح التعليمية لموظفيها ..ودفعهم لتسجيل أبنائهم في المدارس الخاصة؟

بعد هذا العرض السريع والمختصر جدا ر ، نستطيع أن نفسر الآن لماذا ذهبنا إلى القول بأن تطوير النظام التعليمي في لبنان هو حاجة وطنية :

+ العمل على تغيير بنية النظام التعليمي لجهة جعله نظاما وطنيا قادرا على إنتاج مواطنين وفق مواصفات مشتركة دون تمييز طبقي أو طوائفي .

+ العمل على تطوير التعليم الرسمي بمراحله كافة من حيث التنظيم وتوفير البنى المادية والبشرية ، فالتعليم الرسمي ، يتميز بانه :

- **أولا مجاني** يستطيع استقطاب كل الفئات الإجتماعية الغنية والفقيرة ، فتتكسر من خلاله الحواجز الطبقية بين أبناء الوطن الواحد .
- **ثانيا لاطائفي** يستطيع استقطاب أبناء كل الطوائف المكونة للمتحد اللبناني ، فيختلطون ويتفاعلون، فتتكسر الحواجز الطائفية والغربة المذهبية بين أبناء الوطن .
- **ثالثا وطني** يستطيع أن يحقق تنمية أجيال مختلطة الطوائف ، موحدة الإنتماء الوطني ، من خلال :
  - تنمية المواطنية الحقة الجامعة لأبناء الطوائف دون تمييز ،
  - وتوجيه تلك الأجيال دراسيا ومهنيا للنهوض بالوطن إقتصاديا واجتماعيا .

الحيّة ذات الرأسين

بقلم أ.د. يحيى شامي

إن أنسى فما أنسى ذلك اليوم الذي رحت أقرأ فيه على مسامع تلاميذي الأعزاء الثانويين نص(الحيّة ذات الرأسين)، وهو نصٌ مأخوذ من كتاب الحيوان، لمؤلفه الذائع الصيت ابي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، فما أن فرغت من قراءة هذا النص ومن شرح مفرداته، وتبيان مبناه ومعناه ومغزاه، وكيف أن الجاحظ لم يأخذ بقول أرسطو الذي زعم أن ثمة حيّة ظهرت في زمانه ولها رأسان اثنان، وكيف إنّ الجاحظ سفّه رواية الأعرابي الذي زعم بدوره أنه شاهد تلكم الحيّة ذات الرأسين.

أقول ما أن فرغت من قراءة ذلك النص الذي ترشح منه نزعة الجاحظ الساخرة، والأخرى العقلية المتمثلة باعتماد الشكّ كمقدمة لليقين، حتى ثارت في وجهي ثائرة التلاميذ الذين انقسموا فريقين اثنين ما بين مؤيّد متعصّب لصحة ما ذهب اليه الجاحظ، وآخر أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن الأثنين معاً، داحضاً قول الجاحظ، وقد مثّل هذا الفريق الأخير أحدهم الذي وقف خطيباً موجهاً الكلام لجماعة الفريق الأول بالقول:

ماذا تقولون، يا زملاء، والى أين أنتم ذاهبون ، وأية فرية على الحقيقة تفترون، وما أدراكم، فلعلّ ذلكم الأعرابي الذي هو أدرى الناس بشعاب ودوابِّ وهوام وزواحف باديته النائية الشاسعة الأطراف، كان صادقاً كلّ الصدق لمّا أن رأى تلكم الحيّة ذات الرأسين، وهذا ما كان ذهب اليه من قبله أستاذ الفلسفة الأول أرسطوطاليس، وهو العالم بالطبيعة وبالمنطق وبالحيوان، وصاحب الكتاب الذي عوّل عليه الجاحظ كثيراً، متخذاً منه مصدراً أول لكتابه الموسوم بالحيوان .

- النص كما ورد في كتاب الحيوان :

صفحة من كتاب (الحيوان) للجاحظ

" وقد زعم صاحب المنطق أنه ظهرت حيّة ولها رأسان، فسألت أعرابياً عن ذلك، فزعم أنّ ذلك حقٌّ، فقلت له: من أي جهة ألرأسين تسعى؟ ومن أيهما تأكل وتعضّ؟ فقال: أما السعي فلا تسعى، ولكنها تسعى الى حاجتها بالتقلب كما يتقلب الصبيان على الرمال ، وأما الأكل فإنها تتعشى بفم وتتغدى بفم، وأما العضّ فإنها تعضّ برأسيها، فإذا به أكذب البريّة ."

وعدّوا عن هذا، يا زملاء، أليست الغاية الأساس من وراء تأليف الجاحظ لكتابه الحيوان، وهذا ما كان بيّنه لنا أستاذنا الفاضل في مستهل الدرس، إنما هي غاية دينية بحتة ترمي الى إظهار عظمة الخالق وقدرته المتمثلة بعجيب صنع ما خلق وما ذرأ من إنسان يمشي على رجليه، أو حيوان يمشي على أربع، وثالث يمشي على بطنه، وإنّ من هذا الصنف الأخير الزواحف والحيّات التي منها تلكم الحيّة ذات الرأسين .

ثمّ، أما تناهى الى سمعك– وهنا توجّه بالكلام إليّ– والى أسماعكم/ يا زملاء، خبر ما تناقله الإعلام أخيراً عن تلكم المرأة التي وضعت طفلاً ذا رأسين، وأخرى وضعت طفلين اثنين ذوي جسدين اثنين متلاصقين. سياميّين، ولهما رأس مشترك واحد، فلمَ لا تكون تلكم الحيّة ، حيّة الجاحظ التي تحدّث عنها أرسطو من قبل، وشاهدها الأعرابي منْ بعدُ، آية من آيات الله، وما أكثر آياته في الأرض وفي السماء...؟

إلى هنا، وانقطع هذا التلميذ الذكيّ الجسور عن مواصلة الكلام الذي كان له وقع الصاعقة على الجميع، وذلك لمّا أن قُرع الجرس مؤذناً بإنتهاء الحصّة والوقت المقرّر للدرس، ولا أكتمكم سرّاً أني،أنا الأستاذ، وقفت موقف المتحيّر، فلم أحرِ جواباً وإن كنت في قرارة نفسي ميّالاً الى تصديق ما ذهب اليه الجاحظ لا الى ما كان زعمه أرسطو، صاحب المنطق، وما كان قد إدّعاه ذلك الأعرابي ابن البادية المسكين ..

وتدور الأيام دورتها حتى إذا ما كان يومٌ أغرٌّ من أواخر أيام الدراسة من شهر نوّار، وفيما كنت أشرح لتلاميذي الأعزاء آخر درس من دروس الأدب، إذ بذلك التلميذ الذكي المشاكس الذي كان أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن وجود ما يُعرف بالحيّة ذات الرأسين ، إذ به يضع بين يديّ وعلى مرأى من زملائه عدداً من أعداد مجلة (دنيا العالم) الشهرية وفيها هذا الخبر كما ورد بتمامه وكماله:

الخبر:" حيّتان اثنتان لهما أربعة رؤوس، عمر أولاهما سنةٌ وعمر الأخرى ستُّ سنوات.

الصورة: إثنتان، واحدة فوتوغرافية ، والأخرى بالأشعة السينيّة.

المكان: حديقة الحيوان في سان دياغو بولاية كاليفورنيا الأمريكية.

ماذا؟ هي ذي المجلّة بين يديّ، وهي ذي الصفحة التي ورد فيها الخبر ، وهي ذي صورة تينك الحيّتين الفوتوغرافية والأخرى السينيّة الشعاعية ، فهل في ذلك شكٌّ بعدُ لمن كان ذا لبٍّ؟...

إنّها إطلالة يا سادة، مجرّد إطلالة استوحيتها مما كان علق بذاكرتي ذات يوم، من أجواء ذلك النص الذي عنوانه(الحيّة ذات الرأسين)، فما أحرانا بأن نعيد قراءته وقراءة سواه من نصوص على ضوء ما يطالعنا به العلم في كل يوم من جديد .

فأمّا أنت ، يا أرسطوطاليس، يا صاحب المنطق، أيّها المعلم الأول للفلسفة ، يا من زعمت أنّ حيّة ظهرت

في زمانك ولها رأسان، فلك من شهرتك الواسعة ما يدرأ عنك سهام الزعم أو الظنّ الذي هو ضد اليقين ...

وأمّا أنت أيّها الأعرابي، يا أعرابي الجاحظ، فلئن ظلمك الجاحظ بحكمه لمّا أن وصمك بالكذب، وأوجعك بسياط أسئلته التي تنمّ عن السخرية ، والجاحظ كما نعلم أديب ساخر بطبعه، فحسبك أنك كنت الصادق الأمين، فلم تصدع إلا بما شهدت وشاهدت إذ لم تقل شططاً، ولم تشهد زوراً، فكنت ممّن قال الله سبحانه فيهم : " ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتخذ ما ينفق قرباتٍ عند الله وصلوات الرسول " ولم تكن من" الأعراب الذين قال تعالى فيهم أشدُّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله" .

وأمّا أنت يا أبا عثمان، يا الجاحظ، يا شيخ الكتّاب والأدباء، يا من غلب على أدبه العقل، فعذرك أنك غلّبت

العيان على السماع، وغلّبت الشكّ على اليقين، وإنّ لكلّ جوادٍ كبوة ، ولكل عالم هفوة...

وأمّا أنت، أيّها التلميذ الذكيّ الجسور، ولا أدري أين أنت اليوم، وفي أي ارضٍ تقيم، فلقد علّمتني، أنا الأستاذ، درساً لا كالدروس، وهو يتمثّل بأن الفطنة ليست وقفاًعلى الكبار ، بل هي قد تصدر عمّن هو

أصغر سناً منهم بكثير .. وقديماً، وفي ليلة شديدة البرد، قصد طفل صغير أحد الفلاسفة ملتمساً لأبويه منه جذوة من نار، فسأله الفيلسوف قائلاً: وأين الوعاء الذي أضع لك فيه الجذوة من النار ؟ فردّ الطفل قائلاً: هاك كفَّيَّ المفتوحتين ، يا فيلسوف، فضع فيهما شيئاً من رماد موقدك كيما أضع فوق الرماد الجذوة ، فكان له ما أراد ، أمّا الفيلسوف الذي أدهشه ذكاء الطفل فقال متعجباً : "صدق الله تعالى في قوله : (وفوق كل ذي علم عليم)".

الكورونا، ولادة روح وفلسفة حياة

بقلم أ.د. كلود عطية (مدير معهد العلوم الاجتماعية (3)

الكورونا اللالانسانية في زمن البحث عن الانسان، عن الحب، عن العقل، عن العلم والمعرفة والحقيقة ... هي حرب الهية لاختبار البشر في ايمانهم العلوي المقيد منذ آلاف السنين بالتراب ...بالارض التي تحولت الى جنة من ملذات يقاتل من أجلها البشر...حتى الموت بحبوب الهلوسة التي تحقق الرغبة في الحياة الأبدية دون ألم ...لو لدقائق أوساعات .. هي الحياة التي يبحث عنها أبناء الموت .. هؤلاء الذين استسلموا لرغبات الجسد ، وسقطوا رهينة الأنا المريضة الخبيثة وشربوا السم من أفواه الأفاعي، علهم يسرقون مناعة في وجه المرض، وهم لا يدركون بأنه منتشر في كل خلية من خلايا وجودهم ..

الكورونا الباحثة عن الفيروس الموجود منذ البدء في قلوب الشياطين.. تلك القلوب التي فقدت الحب.. يذكر بقدرة الخالق على الخلق.. وأن الصراخ عبثاً في وجه الله لا يصل صداه الى حدود الغبار.. وأن لغة الإيمان لا ينطقها الا من أبصر النور في عيون الظلام.. وهنا ينتهي الكلام عند حدود العقل الذي زرعه الخالق في جمجمة قد لاتختلف بشكلها عن جمجمة أي حيوان.. مع الرأفة بالحيوان في زمن كفر فيه الانسان وشرع لنفسه الالهية التكفير بأبناء العقل والمنطق و العقل والعلم ..

الكورونا الباحثة عن الأخلاق في عالم التكبر والحقد و الغيرة والحسد والأنانية العمياء.. تدخل نفق الجحيم.. ذاك النفق الأسود حيث تعيش خفافيش الليل من تجار الدين والدم ولقمة عيش الفقراء .. هي الكورونا البشرية اللاأخلاقية التي اخترقت بيوت الصلاة المغلقة والمقنعة بالخشوع.. وتلك الغرف المعزولة حتى عن ثقب واحد يدخل عبره خيط رفيع من العطاء.. والمحبة.. تلك المحبة المطعونة بسيف الجهل والكذب والخيانة والعمالة .. تلك المحبة المقتولة من الواقع والخيال..لأنها تشبه الوهم أو المرض أو هذا الفايروس المركب بالنسبة الى المتكبرين على نعمة التواضع والحب والفرح والسلام.. وهي بالنتيجة أي المحبة لا تحتمل الأنا

المتعالية على الذات الانسانية .. ولا تحتمل حتى التفكير بتقييم البشر في الارض ومحاسبة الأرواح المتنقلة بين الاجساد و العباد ..

في زمن الحجر ، علنا نلتزم مهد ولادتنا حلى انقضاء الدهر .. ولا نخرج الا ومعنا دواء جراحنا وجراح أرضنا وشعبنا .. علنا نلتزم الصمت أمام الموت المقتحم لارواح أطفالنا وكبارنا.. علنا نفهم بأننا نشبه الغبار في زمن العواصف السماوية .. وقد نشبه النسور في زمن الحروب ..فلا معنى لشروق الشمس لولا لحظة الغروب .. ولا معنى للموت لولا عظمة الحياة ..

سينتهي زمن الكورونا .. ويبقى المؤمنون بعقيدة الانتصار .. بعقيدة الحق والحرية والحياة .. سيتنهي هذا المرض من أجسادنا لأنها فانية .. لأنها ترابية.. ولكن الخوف من بقاء المرض في أرواحنا.. في أفكارنا.. في عقولنا.. في قلوبنا.. في كل قطرة دم.. وهنا ينتصر الشيطان في تجربة الله .. علنا نعود الى الانسان في وجه الله .. ونعيد حضارة الانسانية .. نعيد الحب المفقود في زمن التباعد الاجتماعي و الفكري..

فالحب في زمن الكورونا ولادة روح وفلسفة حياة .. والفلسفة صراع العقل والروح.. ولاتكون الا في الصراع.. كما الحب لا يكون الا في الصراع والحرب التي لاتخمد نيرانها في ابتعاد الارواح ولا في احتكاك الأجساد المادية المرتهنة للخيال والضعف والأنانية وفقدان المناعة الوجودية ..

فرضت الجائحة تباعداً جسدياً حقيقياً، كشف بالمطلق، بأن ارتهان الجسد للجسد هي حقيقة الحب المفقود في عالم الأرواح.. وارتهان الروح للروح حقيقة الحب المفقود في نفق الجحيم أو فردوس الحياة .. وتبقى النتيجة أخطر من المرض حيث تشبه الفراغ.. حيث يفقد الانسان في حجره الاخلاقي والانساني المنطق في طريق البحث عن الخيال .. ويكون سجين الخيال والخوف من الموت في البحث عن المنطق.. وهو لايدرك أن لا منطق في الحب والحياة ولا خيال..

قد تعجز الأفكار في زمن الكورونا عن صياغة فكرة الحب.. وقد تنسج الجائحة هذه الفكرة من التفكير بالحب..والتفكير في زمن الكورونا بات يشبه المعجزة التي لايعترف بها الانسان المحجور والمرتهن للموت خنقاً.. هي المعجزة المولودة من الحرب على الموت كما الحرب على النسيان .. الكورونا تثبت وجود ذرات شعورية في خلايا التفكير .. تسرع نبض القلب وتدفق الدم في الشرايين ،و تخلق على الوجوه البشرية اشارات

عبور الى الفرح أو الى الحزن .. الى الموت أو الى الحياة .. هو صراع الذرات الروحية و الجسدية البركانية حيث يركع الخيال خاشعاً.. والعقل المدبر يصرع بكلمة واحدة اسمها الحب.. لامرأة أو الحياة.. وقد نختصر هنا المرأة بالحياة .. لنرى مساهمة الفايروس القاتل .. في انعتاق الذات من الوحدة الى اقتحام الحب لتركيبة الانسان البيولوجية والعقلية والروحية .. وإن تطابقت الذات في زمن التباعد الجسدي، كان الحب وكانت الحياة ..

أما الصراع الاقوى في عالم التباعد.. فيكون بعدم التطابق بين ذرات انسان و انسان..والاصرار الأناني على البقاء في حالة الحجر .. والوهم.. وهي الوسيلة الوحيدة لتجنب الاعتراف بخسارة الحب وفقدانه من التفكير..هي أسوأ المشاعر الانسانية .. أن تعيش في عزلة تنتظر الحب وأنت تدرك بأنه وهم .. وأن تعيش وهم الانتصار على المرض.. وأنت لم تشارك في الوقاية منه.. وأن تبشر بما يعنيه الحب وأنت لم تعرف الحب.. تبقى النتيجة أنك في حالة صراع.. والصراع فلسفة الحب.. علنا نصارع لنعرف الحب..ويعرفنا..علنا نخرج من حجر أنانية أفكارنا..وانعزالية أرواحنا..ونلتقي في زمن الكورونا والتباعد الجسدي.. فالحب الروحي هو فلسفة الحياة ...

هذيان (أُقصوصة)

بقلم الأستاذ ماهر الحاج علي

في زواريب الحي القديم، وبين البيوت المتكدّسة، كان يسير متهدّجاً... صدرية بالية من صوف خشن تحيط بصدره، وشالٌ أغبر يلف رقبته... حذاء أوسع من قدميه النحيلتين، ينتعله فيلائمه في سرعة احتذائه ويريحه في سيره البطيء.

في رحلته اليومية الى السوق يجرجر خطاه ساهماً ، يتعثر بحجر هنا وحفرة هناك ، ولكنه يمشي ويظل يمشي... توجيهات زوجته تصطخب في اذنيه وهي تدسّ النقود في جيب سرواله المرتّق، فتهزه مراتٍ ومرات حتى يعي ما تقول، لأنه راسخ لديها اقتناع بأنه يسبح في عالم غير عالمنا ... إنه يدرك كل ذلك بسرعة ويعي ما تقول درءاً منه لإمعانها في زعقة إثر زعقة... وهكذا يخرج المسكين هائماً على وجهه ليتجول ساعات في الأزقة وفي السوق، ماسحاً آثار النوم عن عينيه ، وزعاق زوجته عن رأسه وعن جسده المكدود بكسل مقيم. ...

****

أَزَفَتْ ساعة العودة ، وجرابه بيده اليسرى مثقلاً بالخبز واللحم والخضار... أما اليد اليمنى فلها شأن آخر : تحيات رتيبة بها يرد على الآخرين، متخيلاً بأنه يتلقاها... إنه يحيي كل من يصادفه في الطريق، هي وجوه كثيرة وأغلب الظن أنه لا يتذكرها، لكنه يصرّ على تحيتها ... ولا يتذكر بأنه أجاب على نداء ما، إذ لم يعد يستجيب لمن يناديه باسمه، فاسمه ما عاد يهمه كثيراً.. وغير مرة كان يخلو الى نفسه ويحاول أن يتذكر اسمه، فيجهد ذاكرته طويلاً بين عشرات الأسماء، وتستوقفه بعضها لطرافتها فيضحك ضحكاً متواصلاً لا ينكفئ الا عندما يتناهى اليه صراخ زوجته وهي تزجره بحدّة، فيصمت وتصمت الأرجاء كلها من حوله.

****

في منزله الذي تتراكم حوله النفايات، يدلف أحياناً من بين أسراب الذباب و البرغش، ومن الباب الخشبي القديم فيتهاوى فوق المصطبة الحجرية، لتأتيه الزوجة المصون وهي تجرجر ثوبها الاسود متفقدة إياه مع أطفال لايكفّون عن الشجار والعراك و الصراخ.. إنهم أطفاله الذين جاؤوا الى الدنيا بدون أن يدرك لذلك سبباً ، سوى أن يكون ناتجاً عن ذلك النشاط الشيطاني الذي تستثيره زوجته ببراعة قلّ نظيرها، والذي يضطر للإستجابة اليه خاصة في ليالي الشتاء الباردة ... فيدفع ثمنه الباهظ مكرهاً حين الإستحمام للتطهر من غواية الشيطان ، وهو الشيء الوحيد الذي كان يؤديه خوفاً من عقاب الآخرة .

****

بيته عبارة عن غرفة ضيقة فيها بضع فُرُشٍ عتيقة بالية وبعض مساند ووسائد وأدوات المطبخ... كل ذلك كان جهازاً للعرس حين تزوج . في تلك الأيام كان له صوت يُسمع ، وعينان برّاقتان، وجولات في الحي والحارات، وكان واثقاً بأن له أصدقاء يشعر بأنهم معه دائماً، ويندمج معهم في مداعبات وأحاديث لا تنتهي فصولاً...الى أن عصفت به بعيداً عن اصدقائه أولئك حمىّ شديدة أفقدته وعيه وأرغمته على ملازمة الفراش طويلاً، فتقاذفته الحمىّ اللعينة وعبث به هذيان لزمن طويل... وتفاقمت حالته التي لا يتذكرها إلا كأحلام غامضة، ولم يدرِ لها حالاً إلا حين تسلمته أيادٍ خشنة وأمعنت بالكيّ فوق قَذَالِه وفوق رأسه بالحديد المحمىّ على النار...إنه لازال يتذكر رائحة الشواء المتصاعدة والتي كان يضيع بعدها أياماً... سنوات كان يسمع خلالها أصواتاً لاتتوقف تردد كلاماً كثيراً لايفقهه ويحتل مسامعه... أصوات تطارده ولا يستطيع الهروب منها، ليغيب عن الوجود ويحتله شيء من الهذيان.

إدمان بلا مخدرات (ورقة بحثية)

إعداد : د. محمد عبد فران

مقدمة

إنتشرت الألعاب الإلكترونية في كثير من المجتمعات العربية والأجنبية إذ لا يكاد يخلو منها بيت ولا متجر، تجذب الأطفال والشباب بالرسوم والألوان والخيال والمغامرة، حيث انتشرت انتشارا واسعاً وكبيراً ونمت نمواً ملحوظاً وأغرقت الأسواق بأنواع مختلفة منها ودخلت إلى معظم المنازل وأصبحت الشغل الشاغل لأطفال وشباب اليوم حيث أنها استحوذت على عقولهم واهتماماتهم. كما أن ألعاب الألعاب الإلكترونية لم تعد حكرًا على الصغار بل صارت هوس الكثير من الشباب وتعدى ذلك للكبار.

وقد انسحب هذا الواقع على شباب واطفال مجتمعنا كنتيجة للتسويق الفعال لهذه المنتجات من جهة ولغايات استراتجية تتعلق بنشر ثقافة معينة تسعى شركات التسويق الى بثها في اغلب مجتمعات العالم الثالث كمجتمعات مستهلكة، ولإظهار الصورة المتقدمة للمجتمعات الغربية خافية في طياتها العديد من الاهداف المدمرة للمجتمعات، وخاصة تلك التي لا تزال تؤمن بمجموعة من القيم الاجتماعية والقيم الدينية وخاصة الاسلامية منها.

ففي السنوات الأخيرة انتشرت محلات بيع الألعاب الإلكترونية بشكل كبير بمختلف أشكالها وأحجامها وأنواعها، وقابل هذا الانتشار طلب متزايد من قبل الأطفال والمراهقين على اقتناء هذه الألعاب التي اكتسبت شهرة واسعة وقدرة على جذب من يلعبونها حيث أصبحت بالنسبة لهم هواية تستحوذ على معظم أوقاتهم فهي تجذبهم بالرسوم والألوان والخيال والمغامرة. كما جذبت قطاعًا واسعًا من الأطفال، بل والمراهقين على المستوى العالمي؛ لما فيها من مؤثرات سمعية وبصرية قوية، وتوظيفها لعدد كبير من الفنيين المهرة في إنتاج ألعاب مشوقة ومثيرة.

انطلاقا مما تقدم سوف نبحث في هذه الدراسة الاثار السلبية للالعاب الالكترونية على الاطفال والشباب وخاصة تلك التي تمارس عبر نظام الشبكة الالكترونية (online games) وقد اتخذنا من لعبة (pupg)

نموذجاً لتلك الالعاب للإطلاع على كيفية لعبها والكشف عن اثارها المدمرة على الشباب في مجالهم الفيزيولوجي والقيمي والديني.

وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

التعرف على دوافع ممارسة الألعاب الإلكترونية لدى الشباب

التعرف على سلبيات الالعاب الالكترونية

الكشف عن الاهداف الخفية للالعاب الالكترونية

ونتيجة لتعدد الألعاب الإلكترونية وتنوعها ظهرت آثار مختلفة على سلوك وحياة الممارسين لها من نواحي متعددة أسهمت في الدعوة إلى القيام بدراسة لهذه الظاهرة للتعرف على آثارها السلوكية والصحية والاجتماعية المختلفة على حياة وسلوك الافراد الممارسين لها. وتعتبر لعبة PUBG مثالاً رائداً للالعاب الالكترونية ذائعة الصيت. التي اصبحت تمارس من اغلب الشباب في مجتمعنا. من هذا المنطلق طرحنا الاشكالية التالية:

ما مدى تأثير لعبة PUBG على سلوك الافراد الممارسين لها من النواحي الاجتماعية والنفسية والاكاديمية والدينية

ومن اجل الوصول الى نتائج سليمة كان لا بد من وضع معايير محددة لتصويب فكرة الدراسة والخروج بنتيجة واضحة. على هذا الاساس تم وضع عدد من الفرضيات تلخص اشكالية الدراسة وقد صيغت على الشكل الآتي:

الفرضية الاولى: ان ممارسة لعبة PUBG تؤدي الى الاهمال الدراسي والديني عند الشباب واليافعين الممارسين لها.

الفرضية الثانية: ان ممارسة لعبة PUBG تؤثر في الصحة النفسية والاجتماعية لدى الفتية والشباب الممارسين لها.

الفرضية الثالثة: ان ممارسة لعبة PUBG يقود الى نوع جديد من الادمان وجهته الاساسية عقول الشباب وسلوكهم الاجتماعي.

ولقد اخترنا افراد العينة بناء على عدة معطيات اساسية تتوافق مع متطلبات توجيه وتصويب نتيجة الدراسة وذلك كالتالي:

1- اجرينا عملية استطلاع رأي اولي على 100 مبحوث بشكل عشوائي

2- من نسبة الذين يمارسون اللعبة اخترنا عينة عشوائية ايضاً تنطبق عليهم قاعدة المعاينة التالية :

- يمارس لعبة PUBG في محل بيع خدمة الالعاب
- يسكن في مدينة النبطية

- عمره بين 8 سنوات و 25 سنة
- لا زال يتابع دراسته

والشكل التالي يوضح عملية اختيار العينة:

الشكل رقم 1

طريقة اختيار العينة

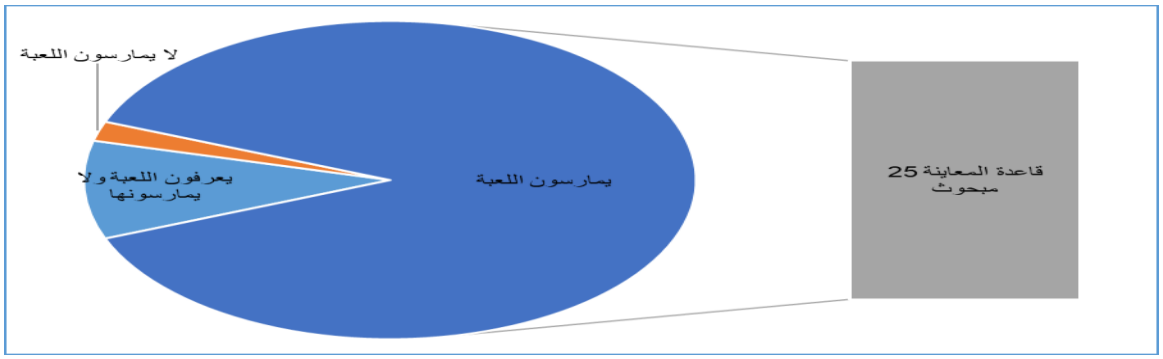

- تعريف اللعبة الالكترونية

تعرف اللعبة بأنها نشاط ينخرط فيها اللاعبون في نزاع مفتعل، محكوم بقواعد معينة، بشكل يؤدي إلى نتائج قابلة للقياس الكمي. ويطلق على لعبة ما بأنها إلكترونية في حال توفرها على هيئة رقميةdigital .49 ويتم تشغيلها عادة على منصة الحاسب والإنترنت والتلفاز والفيديو Playstation والهواتف النقالة، والأجهزة الكفية (المحمولة بالكف palm devices).

- اصناف الالعاب الالكترونية

يمكن تصنيف الألعاب الإلكترونية حسب طبيعتها إلى الأصناف الآتية: 50

الصنف الأول الغازي (المحارب، المقاتل) Conqueror: وهدف هذا الصنف التنافس والانتصار مهما كانت الخسائر.

الصنف الثاني المدير Manager: ويهدف هذا الصنف إلى تطوير مهارات محددة إلى درجة الإتقان.

الصنف الثالث المستغرب (المتعجب) Wanderer: في هذا الصنف يتم عرض وبيان خبرات وتجارب جديدة وممتعة، ولكن درجة التحدي في هذا الصنف أقل منها مما هو موجود في الصنفين السابقين.

[49] Salen ،K. ،& Zimmerman ،E. (2004). Rules of play: Game design fundamentals. Cambridge ،MA: MIT Press.

[50] المرجع السابق

الصنف الرابع المشارك Participant: في هذا الصنف يستمتع اللاعبون بالألعاب ذات الصبغة الاجتماعية، أو المشاركة في العوالم الإفتراضية.

– تصنيف العوالم الافتراضية

يمكن تصنيف العوالم الافتراضية إلى ثلاثة أصناف هي: 51

1. بيئة ألعاب واسعة متعددة اللاعبين Massively multiplayer online role play games (MMORPG)

2. الميتافيرس (metaverses)

3. بيئة تعلمية واسعة متعددة المتعلمين Massively multilearner online learning environments (MMOLE)

ففي بيئة (MMORPG) يقوم اللاعب بدور معين للوصول لهدف ما، وخلال تحقيقه للهدف يجني اللاعب النقاط لينتقل من مرحلة لأخرى.

أما بيئة الميتافيرس فهي عبارة عن بيئة ثلاثية الأبعاد تسكنها شخصيات تدعى «أفتار (Avatar)» يتحكم بها أشخاص حقيقيون عن طريق لوحة المفاتيح والفأرة.52

آخر نوع من أنواع العوالم الافتراضية هي بيئة (MMOLE) حيث تعتبر هذه البيئة من أحدث البيئات من ناحية الفكرة فهي مخصصة للتعليم. وتعمل كامتداد لنظم إدارة التعلم (Learning Management Systems) ولكن في بيئة ثلاثية الأبعاد.53

–اضرار الالعاب الالكترونية

من خلال الإطلاع على الأدبيات ذات العلاقة، تمكن الباحث من تصنيف الآثار السلبية للألعاب الإلكترونية إلى خمس فئات: أضرار دينية، أضرار سلوكية وأمنية، أضرار صحية، أضرار إجتماعية، وأضرار أكاديمية .

1– الأضرار الدينية

في ظل غياب أجهزة الرقابة الرسمية على محلات بيع الألعاب الإلكترونية ومراكز الألعاب وعدم مراقبة الأسرة لما يشاهده أبناؤهم من الألعاب وعدم الوعي بمخاطر ذلك، أدى هذا إلى تسرب ألعاب وبرامج هدامة تروج لأفكار وألفاظ وعادات تتعارض مع تعاليم الدين وعادات وتقاليد المجتمع وتهدد الانتماء للوطن54 .أن

---

[51] لخليفة، هند (2009). الحياة الافتراضية تساعد على عمليات التعليم والتدريب والتواصل مع الغير. سبق ذكره

[52] لخليفة، هند (2009). الحياة الافتراضية تساعد على عمليات التعليم والتدريب والتواصل مع الغير. سبق ذكره

[53] لخليفة، هند (2009). الحياة الافتراضية تساعد على عمليات التعليم والتدريب والتواصل مع الغير. سبق ذكره

[54] مي .(2010) Mai سلبيات و اجابيات الالعاب الالكترونية. على الرابط http://alexmedia.forumsmotions.com/t150-topic

محتويات ومضامين بعض الألعاب الإلكترونية، بما تحمله من سلبيات وطقوس دينية معادية ومسيئة للديانات وبالذات الدين الإسلامي، قد تؤثر سلبا على اللاعب أو المُشاهد.55

2- الأضرار السلوكية والأمنية

أثبتت الأبحاث التي أجريت في الغرب وجود علاقة بين السلوك العنيف للطفل ومشاهد العنف التي يراها على شاشة التلفاز أو يمارسها في الألعاب الإلكترونية .56 كما أثبتت الدراسات بأن العنف يتضاعف بلعب الألعاب ذات التقنية العالية التي تتسم بها ألعاب اليوم.57 وأن نسبة كبيرة من الألعاب الإلكترونية تعتمد على التسلية والاستمتاع بقتل الآخرين وتدمير أملاكهم والاعتداء عليهم بدون وجه حق، وتعلم الأطفال والمراهقين أساليب ارتكاب الجريمة وفنونها وحيلها وتنمي في عقولهم قدرات ومهارات العنف والعدوان التي تقودهم في النهاية إلى إرتكاب الجرائم. فعلى سبيل المثال أجريت دراسة كندية لمراجعة وتقويم المحتوى لثلاث مائة لعبة الكترونية، وفي النتائج تم رصد مائتين وأثنين وعشرين (222) لعبة منها تعتمد اعتماداً مباشراً على فكرة ارتكاب الجريمة والقتل.58

3- الأضرار الصحية

تخبر إلهام حسني، أستاذة طب الأطفال بجامعة عين شمس، في دراسة لها أنه: "على مدى الخمس عشرة سنة الماضية ومع انتشار الألعاب الإلكترونية، ظهرت مجموعة جديدة من الإصابات المتعلقة بالجهاز العظمي والعضلي نتيجة الحركة السريعة المتكررة، موضحة أن الجلوس لساعات عديدة أمام الحاسب أو التلفاز يسبب آلاماً مبرحة في أسفل الظهر، كما أن كثرة حركة الأصابع على لوحة المفاتيح تسبب أضرارا بالغة لإصبع الإبهام ومفصل الرسغ نتيجة لتثيهما بصورة مستمرة. ناهيك عنالاضرارر الصحية الاخرى التي تتعلق بالنظر والسمنة وغيرها من الاضرار. 59

4- الأضرار الاجتماعية

أظهرت الدراسة الدانمركية أن الألعاب الإلكترونية قد تعرض الطفل إلى خلل في العلاقات الاجتماعية إن هو أدمن على ممارستها، وسبب ذلك هو أن الطفل الذي يعتاد النمط السريع في الألعاب الإلكترونية قد

---

[55] الانباري، باسم (2010). نصائح مهمة لمتابعي الألعاب الإلكترونية. على الرابط http://alexmedia.forumsmotions.com/t150-topic

[56] أبو جراح (1425هـ). طفلك والألعاب الإلكترونية - مزايا وأخطار (1). المتميزة: العدد الثالث والعشرون - ذو القعدة 1425.

[57] السعد، نورة (2005). الخطر في العاب الفيديو للأطفال. جريدة الرياض. العدد 13406. الثلاثاء 27 محرم 1426هـ - 8 مارس 2005.

[58] مي .(2010) Mai سلبيات و اجابيات الالعاب الالكترونية. على الرابط http://alexmedia.forumsmotions.com/t150-topic

[59] حسني، إلهام (2002). ألعاب الكومبيوتر الاهتزازية مصدر رئيسي لمرض ارتعاش الأذرع. جريدة الشرق الأوسط. العدد 8559. الاحد 23 صفر 1423هـ - 5 مايو 2002.

يواجه صعوبة كبيرة في الاعتياد على الحياة اليومية الطبيعية التي تكون فيها درجة السرعة أقل بكثير مما يعرض الطفل إلى نمط الوحدة والفراغ النفسي سواء في المدرسة أو في المنزل60.

أما فاطمة القليني – أستاذة علم الاجتماع بكلية البنات بجامعة عين شمس فقد أشارت في دراسة لها إلى خطورة استخدام شخصيات إلكترونية بعيدة عن الواقع، فهذه الشخصيات وإن كانت تنمي خيال الطفل فإنها في الوقت ذاته تنمي مساحة الانفصال عن الواقع، وحتى عندما يلتحم بهذا الواقع فإنه يتعامل بمنطق هذه الشخصيات الخيالية، وهو ما يفجر طاقات التوتر، والعنف، والتحدي، والخصومة الدائمة مع المجتمع المحيط61.

وفي حديثه عن الآثار الاجتماعية السلبية للألعاب الإلكترونية على الأطفال ذكر المجذوب أنها تصنع طفلاً غير اجتماعي، فالطفل الذي يقضي ساعات طوال في ممارسة الألعاب الإلكترونية بدون تواصل مع الآخرين، يجعل منه طفلاً غير اجتماعي منطويا على ذاته على عكس الألعاب الشعبية التي تتميز بالتواصل. كما أن إسراف الطفل في التعامل مع عوالم الرمز يمكن أن يعزله عن التعامل مع عالم الواقع فيفتقد المهارة الاجتماعية في إقامة الصداقات والتعامل مع الآخرين ويصبح الطفل خجولا لا يجيد الكلام والتعبير عن نفسه.

كما قد تؤدي هذه الألعاب بما تحمله من أخلاقيات وأفكار سلبية إلى المزيد من الانفصال الأسري والترابط الإنساني مع الآخرين وارتباط الطفل بالقيم والأخلاقيات الغربية التي تفصله عن مجتمعه وأصالته. كما أنها من وجهة نظر المجذوب تصنع طفلاً أنانيًا لا يفكر في شيء سوى إشباع حاجته من هذه اللعبة، وكثيرًا ما تثار المشكلات بين الإخوة الأشقاء حول من يلعب؟ على عكس الألعاب الشعبية الجماعية التي يدعو فيها الطفل صديقه للعب معه .

كما أن الألعاب الإلكترونية قد تعلِّم الأطفال أمور النصب والاحتيال فالطفل يحتال على والديه ليقتنص منهم ما يحتاجه من أموال للإنفاق على الألعاب الإلكترونية إما بأن يأخذ منهم مصاريف درسه الخصوصي ليلعب بها أو يدَّعي مثلاً أن معلم الفصل طلب منهم أموالاً لتجميل الفصل أو لشراء هدايا للمتفوقين في الامتحان . 62

5- الأضرار الأكاديمية

أن ممارسة الألعاب الإلكترونية يؤثر سلبا على التحصيل الدراسي ويؤدي إلى إهمال الواجبات المدرسية والهروب من المدرسة أثناء الدوام المدرسي ويؤدي إلى اضطرابات في التعلم.

---

[60] منتديات قبائل تهامة عسير (2010). أضرار البلاي ستيشن على الأطفال. على الرابط -http://asir vip.com/vb/showthread.php?t=28459.

[61] أبو جراح (1425هـ). طفلك والألعاب الإلكترونية - مزايا وأخطار (1). المتميزة: العدد الثالث والعشرون ـ ذو القعدة 1425.

[62] أبو جراح (1425هـ). طفلك والألعاب الإلكترونية - مزايا وأخطار (1). المتميزة: العدد الثالث والعشرون ـ ذو القعدة 1425.

أن من سلبيات الألعاب الإلكترونية التي أثبتها الباحثون أنه عندما يتعلق الطفل الصغير "ما دون العاشرة" بهذه الألعاب فإن ذلك يؤثر سلبا على دراسته ونطاق تفكيره. كما أن سهر الأطفال والمراهقين طيلة الليل في ممارسة الألعاب الإلكترونية يؤثر بشكل مباشر على مجهوداتهم في اليوم التالي، مما قد يجعل اللاعبين غير قادرين على الاستيقاظ للذهاب إلى المدرسة، وإن ذهبوا، فإنهم قد يستسلموا للنوم في فصولهم المدرسية، بدلا من الإصغاء للمعلم.63 وهذا يتفق مع ما توصلت إليه دراسة إلهام حسني من أن كثرة ممارسة الألعاب الإلكترونية في السنوات الأولى من عمر الطفل، تؤدي إلى بعض الاضطرابات في مقدرة الطفل على التركيز في أعمال أخرى مثل الدراسة والتحصيل.64

– مفهوم لعبة pubg

" لعبة PUBG، من ألعاب البقاء والتي تتطلب من اللاعب المحافظة على حياته داخل اللعبة، وهي اختصار لجملة Player Unknown's Battle grounds، ومتاحة على منصات ويندوز، إكس بوكس ون وأندرويد و.iOS

أطلقت اللعبة يوم 23 مارس 2017، مع الإصدار الكامل فى 20 ديسمبر، وهي من تطوير PUBG Corporation، وهى شركة تابعة لشركة ألعاب الفيديو الكورية الجنوبية Bluehole، ويمكن لنحو 100 لاعب الاستمتاع بها، إذ يتنافس كل منهم بأن يكون الناجى الأخير، والاختيار بين الخوادم التى يكون فيها اللاعب بمفرده وليس ضمن فريق معين، وفى بداية كل مباراة يقفز اللاعبون من طائرة بالمظلات على جزيرة دون أن يكون بجعبتهم أية عناصر.

تجاوزت اللعبة 100 مليون عملية تنزيل على منصات الموبايل، وذلك فى غضون 4 أشهر منذ طرحها، ويستخدمه 20 مليون مستخدم نشط يوميًا فى أقل من أربعة أشهر.

– نظرة علم النفس للعبة pubg

أتت وجهة نظر علم النفس لتؤكد أن "لهذا النوع من الألعاب خطورة كبيرة لأنها تجعل الإنسان يهرب من واقعه ليعيش في عالم آخر بعيداً من الحقيقة. فلا يدرك دائماً الفرق بين العالم الحقيق والعالم الافتراضي الذي تعرضه اللعبة"، وفق ما شرحت الاختصاصية في علم النفس العيادي ميريام أبو عون في حديث لـ"النهار".

---

[63] الانباري، باسم (2010). نصائح مهمة لمتابعي الألعاب الإلكترونية. على الرابط http://alexmedia.forumsmotions.com/t150-topic

[64] حسني، إلهام (2002). ألعاب الكومبيوتر الاهتزازية مصدر رئيسي لمرض ارتعاش الأذرع. جريدة الشرق الأوسط. العدد 8559. الاحد 23 صفر 1423هـ - 5 مايو 2002.

وأكدت أبو عون أن لهذه اللعبة خطورة كبيرة على المراهق لأنها توهمه بأن أساليب العنف هي الطريقة الوحيدة للدفاع عن النفس، مضيفةً "وكأن العنف هو الوسيلة للوصول الى الهدف المنشود وإلغاء الآخر أمر طبيعي". وأوضحت أن PUBG وما يشابهها "تجعل الفرد يلجأ إلى العنف لحل نزاعاته، كأن الاذية أصبحت أمراً عادياً، وتصبح بذلك ردات فعله عصبية كما يصبح منعزلاً اجتماعيًا ويتفاعل مع آلة ويعيش في عالم خيالي".

وشددت على أن هذه الألعاب تؤثر في مستوى الطلاب المدرسي كما يمكن أن تؤدي إلى الادمان، وحذّرت من أن "استعمال السلاح في هذه اللعبة يشجع الفرد على استعماله في الحياة الطبيعية".

PUBG، 4 أحرف تلخص واقعاً يتأرجح بين الإدمان والهرب من جهة والتسلية والمرح من جهة أخرى. ومهما كثرت النظريات وأساليب الشرح، يبقى الواقع واحداً وهو أن جيل الشباب مهددٌ على أصعدة عدّة إن كان من جهة ثقافة السلاح أو الأفكار التي تُزرع في داخله حول اللجوء إلى المعارك والحروب لتحقيق نشوة الانتصار انطلاقاً من غريزة البقاء.[65]

– انتشار لعبة PUBG واثارها الاجتماعية

لعل أولى الأسباب التي جعلت اللعبة شعبية إلى هذه الدرجة يكمن في فكرتها، ألعاب من نوع Battle Royale ليست بالجديدة، لكنها ربما أتت قبل وقتها مع بعض العناوين الأولى، فالمتعة التي يقدمها هذا النوع من الألعاب يجعل اللاعبين يستمرون بالعودة إليها كل مرة، حيث لا يوجد سوى رابح واحد، وفرصة واحدة للبقاء والنجاة، لذا فالجو العام لهذه الألعاب يحفزك على الحذر الشديد، التفكير قبل القيام بأي حركة، جمع الغنائم التي يمكنك الاستفادة منها والتعاون مع أصدقائك إن كنتم تلعبون بشكل جماعي.

حسناً، توجد ألعاب جديدة بنفس الفكرة بعد أن حصدت PUBG الكم الهائل من اللاعبين والانتشار الواسع، فلماذا لم تنجح هي أيضاً؟

هناك بالفعل بعض العناوين الجديدة التي تعتمد فكرة النجاة والبقاء في مباريات يصل عدد لاعبيها أحياناً إلى 100، ولعل أشهرها بعد PUBG هي Fortnite التي تقدم طوراً خاصاً مشابهاً مع اختلافات على مستوى التصميم وأسلوب اللعب، كما سنرى مزيداً من الألعاب بنفس الفكرة في المستقبل القريب.

لكن أحد الأسباب التي جعلت من PUBG تسيطر سريعاً على اهتمام الإعلام هو خطتها التسويقية التي ركزت على المؤثرين أولاً، وبالضبط شخصيات Youtube الصغيرة إلى المتوسطة. تركيز فريق التطوير على إيصال هذه اللعبة إليهم ودعوتهم للعبها وانتاج محتوى حولها دفع متابعي هؤلاء المؤثرين إلى البحث

[65] جريدة النهار اللبنانية ، تشرين الثاني 2017

عن اللعبة، شرائها وتجربتها، ربما لم تكن بنفس الجودة عند إطلاقها، لكن المطورين استطاعوا ارسال تحديثات مستمرة للعبة لتحسين استقرار الأداء وتغيير المزايا حسب رغبة اللاعبين.

الإنتشار إلى منصة Twitch أيضاً جاء بنفس الطريقة، فاللعبة مُصممة لتكون لعبة تنافسية بالدرجة الأولى، لذا فاستعراضها مباشرة يُضفي مزيداً من التشويق بالنسبة للمشاهدين، إضافة إلى لعبها مع أشخاص آخرين لجعلها ممتعة وربما كوميدية أحياناً أخرى، وهذه العناصر نفسها جعلتها مصدراً لخلق مزيد من المحتوى البصري، سواء من مقاطع فيديو أو حتى Memes يتم نشرها على منصات اجتماعية كـ Reddit و Facebook.

إذا فاللعبة مُصممة لتكون Viral، سواء انتبهت لذلك أم لا، نفس الشيء ينطبق على ألعاب مثل Rainbow Six Siegeو Counter Strike وLeague of Legends ، كلها ألعاب تضم أعداداً هائلة من اللاعبين، تم إصدارها منذ سنوات لكنها لا تزال تحقق أرقاماً هائلة سواء على مستوى الإيرادات المالية أو اللاعبين المتواجدين في نفس الوقت، فهي مناسبة جداً لاستعراضها على جمهورك من المتابعين.

بعيداً عن مسألة النشر على الشبكات الإجتماعية، هناك أيضاً عامل كونها نسخة تجريبية فقط، الأمر الذي يجده معظم الأشخاص غريباً كون اللعبة في مرحلة تجريبية لمدة طويلة، بل وحتى اصدارها على جهاز Xbox Oneكنسخة أولية غير مكتملة. الفكرة هنا تكمن في اقناع اللاعبين بأن هناك الكثير لتقديمه، الكثير من المحتوى والمزيد من الخصائص على المدى البعيد، ناهيك عن كونها من جديد لعبة من مطور مستقل، أي أن تقديم منتج كامل من الوهلة الأولى قد يعني انفاق المزيد من الموارد المالية والبشرية على منتج قد لا يلقى النجاح المطلوب.

أما الأسباب التي تجعلها مختلفة عن باقي الألعاب فهي متعلقة بأسلوب اللعب. PUBG تقدم خرائط أصغر نسبياً، أي أن اللاعب قادر على التاقلم معها سريعاً، إلى جانب تضييق المساحة شيئاً فشيئاً بعد كل جولة، ما يدفع اللاعبين للخوض في اشتباكات قريبة المدى أيضاً. بساطة هذا الأسلوب أيضاً تكمن في عدم وجود أي تعقيدات أخرى، لا توجد قصة خلف اللعبة، لا مهمات محددة للقيام بها، كل ما عليك هو جمع الغنائم، الاختباء والقضاء على أي لاعب تراه أمامك.

نتائج البحث الميداني والتحقق من الفرضيات

اولاً : نتائج البحث الميداني

اعتمدنا العينة العشوائية البسيطة في انجاز هذا البحث الميداني. وقد اخترنا افراد العينة بناء على عدة معطيات اساسية تتوافق مع متطلبات توجيه وتصويب النتيجة. وحتى لا ننساق الى نتائج غير مطابقة

لطبيعة الاسئلة التي نطرحها ، قمنا بعملية استطلاع رأي اولي على 100 مبحوث بشكل عشوائي وممن تم مصادفتهم في الشارع على ان يكونوا في مرحلة الشباب او الفتوة وطرحنا عليهم سؤالاً واحداً:

ماذا تعرف عن لعبة pubg وهل تمارسها ؟

وحصلنا على النتائج التالية:

1- حوالي 88% من المستطلعين يعرفون اللعبة ويمارسونها

2- ما يقارب 10% يعرفون اللعبة ولا يماسونها

3- فقط 2% لا يعرفون اللعبة بالمطلق.

ومن نسبة الذين يمارسون اللعبة اخترنا عينة عشوائية ايضاً تنطبق عليهم قاعدة المعاينة التالية :

1- يمارس لعبة PUBG في محل بيع خدمة الالعاب

2- يسكن في مدينة النبطية

3- عمره بين 8 سنوات و 25 سنة

4- لا زال يتابع دراسته

وقد استعنا بقدرات برنامج الاكسل لإستخلاص نتائج البحث من حيث تصميم الجداول والرسوم البيانية

1- المتغرات المستقلة للدراسة:

الجدول التالي يبين الخصائص المستقلة للمبحوثين لناحية العمر والمستوى التعليمي

جدول رقم 1

توزع المتغيرات المستقلة للدراسة بحسب العدد والنسبة

النوع	المتغير	العدد	النسبة
العمر	بين 8 و 13	5	20.00%
	بين 14 و 18	9	36.00%
	فوق 18	11	44.00%
	المجموع	25	100.00%
المستوى العلمي	متوسط	8	32.00%
	ثانوي	12	48.00%
	جامعي	5	20.00%
	المجموع	25	100.00%

2 – الايام التي يمارس فيها المبحوث اللعبة:

نتيجة لسؤال المبحوثين عن الايام التي يمارسون فيها اللعبة كانت النتيجة على النحو الذي يظهر في الرسم البياني التالي:

الرسم البياني رقم1

توزع عينة البحث بحسب ايام ممارسة اللعبة

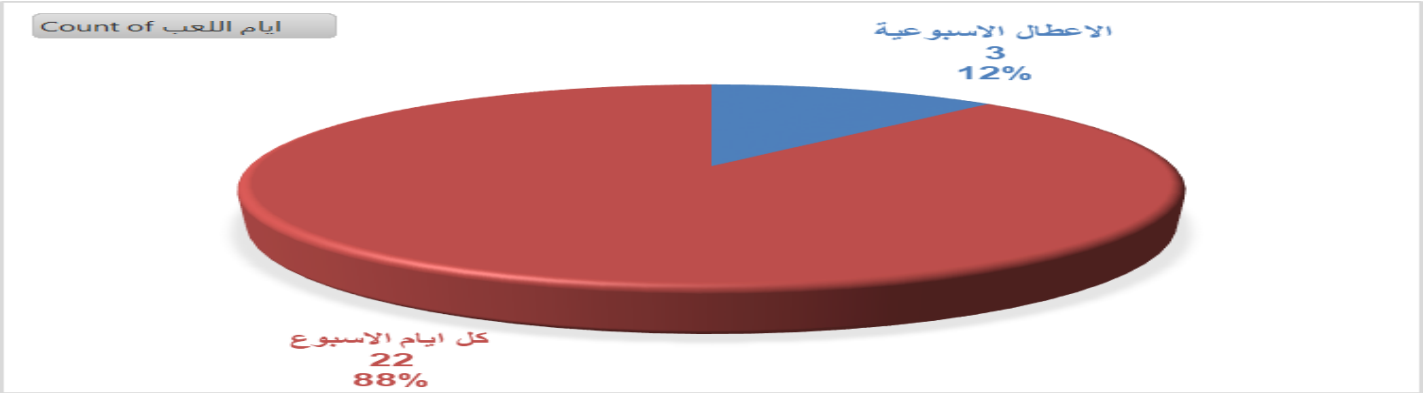

يتبن من الرسم البياني رقم 1 ان الغالبية العظمى من المبحوثين يمارسون لعبة PUBG بشكل يومي طيلة ايام الاسبوع وذلك على النحو الآتي:

1- ما يقارب 88% من المبحوثين يمارسون اللعبة بشكل يومي طيلة ايام الاسبوع

2- فقط 12% يمارسون اللعبة ايام العطل اي يومين على الاقل في الاسبوع

3- لا احد من المبحوثين يمارس اللعبة على نحو شهري او سنوي

انطلاقاً من النتيجة اعلاه فإننا نسجل الملاحظات التالية من وجهة نظر الباحث:

ان ملاحظة نتيجة 88% من المبحوثين الذين يمارسون اللعبة بشكل يومي يترتب عليها العديد من الاعتبارات خاصة ان المبحوثين هم من الفئات العمرية التي لا تزال تتابع الدراسة . وهذا يعني بطبيعة الحال ان الوقت المستغرق لممارسة اللعبة يكون على حساب التحصيل العلمي بغض النظر عن عدد الساعات التي يستغرقها في ممارسته للعبة

ان الاستمرار في ممارسة اللعبة وبشكل يومي يعد نوعاً من انواع الادمان وخاصة عندما يصبح اللعب اولوية عند المبحوثين ومفضل على سائر الامور الحياتية والاجتماعية والاكاديمية .

نتيجة لما تقدم يتبين توافق النتيجة الميدانية ما ما تم طرح في القسم النظري وخاصة لجهة امرين رئيسين:

1- تأثير هذه اللعبة على مستوى التحصيل الاكاديمي

2- خطورة لعبة PUBG لناحية ادمان الاشخاص الذين يمارسون هذه اللعبة.

3- عدد ساعات ممارسة لعبة PUBG يومياُ

توزعت اجابات المبحوثين عن عدد الساعات التي يقضوها في ممارسة اللعبة يومياً على النحو التالي:

رسم بياني رقم 2

توزع المبحوثين بحسب عدد ساعات ممارسة اللعبة

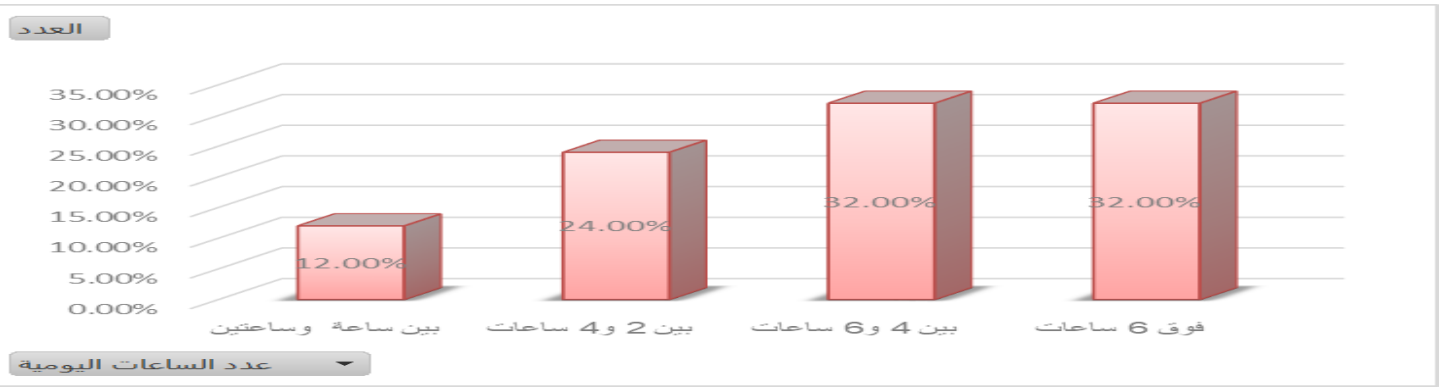

يتبين من معطيات الرسم البياني رقم 2 ان:

1- 32 % من المبحوثين يمارسون اللعبة لمدة تتجاوز 6 سعات يومياُ

2- 32% من المبحوثين يمارسون اللعبة بين 4 و6 ساعات يوميا

3- 24 % يمارسون اللعبة بين ساعتين واربع ساعات يومياً

4- فقط 12% يمارسون اللعبة بين ساعة وساعاتين يومياً

وبناء على هذه النتيجة اعلاه فإننا نسجل من وجهة نظرنا الملاحظات التالية:

1- ان ما يفوق 64 % من المبحوثين يمارسون اللعبة بما يزيد عن 4 ساعات يومياً وحيث انهم من الطلاب فإن ذلك يكون بدون شك على حساب تحصيلهم العلمي .

2- نفس النتيجة تنسحب على اداء الفروض الدينية من ناحية اننا لو سلمنا جدلاً بأن ممارسة اللعبة تكون بعد العودة من المدرسة او الجامعة وحيث ان التوقيت المتعارف عليه للخروج من المدرسة هو الساعة 15 فإن اداء الفرائض سوف ينتابه التأخير اذا احسنا الظن .

3- ان اسراف هذا الوقت على اللعبة يقود بطبيعة الحال الى التعلق الوثيق بهذا النوع من الالعاب الذي يصبح في مرحلة معينة يوصف من قبل علماء النفس والاجتماع نوع من انواع الادمان الالكتروني .

وعلية فإن نتيجة هذا السؤال تتاوفق مع ما تم التطرق اليه في القسم النظري من النواحي التالية:

1- تأثير هذا النوع من الالعاب على مستوى التحصيل العلمي ضمن دائرة التغذية الراجعة المطلوبة في المنزل

2- التأثير على اداء الفرائض الدينية او تأخيرها وبالتالي اهمالها وصولاُ الى تركها

3- تأثير الالعاب على الحياة الاجتماعية واهمالها نتيجة التعلق بهذه اللعبة وسواها من الالعاب والانصراف الى الوحدانية والفردانية.

4- ممارسة انشطة غير لعبة PUBG

لدى سؤال المبحوثين عن ممارستهم لأنشطة غير لعبة PUBG تراوحت اجاباتهم وفقاً للتالي:

الرسم البياني رقم 3

توزع المبحوثين بحسب ممارستهم للأنشطة الاخرى

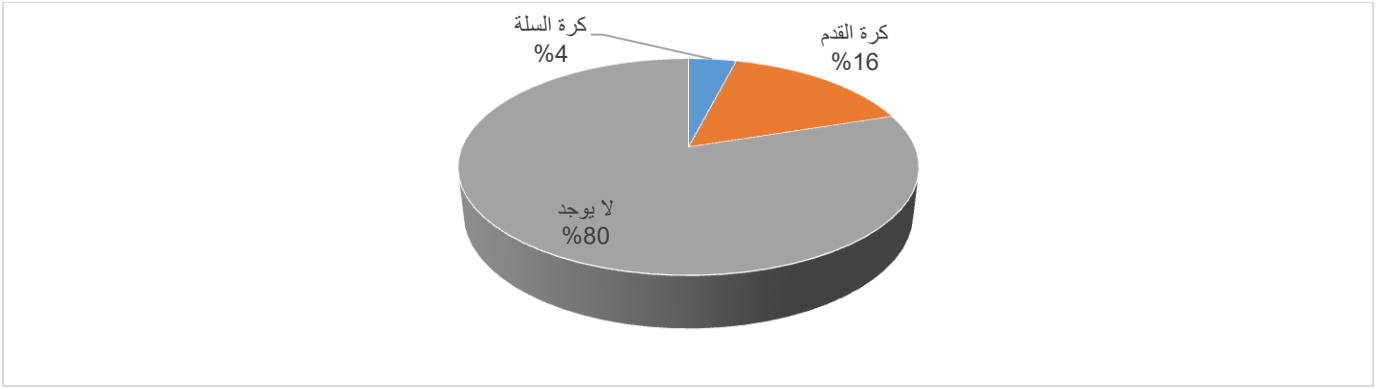

يتبين من قراءة معطيات الرسم البياني رقم 3 التالي:

1- ان الاغلبية الساحقة من المبحوثين لا يمارسون اي انشطة سوى ممارسة هذا النوع من الالعاب اذ سجلت المعطيات ارتفاعاً وصل الى 80% يؤكدون هذا التوجه.

2- ان 16% فقط من المبحوثين يمارسون لعبة كرة القدم الشعبية وذات اهتمام الشباب والناشئة والاطفال وحتى الكبار .

بناء على ما تقدم نسجل الملاحظات التالية:

1- ان ممارسة هذه اللعبة يساهم بشكل او بآخر في ابتعاد الشباب والاطفال عن الاهتمام بأنشطة اخرى حتى ولو كانت حتى الامس القريب ذات اولوية.

2- ان هذا النوع من الالعاب يرقى الى مستوى الادمان من الناحية الفكرية وخاصة انه يجذب الشخص للاهتمام بها بشكل دائم واهمال اي نشاط اخر وهذا ما تفعله بالضبط الحبوب والمواد المخدرة .

3–ان نجاح هذا النوع من الالعاب في قتل حياة الشباب سيدفع المشغلين والمسؤولين عن تسويق وانتاج هذه الالعاب الى تطوير اجيال واجيال منها للاستمرار في سرقة عقول شبابنا وخاصة ان عوامل المقاومة تكاد تكون معدومة.

ان نتيجة هذه المعطيات والمؤشرات الواردة اعلاه تتوافق مع ما تم طرحة في الاطار النظري من هذه الدراسة لجهة الاتي:

1– الاضرار الاجتماعية التي تخلفها الالعاب الالكترونية لجهة العلاقات الاجتماعية .

2– الاضرار الصحية والنفسية نتيجة الادمان

5– ضعف التحصيل العلمي نتيجة ممارسة PUBG

لدى سؤال المبحوثين عن مستواهم الاكاديمي والتعليم في مؤسساتهم التعليمية كانت اجابتهم وفقاً للرسم البياني رقم 4 على النحو التالي :

الرسم البياني رقم 4

توزع العينة بحسب نتائج التحصيل الدراسي

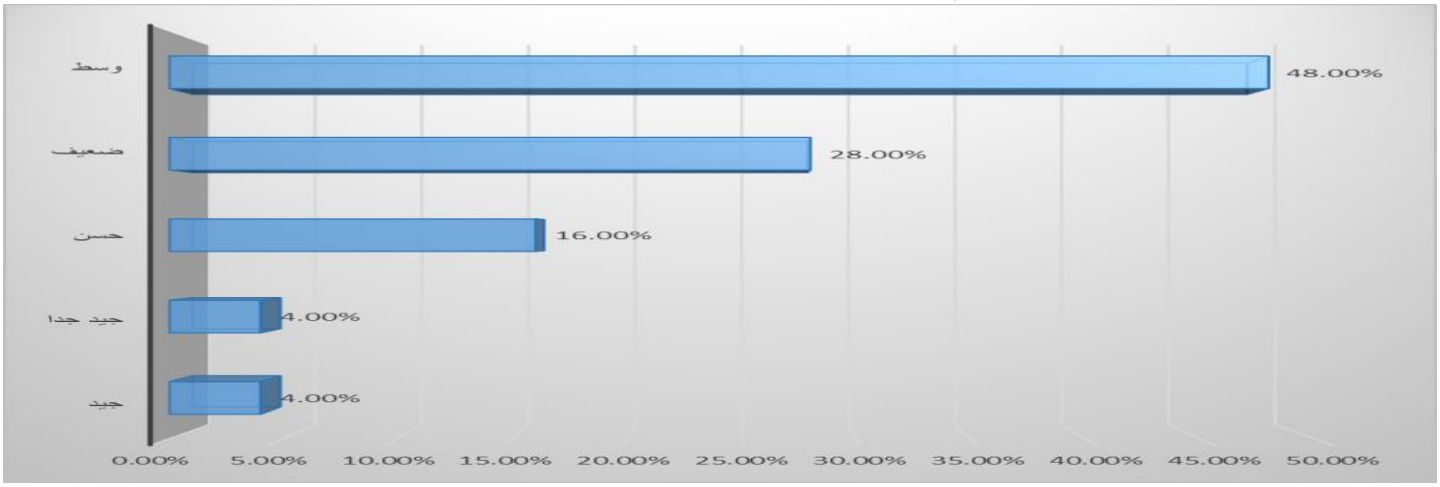

جدول رقم 2

توزع العينة بحسب المستوى التعليمي ومستوى التحصيل العلمي

التحصيل	متوسط		ثانوي		جامعي		Total	Total
المستوى	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
ضعيف	2	8.00%	5	20.00%		0.00%	7	28.00%
وسط	4	16.00 %	5	20.00%	3	12.00%	12	48.00%
حسن	2	8.00%	1	4.00%	1	4.00%	4	16.00%

جيد		0.00%	1	4.00%		0.00%	1	4.00%
جيد جدا		0.00%		0.00%	1	4.00%	1	4.00%
المجموع	8	32.00 %	12	48.00%	5	20.00%	25	100.00%

يبدو ان ممارسة هذا النوع من الالعاب ذات تأثير مباشر على المستوى التعليمي للافراد . فبالاستناد الى معطيات الرسم البياني رقم 4 يتبين التالي:

1- 28% هم بمستوى تعليمي ضعيف و 48% بمستوى وسطي

2- فقط 8 % بمستوى جيد او جيد جداً

بالاستناد الى المعطيات اعلاه لابد من التنويه ببعض الملاحظات التي رافقت ردات فعل المبحوثين حين طرح عليهم هذا السؤال:

1- اغلب المبحوثين ترددوا عند طرح هذا السؤال وخصوصاً ممن هم في مرحلتي التعليم الاساسي والثانوي. وهذا له مؤشرات عديدة ليس اهمها عدم الرضى الداخلي عما وصلت اليه الامور في مسألة التحصيل العلمي

2- لاحظ الباحث التردد في وصف التحصيل العلمي للمبحوث فكثيراُ منهم اعطوا اجابات سريعة تلخص الواقع الحقيقي لمستواهم وعادوا عن هذه الاجابات ليختاروا التصنيف "وسط" كتلطيف للواقع.

وبالانتقال الى الجدول رقم 2 فإننا نلاحظ ان النسب الاعلى للمستوى العلمي المتدني كانت بأغلبها في مرحلة التعليم الاساسي والثانوي بحيث يعود ذلك لعدة ظروف اهمها:

1- ان الفراغ الذي يسود في الفئة العمرية المناسبة لمرحلتي التعليم الاساسي والثانوي تفوق نسبياً من هم في التعليم الجامعي لعدة ظروف تتعلق بعدم وضوح المسار المستقبلي الاجتماعي والاقتصادي بعكس الجامعيين الذين بدأت صورة ملف حياتهم القاتمة والغير واضحة تتبدد بحيث يمكنهم العمل لتحقيق اهداف اجتماعية واقتصادية وثقافية يحددوها لأنفسهم تلغي في طياتها قسماً كبيراً من الفراغ.

2- ان الالعاب الالكترونية تستهوي فئة الاطفال والمراهقين اكثر ممن تخطوا هذه المراحل لذلك قد تكون عملية التعلق بالالعاب الالكترونية اقل، نظراُ لأنشغالهم بقضايا اخرى

بالمحصلة نستنتج ان هنالك علاقة بين المستوى التعليمي ومستوى التحصيل العلمي ومدى تأثير الالعاب الالكترونية فيهما. علماً بأن النتيجة اعلاه تتوافق مع تم طرحه في القسم النظري لهذه الدراسة وخاصة فيما يعود الى لجهة تأثير الالعاب على المستويات الاكاديمية.

6- المبالغ المنفقة اسبوعياً على لعبة PUBG

لدى سؤال المبحوثين عن المبا غ المنفقة على لعبة PUBG اسبوعياً توزعت اجاباتهم وفاقاً للرسم

البياني التالي:

رسم بياني رقم 5

توزع المبحوثين وفقاً للمبالغ المصروفة اسبوعياً

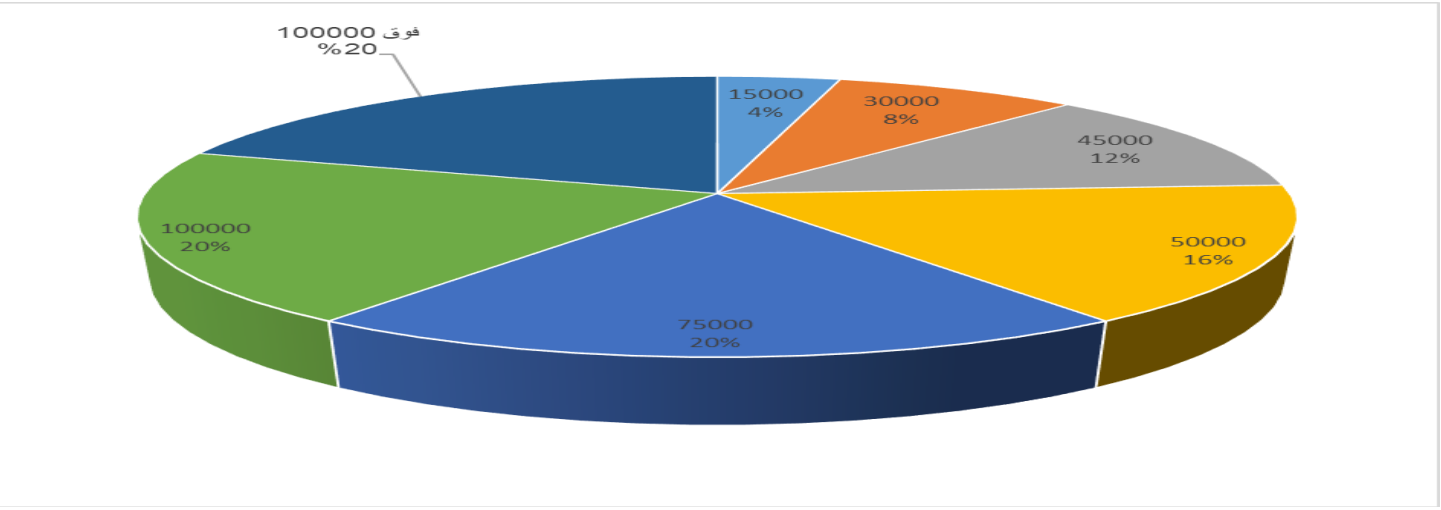

يتبين من الرسم البياني رقم 4 بعد تحليل معطياته النقاط التالية:

1- اكثر من 40% من المبحوثين ينفقون 100000 ليرة لبنانية او اكثر على ممارسة هذا اللعبة اسبوعياً

2- فقط 4% من المبحوثين ينفقون مبلغ 15000 ليرة اسبوعياً

نتيجة للمعطيات الواردة اعلها فإننا نستنتج التالي :

1- ان 60% من المبحوثين ينفقون بالحد الادنى 75000 ليرة اسبوعياً مما يعني ان نفقة اليوم الواحد ترتفع الى 12500 ليرة بالحد الادنى . واذا سلمناً جدلاً بأن ثمن الساعة 2000 ليرة (السعر الاعلى في معظم محال ممارسة هذه اللعبة) مما يعني ان اغلب المبحوثين يمارسون هذه اللعبة 6 ساعات يومياً على الاقل.

2- ان نسبة لابأس بها تقارب 20% من المبحوثين ينفقون ما يفوق 100000 اسبوعيا مما يعني ان عدد ساعات ممارسة اللعبة يقارب العشرة ساعات يومياً.

3- التحليل السابق يبين حجم الادمان الكارثي على عقول وصحة هؤلاء المبحوثين اذ كيف يمكن ان نتخيل ان شخصاً يبقى مسمراً امام شاشة الكمبيوتر كل هذه الساعات .وكلما كانت الاعمار تأخذ منحى تنازلي ، يأخذ مستوى الخطر منحى تصاعدي في مختلف الميادين وخاصة تلك التي تتعلق بالجوانب التالية :

1- الصحة الجسدية : على العيون والجلوس المستمر والمتكرر امام الشاشة

2- الصحة النفسية: بلاحظ الاثار النفسية التي تتركها هذه اللعبة على الافراد ناهيك عن الغيبوبة التي يعيشها الاطفال والشباب طيلة هذه الفترة والتي بدون شك سوف تنسحب على باقي ساعات النهار كنتيجة طبيعية.

3- الحالة الاجتماعية والدينية: فمن المستبعد ان يهتم اللاعب وخاصة ذلك الذي يقضي وقتاً كبير في ممارسة هذة اللعبة الى القضايا الاجتماعية والمدنية او السياسية بحيث ان الاهتمامات اصبحت في مكان اخر ناهيك عن الاهمال المحتمل بشكل كبير للواجبات الدينية.

4- الحالة الاقتصادية: فالمبالغ المنفقة تعتبر كبيرة جداً واياً يكن مصدر الاموال فإنها تذهب في المكان غير المخصص لها.

5- الحالة التعليمية والعملية : بطبعية الحال يؤدي ممارسة هذا النوع من الالعاب لقضاء وقت طويل في ممارستهم مما سنعكس بشكل سلبي على الحالتين التعليمية والعملية.

كل هذه النقاط تتوافق مع الاشارات والنظريات الوارد في القسم النظري من هذه الدراسة وتأكد وجود علاقة بين ممارسة اللعبة والاسراف الاقتصادي والمالي وتدهور الحالة النفسية والصحية والدينية والاجتماعية تماماً كما تفعل المخدرات بفارق المادة المخدرة.

7- امكانية التخلي عن ممارسة لعبة PUBG

لدى سؤال المبحوثين عن امكانية التخلي عن لعبة PUBG توزعت اجاباتهم على النحو التالي:

رسم بياني رقم 6

توزع المبحوثين بحسب امكانية تخليهم عن اللعبة

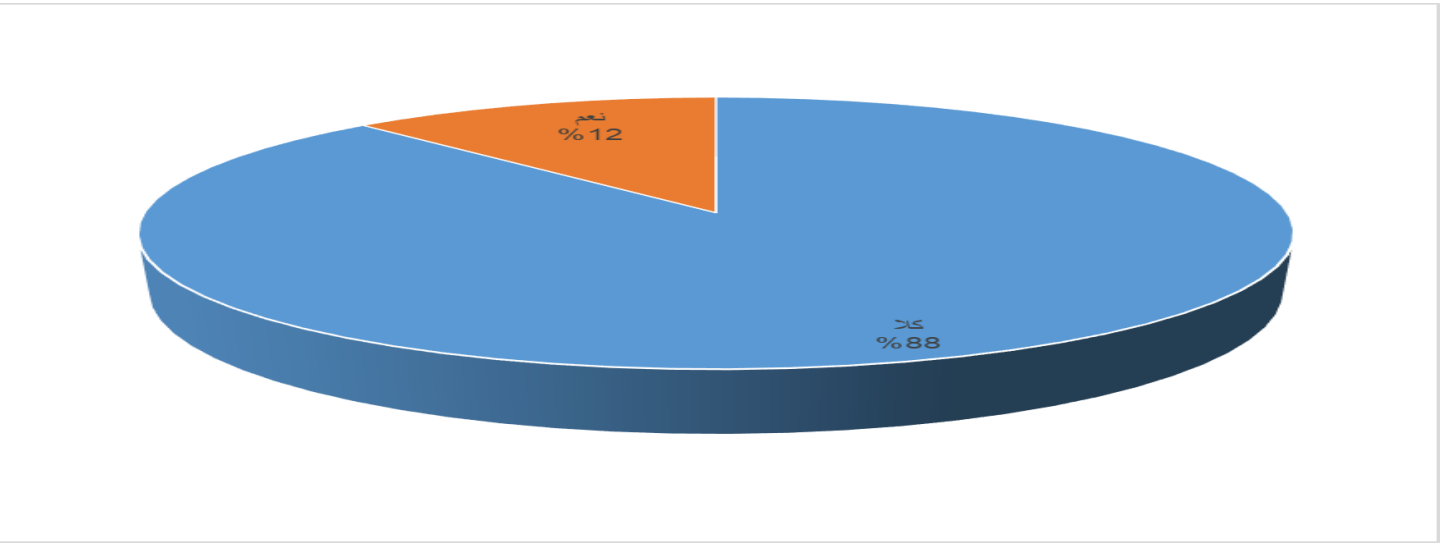

تفيد المعطيات الواردة في الرسم البياني رقم 6 ان:

1- عدد الذين لا يمكنهم التخلي عن ممارسة اللعبة ارتفعت الى 88% من المبحوثين.

2-فقط 12% اجابوا بشكل ايجابي على امكانية التخلي عن ممارسة اللعبة ساعة يريدون.

وهنا لا بد من الافادة عن الملاحظات التالية التي رافقت عملية جمع المعلومات نلخصها بملاحظتين اساسيتين هما :

1- ان المبحوثين الذين اجابوا بعدم امكانية تركهم للعبة كان اجابتهم تتصف بالحدية . ودلالة هذا الموضوع ان اغلب المبحوثين ربما يقدرون حجم المخاطر وما ينتظرهم من التفاعل المستمر مع هذا النوع من الالعاب لذلك كانت ردة الفعل العكسية تفيد بأنهم يدركون حجم الخطر ولا امكانية للتخلص منها ولا يوجد نية للتخلص منها طالما ان البديل العودة الى الفراغ او الانشغال بأمور لا تقارب اهوائهم.

2- اما الفئة القليلة التي اجابت بإمكانية التخلي عن اللعبة والتي سجلت نسبة 12% فقط . فعلى الرغم من هذه الايجابية الا انها للأسف غير واقعية وهي اجابات كانت من باب التحدي لا اكثر ولا اقل ... وهذا الفئة ربما تكون من اكثر الفئات تعلقاً بهذا النوع من الالعاب واتت اجابتهم غير صريحة للمعرفة المسبقة بأن هذ النوع من التحدي لن يحصل بالتو والساعة من الباحث او جامع المعلومات وهي مجرد عملية جمع معلومات .

بناء على ما تقدم نستنتج بأن هذا النوع من الالعاب اخذ يسيطر خلال فترة وجيزة على اللاعبين ويجعلهم اسراء من الناحيتين العقلية والنفسية ويفرض بالضرورة تعاظم عملية التفاعل لتصل الى درجة التخلي عن الواجبات المطلوبة من هؤلاء الافراد لصالح عالم وهمي لا يمكن مقارنة حسناته بسيئاته فالهوة بين الامرين اصبحت شاسعة لصالح الثاني والاثار بدأت بالظهور.

ثانياً : التحقق من فرضيات الدراسة

بناء على ما تقدم في المبحث الاول من هذا الفصل فقد تبين الاتي:

1- صحة الفرضية الاولى القائلة :" ان ممارسة لعبة PUBG تؤدي الى الاهمال الدراسي والديني عند الشباب واليافعين الممارسين لها." وذلك بعد ان تبين لنا من خلال تحليل معطيات المبحوثين النقاط التالية:

أ- ان ما يفوق 64 % من المبحوثين يمارسون اللعبة بما يزيد عن 4 ساعات يومياً وحيث انهم من الطلاب فإن ذلك يكون بدون شك على حساب تحصيلهم العلمي .وينسحب ذلك التأثير على اداء الفرائض الدينية او تأخيرها وبالتالي اهمالها وصولاُ الى تركها

ب-28% من المبحوثين هم بمستوى تعليمي ضعيف و 48% بمستوى وسطي دون المقبول وفقط 8 % بمستوى جيد او جيد جداً

2- صحة الفرضية الثانيةالقائلة: "ان ممارسة لعبة PUBG تؤثر في الصحة النفسية والاجتماعية لدى الفتية والشباب الممارسين لها." وذلك بعد ان تبين لنا من خلال تحليل معطيات المبحوثين النقاط التالية:

أ- ان الاغلبية الساحقة من المبحوثين لا يمارسون اي انشطة سوى ممارسة هذا النوع من الالعاب اذ سجلت المعطيات ارتفاعاً وصل الى 80% يؤكدون هذا التوجه. من المستبعد ان يهتم اللاعب وخاصة ذلك الذي يقضي وقتاً كبير في ممارسة هذة اللعبة الى القضايا الاجتماعية والمدنية او السياسية بحيث ان الاهتمامات اصبحت في مكان اخر ناهيك عن الاهمال المحتمل بشكل كبير للواجبات الدينية.

ب- تأثير هذه الالعاب على الحياة الاجتماعية واهمالها نتيجة التعلق بهذه اللعبة وسواها من الالعاب والانصراف الى الوحدانية والفردانية. اذا ما يفوق 64 % من المبحوثين يمارسون اللعبة بما يزيد عن 4 ساعات يومياً.ناهيك عن الاثار النفسية التي تتركها هذه اللعبة على الافراد التي تجعلهم يعيشون الغيبوبة طيلة هذه الفترة والتي بدون شك سوف تنسحب على باقي ساعات النهار كنتيجة طبيعية.

3- صحة الفرضية الثالثة القائلة: "ان ممارسة لعبة PUBG يقود الى نوع جديد من الادمان وجهته الاساسية عقول الشباب وسلوكهم الاجتماعي." وذلك بعد ان تبين لنا من خلال تحليل معطيات المبحوثين النقاط التالية:

أ- ما يقارب 88% من المبحوثين يمارسون اللعبة بشكل يومي طيلة ايام الاسبوع فالاستمرار في ممارسة اللعبة وبشكل يومي يعد نوعاً من انواع الادمان وخاصة عندما يصبح اللعب اولوية عند المبحوثين ومفضل على سائر الامور الحياتية والاجتماعية والاكاديمية .

ب- عدد الذين لا يمكنهم التخلي عن ممارسة اللعبة ارتفعت الى 88% من المبحوثين.

ج- ان 60% من المبحوثين ينفقون بالحد الادنى 75000 ليرة اسبوعياً مما يعني ان نفقة اليوم الواحد ترتفع الى 12500 ليرة بالحد الادنى

د- ان الاغلبية الساحقة من المبحوثين لا يمارسون اي انشطة سوى ممارسة هذا النوع من الالعاب اذ سجلت المعطيات ارتفاعاً وصل الى 80% يؤكدون هذا التوجه.

كمحصل نستنتج : ان هذا النوع من الالعاب يرقى الى مستوى الادمان من الناحية الفكرية وخاصة انه يجذب الشخص للاهتمام بها بشكل دائم واهمال اي نشاط اخر وهذا ما تفعله بالضبط الحبوب والمواد المخدرة.

ثالثاً: التوصيات

بناء على ما تم التوصل اليه من نتائج في هذه الدراسة كان لابد من طرح عدد من التوصيات. والحلول المقترحة في هذه الدراسة تعبر بشكل مطلق عن وجهة نظر الباحث بحيث يمكن تعديلها او الاضافة عليها او الحذف منها بحسب المعطيات والظروف المستجدة .

وعليه ، فإننا في هذا السياق نقترح نوعين من التوصيات والحلول:

1- مقترحات على المستوى الاستراتيجي : وهي تلك التي تحتاج الى قرارات واجراءات مركزية

2- مقترحات وحلول على المستوى المحلي بحيث تستطيع المنظمات والاطر التنظيمة والمجتمع المدني المبادرة الى تنفيذها وهي تتصف باللامركزية.

على المستوى الاستراتيجي :

1- تصميم العاب مشابهة ذات ابعاد تربوية واجتماعية تساعد على ارساء افكار معينة ذات ابعاد قيمية ولا تتعارض مع المعتقد بل العكس تماماً من الواجب ان تدعوا الى تعميق وترسيخ هذا المعتقد وتتضمن هذه الالعاب حلولاً تقنية لعدم قضاء فترات طويلة وبشكل مستمر على هذا النوع من الالعاب.

2- العمل على نقل خطورة هذا النوع من الالعاب الى المرجعيات الفقية مع شرح واضح ومفصل للحيثيات والنتائج بحيث يكون المطلب الاساسي هو تحريمها.

3- وضع تشريعات وقوانين في المنظمات والتنظيمات السياسية والاستقطابية بتحريم هذا النوع من الالعاب على ان يكون هذا المنع بصفة القانون التنظيمي بغض النظر عن اي نتيجة يظهرها المرجع.

على المستوى المحلي:

1- اجراء زيارات توعية لأولياء الامور ولعامة الناس من قبل الوحدات العلاقاتية في التنظيمات السياسية والاجتماعية لوضعهم في اجواء وخطورة هذا النوع من الالعاب

2- استخدام منصات التواصل الاجتماعي لشرح اضرار وسلبيات هذا النوع من الالعاب

3- تنظيم حلقات وورش وندوات ومحاضرات تبين الاثار السلبية لهذا النوع من الالعاب

4- تنظيم لقاءات طلابية في المدارس والثانويات والجامعات لنشر التوعية من مخاطر هذه الالعاب على الا تكون مفصولة عن الحصصة الدراسية

5- الاستفادة من السلطات المحلية(البلديات) لتحقيق التالي:

أ- مراقبة محال ومراكز الالعاب الالكترونية وضبط المخالفات الاخلاقية والسلوكية للشباب والاطفال

ب- وضع برنامج لأصحاب المحلات لإقفالها بعد وقت معين من الليل

ج- مراقبة الفئات العمرية التي تراود هذا النوع من المحال ومنع من هم دون 18 سنة من مراودة المكان بعد وقت محدد من الليل

6- وضع سياسات لانشطة رياضية وترفيهية بشكل دائم ومستمر من قبل التنظيمات السياسية والاجتماعية

7- الحضور الفاعل للقيمين على عمليات استقطاب الشباب في الحياة الاجتماعية والاطلاع على احوال هؤلاء الشباب بشكل مستمر

ان التوصيات الوادة اعلاه في المجال المحلي ليست منفصلة بل هي عبارة باقة عن متكاملة يجب تطبيق اغلبها للحصول على نتائج ايجابية .

الخاتمة

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على سلبيات الألعاب الإلكترونية ودوافع ممارستها من وجهة نظر الدراسات والبحوث العلمية ومن وجهة نظر الممارسين لها وخاصة فئة الطلاب منهم. هذه الدراسة طبقت على 25 شاباً وطفلاً ولهذا الغرض تم إعداد االستطلاع رأي مكونة من سؤال واحد واستمارة موزعة على محاور خمسة. هذا وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

أن هناك عدد من العوامل التي تدفع لممارسة الألعاب الإلكترونية مثل السعي للفوز، المنافسة، التحدي، حب الاستطلاع، التخيل والتصور وغيرها من عناصر الجذب والتشويق والإثارة.

أما فيما يتعلق بالأثار السلبية المترتبة على ممارسة الألعاب الإلكترونية فهي عديدة وتم تصنيفها إلى ست فئات: أضرار دينية، أضرار سلوكية وأمنية، أضرار صحية، أضرار إجتماعية، وأضرار أكاديمية، وأضرار عامة، ويندرج تحت كل فئة عدد من الاثار السلبية.

وكنتيجة عامة نستخلص مما تم اعداده في هذه الدراسة الى ان الالعاب الالكترونية وخاصة لعبة PUBG وشبيهاتها من الالعاب ترقى الى مستوى الادمان الفكري الذي يسيطر على عقول وسلوك الافراد الممارسين لهذا النوع من الالعاب.

كما واشارت الدراسة الى حجم الاهمال الذي يتولد عن الاشخاص الممارسين لهذا النوع من الالعاب على المستويات الاكاديمية والدينية والاجتماعية ناهيك عن الاضرار الصحية الجسيمة التي تم الاشار اليها بشكل وافي في معرض الدراسة.

وكذلك اشارت الدراس

ة الى حجم النفقات المالية المترتبة على ممارسة هذا النوع من الالعاب في ظل اوضاع اقتصادية صعبة عند اغلب اولياء امور الممارسين لهذا النوع من الالعاب.

من هنا نطرح الاسئلة التالية:

1- كيف السبيل للتوعية من مخاطر هذه الالعاب؟

2- ما المؤمول من شبابنا في ظل هذا الانجراف والخنوع للحرب الناعمة التي تشن على مجتمعتنا؟

3- هل بات علينا المواجهة الفعلية ام ان الامور لا زالت نسبية؟

من وجهة نظرنا هذه الاسئلة مشروعة وبحاجة الى دراسات وابحاث اخرى للإجابة عليها.

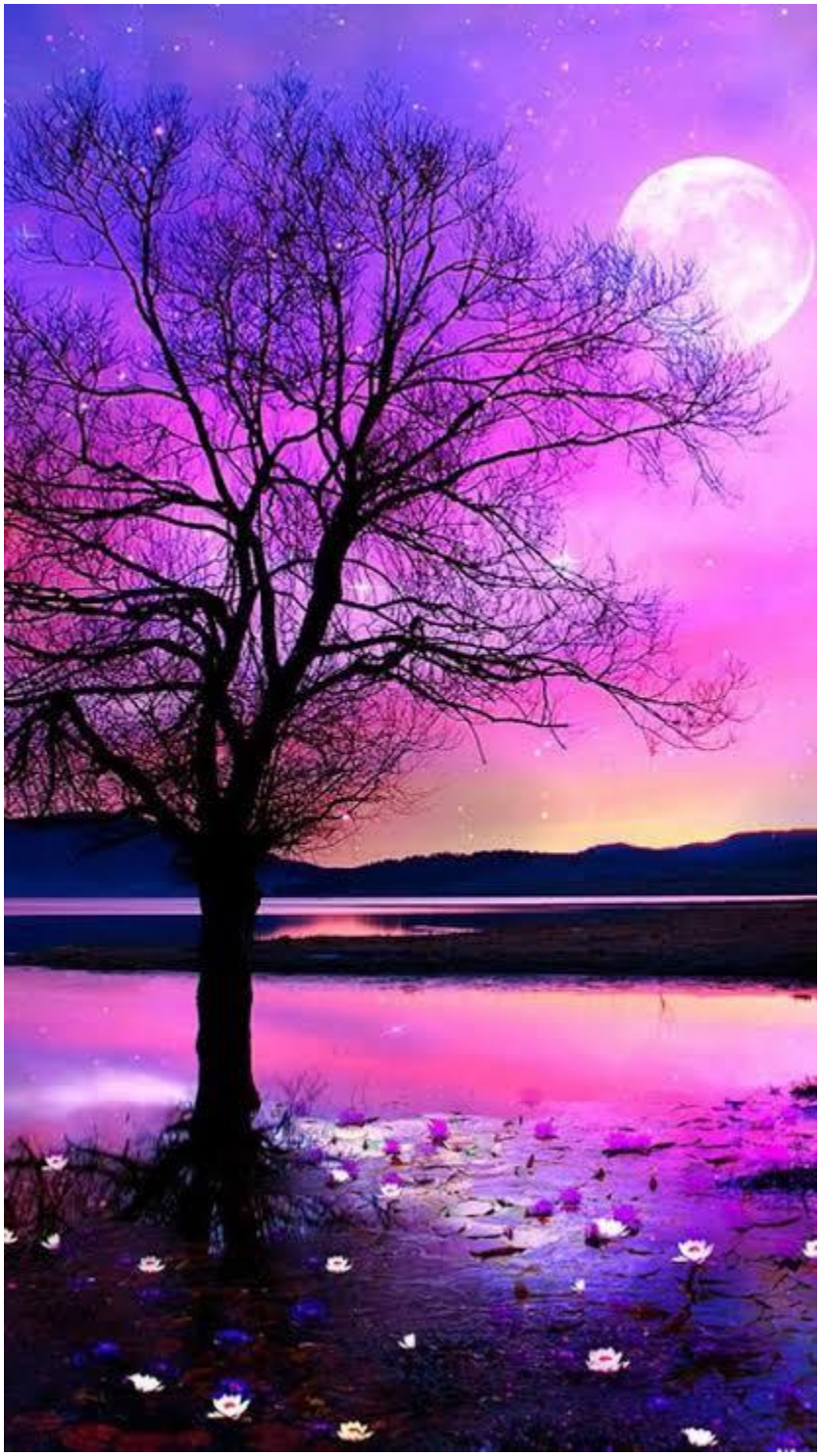

الصحافة فى لبنان... ماضياً وحاضراً

بقلم الاعلامي علي بدرالدين

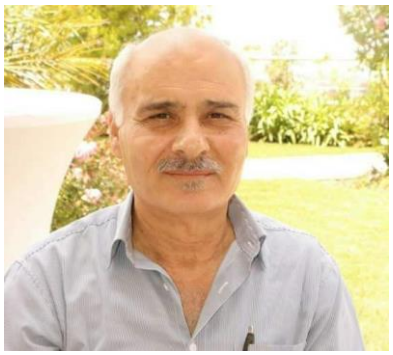

تعاني الصحافة في لبنان حاليا من أزمة بنيوية ووجودية ، بعد ان فقدت بعضا من بريقها وموضوعيتها ودورها الرسالي والوطني، تحت ضغط الحروب والأزمات الاقتصادية والمالية، وتبدد زمن التمويل العربي والسفاراتي، وندرة الاعلانات التي هي روح الجريدة وأساس استمرارها، ولكنه بمثابة طوق سياسي حول رقاب أصحاب الصحف في لبنان، خاصة أنها مؤسسات فردية تجهد لتأمين مداخيل مالية إضافية للاستمرار في الصدور، ولا غنى لهم عن المؤسسات الاعلانية والشركات التجارية العملاقة المملوكة أو الخاضعة للسلطة ،أو لأصحاب النفوذ والمشاريع السياسية، الذين يحولون الاعلان الى قوة جذب سلطوية لصاحب الصحيفة، واخضاعه لشروط سياسية توظف لخدمة مشروعه السياسي، والالتزام بتوجيهاته، وهذا ما يؤكد أن الاعلان في هذه الصحيفة أو تلك، ليس مرتبطا برقم التوزيع، ولا بمساحة الانتشار، لأن الكلفة الفعلية تفوق سعر المبيع خاصة الصحافة السياسية.

والصحافة موجودة في كل المجتمعات الحديثة والاقل حداثة، وحيث الدولة موجودة، ولكن هذا الوجود يختلف بين مجتمع وأخر كماً ونوعاً ودوراً وفاعلية وتأثيراً. وأصبح وجودها ضروريا للدولة والأنظمة والحكام والأحزاب الموالية والمعارضة، ومن يمتلك ناصية الصحافة له القرار والتأثير والفعل والسلطة ،لاسيما بعد أن تحوّلت الى صناعة ومهنة، لها قوانينها وضوابطها، وأن الصحافي هو من اتخذ الصحافة مهنة ومورد رزق، وفق قانون المطبوعات اللبناني.

يقول أحد الصحفيين الروس: أن الجريدة المطبوعة تشبه مستودعاً تجارياً فيه كل انواع السلع والبضائع التي يمكن ان تلبي احتياجات ومطالب وأذواق جميع العملاء، ولكن اصحاب المستودع يصرون على عدم بيع سوى أشياء معينة بالذات، يتحكمون هم في اختيارها وعرضها دون مراعاة لأذواق ورغبات هؤلاء العملاء.

ويقول أحد الصحافيين الفرنسيين: الجريدة كائن حي يتجدد كل يوم وإذا لم يتجدد اصابه الجمود والموت.

تعريف الصحافة

يصعب الاتفاق على تعريف واحد لها فالبعض يعتبرها انتاجا صناعيا وخلقا فكريا في أن واحد، كبيار ألبير. ويقول أدولف اوخس انها مهنة مكرسة للصالح العام ولفضح الألاعيب والشرور وعدم الكفاءة في الشؤون العامة وهي مهنة لا تؤثر الحزبية في ممارستها بل تكون عادلة ومنصفة لأصحاب الأراء المعارضة.

واعتبرها روبير دو جوانفيل السلطة الرابعة في الدولة على اعتبار التقسيم البرلماني الذي جعل سلطات الدولة ثلاثا وهي السلطة الاشتراعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية ثم أضيفت السلطة الصحافية. وهذا التصنيف ينطبق على الصحافة في لبنان حتى أنه قيل أيضاً الصحافة سلطة في كل السلطات وهي قوة من القوى الرئيسية في الدولة. وقال صاحب جريدة النهار النائب والوزير والصحافي الراحل غسان تويني في ذكرى الصحافي عفيف الطيبي صاحب جريدة اليوم سنة ١٩٧١ وكان تويني أنذاك وزيرا للاعلام: نحن في مهنة بعضنا يموت فيها قبل أن يعيشها وبعضنا الآخر لا يموت وإن مات ٠٠٠ان واحدنا متى دخل قدس اقداس المهنة يلد فيها ولها وكأنما في عروقه حبر محل الدم أو كأنما الخبز الذي يطعم أولاده هو هذا الورق الذي ندسمه كل يوم بعصارة قلوبنا وعقولنا وعرق الجبين.

وعن مهمة الصحافة، قال الفرنسي شارل رينيه: لا يجوز التسامح في أي كذب مقصود، يمكن ان ينخدع الصحافي ولكن لا يجوز له أن يخدع سواه فالخطأ انساني والكذب شيطاني. ان رسالة الصحافة شريفة ولكنها خطيرة أيضا وهي تكوين الرأي العام فلا يجوز تضليله بالكذب وحرية الصحافة شيء مقدس شرط ألا تكون حرية الكذب والصحافة أصبحت وسيلة من وسائل السياسة والسياسة لا تعرف أمانة ولا صدقا، ويمكن تقسيم اتجاهات الصحف إلى ثلاثة هي: الملتزمة التي تنطق باسم حزب أو جماعة أو دين والمستقلة هي التي لا تنتمي الى حزب أو جماعة بل نقل الحقيقة من جميع مصادرها هو الهدف الاساسي لها اضافة الى التنوع في موادها والصحافة الرسمية هي التي تشرف عليها الدولة لشرح سياستها وخدمة مصالحها وتعميم اخبارها.

المراحل التاريخية للصحافة

المرحلة القبلية: مراقبة العدو واشعال النار في أماكن مرتفعة وقرع الطبول المناداة. ثم رجل الماراتون الذي يحمل الرسائل الشفهية الى شيخ القبيلة او القائد واصبح تقليدا رياضيا عالميا، والمراسل الذي يحمل الرسائل المكتوبة الى الشخص المعني، استعمال الخيول لسرعتها بنقل الخبر، والخطبة التي اعتمدت كوسيلة اعلامية مهمة لتعبئة الناس ولازالت مستمرة لغاية اليوم لكن بتقنيات حديثة منها مكبرات الصوت والتسجيل على كاسيت وتعميم مضمونها واستعملتها الثورة الايرانية لنقل خطابات قائدها الامام الخميني الى داخل إيران. وفي الجاهلية كانت الخطبة والمعلقات الشعرية بمثابة صحيفة شفهية تتناقلها الاجيال ولا زالت. ومع التطور التدريجي الذي بدأ في دول ومجتمعات لجأت الى المباشرة في الطباعة استفادة منها الصحافة وأول من بدأ بالطباعة هم الصينيون ثم الألمان في حين يشير البعض الى ان الفضل بالاعلام المكتوب يعود الى الفراعنة الرومان الذين هم أول من استعمل صحف الحائط ويذكر أن أول مطبوعة دورية صدرت كانت سنة ١٦٣١واسمها غازيتا ومعناها في اللغة الايطالية الجريدة يعني الرجل الثرثار.

كيف ومتى نشأت الصحافة في لبنان؟

اللبنانيون كانوا أول من مارس الصحافة ان كان في داخل لبنان أو في الخارج العربي والدولي .ويروى أن الجنرال نابليون بونابرت استعان باثنين من اللبنانيين كمترجمين وأنهما اسهما فيما بعد بتحرير أول صحيفة عربية هي التنبيه. وأول لبناني اصدر صحيفة عربية باسمه هو اسكندر شلهوب واطلق عليها اسم السلطنة سنة ١٨٥٧وصدرت في اسطنبول ثم القاهرة. اما ولادة الصحافة العربية في لبنان فكانت على يد خليل الخوري مع جريدته حديقة الاخبار التي صدرت في بيروت ١٨٥٨ ثم صدرت جريدة نفير سوريا ١٨٦٠ اسسها المعلم بطرس البستاني وكانت تدعو الى الوحدة الوطنية اثر المذابح الطائفية التي حصلت في العام نفسه، وفي عام ١٨٧٠ صدر سبع جرائد ومجلة كالبشير والجنة والجنان والنحلة وغيرها وكانت جميعها تنطق بإسم الطوائف الدينية ودوافعها طائفية ومذهبية ومع مرور الوقت والانفتاح والدعوات الوطنية تحول معظمها الى جرائد وطنية جامعة ولكنها لم تتخلص نهائيا من صبغتها الدينية الطائفية والمذهبية حتى ايامنا هذه غير إنها بدات مع نهاية القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الاولى تناوئ الاحتلال العثماني وتطالب بالاستقلال وتدعو إلى القومية العربية ونشطت وتجرأت اكثر بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ حيث أصبح اصدار الصحف سهلا وظلت على هذه الحال من الحرية لم تشهد مثيلا لها حتى سنة١٩١٤، وإن بعضها لم يتورع عن التشهير بالعثمانيين علنا. هذه الجرأة والحرية لم يدوما طويلا وأدت بهما الى المشانق حيث انتقم الاتراك من عدد من الصحفيين اللبنانيين خلال الحرب وأعدموا منهم ١٦ صحفيا سنة ١٩١٦.

٠قانون الصحافي العثماني

بعد أحداث ١٨٦٠ الطائفية في جبل لبنان وجدت الدول الكبرى فرصتها لاقامة نظام سياسي جديد لجبل لبنان الذي اصبح فيما بعد متصرفية مستقلة تابعة مباشرة للباب العالي مما ساهم في جذب الارساليات الغربية وفتح المدارس وتأسيس المطابع وإصدار النشرات والجرائد والمجلات ما أثار الريبة لدى السلطات العثمانية ولم تتأخر في وضع القيود أمام الصحافة الناشئة وخاصة انه لم يكن قبل سنة ١٨٦٤ أي قانون للصحافة لا في لبنان ولا في البلدان الخاضعة للسيطرة العثمانية وكانت المطبوعات تخضع لنظارة أو وزارتي المعارف والداخلية في اسطنبول. وفي سنة ١٨٦٤ في عهد السلطان عبد العزيز صدر قانون جديد للصحافة حدد الشروط المطلوبة للحصول على إذن بإصدار مطبوعة مما اثر سلبا على اصدار مطبوعات جديدة أو حتى تجديد وتطوير الموجود منها، غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا ولم تحد الاجراءات التي اتخذها العثمانيون من الاهتمام بالسياسة التي كانت الصحافة بوابتها وساهم بهذه الاندفاعة إلى الفضول السياسي وخاصة للطبقات الميسورة وجود الارساليات وفتح المدارس وتأسيس الجمعيات وبداية انهيار العثمانيين بعد هزيمتهم في الحرب العالمية ووصفها بالرجل المريض الذي يحتضر. وفي عهد الانتداب الفرنسي على لبنان الذي بدأ سنة ١٩١٨ واستمر الى ما بعد أن نال لبنان استقلاله سنة ١٩٤٣، فأضيفت الى المطبوعات الصادرة جريدة لبنان الكبير الرسمية سنة ١٩٢٠ ولبنان الكبير الرسمية بالفرنسية سنة ١٩٢١ ثم النشرة الرسمية للأعمال الادارية للمفوضية العليا الفرنسية سنة ١٩٢١ وكذلك الجريدة الرسمية للجمهورية اللبنانية سنة ١٩٢٦ الانتدابية ونفس الجريدة باللغة الفرنسية وفي عهد الاستقلال سنة ١٩٤٣ صدرت الجريدة الرسمية ولم تزل. وبعد الاستقلال كرت سبحة إصدار المطبوعات بتراخيص رسمية حتى تجاوزت الالف مطبوعة يومية واسبوعية وشهرية وفصلية وسياسية وغير سياسية. لكن اصدار الصحف السياسية توقف سنة ١٩٥٣ عملاً بالمرسوم الاشتراعي رقم ١٧٤ الصادر في ١٣ نيسان في عهد رئيس

الجمهورية الراحل كميل شمعون الذي قضى بتحديد عدد المطبوعات السياسية اليومية في لبنان بحيث لا يعطى أي امتياز سياسي يومي أو اسبوعي أو شهري مهما كانت الأسباب وبذلك استقر عدد الامتيازات السياسية على ١١٠ مطبوعات ولا زال مفعول هذا المرسوم ساريا لغاية اليوم. وخلال الحرب الاهلية سنة ١٩٧٥ توقفت بعض الصحف عن الصدور المؤقت والدائم في حين صدرت اخرى ليستقر عددها على ١٢ صحيفة هي النهار والسفير والديار والبناء واللواء والجمهورية والشرق ونداء الوطن والبلد والانوار والمستقبل والبيرق ومع تفاقم الأزمة المالية والاقتصادية وانعدام الدعم المالي الداخلي والخارجي للصحف توقفت النهار عن الصدور الورقي كما توقفت نهائيا المستقبل والسفير والانوار والبلد في حين خفضت الصحف الصادرة من عدد صفحاتها وموظفيها وقد لا يطول الوقت للصدور الكترونيا أو التوقف النهائي للاسباب ذاتها التي ادت الى توقف من سبقها من الصحف السياسية ال ١١٠ الحاصلة على تراخيص وامتيازات سياسية لغاية ١٩٥٣ ولم يعد يصدر منها سوى سبع صحف لغاية سنة ٢٠٢٠ وهي: الأخبار والبناء والديار واللواء والشرق ونداء الوطن والجمهورية.

من يملك الصحافة السياسية؟

هناك ما يقارب الاربعين حزبا وشخصية سياسية واعلامية في لبنان يسيطرون على قطاع الصحافة السياسية وشراء امتيازاتها من اصحابها الاساسيين أو من ورثهم او من اشتراها منهم ثم باعها وربح فيها وخاصة بعد ان راج سوق بيع وشراء امتيازات الصحف السياسية لقلة عددها وندرة وجودها من دون ان يصدرها مخالفا القانون٠ وتتوزع ملكية الصحافة السياسية كالآتي.

ست مطبوعات سياسية يومية واسبوعية مملوكة من شركات عائدة لآل الحريري منها ٠.صحف المستقبل والسياسة وصوت العروبة والحياة الدولية والحديث ولوماتا اسبوعيتان٠وحزب الله يملك امتيازين اسبوعيين هما البلاد والانتقاد. وتملك حركة أمل امتياز سياسي الزمان واسبوعية العواصف. الحزب التقدمي الاشتراكي يملك اسبوعية هي الانباء مسجلة باسم مالكها وليد جنبلاط. اما الحزب الشيوعي اللبناني يمتلك ثلاثة امتيازات هي: الطريق الشهرية والنداء التي كانت تصدر مرة يومية واخرى اسبوعية والاخبار اليومية والمسجلة باسم سعدالله مزرعاني ومؤجر امتيازها للصحافي ابراهيم الامين وهناك مطبوعة الثقافة الوطنية التي ذكر أنه اشتراها النقيب ملحم كرم.

وتملك منظمة العمل الشيوعي صحيفة بيروت المساء المسجلة بإسم محسن ابراهيم واسبوعية الحرية التي كانت تصدرها المنظمة فهي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. الحزب السوري القومي الاجتماعي يملك امتيازين هما البناء يومية وصباح الخير اسبوعية. ويملك حزب البعث العربي الاشتراكي بجناحيه في لبنان ثلاثة امتيازات هي. بيروت والأحرار والراية يومية. ويملك حزب القوات اللبنانية النجوى الاسبوعية وتلغراف بيروت وريفاي تصدر بالفرنسية ولحزب الكتائب جريدة العمل يومية.

ومن الشخصيات ورجال السياسة والأعمال الذين يملكون تراخيص مطبوعات سياسية رجل الأعمال عصام فارس وله رقيب الأحوال يومية والجمهور الجديد اسبوعية ٠واشترى الرئيس نجيب ميقاتي امتياز جريدة الوطن اليومية ثم باعه وهي تصدر حاليا ومالكها ميشال مكتف الذي كان صهر الرئيس امين الجميل ٠اما الرئيس الراحل عمر كرامي كان يملك الرقيب الاسبوعية وكذلك يملك رئيس المردة سليمان فرنجية

اسبوعية صدى الشمال ٠والنائب ميشال المر يملك اسبوعية الحركة في حين ان نجله الياس المر يملك الجمهورية اليومية التي تصدر حاليا ٠ويملك النائب السابق باسم السبع امتياز الهدى اليومي ورئيس حزب الحوار الوطني النائب فؤاد مخزومي يومية الحوار ورئيس حزب الاتحاد النائب عبد الرحيم مراد يملك القلم الصريح والصحافي حسن صبرا الشراع ورئيس حزب السلام روجيه اده فيملك يومية لسان الحال وكان الرئيس الراحل كامل الاسعد يملك يومية الرابطة واسبوعية الشرقية وكانت يومية صدى لبنان المسائية لنقيب الصحافة الراحل محمد البعلبكي والكفاح العربي اليومية والاحد الاسبوعية لنقيب الصحافة الاسبق الراحل رياض طه ٠ولا ننسى آل تويني وفريحة وطلال سلمان الذين بنوا امرطوريات صحفية ذاع صيتها وطارت شهرتها عربيا وعالميا ومن لا يذكر صحف النهار والسفير والانوار الذين كانوا بمثابة الغذاء اليومي للقراء ويجب ان نحيي اصحاب الصحف الذين ما زالوا يعاندون ويتحدون الظروف الصعبة ويصرون على الصدور وهم من الصحف السياسية القليلة الباقية حية كجريدة اللواء لال سلام والشرق لال الكعكي والديار لشارل ايوب ٠

٠المطبوعات غير السياسية

كما بات معلوما ان المرسوم الاشتراعي الذي صدر سنة ١٩٥٣ وقضى بعدم إعطاء تراخيص سياسية لم يشمل إعطاء تراخيص للمطبوعات غير السياسية يعني الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والبيئية وغيرها التي شهدت اقبالا غير متوقع مع ان معظمها لم يصدر ويقال انها قاربت ال١٥٠٠ ترخيص يصدر منها ما يقارب العشرين مطبوعة وبشكل متقطع احيانا ٠

وحصلت ٢٧ وكالة اخبار يومية على تراخيص وامتيازات سياسية لتضاف الى الوكالة الوطنية للاعلام الرسمية في نقل الأخبار والاحداث اليوميه ولكنها توقفت عن الصدور كنشرات ورقية كانت توزع على وسائل الاعلام والسفارات والوزارات والمؤسسات الرسمية والمقرات الرئاسية وتحولت حاليا الى الكترونية وفقدت دورها في تزويد مشتركيها بالاخبار السريعة والعاجلة امام وسائل التواصل الاجتماعي على انواعها ٠

الصحافة في لبنان خلال حرب سنة ١٩٧٥ وبعدها

عانت الصحف اللبنانية التي استمرت بالصدور في هذه الحرب أو عادت وصدرت بعد انتهائها من ظروف صعبة سياسيا واقتصاديا وماليا وامنيا ومن الصراع الطائفي والمذهبي والقتل على الهوية وقطع اوصال بيروت والمناطق وتوقفت كليا او جزئيا وسقط منها شهداء مما انعكس سلبا على أدائها وموضوعيتها وتوازن اخبارها بين القوى الحزبية والطائفية المتقاتلة وخسر المواطن في اي جهة كان و لأي فئة انتمى او اكره عليه الصحافة التي كانت بالنسبة اليه مراته وصوته وتحمل وجعه وحرمانه من حقه بالأمن والاستقرار والحرية والعمل وكل حقوقه الى حيث يجب ان تصل ولكن الحرب اخذت منه هذه الحقوق كما أخذت روحه وسرقت منه احلامه وكل امل بالغد الأفضل ولم يعد هو الحدث بل اصبح قتله مجرد خبر عادي جدا في سياق تعداد القتلى والجرحى ولأن الصحافة تفرغت وصفحاتها القليلة جدا الى الحرب وتداعياتها التدميرية والتهجيرية وعمليات الخطف والقتل على الهوية وعلى حركة الموفدين العرب والأجانب والمفاوضات والتسويات والدعوات عبثا الى وقف إطلاق النار الذي دام طويلا وخلف الضحايا والمعوقين والمهجرين والمشردين والأسوأ من ذلك الانقسام الطائفي والمذهبي والاحقاد والذي لا يزال مستمرا والشعب يعيش فصوله وفساده وحل مكان الصراع السياسي البناء الذي يحفز على السباق لقيامة وطن وبناء دولة ومؤسسات. عن واقع الصراع الطائفي والمذهبي قال ناشر جريدة السفير الاستاذ طلال سلمان في محاضرة له: طالما غاب العمل السياسي والصراع السياسي والصراع الفكري والعقائدي والصراع الطبقي سيستمر غياب الصحافة أو تردي الموجود منها. بكل بساطة السياسة هي التي تجدد الدم في شرايين الصحافة ومن دون سياسة يسود التصنيف الطائفي والمذهبي وتصبح المحاسبة على الاسم لا على مضمون الكتابة أو استهدافاتها وبألتالي تخرج الصحيفة ويخرج الصحافي ويخرج الموضوع من الموقف السياسي الى الموقف الشخصي والطائفي والمذهبي. يضيف: طالما استمر مناخ الحرب الاهلية مهيمنا فلن تتجدد السياسة ولن تستطيع الصحافة لعب دورها الطبيعي في المجتمعات الاخذة بالديمقراطية. وفي مثل هذا المناخ تضمر السياسة ويقفل الوطنيون ابوابهم على انفسهم خشية أن يصابوا بلوثة الطائفية وبالتالي الدم. والتراجع في دور الصحافة السياسية تجسد بلغة الارقام من خلال دراسة صدرت سنة ١٩٩٥ حول نسبة قراء الصحف في لبنان وخلصت إلى أن ٥٢ بالمئة من اللبنانيين لا يقرأون و٢٢ بالمئة قراء موسميون و٢٦ بالمئة قراء دائمون و٦٩ بالمئة من الذكور و٣١ بألمئة من الأناث. المستوى التعليمي لقراء الصحف ١٠ بالمئة ابتدائي و٢٠ بالمئة متوسط و٣٣ بالمئة ثانوي و٣٧ بالمئة جامعي ومناطق القراء ٦٧ بالمئة من المدينة و٣٣ بالمئة من الأرياف. وظيفة القراء عاطل عن العمل ٣ بالمئة ومتقاعد ٣ بالمئة اختصاصي ورجل اعمال ٧ بالمئة وطالب ٧ بالمئة ربة منزل ١٤ بالمئة وعامل ١٢ بالمئة وتاجر ١٧ بالمئة وموظف ٣٧ بالمئة.

صحافة الحرب

صدرت في الحرب اللبنانية التي بدأت سنة ١٩٧٥ مطبوعات ونشرات سياسية يومية واسبوعية غير مرخصة رسميا ومخالفة للقانون باسم الأحزاب الموجودة والميليشيات المستجدة وفتحت قنوات تلفزيونية ومحطات اذاعية في مختلف المناطق اللبنانية أثرت على المطبوعات المرخصة وأخذت حيزا من دورها وتمويلها وظلت تصدر حتى نهاية الحرب وبدء سريان بنود اتفاق الطائف الذي وضع الشروط والضوابط التي تسمح بتنظيم الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع والذي شدد على الالتزام بقانون المطبوعات اللبناني الذي صدر سنة ١٩٦٢ لتنظيم مهنة الصحافة مع تعديلات الطائف.

الصحافة وكورونا

انعكست جائحة كورونا بشكل واضح على الصحافة المكتوبة ان لناحية التوزيع والبيع أو لناحية التمويل جراء الازمة الاقتصادية والمالية العامة واقفال كل القطاعات الإنتاجية والمصارف التي حجزت وسطت على اموال المودعين من اللبنانيين واصحاب الصحف منهم مما افقد الصحف التمويل الاعلاني الذي أساسا كان يحتضر وفرض على الصحف كما غيرها من الشركات والمؤسسات الى تخفيف الانفاق على حساب الموظفين الذين قبلوا مرغمين الاقتطاع من رواتبهم ثم فقدانها لعجز اصحاب الصحف عن الالتزام بعقود العمل. وأدت الازمة الاقتصادية وكورونا الى اقفال صحف السفير والمستقبل والبلد والبيرق والانوار ثم الدايلي ستار التي كانت تصدر باللغة الإنكليزية. في حين ان الصحف التي اصرت على الصدور ألغت صفحات او توقفت عن الصدور الورقي وتحولت الكترونية كجريدة النهار العريقة وقد تلحقها صحف اخرى أو تأخذ قرار الاقفال الصعب وقد اقترب موعد تنفيذه لان الازمة الاقتصادية والمالية الى تفاقم ووقف ضخ المال الخليجي وموت الاعلان الذي هو روح الصحيفة اضافة الى سيطرة وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة على انواعها على عقول واهتمام كل الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية وسرعة تلقيها الاخبار وأي حدث عالمي في لحظته حتى ان مئات المواقع الالكترونية الخاصة والعامة تنتشر الأخبار العاجلة وتحلل وتجري المقابلات الصحافية واصبحت بديلا عن الصحف السياسية التي تنشر الاخبار والاحداث في اليوم التاني مع انها تنشر اخبارها على مواقعها حتى الصحيفة كاملة ما انعكس على البيع حيث تتكدس في المكتبات ولم تعد موضع اهتمام القراء الا القليل منهم.

الصحافة والمال العربي

ظلت الصحافة السياسية صامدة في مواجهة الحروب والأزمات حتى سنة ٢٠٠٠ لاسباب واعتبارات اقتصادية وسياسية ومالية وأمنية وعسكرية استجدت على الواقع العربي الخليجي تحديدا اضافة الى ما التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم كله انعكس على الصحافة العربية عموما وعلى الصحافة في لبنان خصوصا حيث جفت منابع الضخ المالي لها وتبدلت التحالفات وتعددت الولاءات العربية والاقليمية والدولية وخسرت الصحافة أو البعض منها رافدا تمويليا عربيا كبيرا خاصة وان الصحافة في وصفت بأنها برلمان العرب وفق ما قاله الصحافي اللبناني جورج سكاف في حين قال اخرون: أن الصحافة في لبنان هي القوة الوحيدة التي تستطيع أن تضرب في اعماق أي بلد عربي، ان لبنان هذا البلد العربي الأصغر والأقل غنى بفضل صحافته الحرة استطاع أن يحتل مركزا مرموقا عربيا ودوليا. وقال البعض من مسؤولي ومواطني وصحافيي دول خليجية اننا نقرأ الصحافة اللبنانية لنعرف ما هو جار عندنا، وخير لك أن تكون الصحافة اللبنانية معك من ان تكون ضدك ومهما كلف الثمن. ويذكر للدلالة على ذلك ان رئيس الجمهورية الراحل شارل الحلو وكان صحافيا ومسجلا على الجدول النقابي عندما استقبل وفد نقابة الصحافة أنذاك في قصر بعبدا رحب بهم بعبارته المشهورة أهلا بكم في وطنكم الثاني، وكان يقصد ويدرك ما يقول لأن الصحافة في لبنان تحولت إلى منبر للعرب المختلفين والمتصارعين دائما.

عاشت الصحافة عصرها الذهبي في ظل سياسة الاحتواء والمال العربي، غير ان هذا العصر توقف به الزمن عند بداية الحرب الاهلية سنة ١٩٧٥ وحلت مكانه سياسة المواجهة وتم تحميل الصحافة مسؤولية الأزمات الناشئة والمستجدة.

وللتدليل على حجم التمويل العربي للصحافة التقرير الذي تم تداوله عن الانفاق الاعلاني في الدول العربية الذي صدر سنة ١٩٩٣ حيث بلغ مليار دولار منها ٨٠٠ مليون دولار في أيدي لبنانيين بواسطتهم أو في عهدتهم. ان موازنة الانفاق الاعلاني في لبنان ما بين العامين ١٩٩٣ و١٩٩٥ تراوحت ما بين ٥٠ و١٠٠ مليون دولار و حصة الصحافة فيها بلغت ١٢ مليون دولار وذلك في اعوام ١٩٩١ و١٩٩٢ و١٩٩٣ وارتفعت حصتها سنة ١٩٩٥ لتصل الى ٢٠ مليون دولار من اصل موازنة ١٠٠ مليون دولار.

الصحافة والحرب

نشأت في سنوات الحرب عشرات الصحف والمجلات والنشرات والاقنية التلفزيونية والإذاعات من دون تراخيص مستفيدة من الفوضى وغياب القانون في حين ان صحفا ومجلات قانونية وعريقة توقفت عن الصدور بسبب الاخطار الناتجة عن الحرب. ٠والملاحظ في تلك المرحلة ان اصدار المطبوعات على اختلافها كما وسائل الإعلام المرئي والمسموع لم يقتصر على العاصمة بيروت بل شمل معظم المدن والمناطق وكانت جميعها تنطق بإسم الطوائف والمذاهب والأحزاب مما اثر سلبا على الصحافة المرخصة والقانونية كما غيرها من وسائل الاعلام في التوزيع والتمويل الاعلاني والخاص بحيث ان مروحة الموازنات المقررة توسعت لتشمل الجميع بعد ان تحولت صحافة الحرب الى امر واقع وفرضت وجودها على الساحة الاعلامية وحتى العربية٠وشهدت مرحلة صحافة الحرب التي تحولت إلى ظاهرة لافتة وانتحال صفة الصحافي حيث تنتفي فيه شروط مهنة الصحافة وفق قانون المطبوعات اللبناني. هذه الحالة الشاذة دفعت البعض من الصحافيين المحترفين الى التساؤل ٠.كيف يمكن أن نتصور مجتمعا يواجه مع مطلع كل شمس ٢٠ صيغة لخبر واحد ولواقعة واحدة وترويها اكثر من عشرين صحيفة يومية. ونتساءل اليوم كيف نواجه مئات الاخبار الصادرة عن كل وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة في كل ثانية ودقيقة وبصيغ غريبة وعجيبة تفتقد الى الدقة والمصداقية والمهنية بطبيعة الحال والهدف منها. ورحم الله صحافة زمان.

ماذا تعني الصحافة الصفراء؟

هذا النوع من الصحافة وفق ما هو متعارف عليه اصطلاح يطلق على الصحف التي تهتم بنشر الاخبار المثيرة التي تخاطب في القارئ غرائزه ومجال هذه الصحافة نشر الفضائح وأخبار الجنس والجريمة ويوميات المشاهير وصورها الاباحية. وتعود تسمية الصحافة الصفراء الى سنة ١٨٨٣ حيث كانت صحيفة وورلد الأميركية الرائدة في هذا المجال وقد تخصصت بنشر الفضائح والأسرار الخاصة واخبار الجرائم والجنس.

وكان ريشارد بلاتون قد أبدع شخصية كارتونية في الصحافة الاميركية هي شخصية الولد الأصفر وجذب الى جانب قصصه الاسبوعية ملايين القراء وهكذا ولد مصطلح الاصفر في الصحافة العالمية٠وتوسع مفهوم هذه الصحافة ليشمل الممارسات القائمة على اساس الابتزاز في العمل الصحفي واختلاق القصص

المثيرة والمسيئة وتحريف الكلام عن حقيقته بقصد الإثارة وان كان على حساب الغير وادعاء العلم بالشيء في محاولة تشويه الأخرين والترويج للأكاذيب والخرافات والهدف من كل هذه الإثارة رفع مبيعاتها باستعمال أرخص ألأساليب وأحطها. هذه الصحافة على عكس ما يعرف بالصحافة الملتزمة والمعروفة بصحافة الإلتزام بالمجتمع هذا النوع من الصحافة لا ينشر الا ما هو مفيد ويخدم المجتمع وليس فيه رجل عض كلبا بل كلب عض رجلا بقصد ان هناك انسانا تضرر ويحتاج إلى مساعدة.

قانون وجرائم المطبوعات

صدر قانون المطبوعات اللبناني سنة ١٩٦٢ لتنظيم مهنة الصحافة والشروط المطلوبة لإصدار المطبوعات الصحفية. وحدد القانون من هو الصحفي هو كل من اتخذ الصحافة مهنة ومورد رزق.

ويعتبر نشر المعلومات الممنوعة ووقائع دعاوى القدح والذم والتقارير والكتب والرسائل والأنباء المنافية للأخلاق والآداب العامة والأخبار الكاذبة والقيام بعمليات تهويل جريمة من جرائم المطبوعات يعاقب عليها بالحبس أو الغرامة أو الاثنين معا حسب ما حدده الباب الثاني من قانون المطبوعات اللبناني الصادر سنة ١٩٦٢ والمعلومات الممنوع نشرها هي وقائع التحقيقات والمحاكمات السرية أو التي تتعلق بالطلاق والهجر والبنوة الطبيعية والرسائل والاوراق والملفات العائدة للادارات العامة الموسومة بطابع سري واذا نشرت تعرض سلامة الدولة وأمنها الداخلي والخارجي للخطر.

ومن جرائم المطبوعات تحقير الديانات المعترف بها في البلاد وكل ما من شأنه أثارة النعرات الطائفية والعنصرية أو ما تتضمن ذما أو قدحا أو تحقيرا بحق رئيس دولة أجنبية والمسؤولية المباشرة على جرائم المطبوعات تقع على المدير المسؤول وكاتب المقال أو أحدهما.

نقابة الصحافة

في السابع من شهر تشرين الأول سنة ١٩١١ اجتمع عدد من الصحافيين من اجل تنظيم مهنة الصحافة وشكلوا لجنة للمتابعة وللمباشرة بوضع القانون الأساسي للنقابة التي تمت الموافقة عليه ثم اقراره وأعلنوا عن تأسيس جمعية الصحافة كفرع لجمعية الصحافة العثمانية في اسطنبول وتابعة مباشرة لها وفي سنة ١٩١٩ ولدت نقابة الصحافة الأولى برئاسة رامز سركيس تلاه وديع عقل رئيسا لغاية سنة ١٩٢٨ ثم تشكلت لجنة لتنظيم المطبوعات ووضع قانون خاص بها وأعلن عنه سنة ١٩٤٢ وتولى رئاستها عدد من الصحافيين وأصحاب الصحف ونقيب الصحافة الحالي الاستاذ عوني الكعكي صاحب جريدة الشرق ثم تأسست نقابة صحافة الشمال وجمعية مراسلي الصحافة الاجنبية ونقابة محرري الصحافة اللبنانية واصحاب الصحف ونقابة المصورين اللبنانيين والانتساب الى الجدول النقابي خاضع لمنظومة التحاصص الطائفي والمذهبي والحزبي فنقيب المحررين لا يتغير الا في حالة الوفاة، فالنقيب الراحل ملحم كرم بقي نقيبا من ١٩٦٠ لغاية ٢٠٠٧ اما نقيب الصحافة أما نقيب الصحافة الراحل محمد البعلبكي الذي ترأس النقابة بعد اغتيال النقيب الراحل رياض طه بقي نقيبا من ١٩٨٠لغاية ٢٠٠٧ وتسلم نقابة المحررين بعد كرم النقيب الياس عون ويرأسها حاليا النقيب جوزيف قصيفي.

وكثيرون تم قبول انتسابهم في نقابة المحررين ولا علاقة لهم بمهنة الصحافة ويرفض الذين يمارسون المهنة ولديهم المواصفات والمستندات المطلوبة. ويبدو انه بعد النقيب كرم فتحت النقابة مجال الانتساب امام الصحافيين الذين يملكون المؤهلات والمواصفات التي تخولهم الانتساب الى الجدول النقابي.

الرقابة على الصحافة

لم تكن الرقابة على الصحافة أداة فقط من ادوات اخماد حريق الاثارة الاعلامية ولكنها كانت ايضا وفي ذاتها أداة من ادوات اتهام الصحافة بمسؤوليتها الكلية أو الجزئية عن هذه الاثارة.

بعد انتهاء حرب السنتين ١٩٧٥- ١٩٧٧ واستنادا إلى الصلاحيات التشريعية التي حصلت عليها الحكومة من مجلس النواب في كانون الأول ١٩٧٦ كان أول مرسوم اشتراعي أصدرته الحكومة في ١-١-١٩٧٧ هو المرسوم الذي ينص على فرض الرقابة الحكومية على الصحف بواسطة المديرية العامة للامن العام. هذا المرسوم الذي ألغي في ٢٨-١-١٩٨٦ يلقي الضوء على الموقف من الصحافة اللبنانية بوصفها عاملا من العوامل المثيرة الملفتة ليس في لبنان انما في المنطقة العربية أيضا.

وصدر المرسوم رقم واحد بفرض الرقابة ومعظم الصحف متوقف عن الصدور وخلال الفترة الممتدة من ١٨-١٢-١٩٧٦ لغاية ٤-١-١٩٧٧ لم تكن تصدر سوى ثلاث صحف فقط. وبعد صدور المرسوم استأنفت الصحف الصدور مع الخضوع للرقابة والمرسوم رقم واحد هو أول اجراء نفذه رئيس الجمهورية الأسبق أمين الجميل سنة ١٩٨٣ من خلال مدير الأمن العام زاهي بستاني اعتقادا منه بأن التنفيذ الصارم للمرسوم يمكن أن يريح لبنان وبعض الدول العربية التي تشكو مما تنشره بعض الصحف اللبنانية. وفرض على الصحافة الرقابة الحكومية والرقابة الذاتية وفي الرقابتين لم تخف حدة الفتنة ولم تتراجع الميليشيات المتناحرة عن مواقفها المتطرفة وعلى العكس فإن مزيدا من الصحف والمجلات غير المرخصة صدرت ونافست المطبوعات المرخصة واصبح لكل تنظيم مطبوعاته ومحطته التلفزيونية واذاعته حتى اطلق عليها تسمية صحافة الطوائف والصحافة الحزبية والمليشياوية والمناطقية.

وناضل الصحافيون لالغاء الرقابة المسبقة على الصحافة ونجحوا بعد سنوات على ان تحل محلها الرقابة الذاتية والمسؤولية القانونية كما نجحوا في ابطال تعطيل الصحف ومنع السجن الاعتباطي والتوقيف الاحتياطي.

حرية الإعلام

ان ادوات التضييق على حرية الاعلام هي ذاتها في كل مكان وزمان منها فرض قيود وشروط مسبقة كالرقابة والتعطيل والغرامات والسجن وغيرها. والحرية في ممارسة الاعلام على انواعه امر مهم جدا وشرط الاعلام الناجح هو توفر الحرية وشرطها ان تمارس بوعي ووفق مقاييس وضوابط ذاتية واجتماعية عامة للسبق الصحفي أو لأي خبر او حدث وهو جهد مشروع ومن اهم عناصر الصحافة أو الاعلام بشكل عام ولكنه مشروط بضوابط منها التدقيق والصدق في نقل الأخبار والاحداث قبل نشرها والتشويش على الرأي العام لأن هدف الاعلام الخير العام ونشر المعرفة واعلان الحقيقة وهذا للأسف معدوم نهائيا ومن النادر ان تجد إعلاميا وصحافيا يلتزم بالضوابط الأخلاقية والقانونية المهنية، ولا دورا ايجابيا للخبر المدفوع

ثمنه لأن اي صحافي او صحيفة أو غيرها من وسائل الإعلام ستتحول إلى اسيرة للمال غير المشروع يسقط مبرر الاستمرار في الصدور والمهنة وان استمرت تتحول الى مجرد نشرة تنطق باسم مصادر التمويل ولا علاقة لها بألاعلام.

مستقبل الصحافة

تعاني الصحف كثيرا من تراجع القراء والتوزيع ومن الخسائر المادية المترتبة على ذلك ليس فقط الصحف اللبنانية بل معظم صحف العالم بدأ هذا التراجع مع تطور الاعلام المرئي والمسموع والفضائيات التلفزيونية التي باتت مصدرا سريعا للخبر ومباشرة فضلا عما تبثه من برامج متعددة وفي مختلف القضايا ترضي الاذواق وتشبع نهم الشخص في الاطلاع والمعرفة ولم يعد مضطرا لانتظار صدور الصحيفة ليعرف ما حدث في اليوم السابق. وكذلك فان وسيلة الاعلام المسموعة تزوده بالاخبار السريعة والعاجلة التي يود سماعها٠ والاشد تأثيرا وزاد مع تراجع قراء الصحف هو الانترنت وملحقاته من وسائل التواصل الاجتماعي التي باتت تنقل وتوزع الاخبار صوتا وصورة في لحظتها وبات كل شخص يحمل هاتفا أو اخواته صحافيا من دون ان يتقن مهنة الصحافة والاطلاع على مختلف الصحف التي تحاول اللحاق بقطار التطور التكنولوجي المذهل ومحاولة الوصول للقارئ عبر متابعتها للخبر أو الحدث الكترونيا وهذا بطبيعة الحال انعكس على الصحيفة الورقية ولم يعد فيها شيء لجذب القارئ في اليوم التالي.

ومثالا على تراجع توزيع الصحف في الولايات المتحدة، فإن توزيع الصحف فيها انخفض من ما يقارب ٦٣مليون نسخة سنة ١٩٨٥ الى ٥٥مليون نسخة سنة ٢٠٠٢ وهذا الانخفاض كبير ويثير القلق حول وضع الصحافة في المستقبل غير البعيد وفق ستيف هوينيش وهو واحد من كبار رجال الصحافة في اميركا والذي قال: ان حال هذه الصناعة العملاقة سوف يكون أشبه بحال الديناصور الكسيح ٠ويقول زميله جان سكويارز في لقاء سنة ٢٠٠٤: لقد ماتت بالفعل الجرائد المطبوعة،لذا ينبغي على صناعة الصحافة أن تركز تركيزا شديدا على النشر الالكتروني ٠وهذا ما يحدث بالفعل حيث تعتمد الصحافة في لبنان مثلا على النشر الالكتروني كليا أو جزئيا مع الاستمرار في الصدور الورقي المتواضع حجما بحيث اقدمت على تقليل صفحاتها والاستغناء عن موظفين وصحافيين وتخفيف النفقات علها تستمر ربما لوقت اطول لأن ما يشهده لبنان من تفاقم في أزماته الاقتصادية والمالية والاجتماعية وفي طغيان وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة على انواعها وقد انعكس ذلك ليس على الصحف فقط بل على المحطات التلفزيونية والإذاعات التي انخفض كثيرا حجم المشاهدين والمستمعين كما قراء الصحف.

على رغم التشاؤم حول مستقبل الصحافة المطبوعة وتراجعها المقلق امام الصحافة الرقمية، لا بد من امل لانقاذ هذه الصناعة العملاقة قبل أن تتوارى وتختفي. وهل الصحافة المكتوبة في لبنان والعالم قادرة على الصمود والاستمرار بالصدور في ظل التحولات والتحديات التي تواجهها من الانترنت وبقية وسائل الإعلام والتواصل التي باتت وحدها مصدر الخبر والمعلومة والسعادة للبشرية. ولا بد من انتظار ما يحمله المستقبل من تقدم هائل ومتسارع في مجالات العلم وتكنولوجيا الاتصال.

شهداء الصحافة وفق بيان لنقابتي الصحافة والمحررين هم: سعيد فاضل عقل، الشيخ احمد حسن طبارة، عبد الغني العريسي، جرجي زيدان، الشيخان فيليب وفريد الخازن، الشقيقان توفيق وانطوان زريق، محمد

المحمصاني، عبد الكريم الخليل، عمر حمد، بترو باولي، نسيب المتني، غندور كرم، فؤاد حداد، كامل مروة، ادوار صعب، سليم اللوزي، وسيم تقي الدين، مسعود يعقوب الحويك، محمد حوماني، ايليا أبو الروس، توفيق غزاوي، بهيج متني، عاصم شريف بدرالدين، حسين مروة، سهيل طويلة، جورج سمرجيان، حنا مقبل، ريمون قواص، توفيق يوسف عواد، خليل الدهني، ونصرت توفيق خريش، احمد حيدر، بهجت دكروب، عدنان عبد الساتر، طلال رحمة، نايف شبلاق، الياس لالا، نجيب عزام، سعيد فخرالدين، فابيان توما، نعمت سباعي، جيزيل زيتون، موسى محفوظ، يحيي الحازوري، انطوان ملاخية حرب، وسيدة نعيم الخوري، بلال ضاهر، حسن فخر، حسن السيد علي بزون، وجبران تويني، جورج حاوي، سمير قصير، ونقيب الصحافة الراحل رياض طه.

زنبقة الدار (قصة قصيرة)

بقلم د. علي حجازي

بعد سفر طويلٍ، حضر صديقي يوسف إلى لبنان، وجاء يزورني ردّاً لزيارة تهنئته بالعودة سالماً، قمت بها فور وصوله إلى ربوع بلدتنا التي شهدت يفاعة شبابنا، وحداثة عمرنا، يومذاك، حدّثني طويلاً عن المعاناة التي عاشها في بلاد الاغتراب. وكاد أن يدلق إليّ الحنين الي أحسّ به هناك، الحنين إلى ربوع ترعرع بين أحضانها، وإلى سنوات قصيرة عشناها معاً هنا، بحلوها ومرّها.

جلسنا في صحن الدار، تحوط بنا الأزهار والورود، وأشجار الحديقة المثمرة وغير المثمرة. سرعان ما وقع بصره على زنبقة رائعة الجمال، كانت تختال مع مثيلات لها تزين الحوض القريب. نهض وتوجّه صوبها، دنا منها وقال :

- لهذه الزنبقة وقعٌ خاص في نفسي. إنها تذكّرني بأمي التي كانت تحبّها كثيراً، وتزرعها في صحن الدار.
- هي لك، إذا رغبت بنقلها إلى بيتك هنا؟
- بالواقع، ارغب بزرع واحدة، إذا سمحت.

- تفضّل، لك ما تريد.

أمسك بها، وراح يشدّ ساقها الطريّة، وقبل أن أطلب إليه التمهّل، ريثما استشيلها من تربتها برفق، كانت الساق قد انفصلت عن الجذر الذي بقي متشبثاً بالأرض. فوقف متأسفاً، وقد اعتراه خجل شديد.

- لا همّ، فأنت لم تتعلم طريقة نقل الورود والأغراس بعد
- هل هناك طريقة غير التي قمت بها الآن؟
- نعم، الآن أريك الكيفية التي تتعامل بها معها.

أخذت إبريقاً، وشرعت أسكب الماء على التراب الذي يحوط جذعها، يحتضنه بقوة. وبعد دقائق، حنوت على الساق، أمسكته برفق، وشددت به بلطف، فحصلت عليها كاملة، مع جذرها الذي لا يزال التراب المشبع ماءً عالقاً به

توجّه صديقي إليّ متعجّباً وقال:

- كيف استطعت أن تقوم بهذا، من دون أن تلحق بها الأذى الذي تسببت لمثيلتها به قبل قليل؟
- المخلوقات التي ترغد بالعيش كثيراً، قليلا ما ترتبط بمكان واحد، وتخفّ إلى مغادرة المكان الذي شهد إنباتها وإزهارها. فالماء الكثير الذي نزل دفعة واحدة على جذعها، سرعان ما عمل على فكّ ارتباطها الوثيق بتربتها.

اعترى وجه صديقي احمرار، وشرع يحدّق إليّ، ثم قال:

- كأنّك تقصّ حكاية انفصالي عن هذا الوطن؟ حكاية الوعد الذي تلقيته بالغنى السريع هناك في البلاد التي اتخذتها موطناً لي، أجل، ذلك الوعد كان مفعوله في نفسي شبيهاً بهذا الماء الذي عمل على نقل هذه الزنبقة. أما الغنى الذي حصلته هناك، فهو الذي حال دون عودتي، وجعل غربتي تطول كثيراً.
- قال ذلك، ومسح دمعتين همتا على خدّيه رغماً عنه، ثم تابع مسوّغاً ذلك الغياب الطويل قائلاً:
- ألم تر أن هذه الزنقة تموت إذا ما أصابها عطش شديد؟
- بلى، إنها تموت، من دون شك.

- وأنا، كنت سأعاني الأمرّين هنا، في ظلّ عدم توافر مسببات الحياة الرغيدة. أنت حظيت بوظيفة أمّنت مستلزمات حياتك. أما أنا، فلم جد بدّاً من السفر يا عزيزي.
- هذه الزهرة مثلها مثل الإنسان تماماً، بقليل من الماء تعيش.

القناعة مهمة في حياة الكائنات، وهي ضامنة بقاءها متشبثة بأرضها. وأنا لا ألومك على خيارك الذي اتخذته رغبة في تحسين ظروف العيش.

إن هذه الزهرة التي قصفت ساقها، ظلت متشبثة بتربتها واعدةً بالنمو والإزهار من جديد، ولم أقدر على انتزاعها كاملة من جذورها من دون الماء الكثير الذي حلّ رباطها مع موطنها الذي شبّت فيه.

نظر إليّ طويلاً وقال:

- أتسمح لي بإعادة زرعها حيث كانت؟ فأنا اشتقت الى تربتي هذه، ومنذ هذه اللحظة قررت إجراء سفر أخير، انهي فيه ارتباطي إلى تراب تلك الديار، وأعود لأعيش هنا، بينكم ومعكم، وأموت آمنا مطمئناً هنا، فتحتضنني الأرض التي احتضنت أهلنا وأجدادنا.

فالأرض وطن، والحنين إليها وإليه مهما كان قويا فإنّه غير مجدٍ، ولا يصيب المهاجر بسوى الوجد والاحتراق الذي قد يودي به الى اكتئاب.

قبل أن يغادر توجّه إليّ وقال:

- شكراً لك، ولهذه الزهرة القانعة، علّمتني الآن، درساً في المواطنة وحبّ الأرض لن أنساه ما حييت.

التّكامليّة الطّبيعيّة بين القوميّة اللّبنانيّةوالأمّةالعربيّة

بقلم د. سلطان ناصر الدّين

جاء في سفر التّكوين: "فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرًا وأنثى خلقهم".[1]

وجاء في القرآن الكريم: "والتّين والزّيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم". [2]

وجاء أيضًا: "وإذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشرًا من صلصالٍ من حمإٍ مسنون، فإذا سوّيته ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين".[3]

وورد:" إنّا عرضنا الأمانة على السّماوات والأرض والجبال، فأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأشفقن منها، وحملها الإنسان".[4]

إذًا، الإنسان كائن حيّ له جانب مادّيّ محسوس، وجانب روحيّ معنويّ مجرّد. الجانب المادّيّ طين وصلصال تجلّى بجسم وجوارح. والجانب الرّوحيّ المعنويّ عقل وإيمان ووجدان ونفس وروح.

وإذا كان ما بين النّوى والثّمرة قِطْمير هو الواصل بينهما، فإنّ ما بين الجانب الجسديّ والجانب المعنويّ وساطة هي الدّماغ.

والإنسان يحيا بقواه المادّيّة والمعنويّة ليؤدّي الأمانة، ليؤدّي الرّسالة، وذلك في إطارين متناغمين مع جِبِلّته: الإطار المكانيّ المحسوس المتناغم مع الجانب المعنويّ، والإطار الزّمانيّ المجرّد والمتناغم مع الجانب المعنويّ.

من هنا، كان الإنسان في مكان محدّد يعيش فيه في خدمة الأرض كلّها. هذا المكان المحدّد هو الوطن.

يقول بولس سلامة:"إنّ المسيح أحبَّ وطنه، فبكى على أورشليم، وإنّ طه (محمّدًا) قال يوم هجر مكّة:" اللّهم، أخرجونا من أحبّ البقاع إلينا، فأنزلنا أحبّ البقاع إليك". [5]

والوطن قوميّة، ومن مجموع القوميّات تنشأُ أمّة، ومن مجموع الأمم تتكوّن الإنسانيّة.

إنّ التّكامليّة الطّبيعيّة بين القوميّة اللّبنانيّة والأمّة العربيّة وصولًا إلى الإنسانيّة هي قانون طبيعيّ، إن سرنا به حقّقنا المبتغى، وإن خالفناه أخفقنا وسرْنا القهقرى.

إنّ هذه النّظرة الفلسفيّة "تساعدنا على التّفكير في نمط تفكيرنا"[6]. يقول كمال يوسف الحاج:" نحن بشر على وجه الأرض. إذًا ، من حقّنا أن يكون لنا رأيٌ في هذا الوجود. ثمّ نحن شعب عريق في الزّمان والمكان. إذًا ، من حقّنا أن يكون لنا رأيٌ في واقع هذا الكون"[7].

ولإلقاء الضّوء على فكرة " التّكامليّة الطّبيعيّة بين القوميّة اللّبنانيّة والأمّة العربيّة"،

ثمّة نقاط ستّ هي:

1- التّكامليّة قانون طبيعيّ

2- القوميّة اللّبنانيّة كيان ذاتيّ

3- اللّغة العربيّة روح الأمّة

4- الإنسان جوهر ووجود

5- من القوميّة اللّبنانيّة إلى الأمّة العربيّة إلى الإنسانيّة مسار طبيعيّ

6- لبنان يحيا بالقانون الطّبيعيّ

1- التّكامليّة قانون طبيعيّ:

ثمّة قوانين طبيعيّة ملائمة لطبيعة الكوكب الّذي نعيش عليه.

هذه الكرة الأرضيّة تسير وفق قانون طبيعيّ.

الشّمس ترسل حرارتها وضوءها إلى الأرض وفق قانون طبيعيّ.

السّحاب يُنزل الغيث وفق قانون طبيعيّ.

البذرة تنمو وتكبر لتصبح نبتة وفق قانون طبيعيّ.

التّكاثر قانون طبيعيّ.

إذا عمل الإنسان حامل الأمانة وفق القوانين الطّبيعيّة حقّق المبتغى، وإن خالفها حصد الخيبة.

فإذا حفظ الإنسان الأرض أشجارها ونباتاتها ولم يُسرف في التّلويث أدّى الغلاف الجوّيّ وظيفته، فكانت حرارة الشّمس طبيعيّة. وإذا عبث الإنسان في قطع الأشجار والنّباتات، وأسرف في التّلويث يَحدثُ خللٌ في الغلاف الجوّيّ، فتزداد حرارة الشّمس، وتكون النّتائج وخيمة.

والإنسان حامل الأمانة يستطيع أن يضع قوانين، أن يخلق قوانين، وذلك تماشيًا مع صيرورة الحياة. فإن جاءت هذه القوانين متناغمة مع القوانين الطّبيعيّة "تنظّم أحوال المجتمع، وترتقي بقدرات الكلّ إلى أعلى درجاتها"[8] كانت خيرًا؛ وإن جاءت مناقضة لقوانين الطّبيعة كانت وبالًا.

فقوانين السّير، مثلًا، حاجة فرضتها صيرورة الحياة، وجاءت متناغمة مع القوانين الطّبيعيّة.

وقوانين الزّواج المثليّ، مثلًا، جاءت متناقضة للقوانين الطّبيعيّة، فكانت وبالًا على آل لوط في ما مضى، وستكون وبالًا على المحدثين من آل لوط.

التّكامليّة مصدر صناعيّ من الفعل "تكامل". والمصدر الصّناعيّ ينقل الكلمة من الفعل المحسوس إلى المفهوم المجرّد. والتّكامل يتطلّب وجود شيئين أو أكثر يكمّل البعض الآخر.[9]

التّكامليّة قانون طبيعيّ يحدث بين الشّمس والأرض، بين السّحاب، بين البذرة والتّراب، بين الذّكر والأنثى.

والتّكامليّة تتجلّى في نشوء الوطن، نشوء القوميّة.

2- القوميّة اللّبنانيّة:

إنّ لبنان كيان قوميّ. والقوميّة لفظة مشتقّة من "القوم". القوم وجود، والقوميّة جوهر. والعلاقة بين الوجود والجوهر علاقة تكامليّة طبيعيّة.

وعناصر القوميّة تنقسم متكاملة بين الوجود والجوهر. أمّا عنصرا الوجود فهما المكان- الأرض والاقتصاد. وأمّا عنصرا الجوهر فهما الزّمان- التّاريخ واللّغة. واللّغة هي الّتي تجعل السّكّان قومًا.[10]

يقول كمال يوسف الحاج:" المجتمع قطر صالح وقوم مؤهّلون. القطر الصّالح أرض واقتصاد، والقوم المؤهّلون تاريخ ولغة. تلك هي القوميّة".[11]

ولا ضير، إذًا، إذا قلنا: القوميّة اللّبنانيّة، والقوميّة التّونسيّة، والقوميّة المصريّة، والقوميّة الجزائريّة. لا ضير من أن تتكامل عناصر القوميّة عند كلّ قوم، تتكامل وجودًا، ففي تكاملها حبّ وخير. يقول أمين نخلة:" إنّ لقدميّ في مَسّ تراب الوطن لطف الشّفاه! ويا حبّذا ذلك التّقبيل"[12]. ويقول الإمام عليّ بن أبي طالب: "عُمّرت البلدان بحبّ الأوطان" [13].

ويقول أمين الرّيحانيّ:" قرأت مرّةً أنّ غالينوس كان يقول: أجود هواء في الدّنيا هو هواء بلد اليونان. وقال ابن رشد: إنّ أجود هواء لَهواء قرطبة. وقال مِلْتن: إنّ الهواء النّقيّ المُحيي لا يهجر لندن أبدًا. وأقول أنا: إنّ هواء لبنان لَهو نَفَس الآلهة بالذّات"[14].

إذًا، لبنان كيان قوميّ وجودًا وجوهرًا، أرضًا واقتصادًا، تاريخًا ولغةً.

ولغته الأمّ العربيّة هي روحه وروح الأمّة.

3- اللّغة العربيّة روح الأمّة:

اللّغة ليست "أصواتًا يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[15] بحسب تعريف ابن جنّي؛ إنّما اللّغة وجدان وهويّة، والوجدان والهويّة جوهر.

الإنسان، كما ذكرنا، جوهر ووجود. اللّغة جوهر وليست وجودًا. يقول كمال يوسف الحاج:" نحن لا نتكلّم اللّغة، إذ اللّغة جوهر، وإنّما نتكلّم اللّسان، إذ اللّسان وجود" [16].

ويقول أيضًا:" لقد درجنا على النّظر إلى اللّغة من الخارج، أي بعد أن تمّ شكلها؛ فإذا بها مجموعة ألفاظ مقروءة. في حين أنّ اللّغة تبدأ من وراء الشّفتين القارعتين. وعليه، اللّغة هي أفعول ديناميّ يرافق الفكر من تحت الوعي، منذ النّبضة الأولى. مع الفكر إذًا – لا بعد الفكر– تنطلق اللّغة، وتتململ، وتتمعّج، وتصعد، وتهبط، فتتّضح بوضوحه، كما يتّضح بوضوحها، ثمّ تكتمل باكتماله، كما يكتمل باكتمالها" [17].

ويرى كمال يوسف الحاج أنّ اللّغة العربيّة هي اللّغة الأمّ للكيان اللّبنانيّ أي للقوميّة اللّبنانيّة وللأمّة. والأمّة هي مجموع قوميّات تربطها اللّغة الأمّ. يقول: "لا نعتقد أن هناك شيئًا كاللّغة الأمّ يعين الإنسان على التّحكّم في سير الزّمان".[18]

ويرى الحاج أن احترام اللّغة الأمّ فعل طبيعيّ يتماشى والقوانين الطّبيعيّة. يقول: "إنّ الدّفاع عن اللّغة القوميّة هو دفاع عن أدقّ ما في وجدان الأمّة"[19].

وها هو أمين الرّيحاني يخاطب الأمّ اللّبنانيّة، بل يخاطب المناهج التّربويّة، يقول: " علّمي أبناءَك محبّة الوطن الحقّة. قولي لهم إنّ الأجنبيّ لا يحترمهم إذا كانوا لا يحترمون أنفسهم. قولي لهم إنّ الأجنبيّ لا يحتقر لغة أجداده، بل يحتقر في قلبه من يحتقرون لغة الأجداد. قولي لهم إنّ اللّسان العربيّ لسانهم، وإنّ اللّغة العربيّة لَمن أشرف لغات الأرض. فليتعلّموها، وليتقنوها، وليعزّزوها." [20]

اللّغة العربيّة جوهر، وهي حاجة للإنسان تتجلّى وجودًا بلسان عربيّ مبين.

4- الإنسان جوهر ووجود

إنّ الإنسان ثنويّ [21] أي جوهر ووجود. يقول كمال يوسف الحاج: " إنّ جوهرًا لا ينوجدُ، ووجودًا لا يتجوهر، تنتفي عنهما صفة الجوهر وصفة الوجود. لذا كان على الإنسان، كي يستبقي حياته أن يراوح بين الجوهر والوجود". [22]

الإنسان يبدأ من الذّات نحو المجتمع المؤهّل، نحو القوميّة ثمّ الأمّة ثم الإنسانيّة.

5- من القوميّة اللّبنانيّة إلى الأمّة العربيّة إلى الإنسانيّة مسار طبيعيّ

إنّ القوميّة اللّبنانيّة ليست انعزالاً ولا تقوقعًا، بل هي كيان في أمّة، يجمعها جوهر ثمين ألا وهو اللّغة.

إنّ القوميّة اللّبنانيّة هي انطلاق نحو الإنسانيّة عبر الأمّة العربيّة.

يقول كمال يوسف الحاج: " لقد آن لنا أن نتفهّم مشاكلنا القوميّة جدّيًّا، أي فلسفيًّا، لأنّ الفلسفة وحدها قادرة على أن تعلّمنا كيف يجب أن نفكّر، كونيًّا، في حياتنا اللّبنانيّة لتصبح القوميّة تسديدًا نيّرًا نحو المطلق، دون أن تفقد شيئًا من طابعها الرئيسيّ". [23]

ويقول الحاج: " الإنسانيّة هي غاية القوميّة. هي الّتي تضفي على القوميّة قيمة عامّة."[24] ويقول أيضًا: " أنا قوميّ ذهابًا إلى الإنسانيّة عينها." [25]

6- لبنان يحيا بالقانون الطّبيعيّ

لبنانُ كيانٌ قوميّ في أمّةٍ ، والأمّة تشكّل واحدة من مجموع الأمم .

القانونُ الطّبيعيُّ هو أن يتكاملَ لبنان كيانًا في عناصرِهِ القوميّة ، وصولًا إلى تكاملِه مع الأمّة العربيّة ، بهدف التّكامل مع سائرِ الأمم.

إنّ التّكامليّة الطّبيعيّةَ بين القوميّة اللّبنانيّة والأمّة العربيّة وصولًا إلى الإنسانيّة قانون طبيعيّ. وجوهر هذا القانون اللّغة الأمّ – اللّغة العربيّة، إذ " بدون اللّغة العربيّةِ لن تكون لنا ، في لبنان عِمارات ذهنيّةٌ تُسابق النّاطحاتِ، ولن تكون لنا وقفاتٌ خالدةٌ في سوق عكاظ العقل".[26]

التّكامليّة الطّبيعيّة بين القوميّة اللّبنانيّة والأمّة العربيّة وصولًا إلى الإنسانيّة هي قانون طبيعيّ:

- عدم السّير وفقه حمّلنا ويُحَمّلنا أعباءً كبيرةً ، ولا مبالغة في ذلك .
- والسّير وفقه يوصلُنا إلى المبتغى الأسمى قوميًّا وعربيًّا وإنسانيًّا وصولًا إلى أعلى علّيّين.
- السّير وفقه يوصلنا إلى لبنان الرّسالة .

يقول ميخائيل نعيمة :" يا نواقيس لبنان ، ويا مآذن لبنان ، ما طربتْ أذني بأنغامٍ كأنغامكِ، ولا اهتزَّ قلبي لنداءٍ كندائِكِ ، ولا ابتهجت روحي لشهادةٍ كشهادتِك ترفعينها في الغداة وفي العشيّ ، في صَخَبِ النّهارِ وفي هَدْأةِ اللّيل ، إلى مَن تحجّبَ عن العينِ والأذنِ وهو في العينِ والأذن ، وعن الفكر والفؤادِ وهو محورُ الفكرِ والفؤادِ ، إلى عِلّةِ الوجود وضميره الحيّ القَيّومِ الرحمنِ الرّحيمِ الّذي نحن على صورتِه ومثاله " [27].

في جمال بلادي حبر أخضر
نكتب فيه الفكر
وفي الإنسان حبر الأبعاد
نكتب فيه الفكر
فيا جمالَ بلادي
ويا أيّها الإنسان
هل للأفكار حياة
خارج هذه الألوان ؟

الهوامش:

(1) الإنجيل المقدّس، سفر التّكوين 1 :27

(2) القرآن الكريم ، سورة التّين ، الآيات 1-2-3-4

(3) القرآن الكريم ، سورة الحِجر ، الآيتان 27،28

(4) القرآن الكريم ، سورة الأحزاب ، الآية 72

(5) بولس سلامة ، حكاية عُمر. بيروت- دار الكتاب اللّبنانيّ . ط2، 1973 ، ص141.

(6) سعيد ناشيد، التّداوي بالفلسفة. بيروت- دار التّنوير. ط1، 2018، ص25

(7) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة. بيروت – مؤسّسة الفكر اللّبنانيّ. ط1 ، 2014، المجلّد 11، ص53

(8) جان جاك روسو، العقد الاجتماعيّ (نقله إلى العربيّة عبد الكريم ناصيف). دمشق- دار الفرقد. ط1، 2018، ص52-53

(9) أنطوان نعمة وآخرون ، المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة . بيروت – دار المشرق . ط1، 2000 ، ص1249 -1250.

(10) كمال يوسف الحاج ، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 7، صفحات 58-60-63-64

(11) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 10، ص 51

(12) جوزف لبّس ، تفّاح من ذهب في سلال من فضّة . لبنان – دير الزّهراني – دار البنان . ط3 ، 2019 ، ص364 .

(13) محمّد شهري ، ميزان الحكمة . قم – مركز انتشارات . ط1، 1371 هـ . المجلّد 10 ، ص 522.

(14) أمين الرّيحاني، القوميّات، الجزء الأوّل، بيروت- دار الرّيحاني، ط1" 1956، ص 31-32

(15) ابن جنّي، الخصائص (تحقيق محمّد علي النّجّار). بيروت – دار الكتاب العربيّ . لا. ت. الجزء الأوّل، ص 43.

(16) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد5، ص87

(17) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد5، ص86

(18) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 5، ص 375

(19) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 5، ص 375

(20) أمين الريحاني، التّطرّف والإصلاح. بيروت- مطابع صادر ريحاني، ط3، 1950، ص 50-51

(21) فلادمير جيكارنتسيف، بنية وقوانين الكون الثّنويّ (نقلها إلى العربيّة وفيق حسن). دمشق – در الفرقد. ط1، 2018، ص21

(22) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 5، ص152

(23) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 5، ص 126

(24) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 7، ص 95

(25) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد7، ص37

(26) كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، المجلّد 5، ص 522

(27) ميخائيل نعيمة، النّور والدّيجور. بيروت– مؤسّسة نوفل. ط7، 1988، ص 222–223

المصادر والمراجع:

1- الإنجيل المقدّس.

2- القرآن الكريم.

3- ابن جنّي، الخصائص (تحقيق محمّد علي النّجّار). بيروت – دار الكتاب العربيّ . لا. ت.

4- أمين الرّيحانيّ ، التّطرّف والإصلاح . بيروت – مطابع صادر ريحاني . ط3، 1950.

5- أمين الرّيحاني، القوميّات. بيروت– دار الرّيحاني. ط1، 1956.

6- أنطوان نعمة وآخرون ، المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة . بيروت – دار المشرق . ط1، 2000.

7- بولس سلامة ، حكاية عُمر. بيروت– دار الكتاب اللّبنانيّ . ط2، 1973.

8- جان جاك روسو، العقد الاجتماعيّ (نقله إلى العربيّة عبد الكريم ناصيف). دمشق– دار الفرقد. ط1، 2018.

9- جوزف لبّس ، تفّاح من ذهب في سلال من فضّة . لبنان – دير الزّهراني – دار البنان . ط3 ، 2019 .

10- سعيد ناشيد، التّداوي بالفلسفة. بيروت– دار التّنوير. ط1، 2018.

11- فلادمير جيكارنتسيف، بنية وقوانين الكون الثّنويّ (نقلها إلى العربيّة وفيق حسن). دمشق – در الفرقد. ط1، 2018.

12- كمال يوسف الحاج، المؤلّفات الكاملة، بيروت – مؤسّسة الفكر اللّبنانيّ. ط1 ، 2019.

13- محمّد شهري ، ميزان الحكمة . قم – مركز انتشارات . ط1، 1371 هـ .

14- ميخائيل نعيمة، النّور والدّيجور. بيروت– مؤسّسة نوفل. ط7، 1988.

Edwin Martinez | 2014

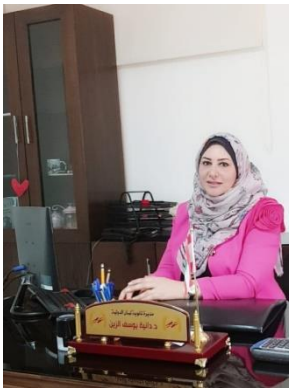

نشاط مؤسسات العمل الاجتماعي إبان الكوارث وانتشار الأوبئة

بقلم د. دانية يوسف الزين

يعتبر العمل الاجتماعي أحد أبرز حقول العمل الإنساني الحديث، الذي ينتشر على نطاقٍ واسع في العالم في ظل الظروف الانسانية والاقتصادية الصعبة ، وأثناء الكوارث والأوبئة . وهو يستهدف العنصر البشري تحديداً، بحيث يقوم على جملة من المقومات الرئيسية التي تجعل منه عملاً متكاملاً، يسعى لخدمة الشعوب الفقيرة والمتخلفة، ويسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف الانسانية ...

ينظر إلى العمل الاجتماعي من زاويتين :

- الاولى أنه عمل إنساني مميّز، يُضفي معنى خاصاً على حياة الناس، ويربطهم بالمجتمع على النحو المناسب، وعلى النحو الذي يعطيهم دوراً بارزاً فيه .

- والثانية تبدو صعبة للغاية، لأنه بقدر ما هو جميل، بقدر ما هو معقّد، ويستدعي مجهوداً مضاعفاً وخبرة في التعاطي معه وصبراً. فليس من السهل أن يُقَدّم المرء مساعدة لأفراد مجتمعه دون أن ينفذ صبره، بسبب بعض حماقات الاخرين بغض النظر عن أسبابهم.

وعندما نتحدث عن العمل الاجتماعي، فإننا نتحدث عن مجال تخصص يطال فئة من الناس، تأخذ على عاتقها مهمة تقديم الدعم والرعاية للأشخاص، الذين يحتاجون للمساعدة، هذا المجال ليس وليد الصدفة، بل إنه أتى نتيجة الحاجة إليه، أتى لأنه يمكن أن يساعد تقدم المجتمعات على مستوى حقوق الإنسان.

1- **مفاهيم العمل الاجتماعي** : يختلف مفهوم العمل الاجتماعي باختلاف الاطر والمجالات التي تتعامل مع هذا المفهوم، وندرج تحت هذا العنوان عدة مفاهيم للعمل الاجتماعي منها :

- العمل الاجتماعي هو حق من حقوق الانسان، يستطيع عن طريق جهوده مع غيره من الناس الى توجيه تغيّر المجتمع لصالح احتياجات السكان واشباع رغباتهم بطرق صحيحة و سليمة.

- العمل الاجتماعي هو مجموعة من العمليات المقصودة، والمنتظمة، تهدف إلى إحداث تغييرات في السياسات العامة القائمة في المجتمعات ، يقوم به مجموعة من الأفراد ، على شكل مجموعات أو هيئات تخضع للقيادة من أخصائي اجتماعي، لتحقيق عدد من الأهداف الاجتماعية المرغوبة، تنتج عنها تغيرات إيجابية واضحة.

- العمل الاجتماعي يمثل أحد المهن التي تطبق الأساليب الحديثة في العمل الخدماتي الإنساني، حيث ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر كنتيجة حتمية عن الثورة الصناعية التي زادت الانتقال من الأرياف إلى المدن، وأدت إلى العديد من الهجرات الواسعة، وصاحب ذلك جُملة من التغييرات الاجتماعية، سواء على نمط المعيشة، أو على الصحة، والعلاقات الاجتماعية.

- العمل الاجتماعي، هو علم من العلوم الإنسانية التي تقوم على عدد من المبادىء والقيم الاجتماعية، وعلى رأسها مبدأ دعم ومساندة الذات الاجتماعية، ويمثل أحد أهم الجوانب الإنسانية التي تهدف إلى مساعدة البشر، وقد ظهر بعد الحرب العالمية الثانية كأحد أبرز الفنون الحديثة في التعامل مع العنصر البشري.

- اما العمل الاجتماعي التطوعي فهو مساهمة الافراد في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية سواء بالرأي أو العمل أو التمويل أو نشر المعرفة وغير ذلك من الاشكال .

2- **أهداف العمل الاجتماعي:** يهدف العمل الاجتماعي الى تنمية المجتمعات ومعالجة المشاكل التي تخرج عن نطاق قدرة الافراد الذين يعانون منها والتي تعمل على شقائهم ، ومن هذه الاهداف :

- المساعدة على حل المُشكلات المختلفة المتأتية عن ظروف صعبة، في الوقت المناسب، وضمن أقل أضرار ممكنة.
- المساعدة في معالجة الأخطاء و العيوب المنتشرة قي المجتمع.
- تعزيز التعاون بين السكان ، ويخفف من الأعباء عن كاهل الحكومات.
- إظهار أهمية العمل الجماعي وفاعليته في الازمات.

- التخفيف من آلام الفقراء و المحتاجين .
- بشكل عام يهدف إلى العناية بالأشخاص الذين يعانون داخل المجتمعات، هؤلاء الأشخاص يحتاجون إلى من يرافقهم ويساندهم ويدعمهم.

3- **مقومات العمل الاجتماعي:** من أهم المقومات التي يرتكز عليها العمل الاجتماعي ما يلي :

- تعزيز جانب الوعي والإدراك حول علاج وحل المُشكلات المختلفة.
- تنظيم عمل العاملين في اللجان المختلفة.
- تحديد المشكلات بدقة من خلال دراستها دراسة عميقة وعلمية و موضوعية، للمساهمة في حلها.
- متابعة العمل الاجتماعي والإنساني، والحرص على التخطيط العلمي الجيد له.

4- **خصائص العمل الاجتماعي:** للعمل الاجتماعي الناجح خصائص متعددة نذكر منها :

- العمل الاجتماعي أكثر تأثيراً في المجتمعات من العمل الخدماتي الفردي.
- يقوم على أساس التعاون والتنسيق.
- يسعى الى تحقيق خدمات عامة وليست خاصة.
- يمكن ان يمارس على كافة مستويات المجتمع.

5- **اسس نجاح العمل الاجتماعي:** يحتاج العمل الاجتماعي لتأدية دوره الخدماتي الى مجموعة اسس منها :

- الاعتماد على التخطيط العلمي .
- أن تكون أهدافه عامة و مشروعة وتطال ميادين خدماتية اجتماعية .
- أن يراعي تطبيق اسس ومبادئ العمل الخدماتي ضمن الجمعيات والهيئات والاندية...
- أن يكون لدى العاملين في ميدانه، الوعي بالمشاكل الموجودة في المجتمع وادراك نتائجها ، للعمل على حلها .
- توفر المهارات والخبرة في خدمة الناس.
- التعاون المثمر و التنسيق الكامل بين أفراد المجموعة.

6- **دور الجمعيات الاهلية في لبنان في مواجهة فيرو كورونا**

مع كل جائحة تَضرب العالم يُكتَب تاريخ جَديد للبشريّة وتَرتَسم خارطة مُختلفة للتّوازنات الاقتصادية ..

Coronavirus (COVID-19.

على الرغم من صُمود بعض الدول أمام تفشي وباء كورونا السريع الانتشار ، إلا أنها تعاني اليوم من نُقص حاد في الإمكانيات المالية واللوجستية لاستكمال حربها الضَّروس ضِدَّ مُخلفاته على القطاع الإقتصادي والإجتماعي. وبدا التأثير الاقتصادي الفوري للجائحة واضَحا.

و في لبنان نظراً لواقعه الاقتصادي الصعب في ظل التعبئة العامة التي تطلبتها المرحلة ، وانهياره المالي، والتخبط في الفوضى والخلافات في الافكار والاراء والخطط للنهوض من الازمة ، والضغوطات الخارجية المشبوهة ...

هذه الجائحة هَدَّدَت تماسُك المجتمع المَحلي في حدّ ذاته. رغم اللجوء الى توعية المواطنين بخطورته، حيث اعتمدت في البداية أساليب التَّوعية والتعريف بالوباء ، وبعدها تم اللجوء الى أساليب أكثر صَرامة كالحَجْرِ الصِّحي الوُجوبي والزَّجْري والعِقاب للمخالفين للنصائح الوقائية المُعتَمَدة، وهذا ما سبب حالة من الفزع والخوف.

وكان المُجتمع المدني كغيره من الفاعلين، يجهَل ما سَتؤول إليه الأمور وخاصة مع إلغاء الدولة لجميع الفعاليات الثقافية والرياضية والمسابقات الأدبية والمهرجانات والنَّدوات والمعارض وغيرها. فكان يقف عاجزاً، مُتفرجاً، لا يَعرف أي السِّياسات التي يَجب اتباعُها أمام هذا الوضع الكارثيّ العالميّ .إلا أن أصواتاً تعالت من داخله تُنادي بوُجوب تظافر الجُهود وتوفير الإمكانيات الماليّة واللوجستيّة الضّرورية لمُجابهة خطر هذه الأزمة العالمية. وانطلقت مُكونات المجتمع المدني في تحديد الأولويات مُعتمدة في ذلك على تجارب البلدان التي فتك بها الفيروس، لتصحح الخطأ في الإجراءات وتصوّب تدخُّلاتها لتكون فعَّالة في تطويق الأزمة.

وهكذا بدأ التّحرك وفتحت أبواب التّضامن والتآزر الذي تدعَمُه مُنظمات ومُكونات المجتمع المدني ، كذلك بدأت الحاجة إلى انخراط العديد من الجمعيات التَّنموية والتَّضامُنية في هذه المُبادرة وحُدِّدت أدوارها لتُباشر رصد الحاجة والحالات، لتُعالجها بأفضل الطرق المُمكنة. فالمجتمعات لا تبحث عن جمعيات ومنظمات تتواجد فقط عند الرخاء والسِّلم الاجتماعي، بل هي في حاجة ماسَّة لها لتتدخَّل سريعا عند الأزمات والمصائب...

وقد تركّزت أعمال الجمعيات ومؤسسات الرعاية البناءة على الادوار التالية:

- الدوالر التوعوي الذي يقوم على توعية المواطنين وتحسيسهم بضرورة الالتزام بقواعد الصحة الأساسية وطرق الوقاية من هذا الوباء الخطير.
- الدور الميداني الذي يقوم على توفير الرّصيد البشري المؤهل لحسن سير ونجاعة التدخل للمساعدة.

- الدور التنفيذي الذي يقوم على تأمين الخدمات الضرورية للمواطنين ، وكذلك تأمين المستلزمات الحياتية التي باتوا لا يمتلكونها .
- الدور الرقابي، وذلك بالمتابعة اليومية لتطورات الأزمة، وكيفية الحدّ من النقائص الموجودة.
- هذا وقد حرصت بعض الجمعيات على تقديم المساعدات العَينيَّة من مواد تنظيف، مواد صحيّة، كمامات طبية لكل من يحتاجها، كما حرصت جمعيات اخرى على المُساهمة في تحسين ظروف عيش المُحتاجين بتقديم الإعانات وتوزيع المواد الغذائية عليهم .

أخيراً وليس آخراً، وأمام انهيار المنظومة الصحية فان الرِّهان الحقيقي اليوم يقع على عاتق المواطن، على وعيه والتزامه بتداعيات الأزمة، وضرورة احترام التدابير الوقائية لحماية نفسه أولاً، والإحاطة ببقية مكونات المجتمع . فالوعي المُجتمعي بمشكلات المرحلة الراهنة هو أساس الخروج من براثن الأزمة والتّفاعل الإيجابي، يساعد الدولة على توفير لا فقط الإمكانيات والطاقات البشرية بل أيضا مجموعة من الأفكار المتجددة والآراء التي يمكن لها أن تساهم في استنباط حلول فعالة تساعد الدول التي لا تمتلك كل الضروريات لمجابهة الأزمات.

ويمكن أن نضيف "إنّ جائحة كورونا بثقلها الصحّي الطّارئ واستتباعاتها الاقتصاديّة والاجتماعية والتعليميّة المصاحبة، تمثل تحدّيا قويّا للدّولة ولمختلف شركائها، ولقوى المجتمع لتطويق الخطر والحدّ من آثار الوباء".

وهنا كشفت فجائيّة الوباء لحدود الإمكانيات المتاحة، فكان دافعًا مهمّاً لتضافر الجهود وتعبئة الموارد من خارج الميزانيّة والاعتمادات الحكوميّة، وأنّ مع بدء ظهور الضرر المحقق للفئات الهشة، والمؤسسات والحرف.

انطلقت حتّمية انضمام المجتمع المدني وقد تحرّكت الجمعيات بأطيافها لتوعية المواطنين وتوفير السند المطلوب ولقيت بالفعل موجة تجاوب واستعداد كبير/ للدعم من مختلف الفئات وشوهدت في الميدان جمعيات كبرى ذات تقاليد عريقة وجمعيات محلية متعددة الأغراض والاختصاصات.

منذ بداية جائحة كورونا، كثفت الجمعيات الخيرية في لبنان نشاطها لتواكب الخطوات التي قامت بها الحكومة اللبنانية ، وبالتحديد وزارة الصحة لاحتواء آثار الأزمة على كافة الأصعدة، ولاسيما الاجتماعية والاقتصادية..

وبحسب دراسة حديثة أصدرتها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا "الإسكوا"، مطلع شهر أبريل الجاري، حول الأثار والتداعيات الناجمة عن انتشار الفيروس المستجد (كوفيد 19) في دول

المنطقة، فإن أكثر من نصف سكان هذه الدول قد انضموا بالفعل إلى قوائم الفقراء، نتيجة تضررهم بالتداعيات التي خلفها الفيروس. وفي لبنان علاوة على ذلك الوضع الاقتصادي المتدهور والوضع المالي المنعدم .

لعبت الجمعيات الاهلية و الخيرية منها دوراً مهماً على خط المواجهة، حيث لعبت، ومازال أمامها الكثير من الأدوار لتلعبها في هذا المجال.

لقد تفاعلت هذه الجمعيات الخيرية، التي تغطي مختلف المناطق اللبنانية، وتقدم خدماتها للمستفيدين وفق مجالات اختصاصها، مع كافة مبادرات الوزارة، مقدمة خبراتها، وقدراتها، وكوادرها الفنية المتخصصة، في الإغاثة والتواصل وتقديم الخدمات الإنسانية. كما أطلقت من جانبها العديد من المبادرات منذ بدء أزمة "كورونا"، مما ساعد في التخفيف من آثارها الاجتماعية على العديد من القطاعات والمناطق اللبنانية.

ومما لا شك فيه أن لهذه الجمعيات الخيرية، كل حسب تخصصه، دورها الهام في الأزمات، لما تمتلكه من قواعد بيانات حول الفئات الضعيفة والمتضررة ، والمستحقة للمساعدة، ولما تمتلكه أيضا من خبرات في مجالات التوعية والإرشاد والتنظيم، وضمان وصول المساعدات لمستحقيها، وتكوين فرق تطوعيه بصورة منظمة.

تقول منظمات تقدم مساعدات آنية في لبنان إن عدد الأُسر التي تطلب المساعدة زادت بشكل يفوق طاقتها، إثر تفشي فيروس كورونا المستجد، وفرض إجراءات العزل العام، في وقت وضعت فيه الأزمة الجميع في خندق واحد. وبدأت تتسارع الجهود التي تبذلها جماعات وأفراد لمساعدة الفئات الأضعف في مواجهة تداعيات الأزمة داخل مجتمعاتهم المحلية، فيما يتزايد الاحتياج لإمدادات الغذاء والدواء. حيث تلقت الجمعيات آلاف الاتصالات بعد أن كان يصلهم ما بين 50 و100 مكالمة فقط يوميا.

وفرضت الأزمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد مع انتشار وباء كورونا حالة استثنائية في ظل الحجر الصحي وانعدام فرص العمل، حيث معظم الفقراء بلا وسائل تذكر لمواجهة الصعاب الإضافية الناجمة عن تفشي الوباء.

في الختام إن لبنان وفي ظل تفشي الوباء يعيش مرحلة مفصلية من تاريخه، يقف اليوم أمام مصيرين، أحدهما الانهيار الكامل على الصعيدين الصحي والاقتصادي، كما يحصل في كثير من دول العالم، أو الاحتكام إلى الاستجابة الاستراتيجية والعمل الجماعي والتكاتف بين القطاعات العامة والخاصة والإنسانية،

في ظل حاجة اللبنانيين اليوم إلى بصيص من الأمل يطمئنهم ويستجيب لضعفهم وهشاشتهم الاجتماعية الاقتصادية ، والتي زادها تفشي فيروس كورونا سوءاً، الأمر الذي يطلب بلورة آلية شاملة تعالج الخلل القائم على مستوى العلاقات الكلية بين الدولة والقطاع الخاص والمجتمع المدني ومن ضمنه الهيئات الأهلية، فهذا هو الوقت المناسب لتصويب هذه العلاقة واستثمارها بما فيه من مصلحة للبلاد والعباد.

هذا وتشير الاحصاءات التي تلي الى تأكيد ماورد أعلاه :

يعيش حالياً اكثر من 2.5 مليون إنسان في لبنان تحت خط الفقر، من بعدما فقد حوالي 25 ألف موظف مصدر رزقهم خلال الأشهر الـ4 الماضية في ظل ارتفاع نسبة البطالة بين الشباب إلى نسبة 40%! وعجز القطاعات الغذائية والصحية عن الاستمرار فيما تخسر الليرة اللبنانية قيمتها يوماً بعد يوم بإيقاع متسارع، وفي ظل تفشي جائحة فيروس كورونا المستجد، التي سرّعت وتيرة الانهيار الاقتصادي على المستويين المحلي والعالمي.

الكورونا – covid19 أو corona viruse

بقلم الدكتور ماجد قبيسي

أصل التسمية آتية من الأحرف الأولى للفيروس. وقد عرف الفيروس corona منذ العام 1930 ، وهو من مجموعة RNA Virus ، عائلة Corona viridae ، تصنيفه pisonivicetes ، مملكة Orthonavirae إنه فيروس يصيب الطيور و الحيوانات والانسان . والجديد في هذا الفيروس هو الطفرة Mutation التي أدت الى وباء عالمي سنة 2019 Pandemic .

تأثيراته : تشبه الى حد بعيد تأثيرات الأنفلونزا من حيث طرق الإنتشار والأعراض السريرية ، وإصابته للجهاز التنفسي. ولكنه يتميز عن الأنفلونزا بأمرين اثنين :

- الأول : سرعة انتشاره والسبب في ذلك عدم توفر أجسام مناعية مضادة له في جسم الانسان كونها الإصابة الأولى .
- الثاني / يعتبر الكورونا فيروساً ناعماً قليل الخطر والأضرار قياساً الى الأنفلونزا.

الكورونا لا يصيب الأطفال ، وقد يصيب young and middle age ولكن دون أعراض سريرية، ويكشف عند هذه الشريحة بالصدفة بفحص PCR. إصابته على الارجح في الكبار Old age و خصوصاً أولئك الذين يعانون من أمراض مزمنة غير مسيطر عليها مثل :

- Immune Deficiency مرضى نقص المناعة
- Renal Dialysis مرضى غسل الكلى
- COPD مرضى الإنسداد المزمن في الرئتين
- Cancer مرضى السرطان . وغيرها من الأمراض المزمنة المتقدمة ...

وللدلالة على أن فيروس كورونا هو أقل وطأة من الأنفلونزا ، سنجري مقارنة بسيطة :

- عدد حالات الوفيات من جراء الإصابة بفيروس كورونا 467145 حالة وفاة.
- عدد الإصابات بفيروس كورونا 8939651 إصابة .
- نسبة الإصابة 1,2 بالألف ، ونسبة الوفيات 1/10 من مجموع الإصابات

في لبنان بلغ عدد الإصابات 1536 إصابة وعدد الوفيات 32 وفاة وهنا لا تعليق ؟.

الوفيات في معظمها من الشريحة المعرضة أساساً للوفاة بسبب أمراض مزمنة ، وتتجاوز نسبتها 80% ، واذا حسمنا هذه النسبة من المجموع العام للوفيات ، يتضح لنا كم هو الكورونا فيروس قليل الضرر قياساً بغيره من الأمراض وخصوصاً الأنفلونزا .

ومن المعلوم أن الأنفلونزا أصاب البشرية في أول وباء له سنة 1918، وتجاوزت الوفيات من جرائه الخمسين مليون وفاة ، في حين قاربت الإصابات الخمسماية مليون إصابة ، وفي حينها كان عدد سكان الكرة الارضية لايتجاوز المليار ونصف نسمة . وقد اندرجت الوفيات آنذاك في الفئة العمرية 20 – 30 سنة . اذن الفرق هنا واضح جداً وكبير والخطورة لا تُقَارَبْ .

ومع تحسّن الجهاز المناعي للبشر ضد الأنفلونزا ما زالت الوفيات في العالم مرتفعة نتيجة فيروس الأنفلونزا ، وقد بلغت في العام 2019 667000 وفاة ، والإصابات في كل الأعمار .

هنا نعتقد بل نجزم بأن المغالاة في تأثيرات فيروس كورونا لها أهداف أخرى لاعلاقة لها بالصحة ، ولتأكيد هذا الامر سنعطي لمحة موجزة عن بعض الامراض التي تعصف بالبشرية وتحصد الملايين من الأرواح سنوياً، وهذه بعضها :

- أمراض السرطان وحسب منظمة الصحة العالميةw.H.o تم إحصاء 9,6 مليون وفاة جراء هذا المرض في العام 2018 . وللعلم فإن واحداً من كل خمس رجال يصاب بهذا المرض ، وواحدة من كل ستة نساء تصاب كذلك بهذا المرض في مرحلة ما من حياة كل منهما ، وذلك وفقاً للتقديرات الصادرة عن الوكالة الدولية لأبحاث السرطان التابعة ل W.H.O .
- عدد المرضى الذين يموتون نتيجة أمراض القلب سنوياً يقدر ب 17,5 مليون وفاة، وأهم الأسباب : التبغ والكحول والسمنة والنظام الغذائي غير الصحي ... والأمم تشرّع التبغ ؟

- النموذج الرابع هو مرض الملاريا الذي بلغت نسبة الإصابة به في العام 2016 ، 216 مليون إصابة و تجاوز عدد الوفيات 1446000 وفاة ومعظمهم من الأطفال دون الخامسة من العمر .
- نموذج خامس هو إلتهاب الكبد الفيروسي B et C تجاوز عدد المصابين به حتى سنة 2013 400 مليون مصاب ، وارتفع عدد الوفيات من جرائه الى مليون ونصف، ومن مختلف الأعمار .
- بالمقارنة البسيطة يتضح أن خطورة الكورونا فيروس لا تقارن بتلك الأمراض التي ذكرناها ، وبأن تعطيل المصانع والمزارع والطيران والتجمعات والمدارس و السيارات و كل المصالح على مستوى الكرة الارضية، أمر مبالغ به، وأن الكثير من الإجراءات المتبقية هي من دواعي الإثارة: مثل الكمامات في الطرقات والسيارات . كذلك رش المبيدات والمعقمّات حسب الطرق التي اتبعت هي للإثارة أكثر منها حقائق علمية .

امام ما تقدم نعتقد أن تلك الحملة ضد الكورونا وما تبعها من مظاهر وأفلام مدبلجة ومثيرة ، لها أهداف أخرى قد تكون ايجابية لعل أولها تنظيف البيئة على مستوى العالم . وثانيها إعادة تنشيط دورة الإقتصاد بعد أن يتم إستهلاك كل المخزون . وثالثها ما يتداول من إمكانية زرع لقاح فيه شرائح معدنية متناهية في الصغر، يتم من خلالها تحفيز الجهاز المناعي ، وأيضاً متابعة التطور للتنبؤ ببعض الأمراض والتحكم بالإنفعالات الشخصية و التنصت ...

كما نعتقد بأن منظمة عالمية تقوم برعاية هذه العملية المعقدة و الهادفة الى جعل الكرة الارضية وحركتها تحت السيطرة، وأن فيروس كورونا كان الوسيلة لتحقيق هذا الأهداف.

البعض يعتقد بأن ما ذكرناه حقيقة واضحة ، والبعض الآخر يعتقد بأن الكورونا فيروس خطير ومرض داهم ، ويصدق ما يقال وما يحدث . والبعض الثالث يعتقد بأنه عقاب من الله وأن الكورونا جند من جنوده . ولله في خلقه شؤون ...

على كل حال، مهما كانت الأسباب و العوارض و الحقائق والإعتقادات، نسأل الله أن يخلصنا من هذه الجائحة الخطيرة، و التي فاقتها الجائحة المالية في وطني لبنان.

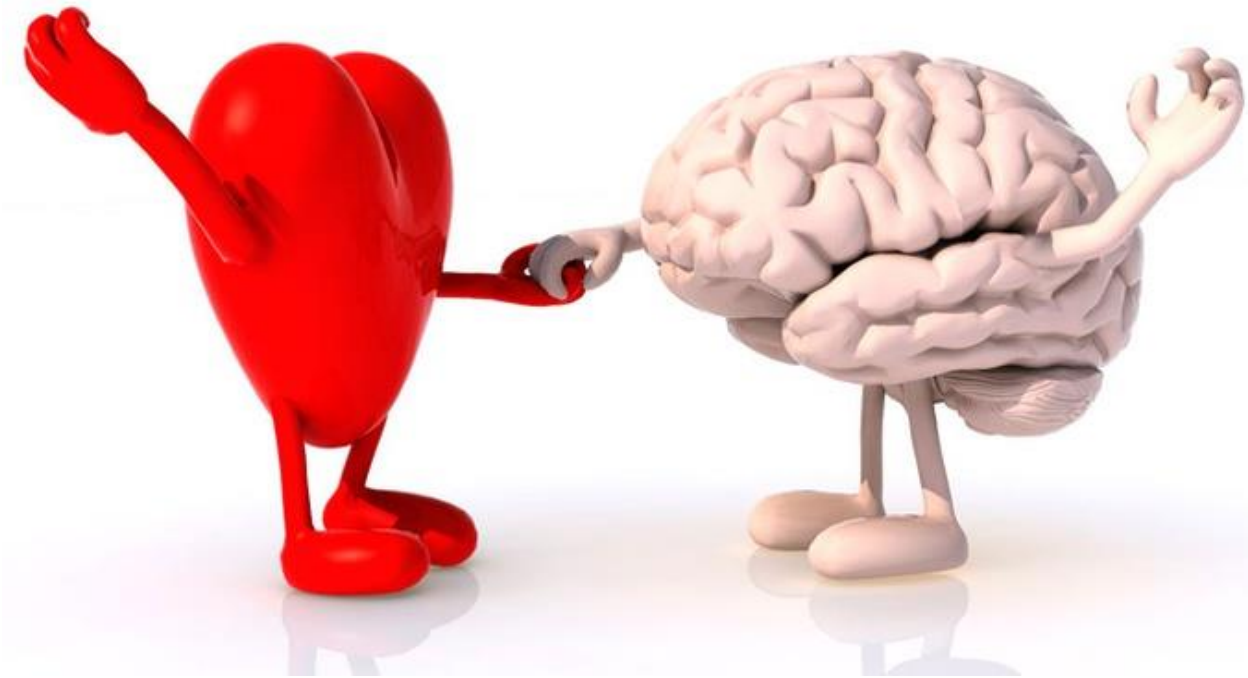

العقل السليم في القلب السليم : حافظ على قلبك

دور التعليم في تنمية الموارد البشرية

بقلم د. مريم شيحا

في 8 حزيران 2020، أصدر الوزير المجذوب قرارين : حمل الأول الرقم 275\2020، ويتعلق بتشكيل لجنة طوارئ للقطاع الرسمي في التعليم العام والتعليم المهني برئاسته.

وحمل القرار الثاني الرقم 267\2020، ويتعلق بتشكيل لجنة عليا ، لاستشراف أوضاع التربية والتعليم العالي أيضاً برئاسته.

وحدد القرار مهمة اللجنة باستشراف الأوضاع التربوية في جميع مراحل التعليم واقتراح الحلول، على أن تجتمع دوريًا وكلما دعت اليه الحاجة.

الاهتمام بالتعليم حاجة ضرورية وملحة لتنمية الموارد البشرية، بإعتباره مدخل مهم للانتقال من التخلف إلى التنمية، وله أهمية في عملية التغير الاجتماعي، الذي يطال كامل البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ... وكما أثبتت التجارب العالمية بأن التعليم يشكل المدخل الأساسي في تنمية الموارد البشرية، ولا يمكن أن تتحقق هذه التنمية من دون هذا الدور.

وهكذا يشكل التعليم الركيزة الأساسية التي تبنى عليها آليات التنمية بجميع أشكالها، كما يلعب دورًا مركزيًا في عملية التنمية وإنماء المعارف الأساسية للبشر، وتطويرعلومهم، وبناء قدراتهم على التحليل، ومواجهة المشاكل التي تعترض مسيرة حياتهم، اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا.

وبما أن الاقتصاد، بما يشتمل عليه من عمليّة انتاج واستهلاك وتوزيع ومستوى معيشة.....يعدّ مكونًا رئيسًا من مكونات المجتمع. نطرح السؤال: إلى أي مدى عملية التطور الاقتصادي تُعدُّ ناتجًا تربويًا؟ وإذا كان هناك دور للتربية تؤديه في الحياة الاقتصادية، فهل يمكن تلمُّس هذا الدور، واثبات وجوده في الوضع الراهن ومن خلال الواقع التاريخي والاقتصادي؟

هناك دراسات ميدانية عديدة، أثبت معظمها العلاقة بين التعليم والعمل التربوي من جهة، وبين التقدم الاقتصادي والتقني من جهة أخرى. وقد ورد في تقرير التنمية الإنسانية عام 2002 أنه دراسة شملت

192 بلدًا، خلصت إلى أن:رأس المال البشري والاجتماعي يسهم بما لا يقل عن 64% من أداء النمو، وفي المقابل يسهم رأس المال المادي (الآلات والمباني والبنى الأساسية) بنسبة 16% من النمو، ويسهم رأس المال الطبيعي بالنسبة المتبقية.

وهكذا لا يمكن فهم التقدم الاقتصادي على أنه علاقة بين المدخلات والمخرجات فقط، فالمدخلات المادية تمر بعدة مراحل ليست كلها ذات طابع اقتصادي. والمسألة ليست مجرد توظيفات واستثمارات في مجال العمل. لذا لا بد أن يستند التقدم الصناعي إلى قواعد راسخة من المعرفة العلمية، والقيم الاجتماعية، وكل هذه المعطيات لا يمكن إيجادها الا ضمن مجال العمل التربوي وضمن المؤسسات التربوية.

ما تقم يشير الى أن الفشل في التنمية الاقتصادية يعبر عن تراجع كبير في العمل التربوي، ينجم عن توظيف سيء أو سوء استخدام للثروة البشرية المؤدية للعمل التنموي. وهكذا تعتبر العلاقة بين التربية والتعليممن جهة وبين التقدم الاقتصادي أكثرتعززاً في المرحلة المعاصرة، لإتجاهها أكثر نحو استخدام المعرفة بدل التوظيف المكثف لرأس المال.

أما التنمية فهي من المواضيع التي لقيت اهتمامًا لدى الباحثين على مختلف الاصعدة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والبيئية، واعتبرتها المنظمات الدولية، وعلى رأسها منظمة الامم المتحدة للتنمية، حقًا لجميع الأفراد، وخاصة في الدول النامية، حتى تستطيع هذه الاخيرة اللحاق بالدول المتقدمة.
كانت اهتمامات التنمية في الدول، في بادئ الأمر، تركز على تحقيق التنمية الاقتصادية، وجعلت من ذلك هدفًا تسعى إليه، من خلال العمل على الاحتفاظ بمعدل مناسب من التنمية في شتى المجالات، وذلك حتى يتحقق للمجتمع على المدى البعيد زيادة معدلات النمو في الدخل القومي. ومن أبرز ما تنطوي عليه عملية التنمية إحداث تغيير جذري في المجتمع يقضي على مسببات التخلف والفَقر. الا أن هذا المفهوم للتنمية تغيّر بمرور الوقت، فبعد أن كان الحديث مقتصرًا على التنمية الاقتصادية أصبح، اليوم، يركز على التنمية البشرية المستدامة، ومعه صار التركيز على الاستثمار في المورد البشري الذي هو غاية المجتمعات التوّاقة إلى الخروج من دائرة التخلف، والدخول إلى دائرة التقدم واللحاق بالدول المتقدمة.

التنمية عملية تتكون من سلسلة تغيرات وظيفية في المجتمع، وهي تكون نتيجة حجم ونوعية الموارد المتاحة له، وتعمل على رفع مستوى الأكثرية فيه، وذلك بزيادة أفراده في استثمار طاقاته إلى أعلى مستوى ممكن.

تهدف التنمية المستدامة (التي تتضمن التنمية البشرية) إلى تحسين مستوى الرعاية الصحية والتعليم، كما تهدف إلى الخلط المتوازن بين التنمية والاقتصاد، لا سيما المحافظة على البيئة، مع مراعاة حقوق الأجيال

القادمة في الموارد الطبيعية، لأنه لا وجود لتنمية مستدامة من دون تنمية بشرية. كون البشر هم الثروة الحقيقية للأمم، وقد اثبتت التجارب تمايزاً واضحاً بين بلدان حققت مستوى عالياً من التنمية البشرية على الرغم من ضعف حصة الفرد من الدخل القومي، فقد نشأت فيها علاقة ظاهرة ومعلنة بين التربية والتعليم والتنمية، انطلاقاً من أن التنمية التربوية هي متغيّر أساسي في التنمية البشرية. وأن تكون التربية وتحديداً التعليم هو البعد الأول، ذلك يؤكد على أهمية وأولوية التربية وتحديداً التعليم في هذه العملية ، لأنه الركيزة الأساسية للبناء الحضاري، إذ كلّما ارتفع المستوى الفكري العام ازداد المستوى الحضاري، وعلى الرغم من وجود عوامل عديدة توثر في التنمية مثل الصحة والبيئة والاقتصاد والثقافة والسياسة بالدرجة الاولى، إلا أن التعليم يبقى أحد المداخل الاساسية لإعداد القوى البشرية التي تستطيع الاسهام في التنمية.

بشكل عام التنميةَ البشريّةَ ضرورةٌ حياتيّةٌ لا يمكن لمجتمع ان ينمو ويزدهر بدونها، والأممُ المتقّدمةُ في عصرنا تُجسِّدُ تلك المقولةَ، وتؤكدها بشواهدَ عدة، على رأسها مناهج التعليم، ومواد التدريس. وقد باتت منتجات التعليم في خدمة مصالح الأجيالِ القادمة، تضمن لهم عدم الوقوع ضحية البطالة وضَعف الانتاج والحاجة الاقتصادية.

والتعليم أصبح وسيلة رئيسية من الوسائل التي تساهم في تنمية الشعوب وتطويرها، حيث نلاحظ اشتراك سائر دول العالم في ظاهرة نشر التعليم بين المواطنين، على الرغم من اختلاف الدول في إمكانياتها الاقتصادية والبشرية.

عمدت معظم البلدان الصناعية، الرأسمالية والاشتراكية، إلى تطبيق مبدأ إلزامية التعليم الابتدائي، وهذا الواقع يتوافق مع قرار إعلان حقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الأول سنة 1948، والذي ينص في مادته السادسة والعشرين، الفقرة الأولى، على أن لكل فرد الحق في التعليم، ويجب أن يكون التعليم التقني والمهني متاحاً بوجه عام، وأن يكون التعليم العالي في متناول الجميع على قدم المساواة وعلى أساس الجدارة.

تشتد الحاجة إلى التعليم في العصر الحاضر، عصرتطور المعلوماتية، عصر استخدام الحاسوب الآلي في مختلف مرافق الحياة اليومية، وحتى في عالم العمل، عصر الانفتاح العالمي بواسطة شبكات الاتصال والمعلومات العالمية الحديثة التي فتحت المجال أمام أي فرد، في أي وقت وفي أي مكان على الكرة الارضية، للوصول إلى قواعد المعلومات المتنوعة بسرعة فائقة، فبرزت ظاهرة "العولمة" التي نقلتنا من

التركيز على المحلي والوطني إلى المجتمع العالمي. فلم يعد بإمكان أي بلد أن يعتبر نفسه بمعزل عن تأثيرات الاحداث والتطورات الدولية.

من جهة أخرى، تتزايد التكتلات الاقتصادية العملاقة، ويجري تحويل اقتصادات الدول النامية إلى اقتصاد السوق الرأسمالي، وربطها بالاقتصاد العالمي، وتشتد المنافسة في الاسواق العالمية في ظل النظام الاقتصادي الحر، بحيث يصبح البقاء للأصلح والاجود والاقل كلفة.

وضَعت بلدان العالمين العربي و الغربي ضمن أهدافها استراتيجية تطوير التعليم وتعزيز مؤسساته، والارتقاء بجودته، لكي يتمكن من تلبية متطلبات العصر والمستقبل، لأنه مدعو لتخريج نوعيّة جديدة من المتعلمين القادرين على تنمية أنفسهم باستمرار. فالمعرفة تتطور بشكل سريع جداً، وتتجدد معها متطلبات سوق العمل. ولهذا، أصبحت الحاجة ملحة إلى مهنيين قادرين على التكيف مع الظروف المستجدة، بتعلم مهارات جديدة كلما دعت الحاجة.

وعلى الصعيد اللبناني ظلت أوضاع التعليم تتأثر سلباً أو إيجاباً بمدى تمكن الدولة من فرض سلطتها على المجتمع الأهلي، أو الطوائف الدينية التي يتألف منها المجموع العام للشعب. فالدولة، كمفهوم، تبقى السلطة التي يحق لها تحقيق المصالح المشتركة لأبناء القوم.

كماعرفت المناطق اللبنانية نوعاً آخر من التعليم، هو تعليم المبشرين والارساليات، وهو يعود في جذوره إلى العام1535 تاريخ توقيع الاتفاقية الفرنسية العثمانية الأولى التي مُنحت فرنسا بموجبها بعضاً من الامتيازات التي اسست للمهمة التي بدأت فرنسا تضطلع بها منذ ذلك الحين، وهي حماية الكاثوليك في الشرق. وفي أوائل القرن التاسع عشر جاءت إلى لبنان فئتان من المبشرين باشرتا بإنشاء المدارس في عدد من المناطق: الاولى إنجيلية أميركية، وصلت إلى بيروت عام 1820، وانشأت أول مدرسة للبنات في الامبراطورية العثمانية عام 1834 في بيروت. والثانية كاثوليكية فرنسية، حفزها دخول الانجيليين، بدأت بإعادة فتح مدرسة عين طورة عام 1834 بإشراف الآباء العزريين.

توجت هاتان الارساليتان جهودها في التعليم بإنشاء الكلية السورية الانجيلية عام 1866(الجامعة الاميركية اليوم)، وكلية القديس يوسف عام 1875(جامعة القديس يوسف اليوم). وقد جاء إلى لبنان بعد ذلك عدد كبير من الارساليات والمبشرين.

تتميز الأوضاع التعليمية في لبنان، كما جاءت التقارير الرسمية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم العالي والمركز التربوي للبحوث والإنماء، بانتشار المؤسسات التعليمية على مختلف انواع التعليم ومراحله ونسب الالتحاق به، وخصوصاً في مرحلة التعليم الأساسية، حيث وصلت هذه النسب إلى حد الاشباع تقريبا.

عرف اللبناني المهنة بالفطرة، وبدأ يتناقلها جيلًا بعد جيل بالوراثة أو التقليد، ثم أقبل عليها من خلال التعليم المدرسي النظامي وغير النظامي بهدف ترسيخ معارفه وإتقان مهاراته. لقد كان الاهتمام بتدريس العلوم المهنية والتقنية في لبنان سبّاقًا لكل الآراء التربوية التي دعت إلى الاهتمام بهذا النوع من التعليم في العالم العربي. ولكن ما وصلت إليه الأحوال الاقتصادية والمالية الحالية، ولا سيما ما تمظهر منها في المستويات المعيشية للناس، بحيث تشير أغلب التقديرات إلى أن أكثر من نصف المقيمين اللبنانيين، أصبحوا يعيشون تحت مستوى خط الفقر؟ مما يؤكد على أن السلطات السياسية المتعاقبة، لم تعر أية أهمية للاقتصاد المنتج، بعد عام 1992؟ وهكذا، بدت طفرة في الاقتصاد الريعي، على حساب الاقتصاد الأول، ولربما يتمثل ذلك بعدم التطور في مجال التعليم المهني والتقني؟ وبالتالي إهمال:

أهم عوامل تفعيل الانتاج الزراعي والصناعي وتطويره، لأنه يوفّر العنصر البشري القادر على استخدام التكنولوجيا الحديثة، وهو ما يفسر تدني نسبة الملتحقين بالتعليم المهني، وهكذا، وبحسب المعطيات الإحصائية، الواردة في النشرة الإحصائية، التي يعدها سنويا مكتب البحوث التربوية في المركز التربوي للبحوث والإنماء، بلغ عدد طلاب التعليم المهني في لبنان خلال العام الدراسي 2019/2018 ، نحو 88583 طالبا، أي ما نسبته فقط 8.25 % من إجمالي عدد الطلاب في لبنان (بما في ذلك طلاب التعليم الخاص في مدارس الأونروا الذين يمثلون ما نسبته 3.37 %). وأن أغلبيتهم، وبحدود 53%، من مستوى بكالوريا فنية، في حين فقط 4.2% من مستوى إجازة فنية، مع غالبية أنثوية بحدود 6 شابات إلى 4 شباب. أما توزع طلاب الإجازة الفنية بحسب الاختصاص، يتبين على أنه فقط 4.7 % تم اختيارهم لاختصاصات لها علاقة بالمجال الصناعي؟

تمثّلات الآخر في الثقافة الشعبية العراقية (الأمثال الشعبية نموذجاً)

إعداد د. ليلى شمس الدين

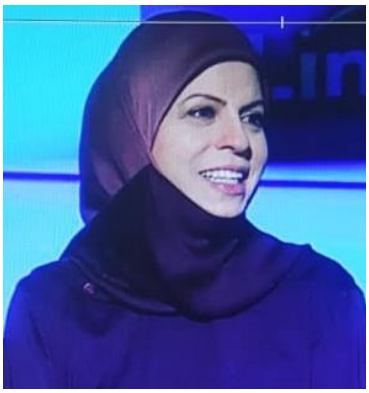

ثقافة المجتمع هي طريقة حياة أفراده، وهي مجموعة

الأفكار والعادات التي تعلّموها وساهموا فيها ثمّ نقلوها من جيل إلى آخر.

رالف لينتون Ralph Linton

الثقافة الشعبية هي ببساطة، الثقافة التي يفضّلها

الكثيرون، أو تلك التي تحظى بإعجاب جيّد من قبل العديد من الناس.

جون بينيت John W. Bennett[66]

مقدمة

تُعتَبَرُ الأمثالُ من الأعرافِ التي تتحكَّمُ في المجتمعات، حتى قيلَ إنَّها قانونُ العامّةِ الذي يعتنقُهُ الناسُ، فتؤثّرُ فيهِم وتحدّدُ سلوكَهُم وتصرفاتِهِم؛ فهم يعتمدونَ عليها في دعمِ كلامِهِم، وتأييدِ أقوالِهم، وتأكيدِ آرائِهم. والجديرُ بالذكرِ أنَّ الأمثالَ الشعبيةَ حمّالةُ أوجُه؛ فمنها ما يكونُ حافزاً للتحسينِ والإصلاح، ومنها ما يُشكِّلُ حُجةً وذريعةً لتأييدِ سلوكٍ أو موقف، وفيها ما يدعو الى سلوكياتٍ خاطئة.

بين هذا وذاكَ، تُعتبرُ الأمثالُ الشعبيةُ "ركيزةً ضخمةً يُنَقِبُ فيها الباحثُ عن آراءِ الشعبِ وفلسفتِهِ في الحياةِ وحِكمتهِ وأمانيه، كما آلامِهِ ورغائبِهِ وأحلامِه؛ إذ تقدّمُ صورةً واضحةً لتفاعلِ الشعبِ مع البيئةِ التي يعيشُ فيها ـ سواءٌ درى أم لم يدرِ ـ فتضعُنا أمامَ مسرحِ خواطرِهِ ومَعينِ أفكارِهِ ووحيِ أقواله، وتُسهِمُ ببلورةِ هُويتِهِ الثقافيةِ من خلالِ ما نسمّيهِ الذاكرةَ الوِجدانيةَ الاجتماعية" (قديح، الأمثال العربية ـ دراستها

[66] من أهم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الأميركيين، لعب دوراً كبيراً في تطوير علم الإنسان كما نراه اليوم، تركزّ القسم الأكبر من بحوثه في مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، حصل على جائزة Bronislaw Malinowski من جمعية الأنثروبولوجيا التطبيقية لالتزامه مدى الحياة بتطبيق العلوم الاجتماعية على القضايا المعاصرة.

ومصادرها، 1987، صفحة 29)، بوصفِها مفهوماً إجرائياً نستطيعُ أن نفهمَ من خلالهِ جوانبَ أساسيةً في الحياةِ اليوميةِ عبرَ مجموعةٍ من الروافدِ المشكّلةِ لمعالمِ هذهِ الهُوية.

لذلكَ تَرسِمُ الأمثالُ الشعبيةُ هُوياتِ الجماعاتِ وانتماءاتِها الحضاريةِ بشكلٍ أو بآخر، بما تحمِلُهُ ذاكرتِها من "قيمٍ ولغاتٍ، وطرقِ تفكيرٍ واعتقاداتٍ، وممارساتٍ، وتمثُّلاتٍ اجتماعيةٍ وفرديةٍ، تشكّلُ مجتمعةً طابَعَ ونمطَ حياة، يُكسِبُ أصحابَها الإحساسَ بالهُويةِ والاستمرارية، ويُسهِمُ بِتعزيزِ احترامِ التنوعِ الثقافيِ والإبداعيِ للإنسانية" (باربارا تروغلر، إيكاترينا سدياكينا – ريفيي، 2013، صفحة 28)، حَسَبَ ما جاءَ في مواثيقِ اليونيسكو، ما يُمكّنُنا من قراءةِ أخلاقياتِ المجتمعِ وعاداتهِ وطرائقِ تفكيره، من خلالِ الوقوفِ عندَ مستوى المضامين، وما تُفرِزُهُ من قِيَم.

اِنّ هذهِ المُقدّمَةَ المُسهَبَة عن الأمثالِ الشعبيةِ وانعكاساتِها في الممارساتِ الاجتماعية، ما هيَ سوى مدخلٍ نُطِلُ من خلالهِ على موضوعِ "تمثُّلاتِ الآخرِ في الثقافةِ الشعبيةِ العراقية، الأمثالِ الشعبيةِ نَموذجاً". فلا أحدَ يستطيعُ أن يُغفِلَ تأثيرَ الأمثالِ الشعبيةِ على الثقافةِ المحلّيةِ وبالتالي على الهُويةِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ للمجتمعاتِ التي تتداولُها؛ وذلكَ لتغلغُلِ هذهِ الأمثالِ في مُعظَمِ جوانبِ الحياةِ اليومية، فهيَ تَعكِسُ المواقفَ المختلفةَ، بل تتجاوزُ ذلكَ أحياناً لتقدِمَ نَموذجاً يُقتدى بهِ في مواقفَ عديدة.

أولاً: أهداف البحث

تتناولُ هذهِ المقاربةُ البحثيةُ البِنيةَ الدلاليةَ والرّمزيةَ للأمثالِ الشعبيةِ العراقية، وسنعملُ على تحليلِها، لِتبيانِ كيفيةِ تمظهرِها في العَلاقةِ مع الآخر، أياً يكن هذا الآخرُ من منطلقِ النظرةِ إليهِ في أوضاعهِ الاجتماعيةِ المختلفة.

سنبحثُ إذاً في البِنيةِ العلائقيةِ استناداً الى ما توحي إليهِ الثقافةُ الشعبيةُ المحلّيةُ ذاتُ الصلةِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ القويّةِ بالفضاءِ البشريِ والفكري لهذهِ العَلاقات، بهدفِ قِراءاتِها وفهمِها وتحليلِ انعكاساتِها على المجتمع. اِنَّ تحليلَ ما تُشيعُهُ البِنيةُ الدلاليةُ والرمزيةُ للأمثالِ الشعبيةِ تساعدُ في قراءةِ دلالاتِ ومعاني ثقافةِ هذه المجتمعاتِ في بناءِ مواقفِها ونظرتِها الى الآخر. فالأمثالُ الشعبيةُ تلعبُ دورَ القوانينِ في المجتمعات "فهيَ دستورُ وقانونُ العامّةِ يَعتنقُها الناسُ ويؤمنونَ بها بشدّة. ولهذا تكادُ تكونُ نوعاً من السلطةِ الأدبيةِ تفرِضُ على العامةِ من الناسِ شكلاً معيناً في تعاملهِم ويأخُذُ بها مُعظمُ الأفراد، شأنُها شأنُ كلِ الظواهرِ الاجتماعيةِ الأخرى الضاغطةِ على أفرادِ المجتمع (قديح، الأمثال العربية ـ دراستها ومصادرها، 1987، صفحة 29)؛ ما يُعيدُ تعميقَ الممارساتِ من خلالِ الدلالاتِ والمعاني التي تَبُثُّها الأمثالُ المتداوَلَة.

يحاولُ هذا البحثُ إذاً، تقديمَ قراءةٍ سوسيو انثروبولوجيةٍ لبعضِ الأمثالِ الشعبيةِ العراقية بالاعتمادِ على التراثِ المتوفّر، فضلاً عن التصنيفِ القائمِ على أساسِ تنوّعِ البيئاتِ الاجتماعيةِ في المجتمعِ العراقي، وهوَ ما يُتيحُ لنا استخلاصَ الدلالاتِ الاجتماعيةِ والثقافية، ومعرفةِ دَورِها في الموروثِ الشعبي.

ثانياً: مشكلةُ البحثِ وتساؤلاتُه

من هذا المنطلق تتبلورُ مشكلةُ البحثِ في تساؤلِ رئيسٍ يطالُ هذه الدلالات، ويكشِفُ لنا عن دورِها في منظومةِ القيمِ والمعاييرِ الثقافيةِ المتمثِّلةِ في الموروثِ الشعبي، وبذلكَ يُمكنُ حصرُ الأهدافِ من رصدِ مضامينِ هذهِ الأمثالِ بالتساؤلاتِ التالية:

1. هل تنسجمُ الأمثالُ الشعبيةُ معَ واقعِ التحوّلاتِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ للمجتمعِ العراقي، أم أنّها ما زالت أسيرةَ الصُورِ النمطيةِ التقليديةِ للبُنى الاجتماعية؟
2. هل أثَّرَ واقعُ التحوّلاتِ المجتمعيةِ والانفتاحُ الثقافيُ الذي تعيشُهُ المجتمعاتُ في عَلاقاتِها، على استبعادِ بعضِ الأمثالِ الشعبيةِ التي لا تتواءَمُ مع القيمِ الحقوقيةِ والإنسانيةِ العالميةِ الراهنة؟

سنتوقَّف إذاً، عندَ حدودِ الخطابِ الشعبيِ المتعلّقِ بالفضاءِ الثقافيِ الحاكمِ للعَلاقاتِ الاجتماعيةِ والإنسانيةِ وإجراءاتهِ الماديةِ والمعنوية، مستندين إلى قراءة تحليلية تطال القيم المتمثّلة فيها.

ثالثاً: منهجيةُ البحثِ وأدواتُهُ والتِقْنِيّاتُ المتَّبَعَة

ينتمي هذا البحثُ إلى ميدانِ الأنثروبولوجيا الثقافية التي "تُركِّزُ بشكلٍ أساسيٍ على التفاعلاتِ بين الناس، وعلى تأثيرِ القيمِ والمعاييرِ الثقافيةِ على هذا التفاعلِ" (Kadt, 2014, p. 12)، منطلقينَ من "البحثِ الأنثروبولوجي الذي يُساهِمُ في فهمٍ أفضلَ لتفسيراتِ الظواهرِ البشرية" (Wulf, 2017, p. 22).

لذلكَ تزدادُ الأهميةُ في البحثِ في مضامينِ الأمثالِ "كونَها تُعطي هيبةً للمتحدّثِ في الثقافةِ الشفهية، وتتبيّنُ من خلالِ الموقعِ الذي يُضفيه الناسُ لمن يمتلكونَ القدرةَ على حِفظِ العديدِ من الأمثال، وممَّن يَعرِفونَ كيفيةَ استخدامِها في الوقتِ المناسب (Belfatmi, 2013, pp. 10-13).

في سياقٍ متصلٍ، كان دي سوسير[67] أولَ من "جعلَ اللسانياتِ جزءاً من علمِ السيميولوجيا، معتبراً الألسنيةَ عندهُ جزءاً من علمِ العلامات" (بركات، 2002، صفحة 59) مؤكّداً على البعدِ الاجتماعي للأدلة؛

[67] **فرديناند دي سوسير** Ferdinand de Saussure، عالم لغوي سويسري شهير، يعتبر بمثابة الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات، فيما عدّه كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث. وهو من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث حيث اتجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، كان أول من أعتبر اللسانيات كفرع من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية،

إذ إنَّ "الدلائلَ تُعبّرُ عن أفكارٍ" (الأحمر، 2010، صفحة 46) وأيِ شيءٍ يمكنُ أن يكونَ رمزاً . مثلَ صورةٍ أو فكرة . شرطَ "أن تحملِ رسالةً ما ضمنَ ثقافةٍ معيَّنَة، ولا يمكنُ أن يكونَ هناكَ دالٌ بلا معنى، أو مدلولٌ بلا شكل" (الشيباني، 2008، صفحة 72)، وهذا مرتكَزُ عملِنا في هذا البحثِ المتمحورِ حولَ تحليلِ الرسائلِ المبتغاةِ من خلالِ الأمثلةِ المنتقاة.

لقد ارتكَزَ عَمَلُنا إذاً في هذا الإطارِ على تِقْنِيّاتٍ متعدّدةٍ، منها:

1. جمعُ الأمثالِ الشعبيةِ العراقية، من خلالِ البحوثِ والدراساتِ المعنية، كما من خلالِ المخزونِ الاجتماعي المتوافر[68].
2. إجراءُ مقابلاتٍ شِبهِ موجَّهَة Semi – directif مع متخصّصينَ من الرواةِ كما الأهالي من أبناءِ المجتمعاتِ المحلّيةِ من غيرِ ذوي الاختصاص، خدمةً لأهدافِ البحث.
3. اعتمادُ تِقْنيَّةِ التسجيلِ الصوتي لجمعِ وتفسيرِ الأمثالِ الشعبيةِ العراقية[69].

تقنيةُ تحليلِ المضمونِ بصفتِها "أحدَ أساليبِ البحثِ العلميِ التي تهدِفُ إلى الوصفِ الموضوعيِ المنظَّمِ والكمّيِ للمحتوى الظاهرِ لمضمونِ الاتصال" (Berelson, 1952, p. 18) ـ كما عَرَّفَها برنارد بيرلسون Bernard Berelson ـ وأضافَ أولي هولستي Ole Holsti بأنَّها "وسيلةٌ للقيامِ باستنتاجاتٍ عن طريقِ التحديدِ المنظَّمِ والموضوعي لِسِماتٍ معيّنةٍ في الوسائلِ الاتصالية" (Holsti, 1969, p. 12).

بما أنَّ هذا البحثَ يقومُ على دراسةِ الأمثالِ الشعبيةِ العراقية، كما يتناولُ إجراءَ مقابلاتٍ شخصية، إضافةً إلى تصنيفِ الأمثالِ كمرتكزٍ لتحديدِ العينةِ وتحليلِ مضامينِها، وهوَ ما سنتناولُهُ لاحقاً في البحث؛ ارتكزَ عملُنا على الاستفادةِ من جميعِ المعطياتِ التي استقيناها محاولينَ بناءَ صورةٍ شموليةٍ لما يَحدُث.

لتحقيقِ غايتِنا، اعتمدنا الدراسة الكمّيةِ والنوعيةِ معاً، وهما منهجانِ رئيسانِ من مناهجِ البحثِ في علمِ الاجتماع. وتَستخدِمُ "المناهجَ الكميةَ في إنتاجِ بياناتٍ عدديةٍ أو إحصائية؛ أي يرتبطُ مفهومُ هذا المنهجِ بالكمِ أو الوصفِ ومدى قابليةِ الظواهرِ محلَ الدراسةِ للقياس، معتمداً على اختيارِ الأسلوبِ الإحصائيِ المناسِبِ لوصفِ المتغيّراتِ محلِ الدراسة، بينَما ترتبطُ المناهجُ النوعيةُ بصفةٍ أساسيةٍ في عمليةِ إنتاجِ بياناتٍ حولَ الخِبراتِ والمعاني الشخصيةِ للفاعلينَ الاجتماعيين. أمّا المنهجُ النوعيُ عموماً فيقَعُ في إطارِ المنهجِ

أقترح دي سوسير تسميته semiology، ويعرف حاليا بالسيميوتيك أو علم الإشارات. كان دي سوسير مساهما كبيراً في تطوير العديد من نواحي اللسانيات في القرن العشرين.

[68] للمزيد من المعطيات أنظر الصفحة رقم 15.

[69] للمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة، أنظر الصفحة رقم 15.

التحليلي؛ كما يحتوي على أنماطٍ مختلفةٍ من البحوثِ في علمِ الاجتماع، منها دراسةُ الحالة، والبحوثُ الاثنوغرافية، وبحوثُ الملاحظةِ بالمشاركة" (علام، 2013، صفحة 27).

جاءَ استخدامُنا الكمَ كوسيلةٍ أساسية، وكمرتكزٍ إحصائيٍ يُساعِدُنا على القراءةِ للتعمُّقِ في البحثِ النوعيِ، ضَرورياً لتحديدِ العيّنةِ، كما ساعَدَنا على تصنيفِ الأمثال، بهدَفِ لَحظِ تَكراراتِ مضامينِها كما خصوصياتِ تَناوُلِها؛ دفعتنا هذه الضروراتُ إلى استخدامِ تِقْنِيَّاتٍ برمجيةٍ في قاعدةِ البياناتِ "اكسل Excel"[70].

بعدَ هذهِ المقدّمةِ، سأعملُ على تعريفِ المَثلِ الشعبيِ، والطرحِ المنهجيِ الذي سأسلُكُه في هذا البحث.

رابعاً: الأمثال الشعبية

الأمثالُ "شكلٌ من أشكالِ اللغةِ التي ترتبطُ مباشرةً مع الجوانبِ الثقافيةِ في المجتمع، وهي تَنُصُّ على حقيقةٍ أو نصيحةٍ عامة؛ لذلكَ يلعبُ المثلُ دوراً هاماً في النظامِ الثقافيِ والتواصلِ الاجتماعي للمجتمعات (J A H KHATRI & LUCINDA LAISHRAM, 2013, p. 4).

قديماً قالتِ العربُ "المثلُ في الكلامِ كالملحِ في الطعام"، وبالتالي اعتبروا ألاّ غنى لنا عن استخدامِها، فنحنُ نتوارثُها من دونِ استئذانٍ منّا، كما نبني من خلالِها صورةَ الآخرِ في أذهانِنا.

كلُّنا يعلمُ أنَّ المجتمعَ يُحدِّدُ القوالبَ التي تُبنى عليها العَلاقاتُ الاجتماعية، وهوَ نفسُهُ الذي يستقي قواعدَ القوالبِ التي يَصنعُها لأفرادِهِ من التاريخِ والتراثِ الذي يضمُ الامثالَ الشعبيةَ. ونظراً لِإتساعِ التراثِ الشعبيِ غيرِ الماديّ، فإنّهُ يمكنُ للأفرادِ والجماعاتِ كما نعلم، أن يكونوا منتجينَ وحاملينَ لهذا التراثِ في آنٍ واحد، وتَعتبرُ الأمثالُ الشعبيةُ عنصراً حيوياً من عناصرِ الموروثِ اللامادّيّ "الذي تتناقلُهُ الأجيالُ جيلاً بعدَ جيل. ودائماً ما تُعيدُ إنتاجَهُ الجماعاتُ والمجموعاتُ استجابةً لبيئَتِها، وتفاعلِها مع الطبيعةِ ومعَ تاريخِها، ويُزودُّها بإحساسٍ بالهُويةِ والاستمرارية" (باربارا تروغلر، إيكاترينا سدياكينا – ريفيي، 2013، صفحة 27).

يَعتبِرُ بعضُهُم الأمثالَ الشعبيةَ مرآةً لطبيعةِ الناسِ ومعتقداتِهِم، من منطلقِ توالُفِها وتغلغُلِها في مُعظمِ جوانبِ الحياةِ اليومية، ما يُسهِمُ بتشكيلِ أنماطِ اتجاهاتِ وقيمِ المجتمع.

---

[70] برنامج خاص بالحسابات وتسهيل عمل الجداول من مايكروسوفت Microsoft ، يتيح البرنامج للمستخدمين تنظيم البيانات واحتسابها باستخدام نظام جداول بيانات مقسم حسب الصفوف والأعمدة، تسمح هذه الجداول بإنشاء الرسوم البيانية استنادا إلى البيانات، وإجراء العمليات الحسابية المعقدة. للمزيد من التفاصيل أنظر http://www.businessdictionary.com/definition/Microsoft-Excel.html ، جرت زيارة الموقع بتاريخ 25 آب ـ أغسطس 2017.

ليس أدلَ في هذا المَعرِض من قولِ الشاعرِ أبو تمّام "ما أنت إلا مثلٌ سائرٌ يعرفُهُ الجاهلُ والخابِرُ" (العمري، أمثال تربينا ـ تأملات تربوية في الأمثال الشعبية، 2013، صفحة 8) لتِبيانِ وقعِ الأمثالِ وتأثيرِها.

في هذا الإطارِ، تُعَدُّ الأمثالُ الشعبيةُ من الأعرافِ التي تتحكَّمُ بالمجتمع. "فمكانتُها حيّةٌ وقويّةٌ في القلوبِ والنفوس، يَسيرُ عليها ويوافِقُها الناس، فيأخذونَ بما تمليهِ عليهم، ويتصرفونَ بوحيٍ منها، ويتعاملونَ كما تخطِّطُ لهم. وتقاومُ من ناحيةٍ أخرى من يحاولُ التفرُّدَ في التصرُّفِ أو الخروجِ عما رسَمَهُ المجتمعُ من قِيَمٍ ومفاهيمَ مُتَّبعة" (قديح، الأمثال العربية ـ دراستها ومصادرها، 1987، صفحة 29).

نحن نتناولُ إذاً، أحدَ المكابحِ الثقافيةِ المتمحورةِ حولَ أمرٍ في غايةِ الأهميةِ يتعلّقُ بالمساهمةِ في تشكيلِ هُويةِ شعب. فالعَلاقةُ بينَ الثقافةِ والهُويةِ عَلاقةٌ وطيدةٌ ومتغيرةٌ مع الزمن. من أجلِ هذا فإنَّ "الأبحاثَ التي تتناولُ هذا الموضوعَ هيَ في تطوّرٍ مستمر، ونحنُ بحاجةٍ إلى دراساتٍ دائمةٍ حولَ الثقافة، وحولَ تأثيراتِها على الهُوِيَّة" (Charaudeau, 2016, p. 28).

إنَّ هذا التشكيلَ الهُوِياتي يتِمُ من خلالِ أمثالٍ شعبيةٍ تتوجَّهُ إلى شعبٍ بأكملِهِ، بمختلِفِ شرائِحِهِ وطبقاتِهِ، ونحنُ نعرفُ أنَّ ثمةَ ترابطاً وثيقاً بينَ رأسِ المالِ الثقافي الموروثِ والمكتَسَب؛ ومنَ المهمِ أن نتذكَّرَ هنا ما قالهُ بورديو "إنَّ رأسَ المالِ الثقافي يُعبّرُ عن القُدُراتِ والمهاراتِ العقليةِ والجسديةِ وكلِ أشكالِ المعرفةِ والخِبراتِ التي يتحصَّلُ عليها الفرد، إمّا نتيجةً لعائلةٍ، أو جماعةٍ معيّنةٍ من خلالِ تَمتينِها وتطويرِها" (افراح محمد، سعد حميد، 2014، صفحة 430).

خامساً: الهوية

قبلَ الدخولِ في موضوعِ الأمثالِ الشعبيةِ العراقيةِ ومضامينِها، من المهمِ تناولُ تشكُّلِ الهُويةِ وخصائِصِها.

لاحظَ عالِمُ الاجتماع عبد الكبير خطيبي[71]"أنَّ الهُوِيَةَ العربيةَ تتشكّلُ من خلالِ تاريخِ العربِ وذاكرتِهِم، وترتبطُ بالأماكنِ التي عاشوا وماتوا فيها. كما يُعادُ تشكيلَ هذهِ الهويةِ الأساسيةِ المتجذِّرةِ في الأرضِ والحضارة، في الأفرادِ وفي الذاكرةِ الجَماعية، لِتستمرَّ من قرنٍ إلى آخر" (Barakat, 1993, p. 13).

نُضيفُ إلى ما سبق، أنَّ "الهُوِياتِ الثقافيةِ للشعوبِ تتحدّدُ وَفقَ ثَلاثةِ مستويات: الهُويةُ الفردية، والهويةُ الجمعوية، والهُويةُ الوطنية؛ معَ إدراكِنا أَنَّ العَلاقةَ بينَ هذهِ المستوياتِ ليست ثابتة، بل هيَ في مدٍّ وجزرٍ دائِمَين، بحيثُ يتغيرُ مدى كلٍ منهُما، اتساعاً وضيقاً حَسَبَ الظروفِ وأنواعِ الصراعِ واللاصراع،

[71] روائي مغربي وعالم اجتماع، وأخصائي بالأدب المغاربي، ولد في العام 1938 وتوفي في العام 2009.

والتضامنِ واللاتضامنِ التي تُحرِكُها المصالحُ الفرديةُ والجمعويةُ والوطنيةُ أو تلكَ العابرةُ للحدود" (نصار، 2015، صفحة 3).

بعبارةٍ أخرى، تتأرجحُ العَلاقةُ بينَ هذهِ المستوياتِ الثلاثِ على أساسِ نوعِ "الآخر"، بِحَسَبِ موقعهِ وطموحاتِه. فإن كانَ داخلياً، ويقعُ في دائرةِ الجماعة، فالهُويةُ الفرديةُ هيَ التي تفرِضُ نَفسَها كـ "أنا". وإن كانَ يقعُ في دائرةِ الأمةِ فالهُويةُ الجَمعويةُ ـ القبليةُ، الطائفيةُ، الحزبيةُ ... ــ هيَ التي تَحُلُّ مَحَلَّ "الأنا" الفردي. أمّا إن كان "الآخرُ" خارجياً، أي يقعُ خارجَ الدولةِ والوطن، فإنَ الهُويةَ الوطنيةَ هي التي تملأُ مجالَ "الأنا" (الجابري، 2015، صفحة 200).

في هذا الإطارِ يتمحورُ بحثُنا حولَ الهُويةِ الجمعويةِ من خلالِ تناوُلِنا للبِنيةِ الدلاليةِ والرّمزيةِ للأمثالِ الشعبيةِ العراقية، وسنعمَلُ على تحليلِها، لتِبيانِ كيفيةِ تمظهُرِها في العَلاقةِ معَ الآخر، أياً يكن هذا الآخرُ من منطلقِ النظرةِ إليهِ في أوضاعهِ الاجتماعيةِ المختلِفَة.

أ. خصوصيةُ الهويةِ وَفقَ الآيتوس

في تفسيرِ الآيتوس يقولُ أرسطو إنَّهُ "الصورةُ التي يقدّمُها الشخصُ عبرَ خِطابِه. و"الآيتوس" مصطلحٌ إغريقيُ الأصل، مصدرهُ كلمةُ ἦθος التي تَعني "روحَ الشعب" أي "العاداتِ والتصرفات"، وقد استُخدِمَ هذا المصطلحَ سوسيولوجياً وأنثروبولوجياً للدلالةِ على مجموعةِ الخصائصِ المشترِكةِ والمرتبطةِ بالقيمِ والقواعدِ والآدابِ التي تَحكُمُ العَلاقاتِ الشخصية، والعاداتِ اللُغويةِ لجماعةٍ اجتماعيةٍ ضِمنَ مجتمعٍ معين، وللدلالةِ أيضاً على الشكلِ الاجتماعي للفرد (ملابِسه، تصرفاتِه، قِيَمِه، طريقةِ حركاتهِ الجسدية، طريقةِ تكلُمِّهِ...) المرتبطةِ بخصوصيةِ عَلاقاتهِ الطبقيةِ الدالةِ على انتماءاتِهِ الأنثروبولوجية" (كيال، الشخصيات الهزلية العابرة للزمان والمكان في الأدب الشعبي . حالة جحا، 2016، صفحة 4 ـ 5).

هذا يدلُ على أنَّ الهُويةَ القادمةَ من آيتوسٍ معيّن ومن تركيبةٍ معيّنةٍ تحمِلُ السماتِ الثقافيةَ المتوارَثَةَ من البيئةِ الاجتماعيةِ بالإضافةِ إلى خصوصيةِ المكانِ والزمانِ الذي توجَدُ فيه.

تتشكّلُ الهُويةُ إذاً، من مجموعةٍ من السِماتِ التي تتكوّنُ في "خِضَمِّ عَلاقاتٍ اجتماعيةٍ وثقافيةٍ متداخلة، وترتَسِمُ في أشكالٍ متعدّدةٍ وتتنوَّعُ بتنوّعِ النشاطِ السياسيِ والثقافيِ والفِكري" (احمد بعلبكي وآخرون، 2013، صفحة 9).

نحنُ نعلمُ أنَ الثقافةَ والهُوِيَةَ أمرانِ متلازمان، فلا يمكنُ الفصلُ بينَهُما، وكلُ شعبٍ لهُ ثقافةٌ خاصةٌ بهِ تكونُ بمثابةِ عنوانٍ لهُويتِه. وتختلفُ طرقُ تشكيلِ الهُويةِ الاجتماعيةِ "باختلافِ الثقافاتِ، وتتأثَّرُ بطبيعةِ المجتمعِ الذي تنشأُ فيه" (ذياب البداينة، عطا الله فشار، 2015، صفحة 282).

ب. الهُويَةُ الثقافية

نحن نعرف أنَّ الحديثَ عن الثقافةِ أو التنوُّعِ الثقافي لا ينفصلُ بالضرورةِ عن الحديثِ عن الهُوية؛ فالهويةُ في جوهرِها "مجموعةٌ من المعطياتِ الثقافيةِ التاريخيةِ واللغويةِ والتراثية، ولعلَ السببَ المباشِرَ في تصدُّرِ سؤالِ التأملِ الذاتي الخاصّ بالهُويةِ بكلِ بلدٍ هوَ ذلكَ الاتصالُ الثقافيُ معَ الآخر. من المُسَلَّمِ بهِ أنَ الثقافةَ عنصرٌ حاسمٌ في بناءِ هُويةِ الفرد، ومعَ ذلكَ، في بيئاتِ اليومِ المتعدِّدَةِ الثقافاتِ بشكلٍ متزايد، لم يَعُد تأثيرُ الثقافةِ مباشِراً، ما يدفعُنا الى استكشافِ وضوحِ الهُويةِ الثقافية (Usborne, Esther, 2016).

بهذا تَظهَرُ "في الهويةِ الثقافيةِ جدليةُ الذاتِ والآخر، ومن خلالِها تُعيدُ كلُ جماعةٍ بشريةٍ تأويلَ ثَقافتِها من خلالِ اتصالاتِها الثقافيةِ ـ الثقافية. كما أنّها ليست معطىً جاهزاً ونهائياً، بل تتطوّرُ باتجاهِ الانكماشِ أو باتجاهِ الانتشارِ، وتغتني بتجارِبِ أهلِها، وانتصاراتِهِم، وتطلعاتِهِم، وأيضاً باحتكاكِها سلباً وإيجاباً معَ الهُوياتِ الثقافيةِ الأخرى" (الجابري، 2015، صفحة 215).

في هذا الإطارِ، تنفردُ الشخصيةُ العربيةُ بمجموعةٍ من السماتِ والخصائصِ التي تجعلُها متميزةً عن غيرِها من الهوياتِ الثقافيةِ الأخرى، وتتمثَّلُ تلكَ الخصائصُ باللغةِ، والدينِ، والتاريخِ، والتراثِ والعاداتِ والتقاليدِ والأعرافِ وغيرِها من المكوناتِ الثقافيةِ المختلِفة.

في سياق متصل، تُعرَّفُ الهُويةُ الثقافيةُ بحَسَبِ المنظمةِ العربيةِ للتربيةِ والثقافةِ والعلومِ "اليونيسكو" بأنَّها "تَشتَمِلُ على جميعِ السماتِ المميَزةِ للأمةِ من ماديةٍ وروحيةٍ وفكريةٍ وفنيةٍ ووِجدانيةٍ، وتشمَلُ جميعَ المعارفِ والقِيمِ والالتزاماتِ الأخلاقيةِ المستقرةِ فيها، وطرائقِ التفكيرِ والإبداعِ الجماليِ والفنيِ والمعرفيِ والتِقْنيِ، وسبلِ السلوكِ والتصرفِ والتعبيرِ، وطرازِ الحياةِ، كما وتشمَلُ تطلعاتِ الإنسانِ الى المثلِ العليا ومحاولاتِهِ في إعادةِ النظرِ الى منجزاتِهِ، والبحثِ الدائمِ عن مدلولاتٍ جديدةٍ لحياتهِ وقيمهِ ومستقبلِه" (صالح، 2011، صفحة 17).

لن نَغوصَ كثيراً في قراءةِ الهُويةِ وأبعادِها، ما يَهُمُ هذهِ الورقةَ البحثيةَ هوَ تحليلُ المضامينِ للوصولِ إلى القيمِ الموجودةِ في الأمثالِ الشعبيةِ العراقيةِ التي تُحاكي بدلالاتِها ورموزِها في مُتَخيَّلِ الجماعةِ من خلالِ الرسائلِ التي تَحتويها.

سادساً: القيم

تحملُ الأمثالُ الشعبيةُ "أبعاداً تربويةً في مَضامينِها، ونحنُ نعلمُ أنَّ للتربيةِ دوراً كبيراً في بناءِ شخصيةِ الإنسانِ وتكوينِ فِكرِهِ وعقلهِ بما يتناسبُ معَ تطلعاتِ المستقبلِ على أسسٍ تربويةٍ مستمَدَةٍ من الماضي والتراث" (كشيك، 2014، صفحة 201).

الجديرُ بالذكر، أنَّ القيمَ "تعكِسُ الأسلوبَ الذي يَفكِرُ بهِ الأشخاصُ في ثقافةٍ معينةٍ وفي فترةٍ زمنيةٍ معينة، وتُوجِّهُ في الوقتِ ذاتهِ سلوكَ الأفرادِ وأحكامَهُم، وتُحدِّدُ اتجاهاتِهم فيما يتصلُ بما هوَ مرغوبٌ فيه أو مرغوبٌ عنه من أشكالِ السلوك، في ضوءِ ما يضعُهُ المجتمعُ من قواعدَ ومعايير، فتلعبُ دوراً أساسياً في تحقيقِ الذات، وتَشغَلُ مكانَةً مركزية في بناءِ شخصيةِ الفردِ ونسقِهِ المعرفي" (خليفة، 1992، صفحة 312).

تكمنُ أهميةُ القيمِ في كونِها "تدفعُنا إلى تفضيلِ أو تبنّي إيديولوجيةٍ سياسيةٍ أو دينيةٍ من دونِ أخرى" (سفيان، 2012، صفحة 93)؛ وفي هذا الإطارِ تدلُ الدراساتُ على أنَ الشخصيةَ الفرديةَ والجَماعيةَ للإنسانِ تُبنى من خلالِ "ثلاثةِ ميادين: التنشئةِ الاجتماعية، نقلِ الأفكار، والقيم" (patrick-charaudeau, 2006).

في الوقتِ عينِهِ، تُوصَّفُ القيمُ بأنّها ترسِمُ الملامـحَ الأساسيةَ لضميرِ المجتمعِ ووِجدانه، ومن هنا تكتسِبُ أهميتَها في التنشئةِ الاجتماعية، وتُعتبرُ الركيزةَ الأساسَ في تكوينِ شخصيةِ الأفرادِ وبنائِها "كونَها تعملُ على توجيهِ الخِياراتِ والآراء، كما أنَّها غيرُ قابلةٍ للملاحظةِ بشكلٍ مباشِر، وبذلكَ يَتِمُ التعبيرُ عنها من خلالِ السلوكياتِ اللفظيةِ وغيرِ اللفظية" (Rachik, 2016, p. 9).

إنّ تشكيلَ القِيمِ أو إكسابَها لا يأتي من فراغ؛ بل من "وسائطَ مختلفةٍ تَغرِسُها وتُشكِّلُها في الإنسانِ لتُطبَعَ في نفسهِ وعقلهِ ووجدانِه" (السعيد، 2013، صفحة 215)، و"لمعرفةِ أيِ مجتمعٍ وتحديدِ هُويتِهِ يتوجبُ علينا معرفةُ القيمِ التي يُسَوِّقُها" (Bourqia, 2010, p. 105).

بما أنَّ الهُويةَ لا تتكوَّنُ من عنصرٍ واحد، إنَّما من عناصرَ متعدّدة، لهذا نجدُ أنَّ فَهمَنا لهُويةِ شعبٍ ما لا بدَ من أن يرتكزَ على توجهاتِهِ القيمية.

في هذا السياق، يعمَدُ علماءُ الاجتماعِ إلى "تقسيمِ القِيَمِ إلى قسمينِ أساسيين وهما:

1. القيمُ الإيجابية، وتتجسّدُ في الصراحةِ والإيثارِ والتعاونِ والشَجاعةِ والثقةِ بالنفسِ وتَحمُّلِ المسؤوليةِ والصبرِ والصدقِ والإخلاصِ في العملِ والعدالةِ والديمقراطيةِ والمساواةِ والتمسّكِ بالمبادئِ والمعتَقَدات..

القيمُ السلبية، وتتجسّدُ بالأنانيةِ وحبِ الذاتِ والطائفيةِ والجبنِ والغدرِ والطبقيةِ والتمايزِ الاجتماعيِ والاتكاليةِ والتسرّعِ في اتخاذِ القرارِ والعنصريةِ والإقليميةِ والتحيّزِ والتعصّبِ وضيقِ الفكرِ والكَذِبِ والنفاقِ والغشِ والنميمةِ والتزويرِ وكراهيةِ الناسِ وجلبِ الضررِ إليهم" (سلوى، 2016، الصفحات 25-26).

أوضحَ الاختصاصي بريان هيل Brian Hall[72] في هذا الإطارِ "أنّ مؤشراتِ القيمِ هيَ الأشياءُ التي تدلُّنا على القيمِ الذاتيةِ الصحيحةِ للفرد، فالقيمُ ليست دائماً مكوَّنةً بطريقةٍ ثابتة، ومنها ما يختفي ويُخلَقُ مكانَه قيمٌ جديدة، وبالتالي فإنَّ وصفَ القيمِ عليه أن يأخَذُ بعينِ الاعتبارِ إمكانيةَ التغيُّر، لأنَّ القيمَ يمكنُ لها أن تتغيَّرَ" (Bourqia, 2010, p. 105) بِحَسَبِ عملياتِ فهمِها وتفسيرِها، فيتغيَّرُ بنتيجتِها تشكُّلُ المجتمعِ وفهمُهُ وتبريرُهُ لِقِيَمِه.

معَ الإشارةِ إلى أنَّنا نجدُ في كلِ مجتمعٍ قيماً لا حصرَ لها، كما "يُمكنُ تصنيفُ القيمةِ الواحدةِ تحتَ أكثرَ من نوعٍ من أنواعِ القِيَم" (محمد الزيود وآخرون، 2007، صفحة 12)، وما تَصنيفُها سوى لتسهيلِ عمليةِ القراءةِ والتحليل.

لبلوغِ هدفِنا، لا بدَّ من تظهيرِ المنظومةِ القيميةِ التي تَضمَّنَتها الأمثالُ الشعبيةُ العراقيةُ موضوعُ البحث.

سابعاً: وظيفة الأمثال وأهمية فهم بعدها الثقافي

يستبطنُ كلّ مثلٍ قِصَّةً أو حكايةً أو حادثةً تداوَلَتها الأجيال، فهوَ خُلاصةُ تَجرِبةٍ أو تجاربَ على مرِ الزمن. ولكلٍ مَثلٍ يُتداوَلُ معنىً يُستخلَصُ من طرحِهِ، ويُحاكي برموزِهِ ودلالاتِهِ "عقليةَ شعب، وطريقةَ معيشتِه، ومراتبَ تفكيره، حتى وُصِفَت الأمثالُ، بصوتِ الشعب" (العمري، أمثل تربينا ـ تأملات تربوية في الأمثال الشعبية، 2013، صفحة 8).

للوصولِ إلى هذا البُعدِ التحليلي في فهمِ الأمثالِ الشعبيةِ التي تطالُ المجتمعَ العراقيَ بتنوُّعِهِ وعَلاقاتِهِ الاجتماعية، لا بدَّ من شرحِ معنى التمثيلِ الاجتماعي والتصوراتِ الجَماعيةِ لفهمِ التدخّلاتِ الثقافية، كما التأثيراتِ التي تُعيدُ إنتاجَ تصوّراتِ المجتمعِ للجماعةِ الاجتماعيةِ تُجاهَ شرائِحِها المتعدِّدَة.

أ. التمثيلات الاجتماعية

بُنيت نظريةُ التمثيلِ الاجتماعي على مجموعةٍ غنيةٍ من الافتراضاتِ المسبَقَة، وتتناولُ قضايا متعدِّدَةِ التخصُّصاتِ معَ درجةٍ عاليةٍ من التعقيد. وفي تفسيرِها يقولُ فريتز هايدر[73] إنّ "الطريقةَ التي تختارُ بها الذاتُ الموقفَ، يَتِمُ تحديدُها جزئياً من خلالِ الخِبراتِ الاجتماعية، وتأتي هذهِ القراءاتُ عن طريقِ النوايا

[72] أستاذ اختصاصي في القيم، محاضر في جامعة سانتا . كلارا في كاليفورنيا.

[73] Fritz Heider، نمساوي ـ أميركي، ولد عام 1896 وتوفي في العام 1988، يعتبر واحدًا من أبرز علماء علم النفس الاجتماعي، له مؤلفات عدّة منها كتاب "سيكولوجية العلاقات الشخصية" هو تحفة نظرية وضعت الأسس لكثير من علم النفس الاجتماعي المعاصر.

والتوقعاتِ والفَهمِ المتحقّقِ للأوضاع.... وعندَما نُطبِقُ هذا المنظورَ النظريَ لنظريةِ التمثيلِ الاجتماعي هنا تأتي العَلاقاتُ أولا؛ وبذلكَ يمكنُ للأفرادِ التعبيرُ عن أفكارِهم من خلالِ طرقٍ متعدّدةٍ باستخدامِ كلماتٍ محدّدة، كما من خلالِ الإيماءاتِ والرموز" (Markova, 2017, pp. 358-386).

في واقعِ الأمر، "ليستِ التمثيلاتُ الاجتماعيةُ إلا المعرفةَ التي تلعبُ دورًا في الحِفاظِ على العَلاقاتِ الاجتماعيةِ المسؤولةِ في الأصلِ عن تشكُلِ التصوراتِ الذِهنية" (كيال، العمر الثالث ـ التحولات، الحقوق والسياسات، مؤتمر وطني، 2015، صفحة 71)، وفي هذا الإطارِ أعربَ "هايدر" عن اعتقادهِ بأنَّ الناسَ يَستخدِمونَ تصوراتِهِم عن الآخرينَ لشرحِ لماذا يتصرفونَ بالطريقةِ التي يفعَلونها، وبالتالي فإنَّ عمليةَ المعرفةِ تنطوي على الاستيعابِ الداخليِ لِفَهمِ السماتِ والسلوك، وإدراكِ العَلاقةِ بينَ الأشياءِ والبيئةِ التي ينتمونَ إليها، ومِن ثَمَّ تأتي إعادةُ تنظيمِ المعرفةِ السابقةِ وبناءُ معرفةٍ جديدةٍ تمكّنُهُم من التعاملِ مع بيئتِهِمُ الاجتماعية" (Markova, 2017, p. 370).

يُمكِنُنا القولُ بأنَّ "العَلاقاتِ الاجتماعيةَ تُشكِّلُ بطريقةٍ مباشِرةٍ أو غيرِ مباشِرَةٍ، المعرفةَ عن الأشخاصِ، والأشياءِ والأفكارِ المحيطةِ بجماعةٍ اجتماعيةٍ معينة، وبكلِ فردٍ من هذهِ الجماعة. وهي التي تُسهِمُ، في الوقتِ عينِه بتغييرٍ أو تعديلِ هذهِ المعرفةِ، ومِن خِلالِها، التصورَ الذهنيَ عنها. إنَ هذا التوصيفَ المفاهيميَ للتمثيلِ الاجتماعيِ يُفسِر الدورَ الهامَّ الذي يلعبُهُ في توجيهِ وفي تحديدِ القِيَمِ الاجتماعية" (كيال، العمر الثالث ـ التحولات، الحقوق والسياسات، مؤتمر وطني، 2015، صفحة 71).

نُضيفُ إلى ما سبقَ في تحديدِ مفهومِ التمثيلِ الاجتماعي، أن هذا الاخيرَ "يُصبِحُ في ذهنِ كلِ فردٍ وفي تصورِ كلِ جماعةٍ اجتماعية، أكثرَ واقعيةً من الحقيقةِ التي يمثِلُها، وهذا الأمرُ هوَ الذي يؤدي إلى تداخلِ التمثيلِ الاجتماعيِ بالقوالبِ النمطية les stéréotypes.

وفي تعريفِ القوالبِ النمطيةِ les stéréotypes نقولُ باختصارٍ أنَها غالبًا ما تتكونُ بشكلِ تصوراتٍ مرافقةٍ لتحيزٍ سَلبيٍ أو إيجابيٍ تُجاهَ كلِ عضوٍ من أعضاءِ الفئةِ أو المجموعةِ الاجتماعيةِ التي يَتِمُّ تمثُلُها ذهنيًا. إنَ هذهِ القوالبَ الذهنيةَ من الصعبِ تغييرُها، وهي غالبًا ما تَسعى إلى تبسيطِ الصورةِ الذهنيةِ عن مجموعةٍ اجتماعيةٍ مَهما كَبُرَ أو صغُرَ حجمُها" (كيال، العمر الثالث ـ التحولات، الحقوق والسياسات، مؤتمر وطني، 2015، صفحة 72).

ب. الأمثالُ ومسؤوليتُها عن إعادةِ إنتاجِ القوالبِ النمطيةِ في المجتمع

لقد "سادَ الاعتقادُ في الأوساطِ المجتمعيةِ أنَّ الأمثال الشعبية تُمثِلُ ثمرةَ الحكمةِ لعُقلائِهِم ووُجَهائِهِم" (سليم، 2011، صفحة 79).

في ظلِ التحوّلاتِ التي تعيشُها المجتمعاتُ كافةً، نجدُ أنفُسَنا أمامَ منتَجٍ ثقافيٍ يُحاكي الدلالاتِ والرموزِ الثقافيةِ للمجتمعِ الذي يَتناقَلُهُ، وهوَ لا زالَ يَترُكُ آثارَهُ في المجتمعاتِ العربيةِ عموماً، وبالتالي لا زالَ يُشكِّلُ قناةً من قنواتِ إعادةِ إنتاجِ القوالبِ النمطيةِ للمجتمعِ في ميادينهِ المختَلِفَة؛ إذ لا زالَ يُنظَرُ إليهِ بوصفهِ "تركيباً ثابتاً، شائعاً موجزاً، يُستخدَمُ مَجازياً، صائبَ المعنى، ويَعتمِدُ كثيرا على التشبيه" (الحمزاوي، 2014، صفحة 10)

فكيفَ تجلّتِ الوظيفةُ التثقيفيةُ التداوليةُ التي أرسَتها الأمثالُ الشعبيةُ العِراقيةُ في المكوَّنِ المَعرفيّ الاجتماعيٍ والثقافيٍ داخلَ المجتمعاتِ العراقية.

ثامناً: الأمثالُ الشعبيةُ العراقيةُ ـ نظرة تحليلية

نحاولُ من خلالِ هذا البحثِ الذي يتناولُ بناءً ايديولوجياً ناظماً لسلوكِ الفرد، أن ندخُلَ إلى أعماقِ المجتمعاتِ العراقيةِ لنتعرَّفَ على عاداتِها وتقاليدِها، وأخلاقياتِها وتطلعاتِها، ورغباتِها ونظرتِها الى الحياة.

ومن هنا تبرُزُ أهميةُ هذا البحث، كونَهُ سيعكِسُ القيمَ كما التوافقاتِ والتناقضاتِ التي تضمَّنَتها الأمثالُ الشعبيةُ العراقيةُ حِيالَ العديدِ من قضاياهُمُ الحَياتية.

بما أنَّ المثلَ الشعبيَ في العراق، شأنُهُ شأنُ الأمثالِ الشعبيةِ عموماً، يُشَخِصُ حالَ المجتمعِ ومشاكِلَهُ الاجتماعيةَ، والاقتصاديةَ، والسياسيةَ والحياتية، بما فيها من عَلاقاتٍ وسلوكياتٍ تُحدِّدُ لكلِ فردٍ من أفرادِهِ، أو جماعةٍ من جماعاتهِ مساوئَ ومحاسنَ كلٍ منَ: الغِنى والفقر، الطمعِ والتبذير، القناعةِ والتدبير، التأييدِ والنقد، الحبِ والكراهية، التشجيعِ والتثبيط، التسلُّطِ والخنوع، الاقدامِ والانتكاس، الحظِ والعمل، الحَسَد، البَطالةِ والكسل، البيعِ والشراء، الزواجِ والأسرة، الأصدقاءِ والجيران، المرأةِ وحدودِ النظرةِ تُجاهَها، وأخيراً أساليبِ الحياةِ المختلِفَة؛ وجميعُها ميادينُ تتناولُها وتتطرَّقُ إليها الأمثالُ الشعبيةُ في غيرِ اتجاه. يستحضرني هنا المثل العراقي "ابو المثل ما خله شي ما گاله"[74].

في هذا الإطار، تَزدادُ الحاجةُ إلى معرفةِ الحدودِ التي يَقَعُ عندَها الآخر، وخصوصاً في بلدٍ متنوّعِ الأعراقِ والأديانِ والتوجُّهاتِ كالعِراق؛ إذ إنَّ المِساحةَ التي نَعتقِدُ أنَنا نَمتلِكُها، تُصبحُ وفي ظلِ ظروفٍ معينةٍ، مُخترَقَةً من قبلِ المفاهيمِ والسلوكياتِ والتطلعاتِ والعَلاقاتِ التي تَربِطُ الأفرادَ بعضَهُم بِبَعض.

[74] أي من ضرب الأمثال تناول كل شيء يصادفنا في حياتنا، بما معناه أنّ "الأمثال لم تترك شيئاً إلاّ وتناولته".

لِفَهمِ هذا الواقعِ، لا بدَّ من التركيزِ على دلالاتِ ورموزِ الأمثال، من خلالِ الخطابِ الذي يُقدِّمُهُ، وكلاهُما مصدرٌ من مصادرِ القوالبِ النمطية، والتعابيرِ المتداوَلَة مجتمعياً برسالةٍ ثقافيةٍ جليّةٍ وواضحة.

لذلك عَمَدنا إلى تحديدِ مجموعةٍ مختارةٍ من الأمثالِ الشعبيةِ المتداوَلَةِ في العِراقِ، متعمدينَ تَبويبَها ضمنَ فضاءاتٍ مَعرفيةٍ متعدّدةٍ بحَسَبِ مضامينِها ومعانيها وطُرُقِ وميادينِ استخدامِها، ومن ثَمَّ اختبرناها، لتحديدِ منسوبِ استخدامِها، من خلالِ بحثٍ ميدانيٍ وَفقَ عينةٍ قصديةٍ[75] طالت اختصاصيينَ ضمنَ ثلاثِ محافظاتٍ عراقية[76].

في هذا الإطار، عَمِلتُ على جمعِ المئاتِ من الأمثالِ التي استحضرناها من خلالِ عددٍ من الكتبِ والأبحاثِ كما الدراساتِ التي تَناولَتها وعمِلَت عليها، كما من بعضِ الموسوعاتِ والمجلاتِ العراقيةِ المعنيةِ بالتراثِ الشعبي العراقي[77]، وخاصّةً منها تلكَ التي بدت قريبةَ الصلةِ الدلاليةِ بالعَلاقةِ بينَ الفردِ والمجتمع، ونظرتِهِ إلى ركائزَ أساسيةٍ في حياتِه.

حَمَلَتِ الأمثالُ المختارةُ، الميادينَ التي ترتبطُ بالتعاملِ بينَ الناسِ بما فيها النظرةُ إلى المحيطِ بكلِ مكوّناتِهِ الاجتماعية، بالإضافةِ إلى النظرةِ إلى المرأةِ التي فَرَدَت لها مِساحةً خاصّةً للخصوصيةِ التي تحمِلُها دلالاتُ النظرةِ إلى هذا الحقل. وكان لاستخدامِ الحظِ في الحياةِ إطلالةٌ مع بعضِ الأمثالِ التي جرى جمعُها والغوصُ في دلالاتِها.

بعد هذهِ المرحلة، وبعد إنجاز عملية الاختبارِ لمئاتِ الأمثلةِ في البيئاتِ العراقيةِ ــ كما سبقتِ الإشارةُ إليها ــ فانتخبتُ منها مِئةً وسبعينَ مثلاً، حاكت الفكرةَ التي بُني عليها هذا البحث، كما راعت معرفتَها بالشارعِ العراقي بتنوّعاتِهِ وتعدُّدِه.

عمدتُ بعدَها إلى تصنيفِ الأمثال الشعبية العراقية موضوعُ بحثِنا هذا، تصنيفاً دلالياً من خلالِ التفسيرِ الذي حملتهُ، وتوزَّعَت على المحاورِ التالية:

- المرأة: 22 مثلاً.
- التعامل: 92 مثلاً.

---

[75] انتخبت على مدى عدّة بين أشهر حزيران/ يونيو وأيلول / سبتمبر 2018، مع أشخاص متخصصين، وعلى دراية ومعرفة بالأمثال المتداولة في محيطهم، وممّن يعملون في هذا المجال أو في مجالات الثقافة والإعلام، وشملت عيّنة الاختبار 8 أشخاص توزّعوا بين الإناث والذكور.

[76] بغداد، النجف، البصرة.

[77] موسوعة الأمثال الشعبية في البصرة، جمعها وشرحها عبد اللطيف الديشي، صادرة عن مطبعة دار التضامن في بغداد؛ وعشرات الأعداد من مجلة التراث الشعبي العراقية، وهي مجلة ثقافية شهرية تعنى بشؤون الفولكلور، وتصدر عن مطبعة المعارف في بغداد. وقد اعتمد جمعهم على استخدام تقنية كرة الثلج لتوسيع مجال البحث.

- الحظ:16 مثلاً.
- العمل:13 مثلاً.
- النقد: 10 أمثال.
- التثبيط:5 أمثال.
- الغنى: 5 أمثال.
- التوجيه: 4 أمثال.
- التجارة: 3 أمثال.

أ. المرأة في الأمثال الشعبية العراقية

ليست الأمثالُ الشعبيةُ التي تناولت أوضاعَ المرأةِ ونظرةَ المجتمعِ إليها بقليلة ـ كما سنبيّن لاحقاً ـ بحيث لحظتِ الاختيارَ الزوجيَ بما يَشتَمِلُ عليهِ نِطاقُ هذهِ العَلاقة، كما تضمَّنَت نماذجَ عديدةً من التصوّراتِ والاتجاهاتِ التي عَكَسَت وضعَ المرأةِ في المجتمع في ميادينَ متعدّدة.

اللافتُ أنَّ مُعظَمَ هذه الأمثالِ نَسَبَت الى المرأةِ الصفاتِ السلبية، كالرُّعونة "عكب ما فض العرس جتي الرعنه اتهلهل" وهوَ يُضرَب للسخريةِ مما يقعُ بعدَ فواتِ الأوان؛ وسوءِ تقديرِ الأمور. "الناس بالناس والگرعه تهلس بالراس" وتضمَّنَ تفسيرَهُ كتابُ الأمثالِ الشعبية بالقول " إنَ المُخبلةَ غيرُ عابئةٍ بما يحصُلُ وهيَ في عالمِها الخاص، كما يُضربُ عن اللامبالاةِ والانسلاخِ من المجتمع وما يدورُ فيه.

شبِّهَتِ المرأةُ في تصويرِ العَلاقةِ بين الكُنَةِ والحماةِ (وتسمى في العراق العمّة) أيضاً بتشبيهٍ سَلبي، إذ وُصِفَت بالمواربةِ، ووُصِمَت بالمعاملةِ السيئة، ومنَ الأمثالِ التي وَصَّفَت هذا الواقع "لو تصافت العمة والچَنَّه چان دخل ابليس الجَنة[78]"، و"نست مرة العم جانت جنه[79]" وفي وصف العلاقة بالمتشنّجة أيضاً بين العمّة (الحماة) والكنّة بصفة اللوم والتوجيه الدائمين من الأولى نجد" احاجيج يابنتي واسمعج ياجنتي"[80].

عندما ضُرِبَ المثلُ بينَ الكسلِ والتقاعسِ بالمقارنةِ مع الشطارة، كانتِ المقارنةُ بينَ امرأتينِ، واستُخدِمَت عباراتٌ تحقيريةٌ في وصفِ المرأةِ المتقاعسة "النادرة تغزل بعود والجايفة تكول الشج (الشيش) معووج[81]".

---

[78] ويقال ايضاً "لو العمة رضت (تحب) الچنه چان ابليس دخل الجنة".

[79] يضرب للتذكير، وأيضاً يُضرَبُ للخوفِ من التعاملِ السيّء.

[80] ايصالُ الرسالةِ بالمواربة عن طريقِ وعظِ الابنةِ من دونِ أن تقصِدَ ابنتها وإنَّما الكُنة، وينطبقُ المثل على أيِ شخصينِ عندما نتحدَّثُ مع أحدِهما ونقصِدُ الآخر.

[81] النادرةُ شاطرة وتغزِلُ لو بعودٍ ان لم تتوفَّر آلاتُ الحياكةِ العادية، اما الخائبةُ الكسولةُ فهي تختلق المعاذيرَ لتقاعُسِها.

حينَ قَدَّمَتِ الأمثالُ الشعبيةُ النصيحةَ للمرأةِ في اختيارِ الزوج، رسَمَت لها سُبُلَ هذا الاختيارِ المستَنِد على الصفاتِ الشخصية "من السكوتي طكي وموتي ومن الورواري خلي وفوتي[82]"، وكذلكَ الأمرُ بالنسبةِ للعمل[83]. وفي الوقتِ ذاتهِ وُضِعَتِ المسؤوليةُ كاملةً على الزوجةِ في حفظِ العَلاقةِ الزوجية من ناحيةِ استيعابِ الاختلافاتِ التي يُمكنُ أن تحصُل "لسان الطيب يطلع الحية من الزاغور[84]" فجاءَ التفسيرُ ليُنصِفَ المرأةَ في استخدامِها للحكمةِ في التعاملِ مع زوجها، ولكنَّهُ في الوقتِ ذاتهِ ألقى الحملَ "ترى بعضَ الزوجاتِ يستعملنَ هذا الاسلوبَ مع ازواجِهِمُ العنيدينَ والمتعصبينَ لأفكارٍ جافةٍ لا تتغيرُ الا بالمستحيل. هكذا بعضُ الاحيانِ تلينُ القلوبِ ويحصُلُ التفاهمُ والرِضا".

في موضوعِ التعاملِ الزوجيِ أيضاً، قُدِّمَت لنا صورةُ المرأةِ الطمّاعة، غيرِ الوفيةِ وغيرِ القانعةِ بحياتها "لا حِظَت برجيلها ولا خَذت سيد علي[85]"، بشكلٍ غيرِ مباشِرٍ نُشاهِدُ المرأةَ الغادرةَ التي تَضرِبُ بالقيمِ عُرضَ الحائط، كما نشهدُ المرأةَ البعيدةَ عن الحكمةِ وقراءةِ الأمورِ بواقعية.

أضِف إلى ذلكَ أنَ بعضَ تلكَ الأمثالِ اختزلت صورةَ المرأةِ الجميلة، والمعاييرَ الحاكمةَ لإخفاءِ أيِ عيوب، بامتلاكِها بشرةً بيضاء "البياض يغطي كل عيب"، أمّا النظرةُ الدونيةُ تُجاهَ المرأةِ فتَظهرُ جليةً عندَ اختيارِ الزوجِ لزوجةٍ له من خلالِ المثلِ القائل "صام ما صام وتاليها فطر على جِرِّيَّة[86]" والجِرِّيَّةُ هي السمكةُ غيرُ المرغوبة. ويستخدمُ هذا التعبيرُ في موقعِ الاستهزاءِ والتحقير.

لقد حَكَمَتِ الذاكرةُ الشعبيةُ على الفتاةِ اليتيمةِ بحياةٍ مليئةٍ بالحظِ القاتمِ والسيءِ "بوجه اليتيمه غاب الگمر"، وحَمَلَت أكثرَ من رسالةٍ بهذا الصدد، وفِي هذا المَجال يُتداولُ المَثلُ "على عين اليتيمه عزّل السوك"، وعن الهموم "يم حسين چنتي بوحده صرتي باثنين[87]"، وكان للتمييزِ بناءً على النوعِ الاجتماعي كما الطبقي نصيبُهُ في هذا الإطارِ كما جاءَ "بت الفگر لا تاخذوها تجيب الفگر من بيت ابوها" و"بت الفلاح ما ترتاح".

---

[82] للحذرِ عندَ اختيارِ شريكِ الحياة؛ وتُضرب كَي لا تَستهِن بأي شخص، رُبما تراهُ بعينٍ صغيرةٍ ولكنَه يَغلِبُكَ بالأمر.

[83] سيرد في محور الأمثال التي تتناول العمل خلال هذه الورقة مثل يحث على تفضيل صاحب الصنعة على صاحب القلعة.

[84] ترى بعضَ الزوجاتِ يستعملنَ هذا الاسلوبَ مع ازواجِهِن العنيدينَ والمتعصبينَ لأفكارٍ جافةٍ لا تتغيرُ الا بالمستحيلِ حيثُ تلينُ القلوبُ أحياناً ويحصُلُ التفاهُمُ والرضا.

[85] المرأة غيرُ القانعة، التي لا تقبل ما في يدِها ولا تحصُلُ على مَن راهنت عليهِ فتخسَرُ بذلكَ الشيئينِ معاً.

[86] يضربُ: لمن صبرَ طويلاً وحصلَ على شيءٍ تافه؛ ويضربُ أيضاً لتجنُبِ التردّدِ والتفكيرِ كثيراً بما لا يُستحَق.

[87] يقال للحظ السيء، أي كانت هناكَ مشكلة واحدة فتضاعفتِ المشاكل.

كان للمرأة المستأثرة والمستغلّة نصيبها من الأمثال أيضاً "ظل (خله) البيت لمطيره طارت بي فد طيره[88]". لقد ساهمت هذهِ الأمثالُ الشعبيةُ بالتطاولِ على المرأةِ التي لا تمتلِكُ شَعراً في غيرِ موضع، ومنها "الگرعة تعيّر أمِ الشعر[89]" و"اتساوتِ الگرعة وأمِ الشعر[90]"، و "تتباها الگرعه بشعر بت عمها[91]"، ويَبرُز واضحاً هنا التَعنيف الثقافِي والمَعنوي للمَرأة.

نجد أنفسنا أمام "أمور تسهم بأن يسود المجتمع توجهات فكرية مؤيدة أو معارضة للعنف بشكل أو بآخر، كون هذه الظواهر تتمثّل في الأمثال والأعراف والثقافة السائدة" (سليم، 2011، صفحة 83).

كلُّنا يعلَمُ أنَّ للمرأةِ مكانةً أساسيةً في المجتمع، بما تُمَثِّلُهُ من عَلاقةٍ اجتماعيةٍ وإنسانيةٍ وثقافية .. وممّا لا شكَ فيهِ أنَّ هذهِ العَلاقَةَ تَرتَسِمُ صُوَرُها عبرَ مسارٍ لا ينفصلُ عن التراثِ المعرفِي بأبعادهِ التاريخيةِ وموروثاتهِ المجتمعيةِ والشعبية.

كما سبقَ وذَكَرنا، تلعبُ تلكَ الأمثالُ الشعبيةُ دوراً كبيراً في تكريسِ بعضِ العاداتِ والتقاليد، خصوصاً فيما يتعلقُ بالمرأةِ ودورِها في المجتمع، فمُعظَمُ الأمثالِ الشعبيةِ تتعاملُ مع المرأةِ بوصفِها جزءاً ثانوياً في المجتمع، أو بصفتِها مجردَ شيءٍ لا قيمةَ له.

ضمن هذا السياق، لم تَكتفِ الأمثالُ الشعبيةُ العراقيةُ بالتعبيرِ فقط عن النظرةِ الدونيةِ للمرأةِ في المجتمعِ فحَسْب، بل هيَ تسعى الى تكريسِ ذلك، وتؤكّده بالقول "المره مثل الركيه انت وحظك على السچين".

يمكنُنا القولُ، اِنَّ استبطانَ الإنسانِ منذُ صِغَرِهِ لجميعِ الصُوَرِ النمطيةِ التي تَخُصُ المرأةَ أو تقالُ على لِسانِها ممّا يُخلِّفُها انتشارُ الأمثالِ الشعبية، يضعُنا أمامَ تحدياتٍ كبيرةٍ، ليس أقلَّها رسمُ صورةٍ سلبيةٍ لدورِ المرأةِ قد لا تستطيعُ المرأة أن تتجاوزَها، ممّا يُعَطِّلُ دَورَها في بناءِ المجتمع.

بما أنَّ المجتمعَ هوَ الذي يُحدِّدُ القوالبَ التي تنشأُ عليها كلٌ من المرأةِ والرجل، وهو الذي يَستقي قواعدَ هذهِ القوالبِ من التاريخِ والتراثِ الذي يَضُمُ الامثالَ الشعبية؛ لذلكَ لا تكمُنُ الخطورةُ فقط في انتشارِ تلكَ الامثالِ وترويجِ المجتمعِ لها؛ بل تكمُنُ في التأثيرِ الكبيرِ الذي قد تُسبِّبُهُ تلكَ الأمثالُ على مستوى المجتمعِ بشكلٍ عامٍ وعلى مستوى المرأةِ بشكلٍ خاصّ، فتغدو بمثابةِ مصدرٍ تشريعيٍ غيرِ مباشِرٍ يحدِّدُ دورَ وهُويةَ المرأة.

---

[88] سابقا كانت العوائلُ تسمي ابنتَها مطرة او مطيرة في حالِ ولادتِها في يومٍ ممطر وهنا العمة، اي الحماة وهي في أواخر ايامها اي إنها مواتة فتقول هذا المثل للقولِ على اَنَ كُنَّتها مطيرة قد استحوذت على كلِ شيء.

[89] للتدليل على الاستخفاف بالرأيِ وانقلابِ الموازين.

[90] يضربُ لعدمِ العدالة، عندما تضيعُ الموازينُ ويتساوى الحقُ بالباطل.

[91] يُضرب للتباهي في غيرِ محلِّه.

من هنا نرى أن تأثيرَ الصُورِ السلبيةِ للمرأةِ في هذه الأمثالِ الشعبية، يُمكن اعتبارُه من الأسبابِ الرئيسيةِ في عدمِ تفعيلِ دورِ المرأةِ للمشاركةِ في البناءِ المُجتمَعي.

ب. المعاملة في الأمثال الشعبية العراقية

تحدثتِ الذاكرةُ الشعبيةُ من خلالِ الأمثالِ العراقية ــ ضمنَ العيّنةِ المختارة ــ في أَعمِها الأغلب عن العَلاقاتِ الاجتماعية، فشكَّلَت أكثرَ من نصفِ مجموعِ الأمثال، وتوزّعت في مَضامينِها بين عَلاقاتِ الانتقامِ والشماتة، والمصلحةِ والاستغلال، والحذرِ في التعامل، وعَلاقاتِ التبرؤِ والاشمئزاز، والتقديرِ والمشاركة وما بينَهُما من هامشِ العَلاقاتِ المتأرجحة، ناهيكَ عن العلاقاتِ المنطلقةِ من الاستهزاءِ بالآخرين.

في سياقٍ متّصل، تؤثّرُ هُوِيتُنا الطبقيةُ الاجتماعيةُ على كيفيةِ تصرفِنا وتواصُلِنا معَ الآخرين (هارلمبس وهولبورن، 2010، صفحة 97)، كما تتأثّرُ بالطريقةِ التي نتعاملُ بها معَ محيطِنا. فحينَ نتأملُ الآخر، فنحنُ نتأملُ الذات، ونُعيدُ اكتشافَها في عَلاقاتِها معَ الآخر سياسياً واجتماعياً وحضارياً وثقافياً.

في هذا الإطار، وَجَدنا عندَما استعرضنا بعضَ الأمثالِ الشعبيةِ العراقيةِ التي تناولت التعاملَ الاجتماعيَ في ميادين متعدّدةٍ، أنَّ المفرداتِ المستخدَمةَ في هذهِ الأمثالِ حملت بدلالاتِها الرمزيةِ مضامينَ تُرجِمَت قَساوةً في التعبير، كما عَبَّرَت عن مشاعرِ حقدٍ وكراهيةٍ وانتقام، بغضِ النظرِ عن التفسيرِ الذي قد يطالُها من قبلِ الجماعاتِ التي تستخدمُها.

ا. المحور: طرق التعامل ــ انتقام وشماتة

صحيحٌ أنَّ الأمثالَ ليست ذاتَ مواقفَ ثابتة، بل إنَها تتضمنُ أحياناً نوعاً من التضادِّ يستدعي أن نتوقَّفَ عندَه، ولكنَها "تستبطنُ" فيما تَحمِلُهُ من رسائلَ، هُويةَ المجتمعِ وتَفاعلَهُ مع محيطهِ القريبِ والبعيد. من هنا انطلقنا لبحثِ كيفيةِ تَمظهُرِ الهُوياتِ الثقافيةِ في الأمثالِ العراقيةِ وكيفيةِ حَبكِها.

أمرٌ يدفعُنا إلى دراسةِ نَظرةِ العراقيينَ إلى هُويتِهِمُ الاجتماعية إن في نظرتِهِم إلى أنفُسِهِم كما سبقَ وذكرنا، أو في تعامُلِهِم مع الآخر، أياً يكُن هذا الآخر، سواءٌ شارَكَهُم تَطلُعاتِهِم، أو اختلفَ معهُم. نراهُ يستخدمُ تعبيراتِ العلّة، وإن لم يُقدِم على فعلٍ مؤذٍ وإنّما يستبطنُ له الأذى "إذا تريد تعله أسكت وخله[92]"، أو "دفعة مردي وهوا شرجي[93]"، ويأتي المثل "اذا زادت مركَتته انچبها على زياگنه" ليبيّنَ الأنانيةَ الممزوجةَ بعدمِ

[92] إذا اردتَ ان تتسامى ولا تَرُدَّ على شخصٍ اعتدى عليكَ فأتركْهُ لحالهِ ولا تتورط معهُ بالسِباب. بل اسكت وهكذا يعلو مقدارُك ولا تهبطُ الى مستوى خصمِك.

[93] حقد وكراهية وتمني الأذى.

التعاطفِ مع الآخر، أو التفكيرِ في حاجاتهِ بأيِ شكلٍ من الأشكال، وهوَ منحىً برزَ في غيرِ موقعٍ من الأمثالِ الشعبيةِ العراقيةِ موضوعِ البحثِ، وما عداها.

في هذا الإطار، لَحَظَتِ الأمثالُ الشعبيةُ العراقيةُ عدّةَ أساليبَ للانتقامِ بسبلٍ شتى "الما تلوحه خرمشه[94]"، و"البزون تفرح بعمى أهلها[95]"، و"نارهم تاكل حطبهم[96]"، و"اكعد بالحاره وافت المرارة[97]"، والأمثلةُ تُظهِرُ العديدَ من هذهِ المَواقِف التي نَجِدُها في التراثِ الشَعبي العِراقي كقول المثل ""ترزل غسل ولبس[98]"، و"آكله وازوعه وما انطيه لمرة ابوي[99]"، أو"اكعد بالسفينة وامزق عين الملاّح[100]"، و"ايده بالماعون واصابعه بالعيون[101]" وفي موقع آخر يتمظهر الإنتقام بصورة مغايرة، "إذا طاح الگوي كثرن سچاچينه[102]"، وبرزُ تمنّي الأذى إلى حدِ الموتِ في غيرِ موضعٍ ک "واهه حصبه وجدري" و "قاضي الأورفه سليمه تكرفه"، وأيضاً " گبر لفه"، وعن البُغضِ في التعامل" اللي يريدك ريده واللي بغضك زيده".

II. المحور: طرق التعامل ــ استغلال ومصالح

إذا ما نظرنا إلى بعضِ الأمثالِ التي تتناولُ عَلاقاتِ الاستغلالِ وتقديمِ المصلحةِ الشخصيةِ والذاتيةِ على المصلحةِ العامّة، نجدُ أنفُسَنا أمامَ صورة واضحة في هذا الإطار "لو العب لو اخربط الملعب"، كما وجدنا عدّةِ أمثالٍ تتحدّثُ عن الخنوعِ والخضوعِ للقَوِي والمتسلِّط، فَيُبرّر هَذا الفِعل بِقولِه "إذا حاجتك عند الجلب سميه حجي جلبان[103]"، و"ايد المتگدرلها بوسها وأدعي الله يگطعها[104]"، و"احبك يا نافعي ولو جنت

---

[94] انتقم ولو بطريقةٍ سطحية، المهم أن تترك أثراً لانتقامِك.

[95] تَفرحُ البزّون (القطة) بأذيةِ أهلِ الدار اللذينَ يربونها. ويُضربُ للناسِ عديمي الوفاءِ لأهاليهِم أو لأصدقائِهِم.

[96] للشماتة، تقال لمن لا نهتمُ بالأمورِ السيئةِ التي قد تُصيبهم، فنأمُلُ أن يَخسَروا ما يملِكونَ حتى النهاية، ويُضرب عن اثنينِ أو جهتينِ لا يَعنينا امرُهُما ولا نهتمُ لهما أو نَكُنُ لهُما الجفاء، ويضربُ عندما يُنقلُ كلامٌ عن اثنينِ يتناولانِ بَعضَهُما البعض بالسيء.

[97] ويقال، گاعد بالحاره ويفت المراره.

[98] عندما يُهانُ الإنسانُ من رأسهِ إلى أَخمَصِ قدميه، إهاناتٌ من كل حدبٍ وَصَوب بشكلٍ لا يتمكَّنُ من الردِ عليها كونَها توائمُهُ كملابِسِه تماماً.

[99] ويقال "آكله وازوعه وما انطيه لأبو گنزوعه.

[100] ويقال راكب بالسفينه وكاسر عين الملاح.

[101]تضرب لناكرِ الجميلِ وللجاحدِ بالفضل، فانت مثلاً تُكرمُ واحداً على الكل في بيتك وهوَ مع ذلكَ لا يحترمُكُ ويَكرهُك، ويَضمُرُ العِداءَ والخيانةَ لك.

[102] يضرب للحاجةِ وضرورةِ المداراة، لا بدَّ من حاجةِ الإنسانِ الى الآخرين، فلينتبه ألا يخطئَ بحقِهِم، إذ قد يؤولُ مصيرهُ إليهِم.

[103] يبرّر الخضوعُ للاقوياء، ويقال في وجه آخر "حجي جليب".

[104] يُضرَبُ للخضوعِ للأقوياءِ والتصرفِ معهُم بخنوع، والا خسرتَ كلَ شيء لأنهم أصحابُ سطوةٍ ونفوذ.

عدوي[105]" وجميعُها تصبُ في ذاتِ المعنى. وتُبيّنُ الأمثلةُ المُدرَجَة ضِمنَ هذا المِحوَر بعضَاً مِن أوجُهِهِ، واللافتُ أنّها شَمِلَت الأهلَ والأصحابَ والمعارفَ في هذا المَعرِض.

منها، "يتعلم الحجامة بروس اليتامى[106]" ضُربَ المثل في أذيةِ الضعفاءِ والمساكينَ وفيمَن لا كفيلَ لهم في هذهِ الحياة. وفي هذا الإطار نَجد "اروح لديرة لما يعرفوني شما احجي يصدگوني" وهنا تبرُزُ قِمَةُ الخِداعِ واستغلالِ محبةِ وتعاطفِ الآخرين، ويظهرُ ذلكَ في المثلِ القائلِ "نايم بنص اللحاف[107]"، أيضاً نجد "عند (وقت) البطون تعمى العيون[108]، و"نايم براس صاحبه"، وتُتَرجَم المَصلَحة من خلال المثل "ابطن كافر ولا حدر حافر"، أمّا كيفيةُ النجاةِ بالنفسِ مقدِّماً المصلحةَ على الربحِ فنالت نصيبَها "جزنا من العنب ونريد (نطونا) سلتنه[109]".

III. محور التعامل ـــ ميادين ومجالات متعدّدة

من أبرز الأمثالِ التي تشرحُ أزمةَ الثقةِ بينَ الناس أياً كانوا من أفرادِ المجتمعِ العراقي "ودع البزون (قطة) شحمه[110]"، وفي مَعرضِ الشكوى يقولُ المثلُ العراقي" ان كان كلبك لوعوه كلبي بعطّابة شووه[111]"، أو "كومة نخال ولا هلخال"، ونَراهُم يقاربونَ ذاتَ المعنى في العَلاقةِ مع الجار "كومة حجار ولا هالجار"، وفي استهدافِ الجارِ ايضاً "دخانك عماني وطبيخك ما جاني" ويضرب في استهدافِ علاقةِ الجارِ بجارِهِ في أي موقفٍ سواءُ منها قصدُ الكَرَم أو كفُ الأذى. في المقابل نجدُ بعضَ الأمثالِ التي تَحُثُّ على تمتينِ العَلاقةِ معَ الجار، وإن كان ذلكَ باتِّباعِ الحذرِ في التعامل "اِحفَظ مالكَ ولا تخوّن جارك[112]"، و"سد بابك آمن جارك"، وفي السياق ذاتِهِ "صفي النيه ونام بالبريه".

أمّا في جانبِ الحذرِ على سبيلِ المثال، فنجدُ أكثرَ من مثلٍ يُضرَب فِي هَذا المَورِد "حجارة الما تعجبك تفجخك (تفشخك)" و "زرزور كفل عصفور واثنينهم طياره"، ويقال أيضاً "عصفور كفل زرزور واثنينهم طياره" و "لا يطير بعيد ولا ينكض (ينلزم) بالإيد[113]، و"درب الچلب (الكلب) عالگصّاب[114] وفي النقد

---

[105] احبك بمقدارِ ما تُقدمه لي من منفعة، ولو كنتَ عدوي.

[106] قد يُحرِقُهُم او يؤذيهم خلالَ ممارستهِ للحجامةِ التي لا يُجيدُها.

[107] عندما لا يتعب الشخص ولا ينفق أي أموال، ويطلُب أن يتشارك الغِطاءَ مع من تَعِبَ ودفعَ ليَحصُلَ على الدِفء، ويأخذَ المكانَ الوسط، هوَ حصلَ على الدفءِ وهم أصابَهُمُ البرد.

[108] للجشعِ والأنانيةِ والتفكيرِ بالذاتِ فقط.

[109] يقولُهُ الرجلُ الذي يترُكُ ما في يدهِ لينجوَ بجلده.

[110] تقدير الأمور بشكل خاطئ، اي ان شخص معين اودع عند البزون امانته من الشحم واللحم.

[111] (العطّابة تشبه الجمرة) عندما تذهب لتواسي انسان متأذٍ من جماعة ما، فتضرب له هذا المثل.

[112] ويقال، سد بابك ولا تخون جارك، إتخاذ الحذر واجب بدلاً من إتهام الغير بعدم الأمان.

[113] الذي لا يمكن الوثوق بكلامه ولا بوعوده.

نجد "غراب يگول لغراب وجهك اسود"، وهناك امثلة تضرب للغباء وعدم التحقّق من الأمور كـ "يطلب من الحافي نعال".

في التهرّب من المسؤولية نجد" لما يعرف يركض يگول الگاع عوجه"، ومثلها في اتجاه آخر يتناول التغاضي والتجاهل للحقائق والأمور الواضحة "الميلوح العنگود بيده يگول حامض ما ريده[115]"، ويُطالِعُنا المثل "الحگ للقوي والعاجز يريد شهود" ليُدخِلَنا في ميزانِ القُوى بغَضِ النظرِ عن وِجهةِ الحق.

في هذا الإطار، كان للاعتداءِ وقضمِ الحقِ نصيبٌ في التعاملِ بينَ الناس، يقولُ المثل "المال مال أبونه والناس يعاركونه. ويقال، البيت بيت ابونه والغُرُب يعاركونه"، وفي الاستنكار من طريقةِ التعامل "مصختها وسويتها هوايه بلا ملح[116]" و"تجيك التهايم وانت نايم" و "لا تدوس عالجني وتگول (ولا تگول) بسم الله"، و"بخيرهم ما خيروني، بشرهم عمّوا عليى"، ومنها "اللي ما يعدك راس عده مداس"، وفي ذلكَ إشارةٌ واضحةُ لعدمِ محاولةِ التغاضي عن الإساءةِ من سوءِ تَصرُّفٍ، وما شابَهَه. وقاربتِ الأمثالُ ميدانَ التربية من بابِ الحسمِ السَلبي لطُرُقِ التصرُّفِ والتعاملِ، والوَصمِ المطلَقِ بخصائصَ وسماتٍ لن تقبَلَ التغيير، فقَدَّمَت تأثيرَ التربيةِ من الوالدةِ على ما عداها من العواملِ الأخرى "الما يسوكه مرضعه ضرب العصي ما ينفعه".

يَلفِتُنا السبيلُ إلى الاحتفاظِ بالأصدقاءِ حيثُ تَراهُ الذاكرةُ الشعبيةُ يتحقّقُ عن طريقِ المحاسبةِ والمساءلةِ الدائمة "اتريد صاحبك دوم حاسبه كل يوم"، و "بيدر الذهب هم يحتاج بيدر الدُخُن"[117] ؛ كما تتناولُ الأمثالُ الشعبيةُ العراقيةُ الفردانية في العَلاقةِ المجتمعيةِ "كلمن بفجت عباته[118]"، و" كلمن يحود النار لكرصته" و"لعنده مركه (مرقة) زايده يذبها على زيكه"، في الوقت الذي تغمزُ فيهِ من قناةِ التعاونِ بينَ أفرادِ المجتمع "الگوم التعاونت ما ذلت"، وفي الوفاء "البير لتشرب منا لا تبز (تتفل) بيه" ويقال "بير التشرب منها مي لاتذب بيها حجارة".

في النصيحةِ والتوجيهِ نجدُ الاتجاهينِ الإيجابيَ والسلبي، مثل "خلي المر جوه والحلو فوك" و "عينك على مالك دواه"، و"اللي يعيش بالحيله يموت بالفُگُر"، و"حرامي لا تصير ومن السلطان لا تخاف"، و"امشي شهر ولا تعبر نهر" و" كل جرف گباله شاطي".

للانتباهِ والتيقّظِ حَفَلَتِ الأمثالُ بمقاربتِها "ماكو زور يَخلَه من الواويه" في الوقتِ الذي تناولت فيهِ النصيحةُ السلبيةُ مَنحىً آخرَ "إذا ما گدرت تعض لا تطلع اسنونك"، وفي تقديرِ الأمور "يا حافرِ البير لا

---

[114] يضرب للحاجة وضرورة المداراة، لا بدّ من الإنسان أن يحتاج للآخرين، فلينتبه ألا يخطئ بحقهم، إذ قد يؤول مصيره إليهم.

[115] أو "الما ينوش العنب يكول عليه حامض".

[116] تقال لجذب انتباه المتحدث اليه بانه تجاوز كل الحدود المسموحة ولم يعد هناك مجال للتحمّل.

[117] لا تخسر صداقتك أو علاقتك بأحد مهما قل شأنه أو علا.

[118] يضرب حين يمشي كل شخص بطريق.

تغمج مساحيها خاف الفلك يندار وانت تكع بيها"، وفي الخِداعِ والتوجيهِ بخصوصِ العملِ والتجارة "يراويك حنطة ويبيعك شعير"، وفي التجارةِ التي تُميّزُ بينَ العملِ الحلالِ وسواهُ من الأعمال "مال المي للمي ومال اللبن للبن".

في الحسد والغيرة "جدره على ناره وعينه على جاره". وكان للأمثالِ الشعبيةِ العراقيةِ حِصَةٌ في المظاهر، منها على سبيل المثال "لو تفك بابك وتفتخر لو تسد بابك وتنستر"، وبالمقابِل يأتي المثل "جذب المصفط أحسن من الصدگ المخربط" ليضربَ قيمةً أساسيةً وإيجابيةً في التعاملِ الإنسانيِ على حسابِ المظهرِ الذي يَحمِلُ قيمةً سلبيةً وغيرَ محمودة.

برزت معالمُ التمييزِ الحاصلِ تُجاهَ فئةٍ بعينِها، وكذلك الأمر ضمنَ مِنطقةٍ بعينها، فكان للتعالي والاستصغار حصته من الأمثال أيضاً "عاشر الواوي ولا تعاشر المصلاوي"، و"اشعلم المعيدي باكل الزبيدي"؛ وفي الاستصغار نجد المثل "شافنه سود عباله هنود" وهنا يبرزُ التمييزُ والنظرةُ الدونيةُ على أساسِ العِرق، وليسَ فقط على أساسِ الطبقاتِ الاجتماعية، أو النوعِ الاجتماعي وسواهُ من التمايزاتِ التي طالَتها الأمثالُ الشعبيةُ العراقية.

في الغنى والفقرِ ضربتِ الأمثال كـ "الشبعان ميدري بدرب الجوعان"، و"الفلوس تجيب العروس"، وأيضاً "الجيب خالي والخشم عالي"، هنا بانت القيمةَ المقدَّرَةَ للأموالِ في غيرِ موقع، حتى وصلت إلى حدِ الربطِ بينَ عزّةِ النفسِ والزهوِ بمن يمتلِكُ المالَ أيضاً.

لأنَّ العمل هوَ وجهٌ من أوجهِ التعاملِ الاقتصادي، فقد حفَلَ بحِصَتِهِ من الأمثالِ الشعبية، فحذّرَ من الشراكة "جدر الشراكة ما يفور"، ولَفَتَ إلى أهميةِ العملِ والتصرّفِ بمسؤولية "عباله لِعب چعاب"، كما طالَ من لا يجدُ تقديراً لِتَعَبِه "متل الجمل يحمّل تمر وياكول عاكول"، و" يركض يركض والعشا خّبّاز" و "الميعرف تدابيره حنطته تاكل شعيره"، وأكّد على أهمية الصنعة بيد الإنسان على وَفرةِ المالِ لديه " صاحب صنعه ولا صاحب قلعه"، ويقال "خدي أبو صنعه ولا تاخدي ابو قلعه"، وفي الوقتِ ذاتِهِ ربطَ المالُ بالعروس كما سبق ذكره.

أمّا الحظوظُ ففتحت منافذَها في خزائنِ التراث، ولكنَها استبطنت الوجهين، الحظَ الإيجابيَ وإن بنسبةٍ ضئيلةٍ تكاد لا تُحتَسَب " ياكل من راس الجدر"، وأخرى تناولتِ الحظَ السيءَ والعاثرَ في غيرِ اتجاه، منها "سبع صنايع والبخت ضايع"، و" تدهدر الجدر لكة قبغة"، و"طَلَعها من حلك السبع خشت ابطن (بحلوگ) الواويه"، و"انهزم من جوه المطر وكع جوه المرازيب (المزاريب)"، و"ناس تاكل دجاج وناس تتلگه العجاج"، و" رادله گرون گصو اذاناته" و"الفگر فوك الجمل وعضه الچلب"، و"يا من تعب يامن شگه يامن على الحاضر

لگه[119]"، و" اتعب يا شجي للنايم المنتجي"، ونجد أيضاً "صار تاليهه انگس من أولها"، و"لمتعوس متعوس ولو حطوا على راسه فلوس"[120]، ونلحظُ هنا ربطَ الحظِ والسعادةِ بالمال، وهوَ أمرٌ وردَ في الأمثالِ الشعبيةِ العراقية أكثرَ من مرّةٍ وعلى غيرِ صورةٍ وشاكلةٍ في مقاربةِ السعادةِ والراحةِ في حياةِ الإنسانِ بشكلٍ عام.

لم تتركِ الأمثالُ الشعبيةُ العراقيةُ جانباً من جوانبِ التعاملِ الاجتماعي إلاّ وتطرَّقَت إليه، حتى اَنَّها تناولتِ التثبيطَ في العزيمة، فنجد " صار تاليها انگس من اولها[121]"، و"وراها حصبة وجدري[122]"، أو "عيش يا كديش لمن ينبت (يطلع) الحشيش[123]"، وغيرَها ممّا لا يَتَسِعُ المجالُ لذكرهِ في هذا المَعرِض.

في المحصلة، نجدُ أنَ الكثيرَ من الأمثالِ الشائعةِ الاستعمالِ في التعاملِ ـ من عينةِ البحث[124] ـ تضمّنت دلالاتٍ وتعابيرَ تترجمُ معانيَ ومقاصدَ الانتقام، والشماتة، كما سبقَ وذكرنا، إضافةً إلى تناولِ صِيَغِ المصلحةِ والاستغلال، كما الحذرِ وغيرِها من القيمِ السلبيةِ التي تضمنتْها.

ضمنَ هذا السياق، حملت بعضُ الأمثالِ دعواتٍ الى خوضِ نزاعٍ، أو للدخولِ في قطيعةٍ، أو مواقفَ استعلاءٍ، وحتى تبريراً للتجاوزاتِ الأخلاقيةِ أو التسلطيةِ القائمة، وتدعو بصريحِ العبارةِ إلى الخنوعِ والقَبولِ بالظلمِ والقهرِ تحتَ مسمياتِ المداراةِ والحذرِ وحِفظِ النفسِ من الأذى.

في هذا الإطار، نجدُ أنَّ صياغةَ بعضِ الأمثالِ تستبعدُ وسائلَ التربيةِ الممكنة، كالرُشدِ والتوعيةِ والتوجيهِ نحوَ المسالكِ الحميدة، من بابِ حسنِ المعاملة، واحترامِ الرأي، كما احترامِ الحقوقِ، وتقديرِ الآخرينَ والتعاملِ معهُم من منطلقاتٍ إنسانية.

نحنُ أمامَ توجّهاتٍ في التعاملِ السلبيِ وردت في محيطِ العَلاقاتِ الاجتماعيةِ الضيّقة، وطالت دائرةَ العَلاقةِ مع الأهلِ، والجيرانِ، والأصدقاءِ، كما شَمِلَت النظرةَ إلى المرأة، من خلالِ ضربِ أمثالٍ وضعَتها في خانةِ الخَبَلِ والانصياعِ أو التهكّمِ وما إلى ذلكَ ممّا سبقَ ورأينا.

---

[119] بمعنى آخر "يا من تعب يا من شكى يا من على الحاضر لكى"، أي حصل عليه بدون تعب.

[120] ويقال أيضاً "المنحوس منحوس حتى لو حطو براسه فانوس".

[121] يضرب لشدة تردي عواقب الأمور ونهاياتها.

[122] يضرب للشيء لا يمكن ان يكون مضمونا ما لم يجتز بعض الصعوبات والعقبات بسلام.

[123] الكديش تقال للإساءة، يستخدم المثل للإساءة ولتثبيط العزائم، يقصد بالمثل هنا انتظار موسم الربيع حيث تنمو وكبر الحشائش بعد عدة أشهر من وجود الارض القاحلة بدون زرع وبدون خضار.

[124] عملت على جمع ما يقارب ثمانية آلاف مثل من الأمثال العراقية من مصادر مختلفة، ولكن اختيار العينة جاء بما يتطابق مع الهدف من الدراسة في تمثّلات الآخر، وأيضاً بحدود ما يُمكن تناوله لأغراض البحث، بعد مطابقته من خلال اختباره على أرض الواقع في أكثر من منطقة من العراق، مراعين أيضاً العمر والجنس.

لقد أظهرَ لنا هذا البحثُ، أنَّ هناكَ كماً ملحوظاً من مجموعِ الأمثالِ التي تناولناها، وتكادُ تتجاوزُ الثلثين، تحملُ بَصَماتِ معتقداتٍ قديمةٍ جداً، يحمل بعضُها بين طياتهِ أقوالاً بليغةً وحِكَماً وازنة، ويحملُ بعضُها الآخرُ تحريضاً على سلوكياتٍ تربويةٍ غيرِ سليمة.

مع ذلكَ لا يمكنُنا القولُ إنَّنا أمامَ مجرّدِ أمثالٍ تُضرَب هنا أو هناك، وإنَّها تراثٌ غلبهُ الإعلام، ومظاهرُ العولمةِ التي أرست بقواعدِها على كلِ حدبٍ وصوب.

نجدُ أنفُسَنا، أمامَ موضوعٍ شائكٍ في تكوينِ الهُويةِ الاجتماعية، يضعُنا في خانةِ التأثيرِ السَلبي على عمليةِ التربيةِ والتنشئةِ الاجتماعية، وهذا يَعني " بيانَ الظروفِ والشروطِ الثقافيةِ، والتربويةِ التي يعيشُ فيها الفرد، بالإضافةِ إلى المصادرِ المتنوّعةِ التي تؤثّرُ على سلوكِهِ، وتحدّدُ اتجاهاتِهِ وقِيَمِه، في إطارِ تنميةِ أو إحباطِ قُدُراتِهِ الإبداعية" (الكناني، 2011، صفحة 101). معَ الإشارةِ إلى أنَّ التنشئةَ الاجتماعيةَ "تختلفُ من مجتمعٍ إلى آخرَ تَبَعاً لعواملَ كثيرة، أهمُها الأنظمةُ السياسيةُ، والاجتماعيةُ، والقانونيةُ والاقتصادية" (مالك، 2012، صفحة 218).

جوهرُ عمليةِ التنشئة الاجتماعية إذاً، هوَ "تشكيلُ السلوكِ الاجتماعي، وعن طريقِها يتعلَّمُ الفردُ ويكتسبُ قِيَمَهُ ومعاييرهُ واتجاهاتِهِ التي تُحددُ سُلوكَهُ اجتماعياً؛ أي إنّها تتحكمُ بعمليةِ التوافقِ الاجتماعي، وبناءِ حياةٍ اجتماعيةٍ سَوية" (حلاق، 2007، صفحة 97).

استنتاجات

بالاستنادِ إلى ما سبقَ تناوُلُهُ من أمثالٍ شعبيةٍ عراقية، جمعت بينَ التراثِ العراقيِ المعروفِ والمتداوَلِ في وقتِنا الحالي، ضمنَ محافظاتٍ ومناطقَ متعدّدةٍ من العراق، وهوَ أمرٌ أتاحَ لنا الاطلاعَ على جانبٍ من الجوانبِ الأساسيةِ في الهُويةِ الاجتماعيةِ العراقية، وَفقَ خصوصيةٍ تناولت العَلاقاتِ كما الممارساتِ المؤثّرةِ على النمطِ الذي يحكُمُ هذهِ العَلاقات.

نحن نُدركُ، أنّه لا يمكنُ بأيِ حالٍ من الأحوال، إلغاءُ تأثيرِ الأمثالِ الشعبيةِ على الواقعِ الاجتماعي، لكن، بالإمكانِ أن يُصارَ ترشيدُ استخدامِها والاستفادةُ منها، كما العملِ على التقليلِ من آثارِها السلبية، فيما يتعلقُ بإعادةِ إنتاجِ وتعزيزِ الصُورِ النمطيةِ السلبية، والنظرةِ المسبقةِ والحاكمةِ عن وعلى المجتمعِ الذي يَعيشُ فيه العراقيونَ بكاملِ مُكوّناته.

كما يمكننا الاستفادةُ من الأمثالِ بوصفِها جزءاً لا يتجزأُ من السردِ التاريخي الذي يُوثّقُ لأحداثٍ وأنماطِ حياةٍ كانت في السابق، وهوَ أمرٌ يساعدُنا على قراءاتٍ تتناولُ النظرةَ العراقيةَ لهُويتِها الخاصّة، في بلدٍ متنوّعِ الأعراقِ والخصوصياتِ الثقافية.

ما يُتيحُ لنا تحقيقَ "دعمِ التماسكِ الاجتماعي والتنميةِ المستدامةِ ومنعِ المنازعات" (باربارا تروغلر، إيكاترينا سدياكينا – ريفيي، 2013، صفحة 31) وذلكَ بِحَسَبِ اليونيسكو التي اعتبرت أنَّ "التراثَ الثقافيَ غيرَ الماديَ هو أساسُ التنميةِ المستدامةِ للبشرية، ولا غنىً عنهُ لتقويةِ الصلاتِ الوثيقةِ بينَ الأشخاص، وإتاحةِ الفرصةِ لعملياتِ التبادلِ الثقافي، وتعزيزِ الفهمِ والتسامحِ المتبادَلين. وهذا يَعني أيضاً، أنَّ التراثَ الثقافيَ غيرَ الماديَ الذي يُعرقِلُ أو يُعوّقُ التنميةَ المستدامةَ لن يؤخَذَ في الحُسبان" (باربارا تروغلر، إيكاترينا سدياكينا – ريفيي، 2013، صفحة 32).

لذا، وأمامَ هذا الكمِ من التحدّياتِ التي تُخلّفُها الامثالُ الشعبيةُ العراقيةُ على غيرِ صعيد، حريٌ بنا العملُ على ترشيدِ استخدامِها بحيثُ تصبحُ جزءاً من التراث، وليسَ مصدراً من مصادرِ التشريعِ في المجتمع، كما هوَ حاصلٌ في كثيرٍ من المجتمعاتِ العربية.

ما نحتاجهُ هوَ البحثُ عن سبلٍ لتحريرِ الأشخاصِ من مضامينِ الأمثالِ القائمةِ على المفاهيمِ الاجتماعيةِ والفكريةِ المرتكِزَةِ على تقديسِ العادة، ولكن كيفَ يُمكنُنا تحقيقُ ذلك؟ هنا مكمنُ السؤال.

لائحة المصادر والمراجع

1. world values survey. (1982). *http://www.worldvaluessurvey.org/WVSContents.jsp*. Retrieved December 10, 2016, from www.worldvaluessurvey.org.
2. Alemán,José – Woods,Dwayne .(2016) .Value Orientations From the World Values Survey: How Comparable Are They Cross-Nationally ?*Comparative Political Studies*.*49* ،
3. Barakat, H. (1993). *The Arab World Society, Culture, and State.* Los Angeles: PRESS Berkeley · Oxford.
4. Belfatmi, M. (2013, NOV. - DEC.). The representation of women in Moroccan proverbs. *IOSR Journal Of Humanities And Social Science, 17*(1).
5. Berelson, B. (1952). *Content Analysis in Communication Research.* Glencoe - Illinois: The Free Press.
6. Bourqia, R. (2010). Valeurs et changement social au Maroc. *Quaderns de la Mediterrània - IE.MED*.

7. Charaudeau, P. (2016). *Identités sociales, identités culturelles et compétences.* Université de Paris 13. Paris - France: Centre d´Analyse du Discours. Retrieved from http://www.patrick-charaudeau.com/Identites-sociales-identites.html

8. Farah A. Ibrahim, Jianna R. Heuer. (2016). *Cultural Identity: Components and Assessment.* Switzerland: International Publishing .

9. Holsti, O. (1969). *Content Analysis For Social Science and Humanities.* London: Ole Holsti Content Analysis For Social Science and Humanities.

10. J A H KHATRI & LUCINDA LAISHRAM. (2013, August). ANTHROPOLOGICAL STUDY OF MANIPURI PROVERBS. *International Journal of Research in Humanities, Arts and Literature, Vol 1*(Issue 3).

11. Kadt, E. d. (2014). *Research Review Cultural Anthropology.* Netherlands: QANU.

12. Markova, I. (2017, Jan.\ Mar.). The Making Of The Theorie Of Social Representations. *Cadernos De Pesquisa, V. 47*(N. 163).

13. Morin, E. (2008). *La Méthode: La Nature de la nature.* Paris - France: Centre National Du Livre.

14. patrick-charaudeau. (2006). *Identités sociales, identités culturelles et compétences*. Retrieved from http://www.patrick-charaudeau.com/Identites-sociales-identites.html.

15. Rachik, H. (2016). *Rapport de synthèse de l'enquête nationale sur les valeurs.* Maroc: IRES - Institut Royal des Etudes Strategiques .

16. Usborne, E. (2016, March 26). *Understanding My Culture Means Understanding Myself: The Function of Cultural Identity Clarity for Personal Identity Clarity and Personal Psychological Well-Being*. Retrieved from https://onlinelibrary.wiley.com/doi/pdf/10.1111/jtsb.12061.

17. Wulf, C. (2017). Anthropology Today. *Horizontes Antropológicos, Volume 23*(Issue 49).

18. احمد بعلبكي وآخرون. (2013). الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر. تأليف *المستقبل العربي* (الإصدار الطبعة الأولى ـ تشرين الثاني ـ نوفمبر، المجلد العدد 68). بيروت ـ لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

19. افراح محمد، سعد حميد. (2014). الهابيتوس وأشكال رأس المال في فكر بيار بورديو. *مجلة الأستاذ، المجلد الثاني*(العدد 210)، 430.

20. الرفاعي، محمد خليل. (2011). دور الاعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الاسرة العربية ـ دراسة تحليلية. *مجلة جامعة دمشق، المجلد 27*(جامعة دمشق ـ سوريا).

21. باربارا تروغلر، إيكاترينا سدياكينا – ريفيي. (2013). *التقرير النهائي لتقييم الأنشطة التقنينية لقطاع الثقافة في اليونيسكو*. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ـــ اليونيسكو.

22. بطرس حلاق. (2007). تأثير البرامج التلفزيونية في عملية التنشئة الاجتماعية "المجتمع السوري نموذجاً". *مجلة جامعة دمشق، المجلد 23*(العدد 2).

23. بو عطيط، سفيان. (2012). القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعي. منتوري، الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

24. جمال نصار. (2015). *الهوية الثقافية وتحديات العولمة*. قطر: مركز الجزيرة للدراسات.

25. دراحي، السعيد. (كانون الأول ـ ديسمبر, 2013). التلفزيون والأطفال .. الإيجابيات المأمولة والانعكاسات السلبية المحذورة. *التواصل في العلوم الانسانية والاجتماعية*، صفحة 215.

26. ذياب البداينة، عطا الله فشار. (2015). الهوية والمواطنة والأمن الوطني. تأليف الكتاب الدوري لمجلة دراسات وأبحاث. جامعة الجلفة ـ الجزائر: دراسات وأبحاث.

27. رجاء ابو علام. (2013). *مناهج البحث الكمي والنوعي والمختلط* (الإصدار الطبعة الأولى). عمّان ـ الأردن: دار المسيرة للطباعة والنشر.

28. شعباني مالك. (كانون الثاني ـــ يناير, 2012). دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية. *مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية*(العدد 7).

29. صيفور سليم. (2011). الأمثال الشعبية كخلفية للعنف في المجتمع الجزائري، دراسة تحليلية. *الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف*. الجزائر: جامعة الجزائر 2.

30. عبد الإله بلقزيز. (2001). أسئلة الفكر العربي المعاصر. تأليف *كتاب المعرفة للجميع*. المغرب: مطبعة النجاح الجديدة.

31. عبد القادر الشيباني. (2008). *معالم السيميائيات العامّة ـ أُسسها ومفاهيمها* (الإصدار الطبعة الأولى). الجزائر: سيدي بلعباس.

32. عبد القادر، سلوى. (2016). *الانثروبولوجيا والقيم*. الاسكندرية ـ مصر: دار المعرفة الجامعية ـ جامعة الاسكندرية.

33. علاء اسماعيل الحمزاوي. (2014). *الأمثال العربية والأمثال العامية ــ قراءة مقارنة دلالية*. مصر: كلية الآداب ــ جامعة المنيا.

34. علي بن حمزة العمري. (2013). *أمثال تربينا ــ تأملات تربوية في الأمثال الشعبية*. الرياض ــ المملكة العربية السعودية: الأمير للطباعة والنشر.

35. علي بن حمزة العمري. (2013). *أمثل تربينا ــ تأملات تربوية في الأمثال الشعبية*. الرياض ــ المملكة العربية السعودية: الأمة للطباعة والنشر.

36. عيساني، رحيمة. (2007). برامج الفضائيات العربية: قراءة نقدية في المحتوى القيمي. *الفضائيات العربية والهوية الثقافية*. الامارات العربية المتّحدة: كلّية الإتصال ـ جامعة الشارقة. تاريخ الاسترداد 11 - 12 كانون الاول ـ ديسمبر, 2007

37. فريال حمود. (2011). مستويات تشكّل الهوية الاجتماعية. *مجلة جامعة دمشق، المجلد 27*.

38. فيصل الأحمر. (2010). *معجم السيميائيات* (الإصدار الطبعة الأولى). بيروت ـ لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون ـ منشورات الاختلاف.

39. محمد الزيود وآخرون. (2007). *القيم التربوية لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة عمّان كما يراها الطلبة أنفسهم*. عمّان ـ الأردن: كلية العلوم التربوية ـ الجامعة الأردنية.

40. محمد خليفة. (نيسان ـ ابريل, 1992). إرتقاء القيم. *مجلة عالم المعرفة*.

41. محمد عابد الجابري. (14 تشرين الثاني ــ نوفمبر, 2015). الهوية الثقافية والعولمة. *مجلة الجابري*(العدد 6). تاريخ الاسترداد 10 حزيران ــ يونيو, 2018، من http://fikr.com/article.

42. مختار رحاب. (2016). رمزية المرأة في الثقافة الشعبية الجزائرية. *مجلة الثقافة الشعبية، السنة التاسعة*(العدد 33).

43. ممدوح الكناني. (2011). *سيكولوجية الطفل المبدع*. عمان ــ الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

44. منى كشيك. (2014). المضامين التربوية للأمثال السائدة في البيئة الدمشقية. *مجلة جامعة دمشق، المجلد 30*(العدد الثاني).

45. مها كيال. (2015). *العمر الثالث ــ التحولات، الحقوق والسياسات، مؤتمر وطني* (الإصدار الطبعة الأولى). طرابلس ــ لبنان: مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية والجمعية اللبنانية لعلم الاجتماع.

46. مها كيال. (2016). الشخصيات الهزلية العابرة للزمان والمكان في الأدب الشعبي ـ حالة جحا. *جحا تراث إنساني مشترك*. الشارقة ـ الإمارات العربية المتّحدة: ملتقى الشارقة للراوي ـ الدورة السادسة عشر.

47. ناهض قديح. (1987). الأمثال العربية ــ دراستها ومصادرها. *الفكر العربي*(السنة الثامنة ــ العدد 49).

48. هارلمبس وهولبورن. (2010). *سوشيولوجيا الثقافة والهوية*. (ترجمة حاتم حميد محسن، المترجمون) دمشق ــ سوريا: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.

49. هويدا صالح. (2011). *صورة المثقف في الرواية الجديدة*. القاهرة ــ مصر: دار رؤية للنشر والتوزيع.

50. وائل بركات. (2002). السيميولوجيا بقراءة رولان بارت. *مجلة جامعة دمشق، مجلد 8*(العدد 2).

لبنان أمام الإنهيارالإقتصادي، من الفقر إلى حافة المجاعة

بقلم الدكتور علي فاعور (أستاذ الجغرافية وعميد في الجامعة اللبنانية سابقاً)
عضو المجلس الوطني للبحوث العلمية

مقدمة

يبدو أن العام 2020 سوف يكون الاسوأ إقتصاديا وإجتماعياً وماليا منذ ثلاثة عقود، ذلك أن الأشهر الستة الأولى كانت حافلة بالمفاجآت التي عطلت الدورة الإقتصادية والمالية بفعل الإنكماش الحاد في بيئة الأعمال، وإرتفاع مديونية الدولة إلى أكثر من 90 مليار دولار[125]، وعجز الخزينة وإنخفاض الناتج المحلي إلى النمو السلبي، وذلك بعد أشهر معدودة على بدء الإنتفاضة الشعبية في 17 تشرين الأول 2019، ثم إنتشار فيروس كورونا وإعلان التعبئة العامة والحجر المنزلي منذ منتصف شهر آذار الماضي.. مما أدى إلى تفاقم المخاطر التي عطلت القطاع المصرفي المنهك لفقدان السيولة، ودفعت القطاع المالي إلى حافة "الإنهيار الكبير" نتيجة إرتفاع سعر صرف الدولار مقابل الليرة إلى مستويات قياسية (وصلت إلى مستوى 3600 ليرة يوم في 23 نيسان، ثم بلغت أقصاها نحو ستة آلاف ليرة في منتصف شهر حزيران 2020)، مما أدى إلى تزايد إنتشار البطالة بشكل مرعب وإرتفاع منسوب الفقر ليشمل شريحة واسعة من الناس باتت تزيد على نصف سكان لبنان. فقد تراجعت القدرة على الصمود ومواجهة غلاء الأسعار الحاصل لدى معظم الأسر التي بات مدخولها لا يكفي الحد الأدنى لتأمين مستويات الأمن الغذائي.. من الرغيف والطعام الى الدواء والأغذية الضرورية للأطفال..

ولمواجهة الأزمة التي عطلت دورة الحياة الإقتصادية، تحاول الحكومة حماية الأمن الاجتماعي من خلال تقديم معونات لدعم الأسر الأكثر فقرا.. بالإضافة الى الجهود التي تبذلها هيئات المجتمع المدني لتقديم مساعدات عينية وتموينية لتفادي الانهيار الإجتماعي.. لكن الواقع يؤكد أن الأزمة تتوسع نتيجة توقف معظم الشركات والمؤسسات والإدارات العامة، مما أدى إلى تزايد حدة البطالة بين الشباب.. وتزايد الأعباء المعيشية بالنسبة للأسر المتوسطة الدخل والتي فقدت مدخراتها وباتت تعيش دون خط الفقر، عاجزة عن توفير "السلة

[125] بحسب إحصاءات جمعية المصارف، فقد سجل الدين العام اللبناني زيادة ملحوظة ناهزت 6,5 مليارات دولار، ليصل إلى نحو 92 مليار دولار في نهاية العام 2019، بارتفاع 7,6 في المائة. فيما يرتقب تسجيل انكماش في إجمالي في الناتج المحلي بنسبة لا تقل 5 في المائة.

الغذائية" وشراء المواد الضرورية مثل الحبوب والأرز والبرغل والعدس.. وحليب الأطفال... تضاف إليها أكلاف الإيجارات واللباس والتعليم وغيرها.

1- ما بعد كورونا، إنتفاضة الشباب في المرحلة الثانية

يذكر أنه منذ تفشي فيروس كورونا في 21 شباط الماضي في لبنان، وحنى منتصف شهر حزيران، فقد تم تسجيل 1644 مصاب، تتوزع بين 539 من الوافدين من بلدان الخارج، و 1105 إصابة لغير الوافدين، كما تم تسجيل 33 حالة وفاة (حنى تاريخ 24 حزيران 2020)..

كما تم إغلاق المدارس والجامعات في 29 شباط، ثم إغلاق المطاعم والمراكز السياحية في 6 آذار، وإستمرت حال الإقفال حتى إعلان التعبئة العامة في 15 آذار، ثم إعلان حظر التجول ليلاً في 27 منه، بحيث إستطاع لبنان السيطرة وحصر الوباء في مناطق جغرافية محددة بعد حالة الإستنفار العامة وتجهيز المستشفيات الحكومية، مما أدى إلى كبح الإنتشار المحلي وإستيعاب الأزمة وحصرها في دوائر مرسومة، لكن عودة المغتربين من الخارج أعادت فتح الأبواب أمام دخول العائدين عبر المطار إبتداء من 5 نيسان2020 تاريخ بدء عودة الوافدين عبر المطار، وحتى 16 حزيران حيث وصلت الدفعة السابعة من المغتربين، وسوف تتم إعادة فتح المطار أمام الرحلات الخاصة في 24 حزيران، ثم المباشرة بفتحه تدريجياً أمام الرحلات القادمة في بداية شهر تموز 2020، في حين أن الرحلات السياحية ستبدأ في 24 تموز، مع التأكيد على تطبيق الإجراءات الوقائية وإجراء الفحوصات للوافدين عند وصولهم، حيث من المتوقع إرتفاع أعداد الوافدين إلى لبنان بمعدل يصل إلى 20 ألف مسافر أسبوعياً خلال فصل الصيف، مما يساعد في إنعاش الوضع الإقتصادي.

وخوفا من تفشي وباء كورونا فقد توقفت الإنتفاضة الشعبية، وتراجع الإهتمام بالأمور المعيشية والحياتية، بعد فرض إلتزام الحجر المنزلي وتطبيق التباعد الإجتماعي، ما أعاد للأحزاب والحكومة زمام المبادرة، حيث تمت إزالة خيّم المعتصمين من وسط المدينة، كما تم إتخاذ العديد من القرارات لا سيّما التعيينات الأخيرة التي تمت كسابقاتها على قاعدة المحاصصة الطائفية، وبالتفاهم الكامل بين الحكومة والأحزاب، ومن دون أية مواجهة مع مجموعات الإنتفاضة، ما يؤكد عودة الطبقة السياسية التي أوصلت البلاد إلى حافة الإنهيار للتنسيق فيما بينها والهيمنة الكاملة على الحكم، وذلك بعد التظاهرات الحزبية التي رفعت شعارات سياسية تتناقض مع البرامج التي طرحتها الإنتفاضة الشعبية منذ 17 تشرين الأول.

لكن مع بداية إنحسار فيروس كورونا وتخفيف إجراءات التعبئة العامة، عادت التحركات إلى الشارع وبدأت على الأرض مرحلة ما بعد كورونا، وذلك بعد 100 يوم على تشكيل "حكومة التحديات"، لتنفيذ وعودها في الإصلاح ومحاربة الفساد، وحتى تاريخ 12و 13 حزيران عندما خرج آلاف اللبنانيين للتظاهر في العاصمة

بيروت والمدن الكبرى لا سيّما في طرابلس وصيدا، حيث إنطلقت الموجة الثانية من الإحتجاجات الشعبية بعد تفاقم غلاء المعيشة وإرتفاع أسعار الدولار وتردي الأوضاع الإقتصادية، وتحولت إلى مواجهات غاضبة مع القوى الأمنية أدت إلى اضرار جسيمة في المؤسسات التجارية والممتلكات الخاصة، وتحطيم واجهات المصارف (بخاصة في مدينة طرابلس) وبعض المحلات الكبرى في وسط العاصمة بيروت. وكان الصادم في هذه المرحلة تحرك مجموعات حزبية مدفوعة من متضررين من المسؤولين الذين لا يهمهم أن تنجح محاربة الفساد، حيث تم رفع شعارات سياسية بدلاً من العناوين الإجتماعية الإقتصادية التي رفعتها الإنتفاضة الأولى، وذلك لتشجيع الإنقسامات وتضييع الأهداف الكبرى، وتفكيك التحركات على الارض. وهذا ما دفع رئيس الحكومة للحديث عن الهجمة التخريبية ومحاولة إنقلاب (في 6 حزيران 2020)، وأن هناك من يعمل للإنقضاض على الإنتفاضة، وإسقاط الحكومة، بهدف العودة الى ما قبل 17 تشرين الأول.

2- <u>الأزمة الإقتصادية اللبنانية متفردة ولا مثيل لها</u>

تعتبر الأزمة الإقتصادية اللبنانية متفردة ولا مثيل لها، فهي من أسوأ الأزمات العالمية، وذلك نتيجة تداخل عدة عوامل، أهمها: إنتشار فساد الطبقة الحاكمة التي عطلت مؤسسات الرقابة ومنعت المحاسبة، وألغت وزارة التصميم العام، وحجمت دور مديرية الإحصاء المركزي، وتراكم الديون والإعتماد على الخارج، وجشع القطاع المصرفي الذي اساء الأمانة نتيجة التصرّف العشوائي بأموال المودعين، والهندسات المالية الفاشلة التي إعتمدها مصرف لبنان في الداخل دون تقدير العواقب الكارثية الناجمة عنها، مما أدى إلى توقف المصارف عن العمل وحجز أموال المودعين لديها.

يضاف إلى كل هذه الفوضى في الإقتصاد والمال، عدم كفاءة وأهلية المسؤولين في الحكم، الذين أفقروا ونهبوا الدولة من خلال توزيع الحصص على الطوائف والتوظيف العشوائي لإرضاء الأتباع والمحاسيب، وفشل الإدارة التي أخفت الإحصاءات الإقتصادية والإجتماعية لتزوير الحقائق والأرقام، والتستر على ملفات الفساد وحماية الفاسدين، مما أدى إلى تسارع التدهور المالي وإعتماد سياسة التسويف والمماطلة من قبل السلطات الحاكمة التي لم تبادر إلى الإصلاح والإنقاذ من خلال التهرب من المسؤوليات وعرقلة المحاولات الإنقاذية لمساعدة لبنان على النهوض، مما أوصل البلاد اليوم إلى حافة الإفلاس والفشل.

لقد تركت الأزمة الاقتصادية والنقدية، والتي تفاقمت بشكل كبير بعد حراك السابع عشر من تشرين، آثاراً كبيرة على الواقع المعيشي والحياتي للبنانيين، ثم أتت أزمة فيروس "كورونا" لتفاقم الأزمة بشكل كبير جداً، فتوقفت معظم الأعمال والأنشطة الاقتصادية، ما أدّى إلى إقفال العديد من المؤسسات التجارية والصناعية والخدمية، وصرف عدد كبير من العمال من أعمالهم وخفض رواتب البعض الآخر.

وهذا ما دفع وزارة المال لتعليق دفع مستحقات اليوروبوند وذلك للحفاظ على الاحتياطي النقدي بالدولار وحاجة الدولة له لمواجهة فيروس كورونا.

كما وافق البنك الدولي في 12 آذار الماضي على إعادة تخصيص 40 مليون دولار لتعزيز قدرة وزارة الصحة العامة، وذلك في إستجابة سريعة لتفشي فيروس كورونا (كوفيد-19) في لبنان، عبر تجهيز المستشفيات الحكومية بعمليات شراء سريعة للمعدات والمستلزمات وزيادة قدرتها لمواجهة الأزمة.

وفي إطار "الحملة الوطنية للتكافل الاجتماعي"، عقد اجتماع في السرايا الحكومية في 25 آذار بين اللجنة الوزارية المعنية في الأزمة الحالية وممثلين للمجتمع الأهلي حيث تقرر صرف 18 مليار ليرة لشراء 100 ألف حصة غذائية وصحية، قيمة كل حصة 180 ألف ليرة، وذلك لتوزيعها على المناطق كافة، بالتنسيق مع البلديات والمخاتير.

3- الأمن الغذائي مهدد: ولبنان معرض لخطر أزمة غذائية كبيرة

يمر لبنان اليوم بأسوأ ازمة اقتصادية و مالية في تاريخه ، في سياقها تفاقمت حالات الفقر والبطالة والغلاء والجوع واقفال مئات المؤسسات والشركات التجارية والسياحية . وتشير التقديرات إلى أن مليوني لبناني فد باتوا اليوم علي ابواب الفقر والمجاعة تقترب، بينما تستمر السلطة الحاكمة بتجاهل قضايا اللبنانيين و فقرهم وجوعهم وتشردهم، وحجز أموالهم وجنى عمرهم في المصارف، بينما يبقى همهم الاساسي تأمين مصالحهم وتثبيت المحاصصة الطائفية وتقاسم المغانم .

كيف وصلنا إلى هنا؟ كتب رئيس الحكومة عن هذا الواقع في مقالة[126] نشرتها "واشنطن بوست" ،مشيرا الى أنه "منذ أسابيع قليلة، شهد لبنان احتجاجاته الأولى على الجوع، لقد توقف الكثير من اللبنانيين عن شراء اللحوم[127] والفواكه والخضروات وقد يجدون صعوبة في تحمل نفقات الخبز .كما حذرت منظمة" هيومن رايتس ووتش "والبنك الدولي من أن أكثر من نصف الأسر اللبنانية قد لا تستطيع شراء الطعام بنهاية العام."

وسأل دياب: "كيف وصلنا إلى هنا؟.. لقد ضرب لبنان وشعبه أزمة ثلاثية. أولاً، نتيجة لسوء الإدارة السياسية والفساد على مدى عقود، موضحا أنه "ثانياً، يمر لبنان بأزمة اقتصادية ومالية غير مسبوقة قادت البلاد إلى

---

[126] كتب رئيس مجلس الوزراء د. حسان دياب، مقالة في صحيفة "واشنطن بوست" 21 أيار 2020، تحت عنوان "أزمة فيروس كورونا تدفع لبنان نحو أزمة غذائية كبيرة".. خيث أكد أنه: يجب أن يكون الحفاظ على الإمدادات الغذائية وتجنب تضخم الأسعار في صميم هذه الاستجابة. وأخيراً، يجب على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي إنشاء صندوق طوارئ مخصص لمساعدة الشرق الأوسط على تجنب أزمة الغذاء الحادة. وإلا فإن المجاعة قد تؤدي إلى تدفق جديد للهجرة إلى أوروبا وتزيد من زعزعة الاستقرار في المنطقة."

[127] تفاقم الأزمة أدت إلى إقفال أصحاب المسالخ والملاحم وتجار المواشي في منطقة الزهراني، أبواب محالهم، توقّفوا عن الذبح والبيع بسبب ارتفاع سعر كيلو لحم البقر متجاوزاً الـ 40 الف ليرة لبنانية داخل المسلخ بالجملة، ليصل الى المواطن بالمفرق بـ 50 الف ليرة، وذلك نتيجة التلاعب بسعر صرف الدولار، وعدم توفره في السوق الا بسعر الصرف العالي الذي وصل الى 6000 ليرة لبنانية (نداء الوطن، "قصّابو الزهراني يتوقّفون عن البيع: كيلو اللحم تعدّى الـ 50 ألفاً" محمد دهشة، 24 حزيران 2020..

التخلف عن سداد ديونها الخارجية، ويتوقع صندوق النقد الدولي (IMF) انخفاضا بنسبة 12 في المئة في الناتج المحلي الإجمالي للبنان هذا العام، فيما يفقد الناس وظائفهم وتنخفض قيمة عملتنا الوطنية بسرعة كما زادت أسعار المواد الغذائية المستوردة بأكثر من الضعف منذ بداية العام" ، **بحيث بات الانفجار الاجتماعي يقترب ، وثورة الجياع علي الابواب** (بلغ الدولار عتبة 6500 ل.ل. في السوق السوداء يوم 24 حزيران)، .

وبحسب الدولية للمعلومات يتبيّن خلال شهر أيار 2020، إستمرارأسعار معظم السلع الغذائية والاستهلاكية بالارتفاع (65 سلعة)، في مقارنةً بين كلفة السلّة الغذائية والاستهلاكية لعائلة مؤلفة من 5 أفراد، فقد ارتفعت من نحو 450 ألف ليرة شهرياً في بداية شهر تشرين الثاني 2019 إلى 800 ألف ليرة في بداية شهر أيار 2020 أي بارتفاع مقداره 350 ألف ليرة ونسبته 77,7 في المائة، وهي وصلت في بداية حزيران إلى مليون ليرة أي بارتفاع مقداره 550 ألف ليرة ونسبته 122,2 في المائة. ويكون الارتفاع خلال شهر أيار قد بلغ 200 ألف ليرة ونسبته 25في المائة. مع الإشارة أن أسعار هذه السلع تختلف بين محل وآخر، وقد اعتمدنا السعر الأدنى لدى عدد من المحلات التجارية.

أولاً– أرقام الأزمة المعيشية مقلقة، من الفقر إلى حافة المجاعة..

أما بخصوص التداعيات الإقتصادية الناجمة عن الإقفال وتوقف الأعمال والحركة التجارية والكساد الحاصل، فيتبيّن من تقديرات أولية أن حجم الخسائر في الإقتصاد تتراوح بين 100 و 150 مليون دولار يومياً، تضاف إليها الخسائر الفادحة التي تلحق بالقطاع السياحي وقطاع التجارة والأعمال والقطاع الصناعي، والتي تقدر بنحو 100 مليون دولار، وهذا ما سيؤدي إلى خسارة الوظائف وإرتفاع نسبة البطالة، وقد برزت هذه الخسائر واضحة في العاصمة بيروت التي تؤمن وحدها أكثر من ثلثي الحركة الإقتصادية، حيث ادى الإقفال إلى خسائر جسيمة في الحركة السياحية، والتي تضم الفنادق والمطاعم والمقاهي الليلية (اكثر من 2200 مطعم ومقهى أصيبت بخسائر فادحة) والتي قامت بصرف معظم موظفيها، وخفض رواتب البعض الآخر. مما دفع الدولة للإسراع بتنظيم عودة الحركة الإقتصادية لتفادي الخسائر الجسيمة، فقد كشف مدير عام شركة طيران الشرق الأوسط "الميدل إيست" أن الخسارة اليومية لوقف الأعمال "توازي 35 مليون دولار في الشهر، ولكن الشركة ليست بحاجة إلى مساعدة من الدولة وقادرة أن تستمر بقدراتها الذاتية." **يضاف إلى هذا تكلفة المعيشة المرتفعة في بيروت، وبحسب مؤشر كلفة المعيشة تأتي بيروت في المرتبة السادسة بين مدن الشرق الأوسط وفي المرتبة 121 بين مدن العالم (وعددها 331 مدينة في 227 بلدا حول العالم)، ويقارن أسعار وتكاليف المعيشة بين دول العالم بالاعتماد على أسعار الطعام**

(الحليب والدجاج والخبز والأرز...) والمسكن (الشقق المفروشة وخدمة الانترنت...) والملابس (جينز والحذاء الرياضي...) ووسائل النقل (تاكسي وسيرفيس...) ..

1- برنامج الغذاء العالمي: مليون لبناني تحت خط الفقر

حذر ممثل المدير القطري لبرنامج الغذاء العالمي في لبنان ، من أن مليون لبناني معرضين لأن يصبحوا تحت خط الفقر الغذائي خلال العام الحالي، مشيراً إلى أن البرنامج يستعد لتقديم مساعدة غذائية طارئة لدعم 50 ألف أسرة لبنانية معرضة لتداعيات الأزمات الاقتصادية. وأوضح أنه "استناداً إلى توقعات بالنمو السلبي للناتج المحلي الإجمالي للفرد للعام 2020، يقدر البنك الدولي أن معدل انتشار الفقر في لبنان سيرتفع من 37 في المئة عام 2019، إلى 45 في المئة عام 2020، ومن المتوقع أن يؤثر الفقر المدقع (المعروف أيضًا باسم فقر الغذاء) على 22 في المئة من السكان، مقارنة بـ16 في المئة عام 2019."

وأضاف، بحسب التقديرات: " يمكن أن يكون في لبنان **ما يصل إلى 335 ألف أسرة لبنانية فقيرة في عام 2020، بما في ذلك 163000 أسرة (ما يقرب من مليون فرد) تحت خط الفقر الغذائي."**

وأشار إلى أن "برنامج الغذاء العالمي يستعد لتقديم مساعدات غذائية طارئة لدعم 50 ألف أسرة لبنانية معرضة للتأثر بالأزمات الاقتصادية وأزمة كوفيد-19 بالتعاون مع عدة جهات فاعلة. وسيتم تنسيق المساعدة مع خطط وسياسات المساعدة الاجتماعية للحكومة اللبنانية." .. أما بالنسبة للاجئين السوريين فأن "برنامج الغذاء العالمي يستعد أيضاً لوضع مخزون غذائي عيني مسبق للاجئين في حالة منعت إجراءات الإغلاق بسبب كوفيد-19 تأمين المساعدة الإنسانية المنتظمة القائمة على توفير النقد من خلال أجهزة الصراف الآلي أو المتاجر المتخصصة."

2- الدولية للمعلومات: ماذا لو بلغ عدد العاطلين عن العمل مليوناً؟

أدت الازمة الاقتصادية والمالية الخانقة في لبنان، ثم إنتشار فيروس كورونا، إلى تراجع النمو الإقتصادي وإنتشار البطالة بين اللبنانيين، وكذلك بالنسبة للمغتربين في الخارج، مما أدى إلى تراجع التحويلات، وعودة آلاف اللبنانيين ممن فقدوا أعمالهم، ويتبيّن بحسب "الدولية للمعلومات" أن الصورة سوداوية وتنذر بتوقف نحو مليون عاطل عن العمل، وهو رقم كارثي في بلد صغير المساحة كلبنان، مما يقتضي دق ناقوس الخطر. وتوضح الدراسة أنه "لا تتوافر أرقام رسمية حول أعداد العاطلين عن العمل ونسبة البطالة في لبنان وذلك على رغم أهمية هذا الأمر كمؤشر اقتصادي واجتماعي، فنسبة البطالة التي أعلنتها إدارة الإحصاء المركزي بعد مسح بالعيّنات جرى بين نيسان 2018 وآذار 2019 هي 11,6 في المائة. لكنّ الواقع هو خلاف ذلك، اذ تشير استطلاعات "الدولية للمعلومات" الى أن عدد العاطلين عن العمل قبل 17 تشرين الأول 2019 كان نحو 350 ألفاً، أي بنسبة 25 في المائة من حجم القوى العاملة، ونتيجة حالة الشلل التي

شهدها لبنان منذ 17 تشرين الأول 2019 والتي زادت حدةً مع تفشي وباء كورونا، فقد صُرف من العمل نحو 80 ألفاً ليرتفع العدد الإجمالي إلى 430 ألفاً، أي ما نسبته 32 في المائة. ولكنّ المؤشرات والأوضاع الاقتصادية التي يعيشها لبنان ومعظم دول العالم تشير إلى إمكان ارتفاع أعداد العاطلين عن العمل في الأشهر المقبلة إلى نحو مليون عاطل عن العمل بحسب السيناريو الأسوأ، أي بنسبة 65 في المائة" ويبقى هذا الرقم بمثابة تقديرات تستوجب التحرك لتفادي الأسوأ. أما المؤشرات التي تدفع الى هذا الاحتمال فهي كثيرة من أبرزها:

- احتمال أن يُصرف نحو 10 آلاف – 15 ألف أستاذ وموظف في المدارس الخاصة نتيجة عدم قدرة الأهالي أو امتناعهم عن تسديد الأقساط المتوجبة عليهم.
- إقفال عدد من المطاعم والفنادق والمؤسسات السياحية نتيجة عدم القدرة على تحمّل ارتفاع الأعباء وتراجع المداخيل، وهذا الامر قد يصيب نحو 50 ألف عامل.
- إقفال عدد من المؤسسات التجارية الصغيرة التي تبيع الألبسة والاحذية وسلعاً غير أساسية بسبب تراجع حركة البيع، وهذا الأمر قد يصرف 20 –25 ألف عامل.

في السنوات الثلاث الماضية كانت الهجرة والسفر يحدّان من ارتفاع عدد العاطلين عن العمل، وهذا الباب قد أوصد في وجه اللبنانيين بشكل كبير، وتالياً فان نحو 50 –60 ألفاً سينضمون الى العاطلين عن العمل، وهذا الرقم يشتمل على نحو 30 ألفاً من المتخرجين الجامعيين الجدد. يُضاف إلى كل هذا عودة نحو 200 ألف لبناني من بلدان افريقيا ودول الخليج وأوروبا، بعدما فقدوا وظائفهم نتيجة التراجع الاقتصادي بسبب أزمة كورونا وتراجع أسعار النفط في دول الخليج. ثم توقع فقدان نحو 100 –150 ألفاً وظائفهم من قطاعات مختلفة بفعل تقليص الأعمال والمشاريع ولا سيما في قطاع البناء والمقاولات، في الاعلام والصحافة، في النقل، وكذلك في المصارف (حيث يعمل 26 ألف موظف).

3– <u>الكساد والبطالة..أرقام صادمة وخسارة 220,000 وظيفة .</u>

تعتبر الأزمات التي يواجهها لبنان اليوم، لا سابقة لها، ولم تحصل خلال السنوات ال 25 الماضية...

ويتبين بحسب دراسة نفذتها شركة أبحاث متخصصة.(InfoPro) أن العدد الإجمالي للوظائف المفقودة قد بلغ 220،000 وظيفة، وكانت النتائج صادمة، فقد تم تخفيض الرواتب بنسبة 40 في المائة في الشركات الخاصة .. كما ان 12في المائة من الشركات توقفت عن العمل..

وقد تم تنفيذ الإستطلاع على مرحلتين حول عدد الوظائف المفقودة خلال فترة الإنتفاضة منذ 17 تشرين أول، فقد أظهر استطلاع أول أجرته شركة InfoPro Research خلال الأسبوع الأخير من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2019 أن عشرة بالمائة من الشركات قد توقفت عن العمل مؤقتًا أو دائمًا منذ 17 تشرين أول/

أكتوبر. وقد تأثرت معظم الشركات في قطاع الخدمات الذي خسر 73 في المئة من حركة الأعمال في المتوسط. وأن أكثر من 160،000 شخص تم تسريحهم من وظائفهم.

كما تم الانتهاء من المسح الثاني خلال الأسبوع الأخير من شهر كانون الثاني/ يناير من عام 2020 مع نفس العينة. التي شملت نحو 300 شركة موزعة في مناطق مختلفة ومتنوعة من حيث الحجم والقطاعات، حيث زاد عدد المسرحين من العمل بنحو 60,000 شخص، ليرتفع العدد الإجمالي إلى 220,000 وظيفة. وقد تبين خلال تلك الفترة أن ثلث جميع الشركات قد خفضت القوى العاملة لديها بنسبة 60 في المئة. كذلك جاءت النتيجة أن نصف الشركات التي شملها الاستطلاع خفضت الرواتب لدى موظفيها بأكثر من 40 في المئة.

لقد بدأت أزمة هشاشة القطاع الخاص والأعمال منذ بداية عام 2019 ، حيث قلصت الشركات من النفقات العامة وعدد الموظفين ، وخفضت الرواتب. لكن وبحلول 17 تشرين أول/أكتوبر ، كانت معظم الشركات قد استنفدت بالفعل احتياطياتها ، وفقد الكثير منها قدرتها على مقاومة الأزمة ، وهذا لم يحصل في حالات الطوارئ الأمنية أو الاقتصادية السابقة خلال السنوات الـ 25 الماضية.

4- توقعات البنك الدولي بين عامي 2017 و 2020

تشير توقعات البنك الدولي إلى إن عدد الفقراء قد تجاوز ثلث السكان قبل تفشي وباء كورونا وفرض حالة التعبئة العامة، اما اليوم فقد إرتفعت هذه النسبة إلى أكثر من 50 في المائة، نتيجة تفاقم الآزمة المعيشية وإرتفاع معدل البطالة بشكل حاد، بحيث أن رواتب غالبية اللبنانيين لم تعد تكفي لتأمين الحد الادنى من المستلزمات الضرورية في سلة غذائية شهرية تضاف إليها أكلاف اللباس والتعليم والتنقل والإيجارات السكنية.. وبحسب مساعدات الهيئة العليا للإغاثة للآسر الأكثر فقراً، فقد تزايدت نسبة الأسر الفقيرة من 22 في المائة عام 2018، لتبلغ أكثر من 50 في المائة عام 2020، أي ما يوازي 130 الف عائلة تعيش تحت خط الفقر، بعدما كان العدد السابق لا يتجاوز 44 ألف عائلة.

وبحسب تقرير البنك الدولي عام 2016، كان هناك 1,5 مليون لبناني يعيشون تحت خط الفقر،يضاف إليهم 1,5 مليون من النازحين السوريين من الفئات الضعيفة، بالإضافة إلى 320,000 لاجئ فلسطيني يعيشون في فقر مدقع ويواجهون أزمة معيشية قاسية[128].

[128] **تقرير صادر عن البنك الدولي عام 2016:**
The World Bank. *Lebanon - Country Partnership Framework ..* Report. Washington, DC: The World Bank ..

أما تقرير البنك الدولي الصادر في العام 2017 حول طرابلس[129]، وتحت عنوان "فرص العمل لشمال لبنان"، فيبيّن أن مناطق الشمال تضم الاكثرية المطلقة من عدد الفقراء في لبنان، ما يعادل نحو 290 الفاً، أو ما نسبته 36 في المئة من عدد اللبنانيين، وهو معدل أعلى بكثير من المعدل الوطني. ويلفت التقرير إلى أن نحو 90 في المئة من العاملين في العاصمة الثانية، يعملون في قطاع غير رسمي (أو غير قانوني). وهم غير مسجلين في الضمان الاجتماعي، ويشكّلون نحو 38 في المئة من القوة العمرية العاملة من سكان طرابلس.

كما أظهرت دراسة International Poverty Center[130] حول النمو وتوزيع الدخل في لبنان أن الفقر ترتفع نسبته في مدينة طرابلس لتشمل 57 في المائة من مجمل سكانها. وفي دراسة أعدتها "اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا" (الإسكوا) بالتعاون مع "برنامج الامم المتحدة الإنمائي" ووزارة الشؤون الاجتماعية، عام 2015، للبحث في مستويات المعيشة لعاصمة الشمال طرابلس، فقد ظهرت أرقام مروعة عن حجم الفقر داخل أحياء المدينة وأزقّتها. وبحسب دراسة الاسكوا فقد تخطت نسبة الذين يعيشون ضمن ظروف صعبة، 75 في المائة من عدد سكان مدينة طرابلس الذين يبلغ تعدادهم نحو 600 الف نسمة، حيث ترتفع النسبة إلى 90 في المائة في بعض الأحياء، مثل باب التبانة وحي التنك ومنطقة السويقة، بالاضافة إلى أن نحو 23 في المائة من السكان يقبعون تحت خط الفقر حيث يبلغ دخلهم اليومي أقل من دولارين. وتعتبر باب التبانة أكثر المناطق في طرابلس فقراً ضمن مؤشر الحرمان بنسبة 91 في المائة استناداً إلى تقرير الألفية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

يضاف إلى هذا تزايد الطلب على الخدمات العامة، بعد مضي نحو تسع سنوات على الأزمة السورية، مع تزايد عدد النازحين السوريين واللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وكذلك نتيجة تراجع المساعدات الدولية من الدول المانحة، بالإضافة إلى الخسائر المباشرة الناجمة عن التدهور البيئي.

[129] التقرير الأخير للبنك الدولي في العام 2017 حول طرابلس، تحت عنوان "فرص العمل لشمال لبنان" الشمال يضم الاكثرية المطلقة من عدد الفقراء في لبنان، ما يعادل نحو 290 الفاً أو ما نسبته 36 في المئة من عدد اللبنانيين، وهو معدل أعلى بكثير من المعدل الوطني. ويلفت التقرير إلى أن نحو 90 في المئة من العاملين في العاصمة الثانية، يعملون في قطاع غير رسمي (أو غير قانوني). وهم غير مسجلين في الضمان الاجتماعي، ويشكّلون نحو 38 في المئة من القوة العمرية العاملة من سكان طرابلس.

[130] هذا التقرير هو ثمرة التعاون بين الحكومة اللبنانية ممثلة بوزارة الشؤون الإجتماعية، وإدارة الإحصاء المركزي، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والبنك الدولي، وهو بعنوان " الفقر والنمو وتوزيع الدخل في لبنان" برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 2010.

5- المديرية العامة لإدارة الإحصاء المركزي

يُظهر مسح القوى العاملة والأوضاع المعيشية[131] الذي أصدرته المديرية العامة لإدارة الإحصاء المركزي الشهر الماضي نهاية 2019، **أن معدّل البطالة في لبنان يبلغ 11.4 في المئة، في حين تتخطّى هذه النسبة الـ 35% بين الشباب من حمَلة الشهادات الجامعية**. إذ لا يستوعب سوق العمل أكثر من 4 آلاف فرصة عمل سنوياً، فيما يصل عدد خرّيجي الجامعات إلى نحو 36 ألفاً سنوياً. والمؤكّد أن هذه المعدلات زادت في الأشهر الأخيرة، بعد اندلاع الانتفاضة الشعبية في 17 تشرين الأول المنصرم، وما رافقها وتبعها من إغلاق لمؤسّسات بالجملة وصرف لآلاف الموظفين، واقتطاعات كبيرة من رواتب من بقوا في وظائفهم.

6- المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

أجرت مديرية الإحصاء واستطلاعات الرأي في المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق[132] استطلاعاً (نيسان 2020) يكشف عن تداعيات أوليّة للأزمة الإقتصادية وما تلاها من إقفال بسبب وباء «كورونا». حيث تبيّن أن 30,8 في المائة من المؤسسات صرفت عمّالها، و10,8في المائة خفضت عددهم. كذلك تبيّن أن أكثر من 33 في المائة من العاملين في القطاع الخاص انقطع راتبهم بالكامل و22في المائة خُفضت رواتبهم مع إبقاء نفس عدد ساعات العمل، و13في المائة خُفضت رواتبهم مقابل خفض عدد ساعات عملهم، مقابل 31,5 في المائة لم تمسّ رواتبهم. وعلى ضفّة المؤسسات، كشف الاستطلاع[133] أن مردود المؤسسات بدأ ينخفض، إذ إن أكثر من 51 في المائة انخفض مردودهم المالي بنسبة 50 في المائة وما دون، مقابل 49 في المائة انخفض مردودهم بأكثر من 50 في المائة.

ثانيا- الفقر يتوسع.. والمناطق الأكثر فقراً هي عكار وطرابلس

1- مرحلة ما قبل الإنتفاضة الشعبية

بلغت نسبة الفقر نحو 27 في المائة من سكان لبنان عام 2011 (قبل الأزمة السورية). ثم إرتفعت لتبلغ عام 2019، نحو 36 في المائة من اللبنانيين، و52 في المائة من النازحين السوريين فقراء جداً. وتشير آخر

---

[131] المديرية العامة للإحصاء المركزي، مسح القوى العاملة والأوضاع المعيشية في لبنان، تمّ جمع البيانات خلال فترة 12 شهراً بين نيسان 2018 وآذار 2019 وبلغ حجم العيّنة حوالى 40000 أسرة.

[132] نتائج الإستطلاع الذي أجرته مديرية الإحصاء، في المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق في 5 نيسان 2020، حول تأثيرات الأزمة الإقتصادية وإنعكاساتها على معيشة المواطنين اللبنانيين.

[133] كما نشر المركز الإستشاري سابقاً دراسة إحصائية بعنوان "الأحوال المعيشية للأسر في لبنان 2015، النتائج والمؤشرات العامة والمناطقية"، حيث قدرت نسبة فقر الدخل بـ 36,3 في المائة من الأسر على أساس خط الفقر الأعلى المقدر بـ 6.33 دولارات للفرد في اليوم؛ وقدرت نسبة الأسر التي تعيش في حالة فقر شديد بـ 15,2 في المائة على أساس خط فقر يبلغ 4,02 دولارات للفرد في اليوم.

المعطيات أن المناطق الفقيرة تستضيف النازحين واللاجئين الفقراء، وأن نحو مليون لبناني يعيشون دون خط الفقر السنوي البالغ 4,7 مليون ليرة لبنانية سنوياً، أما الفقر المدقع (أي تحت خط الفقر الغذائي)، فقد كانت حصة الفرد قبل الإنهيار المالي في اسعار صرف الليرة، نحو 3,1 مليون ل.ل. أو 2078 دولار أمريكي في السنة. أي ما يعادل 5,7 دولار أمريكي تقريبًا في اليوم. كما كان يوجد نحو 360 ألف لبناني يعيشون بأقل من 2,5 دولار يومياً. ويُقدر أن النزوح السوري زاد من الفقر بين السكان اللبنانيين ، مما دفع 170،000 شخص لبناني إضافي إلى الفقر في عام 2014 وجعل الفقراء بالفعل أكثر فقراً.

وبحسب تقديرات برنامج الأمم المتَّحدة الإنمائي عام 2008، فأنَّ ثلث اللبنانيين تقريبًا فقراء ويضطرون للعيش بأقل من أربعة دولارات لكلِّ فرد في اليوم. كذلك يضطر نحو مائتي ألف شخص لبناني إلى الاكتفاء بأقل من دولارين للشخص الواحد في اليوم، أما المناطق الأكثر فقراً فهي عكار وطرابلس حيث أن نصف سكان طرابلس يعيشون تحت خط الفقر، كما ان 72 في المائة من اهل عكار يعيشون باقل من 110 دولار اميركي في الشهر، و20 في المائة منهم يعيشون باقل من 40 دولار بالشهر. كما أن غالبية الفقراء من الأطفال وكبار السن، الذين يعيشون على الطرقات حفاة، عراة، وينامون تحت الجسور في لبنان، بالقرب من حاويات النفايات بحثاً عن فتات طعام، يفترشون الأرصفة ، ويتخذون من أماكن رمي النفايات مأوى لهم.

وبحسب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أيضاً: "يرتكز الفقراء بصورة كبيرة بين العاطلين عن العمل والعاملين غيرالماهرين الذين يزداد تمثيلهم في قطاعات مثل الزراعة والبناء، مما يحث على إيلاء الإهتمام بوضع نموذج نمو إقتصادي شامل وواسع من شأنه تحفيز العمل في هذين القطاعين"[134].

هذا ما دفع البنك الدولي لإصدرا تقرير عن "الوظائف في شمال لبنان عام 2017"، بالتعاون مع غرفة طرابلس ولبنان الشمالي (ايلول 2017)، ومدينة "طرابلس باتت تعدّ أفقر مدينة على البحر المتوسط."
وقد تناول التقرير واقع سوق العمل والمؤثرات السلبية في الماضي والحاضر على فرص العمل، وإعتبر التقرير في جزء منه ان طرابلس والشمال بحاجة وباسرع وقت الى أربع عشرة الف فرصة عمل واشار التقري الى مفصلين اساسيين يجب التركيز عليهما هما قطاع البطاطا على المستوى الزراعي ومعالجة مسالة النفايات الصلبة.
وكان مجلس الوزراء قد اقر في جلسته نهاية تشرين الأول 2014، مبلغ 30 مليار ليرة تعويضات لإعادة تأهيل وإنماء المناطق المتضرّرة جرَّاء المعارك التي شهدتها أخيراً مدينة طرابلس، كما شهدت غرفة طرابلس

[134] **راجع "الفقر والنمو وتوزيع الدخل في لبنان"، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، آب 2008. صفحة 80..**

ولبنان الشمالي احتفالية لإطلاق دليل الحرمان الحضري "الفقر في مدينة طرابلس" دليل من ثلاثة أجزاء، أصدرته الإسكوا بالتعاون مع وزارة الشؤون الاجتماعية والمعهد العربي لإنماء المدن.

بالإضافة إلى عدم المساواة والتفاوت الإجتماعي والمناطقي، نتيجة فشل السلطة الحاكمة في تأمين العدالة الاجتماعية وتطبيق الإنماء المتوازن، حيث ان اقل من 10 في المائة من اللبنانيين يُسيطرون على اكثر من 90 في المائة من ثروات البلد.

لقد كشفت منظمة أوكسفام في تقريرها عن "مؤشّر الإلتزام بخفض اللامساواة" 2017، أن لبنان سجّل أداءً ضعيفاً جدّاً إذ جاء عاشراً بين 12 دولة عربيّة شملها الإحصاء و131 عالميّاً. وحصد المركز 138 على صعيد "الإنفاق على قطاعات الصحّة، التعليم، والحماية الاجتماعيّة"، و101 على صعيد "البنية التقدُّميّة ونسبة الضرائب"، و108 على صعيد "السياسات المتعلِّقة بسوق العمل والتي تُعنى باللامساواة."

كذلك بالنسبة لعمالة الأطفال في لبنان أيضاً، يعمل نحو 13 في المائة من الأطفال (ممن لا تتجاوز أعمارهم 18 سنة)، دون أن تتدخل الدولة، وتضمّ مدينة طرابلس نحو ثلث مجمل الأطفال العاملين في لبنان[135].

أما بالنسبة لأوضاع النازحين، فينتشر الفقر على نطاق واسع، كما يتبين من دراسة "الإحتياجات والأوضاع الإنسانية للنازحين في لبنان[136] عام 2016"، بالأرقام:

---

[135] طرابلس أفقر المدن المتوسطية، فهي تمتد على مساحة 29,664 كم2؛ ويُقدّر عدد سكانها بـ 000 350 نسمة ، يتوزّعون بين طرابلس والميناء والبداوي، وقد انضمت القلمون في العام 2014 إلى إتحاد بلديات الفيحاء. وبحسب دراسة الاسكوا فقد تخطت نسبة الذين يعيشون ضمن ظروف الحرمان، 75 في المائة من عدد سكان مدينة طرابلس الذين يبلغ تعدادهم نحو 600 الف نسمة (مع النازحين السوريين وغير اللبنانيين)، كما ترتفع النسبة الى 90 في المائة في بعض الأحياء، مثل باب التبانة وحي التنك ومنطقة السويقة، بالاضافة الى أن نحو 23 في المائة من السكان يقبعون تحت خط الفقر المدقع حيث يبلغ دخلهم اليومي أقل من دولارين..

وقد أعدّت مجموعة "البنك الدولي" مجموعة من الدراسات حول الواقع الاجتماعي والتنموي والاقتصادي في لبنان. وتشير دراستها حول مستوى الفقر التي تندرج ضمن إطار إتفاقية الشراكة التي وقّعتها مع الحكومة اللبنانيّة للفترة الزمنيّة الممتدّة بين 2017-2022، إلى أن 30 في المائة من سكّان لبنان يعيشون تحت الحدّ الأدنى للفقر.

[136] من خطة لبنان للإستجابة للأزمة السورية 2017-2020. (LEBANON CRISIS RESPONSE PLAN)، **من إعداد الحكومة اللبنانية مع المفوضية العليا للاجئين في الأمم المتحدة عام 2018، "بعد سبع سنوات من الصراع السوري ، يظل لبنان في طليعة واحدة من أسوأ الأزمات الإنسانية في عصرنا وأظهر التزامًا وتضامنًا استثنائيين للنازحين بسبب الحرب في سوريا. اعتبارًا من أكتوبر 2017 ، قدرت الحكومة اللبنانية أن البلد يستضيف 1.5 مليون سوري فروا من النزاع في سوريا.**

ما يقرب من نصف السكان اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين المتأثرين بالأزمة هم من الأطفال والمراهقين: هناك ما لا يقل عن 1,4 مليون طفل تحت سن 18 عامًا يتعرضون الآن للخطر والمحرومين ولديهم احتياجات ماسة للخدمات الأساسية والحماية".

•أكثر من 60 في المائة من النازحين (عمر 15 سنة وأكثر)، ليس لديهم إقامة قانونية
•أكثر من نصف النازحين من سورية هم من النساء والأطفال.
•أكثر من 52 في المائة من النازحين في حالة الفقر المدقع (2,4 دولار يوميا للفرد).
•نحو 251 منطقة ضعيفة في لبنان تضم 67 في المائة من فقراء لبنان وتستضيف 87 في المائة من النازحين الأكثر فقراً .

2- بعد أشهر على الإنتفاضة وكورونا: نسبة الفقر في لبنان نحو 60 في المائة

نظراً لغياب الأرقام الرسمية، تشير التقديرات إلى أن نسبة الفقر في لبنان اليوم (منتصف 2020) قد إرتفعت لتبلغ نحو 60 في المائة من السكان اللبنانيين المقيمين والبالغ عددهم نحو أربعة ملايين ساكن، بينهم 30 في المائة تحت خط الفقر المدقع، حيث لا يكفي دخلهم لتوفير الغذاء الصحي وتأمين مستلزمات الصحة والكهرباء والمياه والتعليم والنقل الحياة الأخرومتطلبات الحياة الأخرى، بحسث يواجه لبنان اليوم أزمة معيشية لا مثيل لها، وهي قد باتت أقرب إلى حافة المجاعة لجهة تراجع دخل الأسرة، ثم توقف مختلف الأعمال اليومية بالنسبة للعاملين في القطاع الهامشي والذين إنقطعت موارهم بالكامل.

وما يسترعي الإنتباه أيضاً تزايد أرقام المهاجرين إلى الخارج، فقد سجل العام 2019 هجرة ما يقارب 62 ألف لبناني وفق الاحصاءات التي قامت بها الشركة الدولية للمعلومات منذ مطلع العام 2019 حتى نهاية شهر تشرين الثاني، حيث تبيّن أنّ عدد اللبنانيين الذين سافروا ولم يعودوا وصل إلى 61,924 لبنانياً مقارنة بـ 41,766 لبنانياً خلال الفترة ذاتها من العام 2018، أي بزيادة 20,158 ألفاً وما نسبته 42 في المئة." ومؤخرا فقد نشرت "وكالة الصحافة الفرنسية" (أ ف ب) تحقيقا بعنوان "شبان لبنانيون يغادرون البلاد من دون عودة بعيداً من اقتصاد متهالك"، ومما جاء فيه: "... والأمهات اللواتي هتفن يوماً متهمين الطبقة السياسية بدفع أولادهن إلى الهجرة، بدأن بتحضير أنفسهنّ لوداعهم، في بلد يشهد انهياراً اقتصادياً متسارعاً يُعد الأسوأ منذ الحرب الأهلية 1975-1990.

كل هذا يستوجب التحرك السريع لوضع تدابير وإجراءات مكملة لزيادة التحويلات وتعزيز التقديمات المخصصة للفئات الضعيفة والفقراء ومحدودي الدخل، من خلال بناء شبكة أمان إجتماعي، ترتكز إلى تخصيص إنفاق إضافي لا يقل عن 0.5 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي، وتجديدها لعدة سنوات.

ومع تزايد معدل الشباب اللبناني العاطل عن العمل، فحسب أرقام البنك الدولي، يدخل 30 ألف فرد سوق العمل اللبناني سنوياً، ولاستيعابهم يحتاج الإقتصاد إلى خلق أكثر من 6 أضعاف عدد الوظائف الموجودة أساساً، علماً أن متوسط صافي فرص العمل التي كانت المتاحة بين عامي 2004 و2007 يبلغ 3400 وظيفة فقط.

قبل ظهور الأزمة السوريّة، كان هناك 11في المائة من القوى العاملة عاطلة عن العمل في لبنان، لكنها إرتفعت لتبلغ بداية عام 2019، نحو 36 في المائة، وهي النسبة التي توصلت إليها الدراسة حول البطالة في لبنان، حيث تبيّن أن **هناك حوالي 660 ألف شخص عاطل عن العمل**، والنسب متفاوتة بين المناطق المختلفة، واليوم الأرقام إلى إرتفاع.

وبالرغم من خطورة هذه الأرقام عن واقع الفقراء في لبنان، نجد أن الحكومات المتعاقبة لم تقدم أي خطة إنقاذيه لانتشال اللبنانيين من واقعهم المرير بل على العكس فقد تفاقمت الصراعات السياسية على الحصص والنفوذ، كما تم تجاهل الحقائق والأرقام بينما كانت تتوسع دائرة الفقر في مختلف المناطق كما عادت تتكون أحزمة البؤس حول المدن الكبرى خصوصاً في بيروت وطرابلس.

3- التداعيات الإقتصادية والمالية

يعاني الاقتصاد اللبناني حاليا تحت وطأة واحدة من أعلى معدلات الديون في العالم، حيث يعود تاريخ أول إستدانة خارجية بالعملة الأجنبية إلى عام 1997 (24 تشرين الثاني 1997)، وهو يوم الإتفاق الشامل على بداية الدين الخارجي في عهد الرئيس إلياس الهراوي في بعبدا حول ما يُسمى بالتقشف وزيادة الإيرادات، وايضاً أول إستدانة بقيمة ملياري دولار. اما اليوم فقد تخطى مجموع الدين العام عتبة 90 مليار دولار؛ ليشكّل 170 في المائة من الناتج المحلي[137]، وتزامن ذلك مع البطالة وغلاء المعيشة وتدني مستوى البنى التحتية، ناهيك عن استنزاف موارد الدولة في ظل عجزٍ عن اتخاذ إجراءات جذرية توقف الانحدار الحاد في ميزانية الدولة، بحيث بات لبنان قريبًا جدًا من أن يكون البلد الأكثر ديونًا في العالم.

والبارز في كل هذا أن القطاع المصرفي في لبنان قد تراجع عن دوره الأساسي، وحصر نشاطه في استقطاب الودائع مقابل فائدة عالية تجاوزت ما بين 5 إلى 10 أضعاف ما تقدمه المصارف الأخرى في العالم، وهذا ما أدى إلى توقف الإنتاج، كما أدى إنتشار الفساد والهدر إلى تراكم الديون وعجز الميزانية العامة، مما دفع الدولة إلى التوقف (تعليق سداد الديون) عن سداد ديونها[138] في بداية آذار عام 2020. حين "أصبح الدين

---

[137] كذلك يقدّر صندوق النقد الدولي الدين الخارجي للبنان (الحكومة والمصارف والشركات) بنحو 190% من الناتج المحلي الإجمالي، أو 107 مليار دولار. وهويرى أن لبنان بحاجة إلى إصلاحات شاملة ومنصفة في مجالات عديدة وهو ما يتطلب توافقا ومشاركة مجتمعية.

[138] **يوم السبت 7 مارس/آذار، أعلن لبنان، على لسان رئيس الوزراء د. حسان دياب، أنه لا يمكنه دفع ديونه المستحقة في مواعيدها، وعلق سداد 1,2 مليار دولار كانت مستحقة يوم الإثنين 9 مارس/آذار 2020، وهو ما وضع الدولة المثقَلة بالديون على مسار التخلف عن سداد ديون سيادية، في وقت تواجه فيه أزمة مالية كبرى. وقال رئيس الحكومة، إن احتياطيات البلاد من العملة الصعبة بلغت مستويات "حرجة وخطيرة" مع الحاجة لتلبية احتياجات اللبنانيين الأساسية، ودعا إلى مفاوضات "عادلة" مع المقرضين؛ لإعادة هيكلة الديون. وكان وزير المالية قد أعلن الثلاثاء في 21 كانون الثاني، وبعد دقائق فقط من إعلان تشكيل الحكومة: إن الأزمة المالية والنقدية التي لم يشهدها لبنان "منذ ولادته" تحتاج**

أكبر من قدرة لبنان على تحمُّله، وأكبر من قدرة اللبنانيين على تسديد فوائده كما قال رئيس الحكومة، وأضاف " إن احتياطياتنا من العملات الصعبة قد بلغت مستوى حرجاً وخطيراً؛ وهو ما يدفع الجمهورية اللبنانية إلى تعليق سداد استحقاق 9 مارس/آذار من اليوروبوند، لضرورة استخدام هذه المبالغ في تأمين الحاجات الأساسية للشعب اللبناني". وقال أيضاً إن "الاقتصاد اللبناني غير منتِج بشكل كاف؛ وهو ما يدفعه الى استيراد 80 بالمئة من السلع والخدمات التي يستهلكها؛ ومن ثم نحن نواصل إنفاق الدولارات أكثر من جذبها" .

ذلك بالرغم من انخفاض نسبة الدين إلى الناتج المحلي من 185 في المئة في العام 2006 إلى 133,5 في المئة في العام 2012 ، عادت **نسبة الدين إلى الارتفاع لتصل إلى 156 في المئة** عام 2019، علما أن هذه النسبة تعتبر من بين الأعلى في العالم .

بعد ذلك تفاقمت الأزمة مع إنتشار فيروس كورونا وإعلان الإقفال، وتوقف الحركة الإقتصادية، حيث بدأ يتراجع سعر العملة الوطنية مقابل الدولار، وهذا يعيد لبنان إلى فترة إنهيار العملة الوطنية خلال الحرب الأهلية حيث كان سجل إرتفاع سعر الدولار من 3,75 ليرة يوم 10 كانون الثاني 1983، ليبلغ 2750 ليرة في 7 أيلول 1997، بحسب سعر الأقفال في مصرف لبنان. وهذا ما أدى إلى زيادة التضخم وتآكل القدرة الشرائية وتفاقم الأزمة المعيشية، وهي أحداث عادت تتكرر مع إرتفاع سعر الدولار اليوم في السوق السوداء أكثر من اربعة أضعاف (منتصف حزيران 2020)إلى حوالي 6000 ليرة[139]، بينما لا يزال السعر الرسمي في حدود 1515 ليرة، وهي قيمة السعر المدعوم من مصرف لبنان لإستيراد المواد الغذائية والأساسية مثل الدواء والطحين والمحروقات. ذلك أن الامن الغذائي اولوية .. فالسلع قد تنفذ من الاسواق. والاقتصاد النقدي والقيود المالية على الاستيراد واقع مستجد بالنسب للبنان، وربما التأقلم معه سيطول، ما يستوجب العودة إلى الأرض والزراعة والصناعة الغذائية الوطنية، وهما ركيزتان للصمود الاقتصادي في المرحلة القادمة.

ولا بد من العودة إلى ستينيات القرن الماضي، وإلى قوة الليرة اللبنانية وثقلها (3 ليرات وعشرون قرشا مقابل الدولار الواحد)، مما دفع خبراء اقتصاديين وماليين لبنانيين وعربا ، إلى البحث والنقاش حول الذهاب إلى اعتماد الليرة اللبنانية عملة اقليمية على مستوى الشرق الأوسط.

دعم الداخل والخارج، وأكد أنه يجب على الحكومة أيضاً اتخاذ قرار بشأن سداد مبلغ 1,2 مليار دولار يستحق في مارس/آذار 2020.

[139] تؤكد حركة البيع والشراء، ثم تعدد أسعار الدولار في سوق القطع، والتداول في السوق السوداء، أن التدخل من قبل مصرف لبنان في سوق القطع لحماية العملة الوطنية، يحتاج مبلغ 200 الى 300 مليون دولار شهرياً لتثبيت سعر الدولار.

4- إرتفاع نسبة التضخم .. وارتفاع هائل في أسعار ...

أعلنت ادارة الإحصاء المركزي، أن معدل التضخم السنوي للعام 2017 قد بلغ 4,48 في المئة، وذلك بحسب دراسة مؤشر أسعار الإستهلاك الصادرة عن إدارة الإحصاء المركزي، لكن هذا المعدل بدأ يتغيّر بسرعة خلال العام 2019، وبخاصة بعد الإنتفاضة الشعبية في 17 تشرين الأول وخلال النصف الأول من عام 2020. فقد أصدرت إدارة الإحصاء المركزي مؤشّر الأسعار لشهر كانون الأول 2019 والذي أظهر أن التضخّم بلغ في هذا الشهر وحده 6,96 في المائة مقارنة مع كانون الأول 2018.[140]

وبحسب الأرقام الصادرة عن الصندوق الوطني للضمان الإجتماعي ، فإن الأجر الوسطي يبلغ 1,750 مليون ليرة. وهناك 67,4 في المائة من الأجراء رواتبهم أقل من المعدل الوسطي، وهؤلاء تآكلت رواتبهم بنسبة 26 في المائة. حيث سترتفع اسعار المواد الأساسية من مواد غذائية ومشروبات وتبغ وصحة ومسكن كهرباء وغاز، أي البنود التي لها أوزان مرتفعة من سلّة استهلاكهم. أي أن أجور اللبنانيين سوف تتراجع مع إنخفاض سعر العملة الوطنية، وبالمقابل سوف تتآكل القدرة على تمويل استهلاك المواد الأساسية. كما أن الأسعار سترتفع مرة أخرى في مرحلة ما بعد فيروس كورونا، إذا لم يستطع العرض مواكبة الطلب، ويمكن أن يؤدي تراجع العرض عن مجاراة الطلب خلال الأشهر القادمة إلى ارتفاع كبير في معدلات التضخم.

هكذا عاد لبنان اليوم إلى المرحلة السوداء، وهو قد بات في الحلقة المفرغة، فشح المعروض من الدولار بات يهدد الأمن الغذائي، بالإضافة إلى تراجع تحويلات المغتربين، كما وتراجع حجم الصادرات (2 مليار دولار)، مقابل بلد يعتمد بشكل رئيسي على الاستيراد (20 مليار دولار)، وودائع مكشوفة بالعملة الأجنبية، ودولة عاجزة عن دفع ديونها المتراكمة بالعملة الأجنبية، جعل الطلب على هذا الدولار يرتفع بشكل هستيري.

وهنا، لاحتواء بعض من هذه الأزمة، قام مصرف لبنان بطبع المزيد من العملة الوطنية لتغطية الودائع على الأقل، من دون أن تكون الليرة بالتأكيد مدعومة بالعملة الأجنبية المختفية حالياً أو حتى مغطّاة بالذهب، الأمر الذي يؤدي الى انهيار العملة المحلية وزيادة التضخم الذي يطال الجميع، ويزيد الفقراء فقراً ويلغي الطبقة الوسطى، ويُدخلنا في حلقة مفرغة لا نعلم متى نلتقط أنفاسنا منها.

[140] اما المواد الأساسية: مثل المواد الغذائية والمشروبات والتبغ والمسكن والصحّة فقد جاءت نتيجة المؤشّر لتكشف عن ارتفاع أصاب المشروبات الروحية والتبغ والتنباك بنسبة 26.75 في المائة ، والأثاث والتجهيزات المنزلية وصيانة المنازل بنسبة 17.96 في المائة ، والألبسة والأحذية بنسبة 17.36 في المائة، والنقل بنسبة 14 في المائة ، والاستجمام والتسلية بنسبة 11.53 في المائة ، والمواد الغذائية والمشروبات غير الروحية بنسبة 9.77 في المائة.

والبارز اليوم أن المستهلك سيدفع الثمن بشكل غير مباشر بسبب هذا التضخّم الذي سينتج عن الليرات الإضافية التي يطبعها مصرف لبنان ويضخّها في السوق للتداول. أما نسبة التضخّم التي تتوقعها وزارة المال، فيتوقع أن تصل إلى 27 في المائة في نهاية 2020. وهو رقم قياسي يعني المزيد من الخسائر التي تتحمّلها الفئات الأضعف في المجتمع[141]، ثم تراجع القدرة الشرائية للمواطن بنسبة تزيد على 80 في المئة.. بينما تستمر المصارف بحجز أموال المودعين، وتطبيق "الكابيتال كونترول"، وفرض القيود عل التحاويل والسقوف على السحوبات، وذلك على الرغم من تأكيد رئيس الحكومة في كلمته لمناسبة مرور ما يقرب من مائة يوم على صدور مراسيم حكومته في 21 كانون الثاني الماضي، وأكثر من 70 يوماً على نيلها الثقة في 11 شباط 2020 أيضاً، من أن «مال النّاس له حصانة ولا يحق لأحد المس به»، معلناً ان ودائع اللبنانيين لن تتأثر «بخطة الانعاش المالي»، مع ما يعنيه هذا الأمر من نقص في السيولة بالعملات الصعبة داخل لبنان، فإنّ حُرمان فئات واسعة من اللبنانيين من الأموال اللازمة للتعلّم أو للسكن أو للعيش أو للطبابة، إلخ. في الخارج، يُعتبر إنتهاكًا موصوفًا لحريّة الناس، ناهيك عن أنّ منع التحويلات إلى الخارج ضرب القطاع التجاري في الصميم، بحيث صار من الصعب جدًا على التُجّار تأمين الأموال اللازمة لتسيير أعمال الإستيراد، مع إستثناءات مَحدودة غير كافية على الإطلاق. من جهة أخرى، وفي حين يتركّز الجدل على مسألة التحويلات الماليّة إلى الخارج، ينسى الكثيرون أو يتناسوا، مسألة "الكابيتال كونترول" المَفروضة على المُودعين من غير وجه حقّ داخل لبنان .

كذلك فان انهيار سعر صرف الليره اللبنانيه امام الدولار الامريكي على نحو مشبوه وكما يحصل في السوق السوداء، بات يفرض على وزارة المالية والحكومة وعلى المصرف المركزي وعلى جمعية المصارف اعادة النظر بكل الاجراءات التي اتخذت لحماية العملة الوطنية، ثم اعلان حالة طوارئ مالية، فمن غير المقبول بعد الآن جعل اللبنانيين رهائن للمتاجرين في العملة الوطنية، بالإضافة إلى أزمات الطحين والرغيف والدواء والمحروقات.

---

[141] تؤكد الوقائع أن النموذج الإقتصادي المعتمد قد بدأ فعليا بالانهيار، وبالتالي يتحتم على التجارة الخارجية وتدفقات رأس المال عاجلا أو آجلا أن يتوازنا. ووفقا لمعلومات المؤسسة العامة لتشجيع الاستثمارات في لبنان لعام 2018، فإن واردات البلاد قد بلغت 19,9 مليار دولار، في الوقت الذي بلغ فيه حجم الصادرات 2,9 مليار دولار، بمعنى أن الطريق لتحقيق التوازن في التجارة الخارجية، هو خفض الواردات بنحو 7 أضعاف، بالإضافة إلى ضرورة مراعاة الميزان السلبي للمدفوعات.

لقد بلغ العجز في الحساب الجاري للبنان (الميزان التجاري + ميزان المدفوعات) 14,4 مليار دولار لعام 2018، وفقا لصندوق النقد الدولي، بينما بلغ العجز التجاري 13,7 مليار دولار.

أي أنه في الوقت الحالي، وحتى مع الأخذ في الاعتبار القروض الجديدة، فليس للبنان دخل كاف للواردات، بما في ذلك واردات الغذاء والبنزين، واضطر لاستهلاك الاحتياطيات بقيمة 4 مليارات دولار عام 2018، وفقا لصندوق النقد الدولي.

ولتفادي الأسوأ فقد لجأت الحكومة إلى محاولة منع الإنفجار الإجتماعي من خلال إطلاق "خطة التحفيز والامان الاجتماعي" بتخصيص مبلغ 1200 مليار ليرة لبنانية لدعم الأسر الفقيرة وتثبيت الأمن الغذائي، لكن الحراك المدني عاد الى الشارع، وبخاصة أمام وزارة الاقتصاد بهدف الضغط لتحريك فرق حماية المستهلك لوقف الإحتكاروالحد من غلاء الأسعار والارتفاع الجنوني بالنسبة للمواد الأساسية في "السلة الغذائية" الضرورية والتي تضاعفت أسعارها في مختلف المناطق.

ثالثا– نتائج كارثية: التداعيات الإقتصادية والإجتماعية عام 2020.

تتوزع هذه التداعيات على القطاعات الإقتصادية، وفق العناوين الآتية:

1– في القطاع السياحي: هناك مئة وستون الف عائلة تعتاش من موارد السياحة

تراوحت عائدات السياحة في لبنان بحسب الأرقام الصّادرة عن منظمة السياحة العالمية التابعة للأمم المتحدة (United Nations World Tourism Organization) ما بين 7 و8 مليارات دولار سنوياً بين العامين 2010 و2018. وعلى الرغم من انحدار عائدات السياحة في العام 2019، فإنّها ما زالت توازي، في سنة واحدة، مجموع ما يطمح لبنان إلى الحصول عليه من صندوق النقد على مدى 4 سنوات. ولكن لبنان اليوم، وبطبيعة الحال، سيخسر هذه المليارات طالما كان الزوار غير قادرين على الدخول، وهذا ما دفع لبنان للبدء بتحفيف القيود في سياسة التعبئة والعودة لفتح مطار بيروت تدريجياً في أول تموز 2020..

وتشير التقديرات حول دور السياحة، أن 160 الف عائلة تعتاش من القطاع السياحي في لبنان، وهذا المورد الكبير قد تراجع وهو يشهد انخفاضا كبيراً اليوم مع اغلاق المزيد من المقاهي والمطاعم وتسريح الموظفين، ذلك أن نحو ستين في المئة من فنادق لبنان هي اليوم مقفلة بشكل كلي، اما اعادة فتح ابوابها فهو قد بات يمثل خطوة رئيسية لعودة الحياة إلى القطاع السياحي في لبنان وفتح الأبواب أمام عودة السياحة وحركة الدولار إلى الأسواق. يشار هنا إلى تراجع حركة الركاب في المطار في العام 2019 بنسبة 1,76 في المئة عن العام 2018 ، وهو قد أقفل العام 2017 على تسجيل المزيد من الارتفاع في حركة مطار رفيق الحريري الدولي في بيروت، فازداد مجموع الركاب بنسبة فاقت 8 في المئة عما كانت حققته هذه الحركة خلال العام 2016، ليبلغ ثمانية ملايين و234 ألفاً و960 راكباً في مقابل 7 ملايين و609 آلاف و175 راكباً في نهاية العام 2016..

أما تأثير حركة الإقفال فكانت صادمة بالنسبة للقطاع الفندقي نتيجة الخسائر الكبيرة التي تكبدتها الفنادق، فمن أصل 25 ألف غرفة في لبنان هناك اليوم 200 غرفة فقط مشغولة. ذلك أن إنتشار كورونا قد عجل في إشهار وقائع "موت معلن" في القطاع الفندقي، تمثل بإقفال فندق "البريستول" أخيراً، مما ألقى ظلالاً سوداءعن

مع خشية كثيرين من ملاقاة المصير نفسه، ذلك أن إقفال ستة أشهر كانت كفيلة بالقضاء على 70 سنة بقي فيها "البريستول" صامداً رغم الحروب المتتالية. علماً أنه قد تم إنفاق أكثر من 30 مليون دولار لترميمه وتحديثه بين عامي 2013 و2015، في عزّ معاناة القطاع التي بدأت عام 2011". يشار هنا أن البريستول ليس الفندق الوحيد الذي أُغلق أخيراً، فقد سبقه "الحبتور" و«غابريال" و"مونرو" و"رمادا" وغيرها، لكن الفارق أن أصحاب "البريستول" قد أعلنوا الخبر، فيما فضّل آخرون الانسحاب.

2- اصحاب المطاعم والمقاهي والملاهي والباتيسري: 32 ألف موظف توقفوا عم العمل

بينما كان يصنف لبنان بمثابة المقصد الأول للطعام والشراب بين بلدان المشرق، فقد أدى الإنهيار الإقتصادي والمالي في البلاد وجائحة "كورونا" المدمّرة، إلى إقفال العديد من المؤسسات، ذلك أن 80 في المئة من المطاعم لم تتمكّن من فتح أبوابها كما سجّل عدد المؤسسات في قطاع المطاعم والملاهي والباتيسري التي أقفلت أبوابها 785 مؤسسة، منذ بداية ايلول لغاية أول شباط، كذلك الحال "وبالنسبة الى المطاعم على سبيل المثال، فقد أقفل منذ بداية العام 2019 ولغاية شباط 2020، نحو 1600 مطعم، و700 مؤسسة منها منذ بداية سنة 2020، وبذلك يبلغ مجموع الذين توقفوا عن العمل 32 ألف موظف."

كما طاولت الأزمة بعض الأفران، بينها مثلاً شركة فرن أبو عرب التي أعلنت إقفال ابوابها، وأصابت الأزمة أيضاً شركات

3- إقفال شركات وماركات.. ومؤسسات.. وصرف جماعي

خلال أشهر معدودة تفاقمت الأزمة الإقتصادية، وكمؤشر إلى مرحلة الانهيار التي بلغها الوضع ، فقد أقفلت عشرات الماركات العالمية أبواب محلاتها ووقف استثماراتها ومغادرة لبنان بشكل نهائي، مع ما يعنيه ذلك من اهتزاز الثقة الدولية بلبنان، مع عدد من المؤسسات السياحية والتجارية، المحلية والعالمية، والمتخصصة في بيع الأجهزة الالكترونية وجميع المستلزمات المنزلية التي أقفلت أبوابها..

ومنها على سبيل المثال شركة "خوري هوم" التي تملك فروعاً عدّة في لبنان ومتخصّصة في مجال بيع الأجهزة الالكترونية والمستلزمات المنزلية، فأقفلت عدة فروعٍ لها في صور وزحلة وبعبدا والبترون، وصرفت عدداً كبيراً من الموظفين من دون إنذارات مسبقة.

وبحسب وزيرة العمل اللبنانية في منتصف ايار، فإن 30 في المئة من المؤسسات أقفلت و20 في المئة يدفعون نصف راتب وطالبت الدولة أن تتدخل وهذا أمر محزن خصوصا بسب عجز الدولة عن تقديم المساعدات.

أما بحسب رئيس جمعية تجار بيروت:" أن 50 في المائة من المؤسسات والشركات لا يمكن أن تستمرّ وتصمد 6 أشهر. وستقوم غالبية المؤسسات بصرف العمال أواخر الشهر الحالي وخفض رواتب موظفيها أو عدم دفعها بالكامل. وبالتالي لا يمكن للهيئات الاقتصادية أن تبقى صامتة تجاه هذا الواقع."

إن أكثر من 70 شركة تقدمت بطلبات صرف جماعي لدى وزارة العمل خلال الأيام العشرة الماضية: من مطاعم، ومحلات تجارية، ومؤسسات اعلامية ومصارف ومستشفيات وغيرها، منها من اقفلت بالكامل ومنها من أقفلت فروعا عدة لها وبعضها يتجه نحو الاقفال.

ولمواجهة الأزمة عقد في 17 حزيران إجتماع موسّع في مقرّ جمعية تجار بيروت، ضمّ رؤساء الجمعيات والنقابات ولجان الأسواق التجارية في لبنان، وذلك نتيجة للإتصالات والمشاورات التي جرت بين كل من جمعية تجار بيروت والجمعيات والنقابات التجارية في لبنان، ولا سيما في المحافظات (صيدا، طرابلس، جبل لبنان، عكار، زحلة والنبطية). وفي ختام اللقاء اعلن رئيس جمعية تجار بيروت أننا "ذاهبون لإقفال مؤسسات وصرف موظفين وإستحالة دفع الرسوم والضرائب وإتخاذ المزيد من الخطوات التصعيدية اذا لم تتم الإستجابة لهذه المطالب واذا لم تحل الأزمة بشكل يعطي جرعة أوكسجين لهذا القطاع" وأضاف: " أرقامنا تشير الى أن نسبة الإقفالات منذ 6 أشهر كانت قد بلغت الـ 25 في المائة في بيروت، وتخطت هذا الرقم في المدن الأخرى والمناطق، ومن المرجح أن تكون نسبة المؤسسات التي ستقفل خلال الـ 6 أشهر المقبلة مماثلة."

كما قررت شركة الترابة الوطنية "اسمنت السبع"، اقفال ابوابها نتيجة الأزمة الاقتصادية والمالية التي تمر بها البلاد، وهي سوف تصرف عمّالها لعدم قدرتها على متابعة الانتاج، ما سيقطع مورد رزق مئات العائلات ويعرّضها للجوع.

وبهدف الحدّ من الانعكاسات الناجمة عن الإقفال وفيروس كورونا، فقد بات من الضروري إتخاذ تدابير وتخصيص مساعدات كافية لإعادة إحياء الاقتصاد ودعم القطاعات الإنتاجية كافة.

كما أن مواجهة الأزمات المالية ما بعد "كوفيد-19"، وإنهيار العملة الوطنية يتطلب تخصيص معونات وتقديم إعفاءات للشركات والمؤسسات التجارية والسياحية، فضلاً عن مرونة كبيرة من قبل المصارف والبنك المركزي، لتمكينها من ضخ السيولة في المفارق الاقتصادية الحيوية.

بينما في لبنان، يشير الوضع الراهن للمصرف المركزي وللقطاع المصرفي والحكومة إلى عجزها التام عن تصميم وتنفيذ السياسات الإنقاذية، بعد أن تم توجيه قيمة الإنتاج المحلي، ولعقود طويلة، نحو المديونية التي صُرفت من دون أي مردود للاقتصاد، بل خُصّصت لتمويل الهدر والسرقات والفساد والإثراء غير المشروع.

4- تراجع سوق السيارات والمعاملات التجارية نهاية 2019.

وبدورها تتوقع الشركات تخفيضات إضافية في الإنتاج والأعمال الجديدة خلال العام 2020، بحيث شهد سوق السيارات الجديدة في لبنان ركوداً، إذ إنه سجل تراجعاً ونسبته 78 في المائة خلال شهر تشرين الثاني". أما شركات تأجير السيارات، فتبيّن التطورات أن 25 في المئة منها قد أغلقت أبوابها وأصبحت 700 عائلة عاطلة عن العمل. كذلك الحال بالنسبة لتراجع سوق بيع السيارات الذي يشهد ركوداً كبيراً، وقد سجل تراجعاً سريعاً بلغ نحو 78 في المائة خلال شهر تشرين الثاني في نهاية عام 2019.

5- مئات المدارس الخاصة في أزمة، و 13 الف معلم لم يقبضوا رواتبهم منذ اشهر

أظهر إحصاء قدم إلى وزارة التربية ان هناك 13 الف معلم لم يقبضوا رواتبهم منذ اشهر عديدة، ذلك أن بعض المؤسسات التعليمية الخاصة قامت بحسم نسبة من الرواتب، او التوقف عن الدفع بحجج متعددة. كما تشبر التقديرات إلى أزمة نزوح تشمل نحو حوالى 100 ألف طالب من التعليم الخاص الى التعليم الرسمي العام المقبل، وأن 75 ألف عائلة ستنقل أبناءها من التعليم الخاص إلى الرسمي، علماً أن ظاهرة النزوح قد بدأت مطلع هذا العام، وتمثلت بانتقال بين 23 و24 ألف طالب الى التعليم الرسمي، متوقعاً أن تشهد مناطق الاطراف كالبقاع وعكار والجنوب إغلاق 500 مدرسة خاصة أبوابها نهائياً، في حال لم تجد الحكومة والمجلس النيابي حلولاً تمنع حصول هذه الكارثة التربوية.

علماً أن أكثر من 70 في المائة من طلاب لبنان يدرسون في قطاع التعليم الخاص، ويبلغ عددهم 720 ألف طالب، موزّعين على 1626 مدرسة خاصة، ويعمل فيها نحو 50 ألف مدرِّس ومدرِّسة، قطعت الإدارات رواتب كثيرين منهم منذ بداية الأزمة.

ونحن اليوم على مشارف كارثة طلابية وأكاديمية ووطنية في العام الدراسي المقبل، مع توقع حركة نزوح واسعة للطلاب من التعليم الخاص إلى التعليم الرسمي، ومن المؤكد أنّهم لن يجدوا مقاعد كافية في المدارس الرسمية التي تفتقر للتجهيزات المطلوبة .

ولتفادي الأسوأ وإستباق الأزمة، فقد وافق مجلس النواب في جلسته التشريعية نهار 28 أيار 2020، على تخصيص مبلغ قيمته 300 مليار ليرة لدعم التعليم الخاص. وذلك بهدف "مساعدة هذا القطاع للخروج من ارتدادات أزمة فيروس كورونا". والمبلغ المذكور من خارج سلّة الـ 1200 مليار التي أقرّها المجلس في الجلسة التشريعية نفسها، لمواجهة تداعيات الأزمة الاقتصادية بعد انتشار الفيروس.

صرف 1500 موظف من "الجامعة الأميركية في بيروت"

اعلنت نقابة عمال ومستخدمي الجامعة الأميركية في بيروت في بيان أن "الجامعة الأميركية تأسست في بيروت سنة 1896 وهي "اليوم، سنة 2020، وبعد 154 عاما على تأسيسها، وفي هذا الظرف الدقيق الذي

نعيش، بعد إفلاس البلد ونهبه وسرقة أمواله وأموال المتقاعدين والأرامل...، تأتي إدارة الجامعة الأميركية، وتحت عنوان الأزمة المالية والإقتصادية التي ترزح تحت ثقلها البلاد، والجامعة بما فيها، لتبلغنا بصرف أكثر من 1500 موظف وعامل ولترفع عدد العاطلين عن العمل الذي لا حول لهم ولا قوة، والذين أصبح جل همهم تأمين لقمة العيش لهم ولعائلاتهم."

6- **القطاع الصحي والإستشفائي: إقفال حوالي الـ 200 صيدلية،**

الصيدليات ودعم الدواء: لقد وصلت المعاناة إلى القطاع الإستشفائي، وبخاصة قطاع الأدوية، فخلال اقل من عام تم إقفال حوالي الـ 200 صيدلية، وهناك نحو 1000 أخرى من أصل 3400 صيدلية مهدّدة بملاقاة المصير نفسه الامر الذي يهدد بكارثة في هذا المجال. حيث يتبين أن أن صناعة الدواء في لبنان تحتل فقط ما نسبته 7 بالمئة من السوق المحلي للادوية (يقدر بـ 1,3 مليار دولار أميركي 2017)، خصوصا وانها اتبتت جودتها في النوعية بشهادة كل من وزارتي الصحة والصناعة في آخر تحرك لهما، إضافة إلى تأمين أكثر من 1800 فرصة عمل للإختصاصيين من صيادلة وأطباء ومهندسين وكيميائيين وتقنيين وعمال، وإبقاء هذه الثروات البشرية في الوطن

وسيبادر مصرف لبنانً لدعم شركات إستيراد الأدوية، وذلك بتأمين الدولارات المطلوبة ومجموعها مليار و٧٠٠ مليون دولار، وبسعر الصرف الرسمي إيّ ١٥١٥ ل.ل.، لشراء ما يحتاجه المواطن اللبناني من أدويّة علاجيّة، ولمدّة سنة كاملة.

وهناك من يطالب اليوم بالتوفير من الفاتورة الإستيراديّة، ومن هذا المبلغ الضخم، لدعم مصانع الأدوية اللبنانية، وعددها ٢١ مصنعاً، لتستمرّ، ولتزيد إنتاج مختلف أنواع الأدوية التي يحتاج اليها المواطن اللبناني،... وهذا كفيل بإستمرارية صناعة الأدوية في الوطن، وبتأمين مئات الوظائف للخريجين من أصحاب الشهادات العليا.

كما اعلنت نقيبة الممرضات والممرّضين: ان نحو 16 ألف ممرضة وممرض في لبنان، بحاجة إلى الحفاظ عليهم وحماية حقوقهم، وتوفير أفضل شروط لهم لممارسة عملهم في ظلّ الأزمة الراهنة.

ومن العوائق الرئيسية أيضاً الديون المتوجبة للمضمونين في الصندوق الوطني للضمان الإجتماعي والموجودة لدى الحكومة، وخصوصاً وزارة المالية، والتي قاربت الـ 4000 مليار ليرة. وهناك خوف من التصرف بها، وبالتالي حدوث كارثة اجتماعية كبرى في البلاد.

تنفق الحكومة 1,1 مليار دولارعلى الصحة والاستشفاء للموظفين والعاملين لديها

تنفق الحكومة على الصحة والاستشفاء للموظفين والعاملين لديها والذين هم على عاتقهم (زوج، زوجة، أولاد، أهل) واللبنانيين الذين لا يتمتعون بأية تغطية صحية (نحو 50 في المائة من اللبنانيين)، ما يصل سنوياً الى

نحو 1660 مليار ليرة أي ما يوازي 1,1 مليار دولار وذلك من خلال 17 إدارة حكومية. وتصل كلفة ادارة هذه المؤسسات الى نحو 130 مليار ليرة سنوياً، علماً أن هناك نحو 1,800,000 لبناني لا تتوفر لهم أية ضمانات صحية. وهذا التعدد في الإدارات الحكومية المعنية بقطاع الصحة والاستشفاء يؤدي الى هدر كبير في المال العام ما يفرض اعتماد جهة واحدة حكومية للقيام بهذا الأمر[142].

7- مصير موظفي المصارف وعددهم 26 ألفاً.. والخوف من عمليات صرف بالجملة

بينما تشمل الخطة التي أعدتها الحكومة "خطة التعاقي المالي" إعادة هيكلة القطاع المصرفي، وأن عمليات الدمج قد تطال أكثر من نصفهم، يقابله إطمئنان نقاباتهم لامتلاكها السلاح الأقوى في حسم معركة البقاء لمصلحتهم. فالموظفون الذين يقدر عددهم بـ 26 ألفاً يعيشون في قلق اليوم، وهم اليوم بإنتظار تقرير مصيرهم، لغاية اللحظة خوفاً من تطبيق عمليات الصرف الجماعية في بعض المصارف من خلال عمليات الدمج المتوقعة، خصوصاً ان المصارف الدامجة تستطيع المحافظة على عمالها وفرض شروطها على حساب موظفي المصارف المندمجة، سيّما وأن بعض المصارف قد باشرت بذلك"ما حصل أخيراً مع كل من "BLC Bank"و "Creditbank" اللذين صرفا 40 و60 موظفاً بشكل جماعي على التوالي.

علماً أن القطاع المصرفي اللبناني هو من أكثر القطاعات ديناميكيّة في اقتصادنا الوطني. وهو يساهم بنسبة 6 في المائة في تكوين الناتج المحلّي الإجمالي، كما يساهم بحجم ملحوظ من احتياجات تمويل القطاع العام ومن الإيرادات الحكومية، ويستخدم موظّفين من ذوي الكفاءات والمهارات العالية.

8- القطاع العقاري يقف على حافة الإنهيار

يبلغ حجم ديون القطاع العقاري نحو 20 مليار دولار، وهو يمثل نحو 25 في المئة من الناتج المحلي، وقبل انفجار الأزمتين الصحية والإقتصادية وبدء المصارف تطبيق "الكابيتال كونترول" والخوف من Hair cut محتمل، كان القطاع العقاري يقف على حافة الإنهيار، فقد توقفت حركة البيع كلياً، كما أن الفوائد لامست 14 في المئة. ورغم المطالبات بإنقاذ القطاع لم تتخذ الإجراءات اللازمة، حيث سمح "المركزي" للمصارف بتملك العقارات المتعثّرة، وتحصيل كامل قيمة الدين عينياً، مع إمكانية الاحتفاظ بالعقارات قبل تسييلها، لمدة 20 عاماً، بعدما كانت المدة الأقصى المسموح بها للمصرف سنتين.

---

[142]استناداً الى موازنة 2018، بلغ مجموع إنفاق الدولة على الصحة والإستشفاء سنويا ألف و654 مليار ليرة، بحسب «الدولية للمعلومات» التي أحصت، نفقات الجهات الحكومية الضامنة المتمثلة بوزارة الصحة العامة ووزارة الشؤون الإجتماعية والإستشفاء العسكري وصناديق التعاضد في مجلس النواب والجامعة اللبنانية والقضاء.
ويتميز القطاع الصحي بشكل رئيسي: كلفة الدواء المرتفعة نسبياً، والتي تشكّل ما يفوق ربع اجمالي فاتورة الرعاية الصحية. ثم تعدّد الصناديق العامة وشبه العامة التي تقوم بتمويل الرعاية الصحية لشرائح مختلفة من موظفي القطاع العام ،اضافة الى مجموعات أخرى غير مضمونة. و هيمنة خدمات الرعاية الصحية ذات الطابع العلاجي، وضآلة دور الرعاية الصحة الوقائية.

وقد انخفض عدد المعاملات العقارية بنسبة سنوية تصل إلى 34,5 في المائة خلال شهر تشرين الثاني في العام 2019.

وفي مثل هذه الظروف الصعبة، تشير التقديرات إلى أن نمو إجمالي الناتج المحلي في لبنان بنسبة متدنية للغاية لم تتجاوز 0.2 في المائة في عام 2018 مقارنة بنسبة 0.6 في المائة في عام 2017. ويرتبط تراجع وتيرة النشاط الاقتصادي بتقييد السيولة استنادا إلى السياسة العامة، ويشمل ذلك على وجه التحديد وقف الإقراض المدعوم من البنك المركزي (مصرف لبنان) والذي كان يتم توجيهه عبر البنوك التجارية إلى القطاع العقاري، مما أتاح مصدرًا نادرًا لتحفيز النمو منذ عام 2012. وارتفع معدل التضخم في عام 2018 ليبلغ في المتوسط 6,1 في المائة، مقابل 4,7 في المائة في عام 2017، لكنه مازال على مسار منخفض. وتدهور وضع المالية العامة تدهورا حادا عام 2018. واتسع عجز الموازنة العامة بحوالي 4,5 نقطة مئوية ليصل إلى 11.5 في المائة من إجمالي الناتج المحلي. ويرجع هذا التدهور إلى ارتفاع خدمة الدين، وزيادة التحويلات إلى مصرف لبنان من جراء ارتفاع تكلفة الوقود، والزيادة في التحويلات إلى البلديات.

9- تفاقم أزمات القطاع الصناعي والخدمات

اما قطاع الصناعة فانخفض 40 في المائة وأكثر وبقي قطاع صناعة المجوهرات قوياً الى حد ما اذ يصدر الى الخارج مواد مجوهرات من ذهب والماس بنسبة جيدة اما النبيذ الذي كان قد انطلق في انتشاره في أوروبا فانخفض الى اقصى حد اما صناعة الصلب ومشتقاته والاترنيت وصفائح التوتية من الحديد الخفيف فقد انخفض 55 في المائة ولم يعد يصدر الى الخارج. أما اليوم فالقطاع الصناعي بحاجة الى استثمارات بحدود الـ700 مليون دولار سنوياً لإحياء الحركة الصناعية وإعادة تنظيم الدورة الإقتصادية.

اما مجال الخدمات فشبه متوقف ولا خدمات يقوم بها لبنان حالياً كما كان دوره في الشرق الأوسط والعالم العربي والحملة على المصارف ومصرف لبنان ضربت خدمات لبنان.

اما خدمات الكهرباء والمياه والصرف الصحي فهي تعيسة جداً والكهرباء تسجل أكبر عجز بلغ 27 مليار دولار ومع ذلك تنال العاصمة 14 ساعة الى 16 ساعة من الكهرباء بينما المحافظات الخمسة الأخرى ينالون ما بين 8 ساعات الى 10 ساعات يومياً.

اما خدمات الصرف الصحي فلم يطرأ شيء عليها بل ان مياه المجارير تجري الى البحر وتلوثه، وقد أشار المجلس الوطني للبحوث العلميّة الى أن 50 في المائة من مواقع السباحة في لبنان من الشمال الى الجنوب صالحة لسباحة والاسماك سليمة وغير ملوثة وأن "هناك 17 موقعاً بحرياً صالحاً للسباحة في الشاطئ، من أصل 31 ، و8 مواقع ملوّثة بشكل كبير و6 مواقع مصنّفة حذرة إلى غير مأمونة."

أما خدمات المصارف من قروض وإعطاء قروض سكنية وزراعية وعلمية وسياحية فقد توقفت وقررت المصارف عدم إعطاء قروض في الوقت الحاضر منذ 4 أشهر وحتى الان وسيمتد الوضع طيلة سنة 2020 مع تحسن بسيط لان الخوف هو على هروب الودائع من لبنان الى الخارج.

11- الأزمة الزراعية.. من زراعة التبغ إلى نبتة القنب

تشير أرقام منظمة الأغذية العالمية لعام 2016، إلى أن كل ما أنتجته الزراعة اللبنانية بلغ حوالي ملياري دولار. ووفقا للمؤسسة العامة لتشجيع الاستثمارات في لبنان، فقد كان إنتاج الغذاء في لبنان عام 2018 يبلغ ما قيمته 1.4 مليار دولار، وحققت صادرات الأغذية، التي تعتمد بالأساس على الخضروات والفاكهة، 1,1 مليار دولار. كذلك بلغت الصادرات 0,8 مليار دولار، والواردات الغذائية 3,6 مليار دولار، وفقا لبيانات البنك اللبناني "بنك ميد" لعام 2014.

وبحسب ما كنبه رئيس الحكومة، "فقد كان هناك نقص كبير في الاستثمار في قطاعنا الزراعي، الذي يمثل ربع القوى العاملة الوطنية، ولكنه يمثل 3 في المئة فقط من ناتجنا الاقتصادي. بسبب الوضع المالي في لبنان، كان استيراد الغذاء أرخص من إنتاجه محليًا، على الرغم من أن بلدنا كان ينعم **بالمياه** والشمس والتربة الغنية والمزارعين الموهوبين. إلا أنه يتم استيراد أكثر من نصف الطعام اللبناني، وهو عار كبير وخطير على السيادة الغذائية".

لقد أدت أزمة "كوفيد 19" ثم إعلان التعبئة العامة، إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية بشكل كبير مما أحدث اضطرابًا بالغًا في سلسلة الإمدادات الغذائية في العالم، "بحيث أن80 في المئة من القمح يأتي إلينا من أوكرانيا وروسيا، لكن في شهر نيسان، أوقفت روسيا صادرات القمح، بينما تفكر أوكرانيا في خطوة مماثلة"، مشددا على القيام بخطوات مهمة لمعالجة هذا الوضع المأساوي، " نحن بصدد توسيع شبكات الأمان الاجتماعي لحماية أفراد المجتمع الأكثر ضعفاً، ونبذل قصارى جهدنا لتقديم حزم مساعدات محددة. كما نتخذ إجراءات صارمة ضد محلات السوبر ماركت والمحلات التجارية التي ترفع الأسعار."

اما المشكلة الرئيسية التي تواجه الزراعة منذ عام 2011، فتتمثل بعدم قدرتها على تصريف الإنتاج وبخاصة التصدير الى الخليج نتيجة الخلاف القائم على معبر "أبو نصيب" بين لبنان والأردن، وحتى الان، فإن العقبة الرئيسية لا زالت تتمثل بعدم انفتاح الدولة اللبنانية على سوريا، وعدم اجراء أية مفاوضات جدية معها بشأن تنظيم الوضع الاقتصادي ونقل المنتوجات اللبنانية الى بلدان الخليج والدول العربية.

زراعة التبغ

تواجه زراعة التبغ الكثير من العقبات، من حيث الدعم اللازم وتصريف الإنتاج، علماً أن أكثر من 24 ألف أسرة تعتاش من هذا القطاع وهي اليوم في غياب تام لأبسط ضمانات التعليم والصحة والطبابة..

أصاب سهم الدولار مزارعي التبغ مرتين حتى الآن. فمن جهة، أدّى ارتفاع أسعار المواد الأساسية للزراعة إلى تلاشي غلّة الموسم، تلقائياً، بعدما خسر المزارع أكثر من نصف قيمة المحصول، ومن جهة أخرى، أدّت سياسات المصارف التقييدية إلى تقسيط مستحقات المزارعين المودعة لديها من إدارة «الريجي» عن العام الماضي، بـ«القطارة»، ناهيك بوقف المصارف هذا العام منح هؤلاء الفلاحين «امتياز» ما يُسمّى بـ«رهن الرخصة». فعلى مدى سنوات، اعتاد المزارعون، لتأمين متطلبات الموسم الذي يزرعونه، على رهن الرخص التي يحملونها مقابل بضعة ملايين من الليرات هي من «عبّ» المزارع أساساً

فيما يلفت نقيب مزارعي التبغ حسن فقيه إلى أن أسعار التبغ لم تتغيَّر منذ سنوات إلا بشكل طفيف. ويشدّد على أنه في ظل الأوضاع الحالية فإن «سعر كيلو التبغ لا ينبغي أن يقلّ عن 25 ألف ليرة كحدّ أدنى (السعر الحالي هو حوالى 13 ألف ليرة)»، وإلا فإن «هذه الزراعة التاريخية معرّضة للاندثار، علماً أنها تشكل المورد الرئيسي لآلاف الأسَر وتدرّ على خزينة الدولة سنوياً مئات ملايين

زراعة نبتة القنب

أما زراعة نبتة القنب، ففي 21 نيسان الماضي 2020 وصل إقتراح القانون الرامي الى ترخيص زراعة نبتة القنب للإستخدام الطبي والصناعي الى خواتيمه السعيدة في مجلس النواب، بعد أن أقرّته الهيئة العامة للمجلس، وكانت مؤسسة «ماكينزي» الدولية أوصت في الخطة الإقتصادية التي أعدّتها للبنان عام 2018 بتشريع هذه الزراعة، التي من المُقدّر أن تدرّ سنوياً نحو مليار دولار على البلد. إذ إنّ ما ينتج من هذه الزراعة الصناعية الجديدة في لبنان مطلوب عالمياً، وإنّ لبنان يتمتّع بميزتين تفاضلية وتنافسية في هذا الإطار، لجهة طبيعة الأرض والمناخ المُثبت أنّهما ملائمان لـ«الكانابيس» خصوصاً في البقاع، ولجهة الكلفة المتدنية لزراعة وإنتاج هذه النبتة.

ويمكن الإستفادة اليوم من حركة العودة والنزوح من المدن الى القرى، وذلك لإعادة تطوير الأعمال الزراعية، وتشجيع السياحة الريفية التي قد تنشط في الفترة المقبلة.

رابعاً– تأمين البدائل لتفادي الإنهيارالإقتصادي والمالي، بلغة الأرقام

برغم التدفقات المالية الضخمة التي دخلت لبنان خلال السنوات الماضية (وتصل قيمتها وفق بعض التقدبرات إلى 281 مليار دولار)، لكنها لم توقف المسار الإنحداري الذي بلغ حافة الإنهيار الإقتصادي، حيث إنفجرت الأزمة خلال أشهر معدودة، وتوزعت في جميع الإتجاهات لتطال الإقتصاد والمالية والسيولة في المصارف

وميزان المدفوعات، بحيث وجدت الحكومة نفسها مجبرة لسلوك طريق صندوق النقد الدولي[143]، ودون ان تناقش خيارات بديلة في "حطة التعافي المالي" التي وضعتها، حيث جاء في المقدمة أنّ هناك «حاجة ماسّة إلى حزمة إنقاذ مالي للجم الركود وتهيئة الظروف المناسبة للانتعاش»، أي أن البرنامج الحكومي مُصمّم في الساس لخيار طلب مساعدة «المجتمع الدولي»، حيث تتناول الخطة الموضوعة معالجات أهمها: إعادة هيكلة الدين العام، وإصلاح القطاع العام، وتنظيم القطاع المصرفي وترشيد الإنفاق وتحسين الإمتثال الضريبي.. وهي خطوات كان الهدف منها الوصول إلى مساعدة صندوق النقد الدولي، حيث يأمل لبنان الحصول على حصة تتراوح بين 8 و10 مليارات دولار تتوزع على فترة خمس سنوات، وبمعدل يبلغ مليار و 600 مليون دولار سنوياً، مما قد يفتح الطريق أمام المساعدات المقررة في مؤتمر "سيدر"، ويمهد أيضاً لتأمين مصادر تمويل متعددة من الخارج، بحث يمكن تأمين ما يحتاجه لبنان لتخطي الأزمة المالية من تمويل يبلغ بحسب بعض التقديرات نحو 30 مليار دولار.

1- مسؤولية السياسات الفاشلة في الحكم.

إن مسؤولية الإنهيار المتسارع تقع في الأساس على عاتق الطبقة السياسية، ولتفادي ما قد يحصل في التفاوض مع صندوق النقد الدولي، فقد كان الأجدى وضع خيارات بديلة، أهمها معالجة اسباب الأزمة لكونها أزمة بنيوية وليست ظرفية، بحيث أن أزمة السيولة وشح الدولارات اليوم، هو النتيجة وليس السبب، والخطوات الأولى في خطة التعافي يجب أن تتضمن البدء بإدخال تغييرات على بنية الإقتصاد السياسي والمالي، لجهة تغيير السياسات الفاشلة في الحكم، والقائمة على قاعدة المحصصات والإنتخابات المصادرة، ثم التوجه لدعم الإنتاج وفتح الأبواب والمعابر أمام الصادرات، ومحاربة الفساد ووقف النهب والتهرّب الضريبي، وبخاصة إصلاح خطة الكهرباء ووقف الإحتكار والهدر الحاصل على كافة المستويات، مما يساعد في توفير مايحتاجه لبنان لتجاوز الأزمة ودون اللجوء إلى الخارج لطلب الأموال ومراكمة الديون، لا سيّما وان الأيام القادمة قد تعجل أسباب الإنفجار الإجتماعي، ذلك أنه بحسب الأرقام الصادمة التي صرح بها رئيس الحكومة، إن "أكثر من نصف الأسر اللبنانية قد لا تستطيع شراء الطعام بنهاية العام.. كما أن أكثرية اللبنانيين قد توقفوا عن شراء اللحوم والفواكه والخضروات وقد يجدون صعوبة في تحمل نفقات الخبز"..

وبينما تحال الحكومة عقد إجتماعات متواصلة، جاهدة لتفادي الوصول إلى الإنهيار الشامل، بينما في المقابل الآخر يستمر الصراع السياسي داخل المجلس النيابي، ففي جلسة 23 نيسان 2020، التي إنعقدت في الأونيسكو بعد أكثر من ستّة اشهر لم ينعقد خلالها أي جلسة للبرلمان منذ 17 تشرين أول، حيث تم طرح

---

[143] عقد الوفد اللبناني المفاوض يوم الخميس 18 حزيران اجتماعه الثالث عشر مع صندوق النقد الدولي، في حضور حاكم مصرف لبنان رياض سلامة على رأس فريق من البنك المركزي .وتمحور الاجتماع حول موضوع إعداد وتنفيذ الموازنات العامة وإدارة المالية العامة، على أن تستكمل المشاورات لاحقاً .

نحو 73 مشروع في جلسة واحدة، ثم جرى تطيير النصاب عندما طلبت الحكومة ملياراً و200 مليون ليرة لدعم خطة التحفيز الإجتماعي، ومواجهة التداعيات الناجمة عن التعبئة العامّة والبطالة والمرض والجوع انسحبت الكتل الكبيرة، بينما تمت الموافقة على إعطاء 450مليار ليرة للمستشفيات الخاصّة لأنّ الجميع لهم فيها مصلحة مباشرة، كما سقط قانون رفع السريّة المصرفيّة، لكن محاولات جرت لعودة الموافقة على "خطة التحفيز الإجتماعي" في الجلسة التشريعيّة التي إنعقدت في 28 أيار.

ويمكن تحديد بعض الخطوات العاجلة في خطة الإصلاح المطلوبة وفق الآتي:

2- العجزفي الكهرباء

جاء لبنان في المراتب الثلاث الاخيرة في العالم من حيث تأمين خدمة الكهرباء، حيث يُمثل قطاع الكهرباء خدمة أساسية تحمل اثراً اقتصادياً ومالياً كبيرا، وهو قد راكم ديوناً على الدولة بسبب العجز المزمن الذي كلّف في السنوات العشر الاخيرة وحدها نحو 30 مليار دولار، مع وضع علامات استفهام حول ظهور الفيول «المغشوش» أخيراً . ويقدر عجز الكهرباء بنحو 2 مليار دولار سنوياً، وهو يمثل 2,40 في المائة من عجز الموازنة، و 3,25 في المائة من عجز الميزان التجاري نتيجة كلفة "الفيوا أويل" المرتفعة. ويمثل دعم الكهرباء نحو 11 في المائة من تفقات الدولة سنوياً.

وقد أدّى تراكم العجز الى عواقب مالية واقتصادية حتى أصبح تصنيف لبنان في المراتب الثلاث الاخيرة في العالم من حيث تأمين خدمة الكهرباء، بحسب منتدى الاقتصاد العالمي، وبحسب تقرير «ماكينزي»، بحيث يحتل لبنان المرتبة 134 من أصل 137 دولة. ويعود التراكم في الخسائر الى عاملين أساسيّين، هما الهدر التقني وغير التقني الذي يصل الى 51 في المائة من الانتاج..فهل تنجح الدولة في تأمين الكهرباء؟

3- التوظيف العشوائي في القطاع العام،

يعاني القطاع العام اليوم من تضخّم كبير في حجمه، وفد جاءت سلسلة الرتب والرواتب غير المدروسة عام 2018، لتضاعف حجم المشكلة وسط مزايدات شعبوية، والكارثة، انّه جرى استتباعها بتوظيف اكثر من 5 آلاف شخص جديد لمصالح إنتخابية وخلافاً لقانون الموازنة آنذاك، وبهدف «رشوة» الناخبين.

أما رواتب القطاع العام، فهي تعادل 8 مليارات دولار، وتمثل نحو 36 في المائة من نفقات الدولة، علماً أنّ عدد موظفي هذا القطاع يقدّر بنحو325 ألف موظف، وهم يتوزعون بين عسكريين ومدنيين. وتكشف نسبة موظفي القطاع العام تضخماً كبيراً اذ تبلغ نحو 30 في المئة من حجم القوى العاملة في لبنان، في حين أنها تبلغ 20 في المئة في فرنسا (وهو الرقم الأعلى أوروبياً) ولا تزيد عن 14 في المئة في ألمانيا و6 في المئة في اليابان.

وكان رئيس لجنة المال والموازنة النيابية فد وجه الى ادارة التفتيش المركزي كتاباً بتاريخ 2 تشرين الأول 2018، طالبا كشف المعلومات عن التوظيف والتعاقد المقنّع اللذين تأكد حصولهما والادارات والمؤسسات المعنية بها واعدادهما في كل ادارة ومؤسسة، ثم اجراء التحقيق اللازم لتحديد المسؤوليات ولا تزال هذه الأرقام غير مكتملة حتى اليوم....

4- خسائر الفساد والتهرب الجمركي والضريبي

تقدر هذه الخسائر بنحو خمسة مليارات دولار سنويا، وهي تمثل نحو 10 في المائة من الناتج المحلي، وتشمل مكامن الفساد في لبنان مختلف أشكال الهدر في المناقصات والمشتريات والرشى مقابل تجاوز تسديد الرسوم في المعاملات المختلفة، والمشاريع التي تقوم بها صناديق المحاصصة، وغيرها الكثير من أشكال التهرب الضريبي والهدر، والتي كلفت الدولة عشرات المليارات في السنوات الأخيرة، و يصعب علمياً تقدير قيمتها .

5- العجز في الميزان التجاري

أدى العجز التجاري المتمادي منذ عام 2011 ،الذي وصل الى حدود الـ 17 مليار دولار عام 2019، إلى استنفاد احتياطات مصرف لبنان المركزي من العملات الاجنبية في شكل مستمر. وذلك دون وضع اي خطة لتحفيز الانتاج وتحويل الإقتصاد اللبناني إلى منتج، وهذا ما ادّى الى تدهور قيمة الصادرات وارتفاع قيمة الاستيراد، وتفاقم العجز في ميزان المدفوعات.

تضاف إلى هذه الأموال التي أهدرت، كلفة الدين العام والبالغة نحو 32 في المائة من نفقات الدولة، وكذلك الكلفة المرتفعة لتثبيت سعر صرف الليرة من قبل مصرف لبنان والطبقة السياسية الحاكمة، والتي بلغت أيضاً عشرات المليارات من الدولارات، نتيجة إستقطاب الودائع من العملة الصعبة، بدفع فوائد مرتفعة جداً، مما أدى إلى بناء إقتصاد ريعي على الورق، وتراجع الزراعة والصناعة والتوقف عن الإنتاج.

أضف الى كل هذا، أكلاف الصراعات السياسية، والفراغ الحكومي والرئاسي في المؤسسات الدستورية بدءاً من عام 2005 ، ثم الأحداث الامنية وتداعيات حرب تموز والفراغ المتمادي وتداعيات الأزمة السورية والتي كلفت لبنان ما يزيد على 40 مليار دولار طيلة عشر سنوات.

ومن بين الخيارت المطروحة لتخفيف العجز المتزايد اليوم «تخفيض الاستيراد من 15 مليار دولار إلى 5 مليارات دولار، وترشيد الاستهلاك». وبحسب أرقام الجمارك اللبنانية للفترة الأخيرة، فقد تراجع الاستيراد بقيمة 2467 مليون دولار (بين تشرين الثاني 2019 وآذار 2020) مقارنة بالفترة نفسها من عامَي 2018 – 2019. وانخفض العجز في ميزان المدفوعات من 1930 مليون دولار (بين كانون الثاني وشباط 2019)، إلى 505 ملايين دولار في كانون الثاني وشباط 2020.

خامساً– لتفادي الإنهيار...ما هي مقومات الصمود؟

1– العمل الهامشي وأهمية إقتصاد الظل

برغم الإقتصاد اللبناني الهش، ثم إنتشار الفقر، وتزيد معدلات البطالة، هناك ظاهرة تتمثل في نمو الإقتصاد غير المنظم في لبنان، وهو الإقتصاد الخفي وغير المنظم بحسب صندوق النقد الدولي وهو يتضمن الاقتصاد غير الشرعي أو الإقتصاد الأسود ، حيث يتبين انّ معدل حجم إقتصاد الظل في لبنان قد بلغ حوالى 31,6 في المئة سنوياً من الناتج المحلي في الفترة بين 1991 و 2015، وهو رابع أكبر اقتصاد في المنطقة العربية، كما أنه يبلغ حالياً 13 مليار دولار، ويأتي لبنان في المرتبة 86 عالمياً ضمن لائحة أكبر اقتصادات غير شرعية في العالم والتي تضمّ 158 بلدا[144].

انّ لبنان بقي صامداً ليس لأنه يتمتع بأسس اقتصادية في التجارة والصناعة والزراعة بدليل أننا بلد يصدّر بقيمة 3 مليارات دولار ويستورد بقيمة 20 ملياراً، هذه الكتلة النقدية هي السبب لعدم انهيار لبنان اقتصادياً، لأنها اموال غير رسمية لا تدخل بحسابات وأرقام الدولة، وبالتالي فإنّ كافة المؤشرات العلمية تسقط أمام هذه الوقائع..

2– هل لبنان مقبل على مجاعة؟

"عندما لا نحارب الفقر والجهل، سنضطر يوماً لمحاربة الفقراء" **بحسب الإقتصادي Anne Robert (Turgot)**

لا بد من التوقف اليوم في منتصف عام 2020، عند المشاهد الصادمة للتجمعات البشرية أمام مراكز شراء الدولار المدعوم والذي يباع في محلات الصيرفة، ولا سيّما الصفوف الطويلة أمام الجمعيات والمراكز التي باتت توزع الحصص التموينية وبخاصة "ربطات الخبز"، مما يؤشر إلى بلوغ مرحلة المجاعة لدى بعض الفئات الضعيفة والتي باتت في حالة فقر مدقع.

تضاف إليها حالة الفوضى القائمة والفلتان الأمني، فقد شهدت حوادث السرقة والقتل والانتحار خلال الأشهر الخمسة الأولى من العام 2020 ارتفاعاً ملحوظاً مقارنةً بالفترة ذاتها من العام 2019 (بحسب الدولية للمعلومات 24 حزيران 2020)، وكذلك تزايد ضحايا الرصاص الطائش الذي يطلق أثناء خلافات فردية مسلحة أو في الأحزان والأفراح (زواج، نجاح، عودة من السفر، شفاء من علاج، خطاب لزعيم..).

---

[144] بحسب نتائج ورقة بحثية أعدّها خبراء في صندوق النقد الدولي بعنوان «اقتصاد الظلّ حول العالم: ماذا تعلّمنا على مدار 20 عاماً؟»، وتدرس تطوّر حجم اقتصاد الظلّ واتجاهاته في 158 بلداً في العالم بين عامي 1991 و2015. وهو يتضمن مجموع الأنشطة الاقتصادية المُخفاة عن السلطات الرسمية لأسباب نقدية وتنظيمية ومؤسّسية. لتجنّب أرباب العمل دفع الضرائب ومساهماتهم في الضمان الاجتماعي، فيما تشمل الأسباب المؤسّسية انتشار الفساد وتدنّي جودة المؤسّسات السياسية وضعف سيادة القانون.

كما تتركز الأنظار حول القادم من الأيام، وهل لبنان مقبل على أزمة غذائية، سيّما وان مصرف لبنان يؤمن اليوم تمويل شراء المواد الأساسية والغذائية للمواطنين، وكيف سيتعايش الفقراء ومحدودي الدخل مع أزمة الغلاء وإرتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية، حيث تعود اليوم أخبار المجاعة في لبنان الكبير... سيّما وأن هناك إقتراح يجري تداوله، مقدم من وزارة الإقتصاد يتناول إلغاء «الدعم» عن البنزين والمازوت والغاز والقمح، وتسعيرها على أساس سعر الدولار في السوق. وذلك مقابل قسائم دعم ومساعدات إجتماعية تقدم للفئات الضعيفة وذوي الدخل المحدود.

وما يسترعي الإنتباه، أن السياسة الضريبية لا تراعي الأوضاع المعيشية، وهناك عدم جدوى النظام الضريبي بحيث تفرض الضرائب والرسوم بالتساوي من دون الأخذ بالاعتبار الأوضاع المعيشية للسكان.. وحجم البطالة وأوضاع السكان المهمشين الفقراء. ثم جباية الرسوم وعدم توفير خدمات الكهرباء والمياه والنقل... بالنتيجة، فإن بلوغ لبنان مرتبة متدنية في "مؤشّر الإلتزام بخفض اللامساواة" يُعد خلاصة طبيعية لبلد تتضخم فيه وتتوسع الطبقة الفقيرة "المعدمة دون خط الفقر"، وتبيّن الأرقام الصادمة الأخيرة أن نحو 0,86 في المائة من مودعي المصارف يملكون ودائع تفوق 87 مليار دولار، مقابل 59 في المائة من المودعين الذين يملكون نحو مليار دولار فقط، مما يبرز التفاوت في توزيع الثروة، و حجم استفادة كبار المودعين من النظام الحالي.

3- **أعباء النزوح السوري منذ العام 2011**،

تضاف إلى الأسباب التي ذكرناها، أن الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها لبنان لها أسباب متعددة، تضاف إليها ما يتحمله لبنان **من أعباء النزوح السوري منذ العام 2011**، بحيث تحولت الأراضي اللبنانية إلى مخيم كبير، ويتبيّن بحسب تقديرات صندوق النقد الدولي أن ما قدمه لبنان لهذه الرعاية حتى عام 2018 يقدر بنحو 25 مليار دولار أميركي، تضاف إليها خسائر لبنان جراء إقفال الحدود اللبنانية – السورية وتوقف حركة التصدير، وتصل إلى 18 مليار دولار أي ما مجموعه 43 مليار دولار، فضلاً عن الخسائر غير المباشرة الأخرى، وهي التي ساهمت أيضاً بدفع لبنان إلى حافة الإنهيار...

4- تداعيات تطبيق قانون قيصر على سوريا،

والأهم في قراءة المرحلة القادمة، وعلى ضوء التحديات التي يواجهها لبنان، وبخاصة تداعيات تطبيق قانون قيصر على سوريا، هو: هل يمكن الإستمرار بتأمين التمويل اللازم لحماية الأمن الإجتماعي والغذائي قبل إنفجار الشارع الذي يتحرك في جميع الإتجاهات، بحسب التطورات الأخيرة التي جرت منذ بداية شهر حزيران.. كل هذا يستوجب إجراء مراجعة شاملة للإنفاق العام، وإتخاذ إجراءات مكملة لبناء شبكات الأمن الإجتماعي ثم زيادة التحويلات الموجهة للفقراء ومحدودي الدخل، وتقديم القروض اللازمة للقطاعات المنتجة

لا سيّما في القطاع الصناعي ونشجيع الصناعات الريفية والحرفية منها بشكل خاص، لأهميتها في توفير الدعم للمزارعين والمقيمين في الأرياف.

5- إقتراح قانون لإنشاء صندوق البطالة

وفي مقدمة هذه الإجراءات السريعة **العمل على إقتراح قانون لإنشاء صندوق البطالة** لحماية العاملين في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، بعد التداعيات الناجمة عن أزمة الكورونا والانهيارات التي مر بها لبنان منذ ثمانية اشهر، لا سيّما وأن أرقام وزارتي الصناعة والإقتصاد تتحدث عن فقدان أكثر من 100 الف وظيفة، تضاف إليها نسبة كبيرة من الأجراء المياومين والموظفين الذين يتقاضون نصف راتب بحسب الإحصاءات. وقد تم تدارس هذا الموضوع في لجنة المال والموازنة النيابية على أن يموّل الصندوق الذي سينشأ من اقتطاع نسبة من الفوائد، اضافة الى تمويل المؤسسات الدولية ودعم المغتربين الراغبين بالمساعدة..

وهناك إقتراح جديد يتم تحضيره من قبل وزارة الإقتصاد ويتناول إلغاء "الدعم" عن القمح والدواء والمحروقات وتسعيرها على أساس سعر الدولار وذلك للتخفيف من حركة التهريب والهدر القائم، مقابل تقديم دعم للأسر التي تعيش تحت خط الفقر والبالغ عدد نحو 335 ألف أسرة[145].

6- مشاريع لتشجيع مشاركة المغتربين

كما توجد مشاريع لتشجيع مشاركة المغتربين في إعادة دعم الإقتصاد اللبناني سواء عبر التحويلات من المهاجرين، والتي باتت تقدر بحسب البنك الدولي بنحو 7,3 مليارات دولار عام 2019، أي بزيادة نسبتها 3,1 في المائة عن العام 2018، تضاف إليها فتح الأبواب وتقديم كافة التسهيلات والإغفاءات للمغتربين لتشجيعهم على الإستثمار في لبنان وبخاصة في إقتصاد المعرفة لدى الشباب، والعمل في المشاريع عن بعد، حيث تشير التقديرات إلى وجود ثروة كبيرة لدى اللبنانيين في الخراج تقدر بنحو 120 مليار دولار، سيّما وأن ارقام البطالة في لبنان يمكن ان ترتفع في الأشهر القادمة، خاصة بين أصحاب الكفاءات وحملة الشهادات العليا وخريجي الجامعات والذين لن يتمكنوا هذا العام من ايجاد الوظائف بسهولة سواء في لبنان او في الخارج خصوصا بعد جائحة كورونا وانهيار اسعار النفط، مما يساعد في إعادة فتح البلد، وعودة النشاط إلى الدورة الإقتصادية.

---

[145] يفترض بدء تنفيذ قرار إلغاء «الدعم» في الأول من آب، ويشمل البنزين والمازوت والغاز والقمح. في الأسباب الموجبة إشارة إلى أنه لم يعد يمكن للحكومة الحالية أن تبقى مكتوفة الأيدي أمام الواقع المأساوي الذي يشير إلى ارتفاع عدد الأسر التي تعيش تحت خط الفقر إلى ٣٣٥ ألف أسرة. وعليه، فإن الاقتراح يوضع في إطار تأمين شبكة رعاية اجتماعية تخفف وطأة الأزمة على الفئات الأضعف رفع «الدعم»، أي زيادة الأسعار بنسبة 100 في المئة على الأقل، تريد الحكومة تسويقه كشبكة رعاية اجتماعية. راجع حريدة الأخبار تاريخ 21 حزيران 2020.

ولا بد من الإشارة إلى تزايد هجرة الأدمغة، إذ يصنّف لبنان في المرتبة 113 من أصل 144 دولة في العالم بالنسبة لظاهرة هجرة الأدمغة، حيث ترتفع النسبة خاصةً لدى الجامعيين 44 (في المئة)، ما يؤدي إلى خسارة لبنان للموارد البشرية والمهارات العليا.

7- **أما الكلفة الإقتصادية للعمالة الأجنبية في لبنان** فهي بحاجة لصياغة خطة شاملة للتوظيف والعمال الأجانب، وهي لا تنحصر في منافسة اليد العاملة اللبنانية فحسب، إنما في حجم الاموال بالدولار التي يُخرجونها من لبنان والتي بلغت في العام 2017 حوالى 6,6 مليارات دولار. ولو أجرينا مقارنة مع الأسطورة اللبنانية التي تتغنّى بتحويلات المغتربين من الخارج، لوجدنا ان الفرق بينها وبين ما حوله العمال الاجانب من لبنان بلغ 1,1 مليار فقط لمصلحة لبنان. وبالتالي فإن قيمة تحويلات المغتربين التي بلغت في العام 2017 حوالى 7,8 مليارات دولار، لم يدخل منها فعلياً على الإقتصاد إلاّ حوالى مليار دولار.

وبحسب أرقام وزارة العمل لعام 2017 يوجد في لبنان حوالى 15 ألف عامل في الفئة الثانية و72 ألفاً في الفئة الثالثة و186 ألفاً في الفئة الرابعة (العمالة المنزلية والتنظيف)، في حين يوجد حوالى 70 ألف عامل لا يحملون إجازات عمل رسمية ووجودهم يُعتبر غير شرعي على الأراضي اللبنانية. أما في الأرقام غير الرسمية فيُشاع أنه يوجد في لبنان حوالى مليون ومئتي ألف عامل أجنبي، من ضمنهم حوالى 800 ألف عامل سوري، في حين ان الحاجة لا تتجاوز الـ 250 ألفاً سنوياً..

وتكشف المصادر أن "أعداد العاملات المنزليات اللواتي دخلن الى لبنان من مختلف الجنسيات إنخفض من 5890 في تموز 2019 الى 1966 في كانون الأول من العام ذاته، أما اليوم، فقد أثّر ارتفاع سعر الدولار مقابل الليرة اللبنانية على استقدام العاملات الأجنبيات، والعديد من العائلات بدأت بإعادتهن، وتسعى المكاتب للتفتيش عن وكيل آخر يستطيع تأمين المبلغ الشهري لهنّ... فهل تضع هذه الأزمة حداً "لظاهرة" العاملات الأجنبيات في المنازل؟ ، سيّما وأنه مع بداية تدهور العملة اللبنانية منذ ثلاثة أشهر فإن قطاع العاملات الأجنبيات بات في حالة من «أزمة وجودية». و أن 17 مكتب استقدام (من أصل 600) أغلقت أبوابها قبل فترة، حيث تتم المباشرة بتنظيم رحلات جوية، من خلال عودة طوعية لإجلاء العمال والعاملات الأجانب عبر المطار، بحيث أن المشاهد التي عرفتها بيروت يوم الأحد 14 حزيران الماضي، تمثل ظاهرة تاريخية لم تعرفها العاصمة بيروت منذ تاريخ إستقلال لبنان.

ما هو النظام الجديد الذي سيُبنى على أنقاض الانفجار الاجتماعي ؟

الخلاصة أننا أمام غيوم سوداء من الفساد والهدر والفشل السياسي في الإدارة والحكم، وهي تنذر مجتمعة بعواصف قادمة تتطلب الكثير من الحذر والتقشف، بحيث يتم الإستغناء عن الكثير من الرفاهيات لدعم الفقراء، وسيكون الوضع كارثيا في مرحلة فاصلة بين الإنقاذ الصعب أوالإنهيار الموجع، ونحن بأمس الحاجة إلى شبكة أمان إجتماعي تغطي أكثر من ثلثي اللبنانيين لآن البلاد معطلة بكاملها اليوم، حيث تبقى الأولوية لبرامج الإعانة من خلال تخصيص بند في الموازنة العامة وقيمته 0,5 في المائة لتقديم المعونة الإجتماعية المباشرة من خلال أجور دعم نقدي للأسر الفقيرة، وذلك بدلاً من تقديم الدعم العيني والحصص الغذائية المؤقتة. ويمكن تمويل هذا البرنامج من خلال رفع الضرائب على رجال الأعمال والمؤسسات الغنية مقابل منحهم تسهيلات وحوافز وتسيير أعمالهم ومنح إستخدام الأراضي التي تملكها الدولة مجاناً، وتسهيل التراخيص مع إعطاء قروض بفوائد متدنية لمساعدتهم في فتح فروع حديدة في الصناعة والزراعة ..مما سيؤدي لإعادة إحياء الحركة الإقتصادية.

لقد قدم لبنان أنموذجاً رائعاً أمام المجتمع الدولي في العمل الإنساني، بإستضافة ما يزيد على مليونين ونصف المليون من النازحين السوريين واللاجئين الفلسطينيين، وغيرهم من المهاجرين، لكنه اليوم وبعد أن فقد القدرة على الإستيعاب، لا يجد من يقدم له المعونة كما يتبيّن من الشروط القاسية التي يفرضها صندوق النقد الدولي خلال المفاوضات الجارية، وهذا يتطلب بناء الدولة المدنية التي يمنع القانون فيها التوزيعات القائمة على المحاصصة بحسب المذهب والدين والمنطقة، وتطبيق القوانين الموضوعة، فهناك 54 قانونا لم ينفذوا ولو نفذ الحد الادنى منها لما وصلنا الى ما وصلنا اليه اليوم، وتغيير السياسات الإقتصادية وبناء علاقات جديدة تساعد في إنقاذ لبنان.

هذه هي الصورة الحقيقية للأزمة ويجب أن يعرفها الناس، الطبقة الحاكمة فشلت في إدارة الدولة، لكنها ما زالت تناور وتمنع التغيير وتتمسك بالحكم، وتفتش عن خطة إنقاذ لشراء المزيد من الوقت، حيث لا أموال جديدة تدخل إلى المصارف بعد تهريب الأموال الضخمة إلى الخارج، كما أن الإستدانة باتت تصطدم بعوائق سياسية تمثل "وصاية دولية" تضعها الدول والمؤسسات المالية قبل مد يد العون إلى لبنان، وحتى لو حصل لبنان على قروض بكلفة مرتفعة، فالحقيقة المرة أن فترة التعافي تحتاج إلى سنوات لبناء ما خربته السياسات الفاشلة في الحكم.

حاذروا أن نصل الى هذه الحالة قبل فوات الأوان

التباعد الاجتماعي والتواصل الاسري إبان الكورونا وبعد إنتهائها

بقلم د. منال يوسف خاطر

موضوع كورونا ليس فقط أزمة صحية، بل هو أزمة إنسانية على جميع الأصعدة، أزمة إنسان ،أزمة مواطن، أزمة معيشية في وطن تنتج عنها تداعيات اقتصادية دون شك.

تأزم الأحوال وسط تفشي جائحة (كوفيد-19)، دفع العدد الهائل من الأشخاص للعيش حاليًا تحت ضوابط الحجر الصحي الذي شكل تحديًا غير مسبوق للبشرية.وهذا مادفع فريقاً من علماء الأعصاب والفلاسفة الأوروبيين للقول أن العيش في عزلة يشكل تهديدًا فريدًا يتعارض مع الغريزة البشرية الأساسية للتواصل والترابط الاجتماعي، وذلك يستحق اهتمامًا أكبر من قادة العالم لبحث في كيفية المعالجة .

كما فرض هذا التأزم عن طريق احد عيوبه نوعاً آخر من خفض التواصل الطبيعي أو الواقعي بين الأفراد، وحلّ مكانه التواصل الافتراضي عبر قنوات التواصل الاجتماعي، التي وفرّت إلى حدٍ ما، مهام الاطمئنان على بعضنا البعض. في حين أن هذا التباعد القسري مع الآخرين كان له نوع آخر من التقارب بين أفراد الأسرة الواحدة، بل ربما نستطيع القول إنه قوّى العلاقات بين الأب وأولاده، فشاركهم الحوار والمناقشات والانشطة واللقاء على طاولة الطعام ، بعدما كان الجميع قبل الكورونا، متفرغاً لنفسه وأعماله وزياراته التي قد تحرمه من الالتقاء بأفراد الأسرة في الأيام العادية . وقد سهم ذلك في التخفيف من المشاكل الأسرية، التي كانت تحدث بسبب العمل أو الزيارات أوتمضية الاوقات مع الأصحاب.

الأقرباء أصبحوا أكثر حرصاً على السؤال عن أقاربهم، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، القريبين أو البعيدين، وهذا ما قوى العلاقات والروابط الأسرية. والدليل أن كل أسرة أصبح لديها "FamilyGroup" ليبقوا على تقارب وتواصل مع بعضهم البعض وخاصة عبر ال عبر "الفيديو كول".

كذلك الخصومة و المشاحنات بين أفراد الأسرة الواحدة، وحتى مع الآخرين إنخفضت ، وما يقال عكس ذلك فهي شائعات يراد بها تضليل الناس.

في إطار آخر فرض علينا هذا الوضع نظاماً معيشياً جديداً، يرتكز على التباعد عن الناس، وأيضاً نقل فصول المدرسة إلى البيت، والتعلم عن بعد، وإرسال الفروض المدرسية عن بعد أيضاً. وهذا ما سبب الكثير من العصبية لكافة أفراد الأسرة، وخاصة الأطفال الذين لم يعتادوا على البقاء في المنزل، وعدم التنزه هنا وهناك. فكل اسرة تقريبا لديها العديد من الأصدقاء والمعارف الذين هم بمثابة أهل في الغربة، ومن الطبيعي في هذه الأجواء أن تقتصر لقاءتها عن بعد لضرورة تنفيذ التباعد الاجتماعي والذي من شأنه الحفاظ على أرواحنا وأرواح أولادنا.

الصعوبة التي لم يتمكن الافراد تحملها في هذة الازمة، هو عدم تمكن الابناء زيارة والديهم وعدم الاهل من زيارة ابنائهم .فمنذ بداية انتشار الكورونا وإطلاق التحذيرات بعدم الخروج من المنزل وعدم التجمعات(فرض التعبئة العامة) اكتفى الأقارب المباشرون بالتحدث عبر الهاتف، خوفا على الكبار بالسن والذين لديهم امراض مزمنة (أمراض الكلى والضغط والسكري والقلب أمراض الاورام السرطانية...)، وحرصاً على عدم اصابتهم بهذا الوباء الخطير والذي قد يسبب الوفاة . واليوم الكل مشتاقون إلى بعضهم البعض، آملين أن تزول هذه الأزمة، وتعود الأحوال إلى سابق عهدها.

طالت التغيرات الإجتماعية ايضا العادات والتقاليد ومناسبات الفرح والترح، وكذلك السلوكيات الفردية والجماعية، كما طالت التصرفات اليومية، والإنفعالات النفسية والإجتماعية. وذلك لأن الدروس المستفادة من جائحة كورونا جلّ مهمة لغايات التغيّر والتغيير في الجوانب الإجتماعية للدفع نحو التأقلم مع مستجدات العصر، والتطورات التي أساسها الحفاظ على الصحة العامة، وأسس السلامة ومعاييرها، درءاً لإنتشار الوباء والفايروس والتحولات المستقبلية في هذا الشأن.

ثقافيا، ستعيد كورونا نظر الشعوب بثقافاتها وتقاليدها السائدة، وستظهر عادات وتقاليد وأخرى ستختفي ، وهذا أمر جديد ربما لم تألفه البشرية من قبل، كما ستتعرض بعض الطقوس الى اعادة تقييم لجدواها او استجابتها لمقتضيات العلم والحاجات البشرية... لكن ذلك لن يعني قطيعة عالمية بين البشر، بل سيتولد إدراك جديد لاننا بحاجة الى تضامن وتعاون اكثر، لمواجهة التهديدات التي تواجههم ، وهذا يشير بدوره الى ان العالم سيكون بحاجة الى نظام عالمي اكثر اهتماما بحاجات البشر الأساسية، واكثر استجابة للحفاظ على سلامة الكرة الأرضية لتستمر بالعطاء لمصلحة سكانها. فعنوان المرحلة المقبلة بعد كورونا سيكون حتماً : قرب الأسرة وأفرادها من بعض ومحبتهم لبعض، وتواصلهم، وتمتين القيم الأسرية من محبة وإحترام ووفاء وتعاضد وتكافل وغيرها.

أما نتيجة التباعد الإجتماعي الفيزيائي فستكون : كبح جماح الأمراض، وعدوى الفايروسات عن طريق ترك المسافات الآمنة ، والعزل المنزلي، وتغيير العادات التي تقتضي القرب المكاني والفيزيائي أثناء السلام واللقاء والمناسبات. في الأيام المستقبلية المقبلة بعد زمن كورونا ستختفي أو تقل أكثر العادات التي إعتدنا عليها، وخاصة تلك التي فيها خطورة نقل الفايروسات وحتى الأمراض بين الناس، وذلك يشمل ،ولا يقتصر على، عادات المجتمع اللبناني بالسلام باليد والعناق المتكرر والحَضْن والأرجيلة والتدخين والأكل بالأيدي والقرب المكاني من بعض وغيرها، حيث أن وقف هذه العادات حتماً سيؤول إلى ثقافة عصرية جديدة تحقق الأمان الصحي للجميع.

على المستوى الصحي، مثّل كورونا صدمة للبشرية ولغرورها التكنولوجي، وبدأت جميع دول العالم إعادة النظر في حساباتها، وتطوير أنظمتها الصحية، لجعلها اكثر استعداداً واستجابة لحالات مستقبلية شبيهة بكورونا او أشد فتكا منه.

تعليميا بدأت الأنظمة التعليمية عبر العالم بتطوير أدواتها، فأصبح التعليم عن بعد أكثر كفاءة وتطورا، حبث اليوم في استجابت الانظمة والمؤسسات لهذا الاسلوب، ولكن قطعا ستبدأ كل دول العالم بالاستعداد لحالات مشابهة، وستعمل على تطوير تقنياته ، رغم ان هذا الأمر لا يخلو من المخاطر، فهو يعتمد على استمرار شبكات الانترنيت والطاقة الكهربائية... والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو مصير التعلم عن بعد لو تعرضت هذه التقنيات الى الانقطاع والتدمير او التعطيل؟ الاجابة ستكون فشل هذا النوع من التعليم . لذلك اعادة النظر فيه ليكون اكثر استجابة للتهديدات غير المتوقعة.

ان العالم بعد هذا الوباء لن يكون كما هو عليه اليوم، فالاقتصاد العالمي من أكبر المتضررين منه، وقد يدفع الانهيار الاقتصادي في لحظة ما الى تصاعد حجم العنف الدولي الى درجة اندلاع الحروب الكبيرة .

على صعيد التأثيرات الاقتصادية محلياً، لاسيما في الدول النامية، سنكون امام حالة كارثية، الى درجة تصاعد معدلات البطالة والجريمة والتطرف والعنف، فضلا عن تنامي الإرهاب وتنظيماته، بسبب توافر الظروف المغذية، ولن يتمكن الاقتصاد المحلي وحتى العالمي من تجاوز تأثيرات كورونا السلبية سريعا.

إبان فترة كورونا التي ما زالت مستمرة لاحظنا مجموعة تغيرات منها مثلاً :

- في رمضان توقّفت التجمعات على الولائم، وتوقفت ولائم العنايا، وتم إستبدالها للمقتدرين بالمال، وفي ذلك فضل من الله ومنع للتجمعات التي لا يُحمد عقباها، ولا تُعرف نتائجها، ومعظم هذه الولائم تأجلت لقابل الأيام، أو إستبدالها بالمال أو الطعام الجاهز للبيوت، دون تجمعات أبداً.

- التجمعات الكبيرة إندثرت إلى غير رجعة وخصوصاً في المباريات والطوابير العامة والمولات والمطاعم وغيرها. باعتبار هذه المواقع تعتبر بؤراً ساخنة وإنشطارية ، كمراكز لنقل العدوى والوباء ، كونها تمثل مراكز تجمع الناس، وعدم مراعاة المسافات الآمنة والتباعد

- مناسبات الأفراح توقفت تماماً، وبعد انتهاء الازمة ستتفذ بأعداد محدودة جداً، وستقتصر على المُقرّبين، ولن نرى مظاهر أفراح كالسابق من حيث العدد والقُرب الفيزيائي بين الناس. حتى المباركات تتم حالياً عن بُعد من خلال الهواتف الخليوية أو وسائل التواصل الإجتماعي.

- كذلك الحال بالنسبة لمناسبات العزاء، وعيادة المرضى، كلّها تحصل عن بُعد بالتواصل الإجتماعي والخليوي، وتقتصرحالياً بالمبدأ على المقربين جداً، وهذا بالطبع يخفّف على الناس الجهد والمال والوقت ويفي بالغرض دونما هدر لأوقات أصحاب المناسبة أو الزوّار.

- حتى السهرات والنراجيل والحفلات وغيرها كانت نادرة جداً فب هذه الفترة ، ومستقبلاً ستتراجع لأن درجة وعي الناس وجرعتهم الروحانية والإيمانية ارتفعت، فالناس أصبحوا لا يحبّذون ضياع الوقت والطلعات البعيدة عن الأسرة وأي فعالية فيها كثافة للناس وتقارب فيزيائي، مما يؤشر على تغييرات جذرية في الثقافة المجتمعية لكل البشر.

هذه المرحلة التي مررنا بها ومازلنا في زمن الجائحة ، ستساهم في نشر ثقافات جديدة بين الناس، جلها الحذر، والتباعد الإجتماعي، والمسافات الآمنة، والطوابير، وعدم التبذير، والترشيد للإستهلاك، والتكافل الإجتماعي، وروحية العطاء والعمل الإجتماعي، والتواصل الإجتماعي عن بُعد، والإكثار من المهاتفات على حساب الزيارات، والبريد الإلكتروني ووسائل الرقمنة والإنترنت والمشي دون مركبات وتجذير ثقافة الحاجة أم الإختراع وغيرها....

وأخيراً، نتطلّع للإستفادة من دروس جائحة كورونا لتنعكس على قيمنا وعاداتنا الإجتماعية في كثير من القضايا التي باتت سبباً في إنتشار الفايروسات، والأهم من ذلك كله نظافة القلوب، ونبذ الكراهية التي

تعشّش عند البعض، ليصبح مجتمعنا، مجتمع التكافل والتكامل والمحبة بدلاً من البغضاء والحقد والحسد والأنانية.

لعله واقع الحال ...قسمات وجه معبرة ، وقنديل كاز سيضيء عتم الليالي... مع رجاء قيامتنا المنشودة من هذا الكابوس اللعين ...المل كبير برحمة الله

Digital Transformation and Cyber Security Strategy in Lebanon: A Practical Guide.

Moustafa Noureddine, Ph.D.

CEO, Micro Tech Solutions S.A.L.

Introduction:

Digital transformation is probably Lebanon's best hope for economic development. This underutilized resource has been idle for over 20 years, living in government strategies and ministerial power point slides. This economic potential will mobilize intelligent labor force, and it will require collaboration among private and public sector, creating a massive need for educated labor. It is probably the best hope for activating economic growth potential, reducing deficit, and attracting intelligent talents that will be lost abroad otherwise.

In recent years, the government efforts to activate this digital economy potential of Lebanon have not been a secret, they have been bundled mostly under the implementation of reforms required under CEDRE program and the hopes of improving the electricity economy and investment in oil and gas opportunities. These three programs, 1) digital transformation, 2) improving electricity economy, and 3) oil and gas revenue are probably the most opportunistic options for rescuing a struggling economy at the edge of collapse. This paper discusses the opportunities in digital transformation in Lebanon, and guidelines for implementation strategy. In the last section of the paper, we look at a use case for implementation to illustrate how an organization can undergo digital transition.

The cybersecurity challenge:

One of the biggest challenges of digital transformation is the exposure of cybersecurity infrastructure. When files are stored in cabinets, and servers are located in locked rooms with no access outside the premises, it is easier to feel safe and worry less about cyber-attacks. However, as soon the larger

internet is at play, cyber strategy becomes a core requirement before any digital transition can take place.

The Lebanese government has been aware of these challenges and has combined both cyber security strategy and digital transformation hand in hand. "We have done something special by advancing from a state of zero strategy to having a national cybersecurity strategy after six months," Lina Oueidat, the head of the ICT committee at the Presidency of the Council of Ministers, tells Executive in September on the sidelines of a cybersecurity conference.

Confidence in the governments' cybersecurity measures and transparency in the use of personal information are vital for gaining citizen's trust and for attracting more people to do business online. Such trust between citizens and governments is critical prior to implementation of digital transformation. There shall be laws in place to ensure citizen data is kept safe and laws to protect citizens in case of data breach.

The international view:

The combined strategy of digital transformation and cybersecurity is certainly paid well attention for at the global community. In 2019, 27 United Nations member countries committed to a statement on "responsible state behavior in cyberspace" at a UN General Assembly session. Based on the notion that digital lifestyle has become ubiquitous to drive productivity, the member states emphasized the criticality of irresponsible cyber behavior by any actor being it a state or individual cyber-criminal. The member states pledged to "hold states accountable and called for voluntary collaboration with other states to uphold an international rules-based order in cyberspace" (1)

Lebanon has proven not long ago that it is not a total stranger to the importance of cybersecurity and digital transition issues for nations' emerging economic fortunes. At the end of last year, the Lebanese government was one of the first 51 countries to join an initiative of French President Emmanuel Macron, the "Paris Call for Trust and Security in Cyberspace." Signatories affirmed their commitment to international legal frameworks and their applicability to digital environments, among other things, reaffirming their support of "an open, secure, stable, accessible and peaceful cyberspace, which has become an integral component of life in all its social, economic, cultural and political aspects." The group also condemned "malicious cyber actions in peace time" and also vowed to "welcome collaboration among government, the private sector and civil society to create new cybersecurity standards that enable infrastructures and organizations to improve cyber protections. (2)

However, as of today, Lebanon is stacking at the bottom in terms of digital transformation and cybersecurity strategy. According to the International Telecommunication Union's (ITU) cybersecurity index of 2018, Lebanon was ranked 17th among 22 Arab member countries and 124th in global terms (2). This low ranking reflected the absence of a national CERT, a computer emergency response team (CERT)—a vital entity in national cybersecurity considerations. CERT will provide benchmark advice and assistance focusing on cyber incident prevention, handling and reporting. CERT will also collect and share cyber-threat intelligence within the country and partner sates. Therefore, Lebanon must undergo

serious infrastructure investment in order to enhance its cybersecurity stance and then move forward with digital transformation implementation.

Implementation Strategy:

Implementations of a digital transformation strategy requires the confidence of clients or citizens in case of government agencies. What prevents people to use digital services is attributed to many factors, examples include:

1. Current services rely on digitizing pre-Internet paper-based business processes that are not best suited to the digital era.
2. Most services do not offer end-to-end transactions, instead they offer part of the service and the require the client to go through face to face in order to fulfil the whole transaction
3. Lack of digital signature implementation. This is a blocker to adopt digital transaction at any organization.
4. Services that has been independently designed with its unique user interface and set of assumptions. This leads to inconsistency in the user experience and causes unnecessary confusion.

In order to implement a digital transformation strategy, the following are list of principles that should be followed:

1. Create a central portal, a single-entry point to navigate various needs that serve the customers or citizens, in case of government agency.

Such implementation makes it easier to locate information needed, being it in government ministry or agency, or simply a commercial store serving their client needs. Today, for example, there are hundreds of government web addresses, where information is organized according to the internal management structure of the ministry rather than the service needed by citizens.

Another important issue to address is the reliability of the information and the services provided. Having stagnant information that are not up to date or outdated reduces confidence and pushes the clients to visit physically or call by phone. Therefore, portal information must be up to date, reliable and written to address the day to day needs of the clients.

2. Set standards for clients centered information

A number of standards, guides and frameworks focusing on areas of high importance for citizens and clients such as cloud security, use of personal data, digital assurance must be mandated by government agencies in order to ensure confidence and data protection. Without such standards and regulations, data privacy can become a major concern and a blocker for digital adoption in various agencies especially banking. For example, setting a data privacy law will ensure that businesses and government agencies do not collect customer private information. Other examples of standards are data exposure laws that require organizations to inform customers when their data is accessed illegally. This is usually the main driver for organizations to protect data, since any exposure require embarrassing announcement to their customers, organizations tend to protect their customers data to ovoid such

scenarios. In the USA for example, most banks decided to move to the Cloud to avoid embarrassing data exposure scenarios with their customers since the banks are required to inform every customer when their data is accessed illegally or potentially stolen by hackers. The lack of such law in Lebanon drives banks to ignore hacking incidents and focus on fixing the problem that caused it until they hit again, there is no marketing hit due to relaxed cybersecurity platform.

3. Transform transactions to be digital by default.

Proactively transform transactional services to be digital-by-default thriving to make

service's convenience to users the top design priority and to be more responsive to their needs.

Bearing in mind that digital transformation is not about digitizing existing paper-based processes, but it is about inventing the best new "Internet era" way to deliver the service.

To achieve this effectively, it is vital to have a user centered approach with emphasis on customer conveniences. In some digital transactions, the end users end up with duplicating the necessary tasks to complete the job, one that is digital and then duplicated by cumbersome paperwork. Such inconveniences lead to blocking such transformation.

In digitizing services, an organization must adopt the user's perspective and look for innovative ways of improving the experiences of clients and businesses. This involves challenging long-held assumptions and being willing to remake products, processes, and policies. To digitize a business process effectively, it is recommended to digitize the entire chain of activities that make up the process resulting in a valued end-to-end multi-stage transaction. There is a need to streamline inefficient or hard-to-automate business processes before digitizing them.

The digital organization also must recognize that not all members of the community can access digital services equally and that consideration will always need to be given to their particular needs. Therefore, the digital should be the default, but also the non-digital transaction must remain available for those who are not able to obtain it.

4. Plan for cybersecurity from the beginning

To protect its digital assets, any organization must invest the time to know the cyber risks, be clear about what to protect, know the threats to protecting against, train and educate staff and keep up to date with international best practices. Cyber security risks need to be comprehensively addressed and adequately mitigated all the levels: infrastructure, software, systems, people and processes. It is essential to have a growing cross-government cyber security capability to strategically plan and adequately prevent, detect and respond to cyber threats. Digital transformation to the Open World must be secured through:

- Building capability to prevent, detect and respond to cyber-attacks, manage incidents and secure services.

- Pursuing a systematic, collaborative and comprehensive cybersecurity approach that embraces international best practices. This includes continuous security enhancement to network, product, system and application security as well as operating within a strong governance framework.
- Guarding citizen's privacy, providing transparency in the use of personal information and ensuring that security is usable in digital services.
- Raising awareness, increasing knowledge, promoting expertise and strengthening international cooperation
- Improving the technical, legal and cultural means of preventing and combating cybercrime

Case Study:

A good case study to reference here is the digital transformation strategy for Lebanon government agency (the name will not be shared due to confidentiality). The study looked at transitioning the entire agency processes to become digital and the vision is to become paperless. In order to do so, we looked at the following execution strategy:

1. Digitizing internal processes
2. Digitizing transactional processes
3. Implementation of a central portal for information and access to services.

Cybersecurity remained a horizontal item that covered all processes, it is front and central to any digitization process. The following are processes that the agency will consider as they embrace digital transformation:

- **Human Resources Automation:** A full-featured Human Resources Management System that manages employee records, benefits, compensation, leaves, promotions, discipline, recruitment.
- **Payroll Automation:** Fully integrated with the Human Resources Management system as well as other modules, Payroll Automation manages, calculates and reports on employee salaries, benefits, income tax, vacations and leaves.
- **Budget Automation:** A solution that enables businesses and government offices to efficiently plan and manage their yearly budgets and financials covering estimation, formulation, hearings, execution, reporting
- **Assets Management:** A solution for the management of physical assets used to manage all types of assets, perform asset and condition analysis, enhance the efficiency of assets, provide advanced reporting including location, status of repairs and maintenance records.
- **Stock and Warehousing:** A full featured stock management and warehousing system that manages items, shipping, reception, access, control, storage, and reporting.
- **Accounting and Finance:** A solution to manage the accounting and financials of the Government offices covering financial reporting, bookkeeping, regulations, budget heads and control, auditing, and reporting

- **Physical and Digital Archives:** A comprehensive Electronic Document and Records Management System for the management of the entire content lifecycle of the business or government office
- **Correspondence Automation:** Full featured, document-centric Workflow Management System for the automation of Incoming, Outgoing and Internal Correspondences.
- **Meeting Management:** Advanced Meeting Management Solution to manage committee meetings, from the agenda preparation, to attendee invitation, meeting agenda items discussion, commenting, minutes preparation and dispatching.

This plan helped the agency establish a vision for becoming a digital and paperless organization.

In conclusion, the purpose of any digital transformation strategy must guide the digital transition of public services in Lebanon into an inclusive digital society where all citizens, businesses, government departments and organizations can benefit from digital era opportunities offered by digital technologies. The strategy must radically improve way of life for typical Lebanese citizens to enjoy speedy processing of typical day to day transactions such as opening a bank account, obtaining government records, signing a sales agreement, or depositing a check in the bank. Such transactions have been ubiquitous in many parts of the world. The last time I personally deposited a check in my bank account by physically going to the bank was at least 5 years ago.

References:

1. https://www.un.org/disarmament/wp-content/uploads/2018/04/Civil-Society-2017.pdf

2. McKinsey Global Institute (MGI). A future that works: Automation, employment, and productivity / 2017 https://www.mckinsey.com/mgi/overview

3. LEBANON DIGITAL TRANSFORMATION STRATEGY, 2018. https://drive.google.com/file/d/1Xxcae5moWkdyBktLCfQ_OPxbr8Iejjd7/view

الآثار الاجتماعية والنفسية للحرب البيولوجية الراهنة- كوفيد- 19

الدكتورة سلام عبد الكريم شمس الدين (استاذة جامعية وباحثة)

مقدمة

شهد التاريخ الإنساني في مختلف محطاته العديد من الحروب المدمرة والعنيفة، خاصة تلك التي تستخدم فيها أسلحة محظورة دولياً كالأسلحة البيولوجية "الجرثومية"، غير المرئية- لكنها فاتكة وقاتلة ومدمرة للكون، وتبقى آثارها عشرات السنين. يوثق التاريخ أن استخدام الأسلحة البيولوجية يعود إلى ما قبل الميلاد، وتجلى بعضاً منها في ما يلي: "إرسال الحيثيين كبشاً مصاباً بالتولاريميا إلى أعدائهم بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد"[146]، "استخدام رماة الأسكيثين- من بدو أوروبا الشرقية- الأسهم المغموسة في جثث متحللة"[147]، "إلقاء الصليبيين خلال ما سمي بالحرب الصليبية في العهد الوسيط جثث الموتى المصابين بالطاعون في معسكرات المسلمين، استخدام المانيا في الحرب العالمية الأولى الكوليرا والجمرة الخبيثة والجدري والطاعون ومرض الرعام "داء الخيل" في حربها ضد ايطاليا وروسيا"[148]، تطوير اليابانيين الأسلحة البيولوجية خلال الحرب العالمية الثانية، واستخدمها في غزوهم الصينيين فيما بعد، "حيث قاموا بتسميم قرابة (1000) بئر مياه، وأسقطوا بالطائرات الحشرات الموبوءة بالطاعون على المدن الصينية"[149]، وغيرها من الحوادث والأساليب الأخرى والمتنوعة.

وفي العقد الأول من القرن العشرين شهدت البشرية أكثر من خمسة أوبئة خطيرة، كان منها في الحقبة الاخيرة: " فيروس السارس عام (2002)، انفلونزا الطيور عام (2003)، انفلونزا الخنازيرعام (2009)، وباء ايبولا عام (2013)"[150]، وأخيراً فيروس كورونا المستجد عام (2019).

---

[146] - http://www.almesbar.net< اتهامات كورونا دعوة للتركيز على الإرهاب البيولوجي- مركز المسبار للدراسات والبحوث، تاريخ الزيارة: 2020/5/10.

[147] - v.Berras&G.Greub,history of biological werfare and bioterrorism, clinical microbiology and infection, volume 20, june 2014> نقلا عن:.Http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/s1198743x14641744 ، تاريخ الزيارة:2020/5/18.

[148] https://m.annabaa.org>arabic. ، الحروب البيولوجية أسلحة خفية وجرائم منسية, مقال: زيد المحبشي، 2020/4/11، تاريخ الزيارة: 2020/5/17.

[149] http://ar.mwikipidia.org اليابان وأسلحة الدمار الشامل، تاريخ الزيارة:2020/5/20.

[150] Arabicpost.net، أخطر الأوبئة التي ضربت العالم، 3/2020 /17، تاريخ الزيارة: 2020/5/11.

وترجّح العديد من خطابات المسؤولين والحكام، بأن فيروس كورونا، نشر بفعل فاعل، وبصرف النظرعن تعدد الفاعلين المتهمين، إلا أن الإنسانية هي المتضرّر الأول، عندما تتهاوى قيمة الحياة الانسانية للآخرين من منظور طرف معين، يأبى أن يحقق مصالحه السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية بأي ثمن وبأي وسيلة، حتى لو كانت نتيجتها فناء الإنسان وهلاك المجتمعات.

إن هذا الوباء الذي لم تختبره البشرية من قبل، والذي لم يعد محصوراً في مجتمعات طرفية محددة كما في الحروب البيولوجية السابقة، قد تحول إلى ظاهرة عالمية وضع العالم بأسره أمام استحالة الحرية في التنقل واستمرار الحركة، ودفع غالبية الدول إلى اتخاذ إجراءات وقرارات غير مسبوقة لإغلاق المدن والمعابر ودعوة الجيوش للإسناد، والذي ترافق معه العديد من المحاولات لتحليل هذه الظاهرة وفهمها من قبل فلاسفة ومختصين نفسانيين وعلماء اجتماع، وعلماء صحة وغيرهم من المهتمين، لإدراك مخاطرها وتداعياتها الاجتماعية والنفسية والصحية والاقتصادية والتربوية..الخ، ناهيك عن الجهود الطبية والمخبرية التي عجزت بدورها عن تأمين علاج أو لقاح لهذا الفيروس الذي يفوق ذكاؤه ذكاء العقل البشري والذكاء الاصطناعي. ما يدفعنا للنظر إلى تلك الجائحة نظرة كلية كونها تؤسس لمنعطفات تغييرية في حياتنا، وعلى أكثر من صعيد، والعمل على رصد تداعياتها وآثارها ببعديها التركيبي "السوسيولوجي والسيكولوجي"، وذلك باستخدام الأسلوب الوصفي في دراسة الحقائق والمفاهيم المتعلقة بها، والرجوع إلى عدد من المراجع العلمية النظرية والمقالات والدراسات والتصريحات والمواقف والمعطيات المرتبطة بهذا الموضوع، لتحليلها والإستفادة منها بهدف معرفة الآثار السوسيولوجية والسيكولوجية التي تفرزها تلك الجائحة على الأفراد والجماعات في مسار حياتها اليومية، وما تحدثه من تغيرات في البنية الاجتماعية بأبعادها المختلفة.

وبناء على ما تقدم نطرح التساؤلات الآتية:

1- **كيف تفاعلت المجتمعات مع منعطفات هذه الجائحة؟**
2- **ما هي الآثار الاجتماعية والنفسية التي خلفتها أزمة كورونا؟**
3- **ما هي الآليات التي يمكن اتباعها لمكافحة تلك الآثار والتخفيف من حدتها؟**

أهمية الدراسة: تسهم هذه الدراسة في اطلاع الفاعلين والمهتمين في مجال التوعية المجتمعية على أهم الآثار والتغيرات التي تحصل في البنية الاجتماعية والبنية النفسية جراء الحرب البيولوجية وتفسير مفاعيلها على الشعوب.

دوافع الدراسة: نتيجة حالة الطوارئ الراهنة التي تعيشها المجتمعات في ظل جائحة كورونا، ونتيجة ما خلفته من تداعيات اجتماعية ونفسية واقتصادية وغيرها، تأتي هذه الدراسة كحلقة مكملة لسلسلة من الدراسات المختلفة السابقة حول الموضوع نفسه، دعماً للحاجة في معرفة أثر الحرب البيولوجية على الأوضاع الاجتماعية والحالة النفسية للشعوب المتعرضة لها ومنها لبنان.

مصطلحات الدراسة:

1- الحرب البيولوجية: وتعرف أيضا بالحرب الجرثومية أو الميكروبية. "هي الاستخدام المتعمد للجراثيم أو الفيروسات أوغيرها من الكائنات الحية الدقيقة وسمومها التي تؤدي إلى نشر الأوبئة ومسبباتها"[151].

2- الأثر: هو" نتيجة الفعل الذي ظهر جراء مؤثر ما، الأثر هو نتيجة الإتصال، وهو يقع على المرسل والمتلقي على السواء. وقد يكون الأثر نفسي واجتماعي "[152]. ونقصد بالأثر هنا هو ما خلفه فيروس كورونا من آثار اجتماعية ونفسية على المواطنين والدول التي تعرضت له.

أقسام الدراسة: في ضوء تساؤلات الدراسة وأهدافها، تم تقسيم الدراسة الى مقدمة وثلاثة مباحث وخلاصة عامة.

يتناول المبحث الأول، أنماط التفاعلات البشرية مع فيروس كورونا، ويتمحورالمبحث الثاني حول الآثار السوسيولوجية والسيكولوجية لكوفيد 19، أما المبحث الثالث فيقدم أهم الآليات المساعدة لتخطي تلك الأزمة، والتحديات المقترحة ما بعد جائحة كورونا، وأخيرا الخلاصة والاستنتاجات التي ستتبلور في ضوء تساؤلات الدراسة وأهدافها.

المبحث الأول: أنماط التفاعلات البشرية مع الفيروس

وضع فيروس كورونا الإنسانية جمعاء أمام مرحلة حجر وعزل. فالحجر قد يكون بمعناه المحلي، وقد يكون العزل في مستوى علائقي دولي عالمي، فالإنسانية التي في زمن ما كانت تعيش ضرباً من الذوبان والانصهار في الآخر، أضحت اليوم تعيش ضرباً من الخصوصية السجينة والمعزولة، خصوصية مكروهة فيها من الغلق والانغلاق، والتقوقع والانكماش ورفض كل تجمّع أواجتماع على المستوى المحلي والاقليمي

[151] https://ar.m.wikipidia.org، حرب بيولوجية- ويكيبيديا، تاريخ الزيارة:2020/5/12.
[152] حسن عمار مكاويوليلي السيد, الإتصال ونظرياته المعاصرة، دون طبعة, الدار المصرية اللبنانية, مصر, 2001, ص52.

والعالمي، ما يشكل قلقاً عالمياً متعدد الأبعاد والأشكال لم ينفذ منها لا القوي ولا الضعيف، لا الحاكم ولا المحكوم، لا الكبير ولا الصغير، لا البورجوازي ولا البروليتاري، لنعيش كارثة كونية انسانية جامعة.

أدى هذا الانفجار البيولوجي إلى خلق ثلاثة أنماط من البشر، الأول: النمط العدمي الذي سرعان ما يعتقد أن النهاية عاجلة ولم يلحق أن يحقق كينونته ويستغل مراحل حياته، سيما بعد فشل النموذج العلمي في تمثل الواقع وحل مشاكله. والثاني: هو نمط الإنسان الذي يبالغ بتقدير أخطار الإصابة، يلهث وراء الماديات لتحقيق شهواته ورغباته قبل أن تداهمه المنيّة، مدفوعاً باللهث المتزايد على المنتوجات الاستهلاكية معتقداً أن الهدف من الحياة يكمن في العيش فقط، مع بروز قلق طاغ متخذاً اجراءات الوقاية بصورة اضطراب وهلع مرضي متجاهلاً الجانب القيمي من الإنسانية. وأخيراً النمط الثالث: وهو النوع الغائب الحاضر الذي لا يمكن أن نصنفه إلا بالغافل والمستهتر واللامبالي بالاجراءات الوقائية، وكأن خطر العدوى لا يطاوله، بل يطاول الآخرين متنكراً لموته الذاتي، وكأنه ليس متبصرا بالخطر الفعلي أو ليس منتمياً إلى هذا الوجود.

المبحث الثاني: الآثار السوسيولوجية والسيكولوجية لجائحة كورونا

أولا: الآثار السوسيولوجية: يمكن النظر إليها من زوايا متعددة نذكر منها:

1- على المستوى الديموغرافي:

أحدثت جائحة كورونا اختلالاً في التركيبة السكانية في العديد من الدول، كالصين وإيطاليا واسبانيا وأميركا، وغيرها من الدول، نتيجة للأعداد الهائلة التي حصدها من الوفيات، الأمر الذي أدى إلى تغيّر في البنية الديموغرافية والذي يعكس بدوره تغيرات جذرية في البنية الاجتماعية والاقتصادية لتلك الدول.

2- على المستوى الاجتماعي:

أ- التكافل الإجتماعي وتصاعد الشعور الجمعي: واجهت البشرية نتيجة الحظر القسري شحاً في الموارد الاقتصادية، حيث بادرت الحكومات من جهة ومؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة والهيئات والجهات الفاعلة في المجتمعات على مختلف أنواعها وتوجهاتها الدينية والسياسية والحزبية من جهة أخرى، بحملات دعم في كثير من الدول، في إطار المشاركة الاجتماعية وبهدف تحقيق وتعزيز مبدأ التكافل الاجتماعي لدعم قضية مشتركة، وبناء عالم يسوده الأمل والتفاؤل. وفي لبنان ظهرت حالة من الإيثار والشعور الجمعي بين كل تلك الجهات وبين أفراد المجتمع المدني، وكان للمتطوعين من الشباب الجامعي دورٌ كبيرٌ في دعم القطاع الصحي احساساً منهم بالمسؤولية، حيث قدموا خدماتهم الطبية والتقنية لمواجه هذه الجائحة، في وقفة تحدٍ لكل عوامل النقص والقهر والألم مجسدين بذلك أسمى معاني الانسانية وقيم التماسك والانتماء والمواطنة الحقة.

ب- التباعد الإجتماعي: يسجل علماء الاجتماع: إن ايقاع الحياة اليومية، رتابتها وروتينها المعتادين يرتبكان وقت الأزمات. فالحياة اليومية للأفراد والمجتمع تتضمن أنماطاً معروفة من التفاعلات والعلاقات والتوقعات، ويشكل حدث كورونا هنا خروجاً حاداً وصادماً عن هذا الروتين بفعل فرض الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، الذي معه عزلت جميع الأنشطة التي اعتاد الناس على ممارستها ومزاولتها منذ الأزل. حيث تحولت حياة الناس إلى سجن مخيف، وتقلصت معها مساحة التفاعل الاجتماعي وجهاً لوجه، وانعكس ذلك على اتجاهاتهم القيمية، والتحول نحو نمط التواصل والاتصال الرقمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي. ومن المعروف سوسيولوجيا أن الانسان مفطور على الألفة والاجتماع بالناس، وأن المجتمع مرتبط بالتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد التي هي أساس الحياة وشرط من شروط الوجود الانساني. مما يعني ضمناً أننا أمام مشهد غريب وتحولات غير مسبوقة في جميع الدول الموبوءة دون استثناء.

وقد شهدت على وجه الخصوص الدول الإسلامية التي اقترن فيها انتشار الجائحة مع حلول شهر رمضان المبارك تغيرات جذرية (بسبب التباعد الاجتماعي القسري)، في العادات والتقاليد المرتبطة بهذا الشهر (كالالتقاء بالأرحام والأصدقاء حول الموائد الرمضانية وإقامة الصلوات الجماعية في المساجد)، ليضعهم في مواجهة التقاليد الاجتماعية والثوابت الدينية الراسخة، وهذا بالطبع يتماشى مع توجهات العولمة التي تسعى إلى تغيير نمط الروابط العائلية وضرب القيم الدينية ودفعها إلى التفكك والإنهيار.

3- <u>على المستوى الاقتصادي والسياسي:</u>

أ- الاحتكار والتلاعب بالأسعار: في الوقت الذي تخوض فيه البلاد حربها ضد جائحة كورونا واضعة كل الامكانات المادية والبشرية للحد من انتشار الفيروس المستجد والخروج بأقل الأضرار، برزت ظاهرة الاحتكار وعمليات المضاربة في المواد الغذائية والترفيع في الأسعار، فتضاعفت المخالفات والتجاوزات الاستبداية بشكل كبير من قبلهم مستغلين الظروف التي تمر بها البلاد للاستثمار ومضاعفة ثرواتهم، ما يعكس درجة الفقر لدى الفئات المحدودة الدخل ليتجسد النقص في الغذاء عند هذه الفئات في كابوس المجاعة لهم ولعائلاتهم.

ب- فساد النخب الحاكمة وفقدان الثقة بالأنظمة السياسية: حين تقترن الأزمة بارتفاع سعر الدولار، وتقليص دور المصارف وارتفاع الأصوات من قبل المودعين فيها ودفعهم إلى عملية إذلال معنوي ومادي مبرمج بهدر حقوقهم والاستحواذ على أموالهم وودائعهم، والمقرونة بالمحسوبية ودوائر النفوذ،

يصبح للمشكل أبعادٌ سياسية لأنه يطرح مشكل الفساد وتحديدا فساد النخب الحاكمة في عيون الفقراء والمهمشين، خاصة وأن واحداً من أهم الشعارات المطروحة في الثورات في بعض البلدان العربية اليوم، ومنها لبنان، هو مقاومة منظومة الفساد بكافة مكوناتها، الأمر الذي يعكس هشاشة التوازنات التحتية، نتيجة التداعيات المختلفة التي ظهرت في بعض حركات التغيير السياسي، وما نجم عنها من الفتور وانعدام الثقة في الأنظمة والسلطات الحاكمة، ليشمل مختلف الأنظمة السياسية حول العالم، والتي تجسدت بصورة واضحة في الدول المتقدمة كبريطانيا وإيطاليا اللتاي تعرضتا لانتقادات جمة في تقصيرحكوماتهما تجاه المواطنين، وعدم اتخاذ اجراءات مبكرة للحدّ من انتشار الفيروس. كذلك في الولايات المتحدة حيث تعرض الرئيس ترامب للهجوم من قبل شعبه بعد أن استخف بفيروس كورونا في بدايته قبل ان يظهر الجدية فيما بعد. وهذه الوقائع ستحفر في الذاكرة الجماعية للشعوب. حيث أن ما وصلنا إليه من شح الموارد والعوزالمالي وانتشار الفوضى والفساد، يقابله دوماً الشعور بالألم الاجتماعي العميق.

ج- البطالة والأمن المجتمعي: أدى الحظر الصحي واغلاق البلاد من قبل السلطات إلى فقدان العديد من الناس لوظائفهم ومهنتهم وخسارة مؤسساتهم دون حماية قانونية لهم. فازدادت بذلك نسبة البطالة وتهدد أمنهم الاقتصادي، الأمر الذي أثقل كواهل الأسر وأثر على حياتهم وطرق معيشتهم، وترك في نفوسهم احساساً عميقاً بالقهر والعجز والانتظار المشحون بالانفعالات السلبية والذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى تفاقم المشكلات الاجتماعية والى زيادة الظواهر المرضية كالتفكك الاسري والعنف بشتى اشكاله، الانحراف والجريمة بمختلف انواعها وما تعكسه من أعمال الفوضى والشغب والإخلال بالأمن المجتمعي.

وقد شهد لبنان ارتفاعاً كبيراً في نسبة البطالة مع انتشار فيروس كورونا والتي قد تصل نسبتها في الأشهر المقبلة بحسب "الدولية للمعلومات" إلى نحو "مليون عاطل عن العمل أي بنسبة 65%"[153]، والذي سيشكل بدوره خطراً على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي وانعدام الأمن النفسي للمواطنين. وعلى الرغم من المبادرات الجادة التي قامت بها الحكومات لدرء تلك المخاطر والتذليل من وطأتها على المواطنين في مجالات شتى، والتعويضات المالية التي منحتها للناس المتعثرين مالياً، إلا أن كل ذلك لم يطفئ غضب الشعب ولم يعوض خسارتهم، ولم يثنيهم عن المطالبة بحقوقهم بشتى الطرق، لا بل أنهم يعتبرون ذلك انتقاصا من كرامتهم التي يجب أن يتمتعوا بها في ظل دولته.

4- **على المستوى الثقافي والقيمي:**

[153] www.Lebanon24.com، البطالة في لبنان، صدر بتاريخ 2020/5/26، تاريخ الزيارة: 2020/5/30.

أ- ارتباك الشعور الديني والقيمي: تؤكد الخبرات التاريخية والدراسات الاجتماعية والنفسية، أنه وفقا للأزمات الكبرى والأوبئة الخطيرة يتعمق الشعور الديني لدى الأفراد، وينبعث هذا الشعور حتى عند الغافلين أو المستهترين بالدين نتيجة الحاجة إلى التوحد بالآخر. ويؤكد ذلك الفيلسوف" أوغست كونت" يرى "أن الدين عبارة عن نظام من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالمقدسات، والتي توحد جميع من يعتنقها. أي أن الدين شعور باطني للمجتمع مهمته احلال التماسك والانسجام بين أفراده"[154]. هو "قاعدة ورابطة تشد أزر المجتمع، يوحي بقوة الاعتقاد ووجود مجموعة من القيم المتعالية اجتماعياً، ووفقها يتأسس نظام الموجودات. ومن هنا تكمن الطقوس ودورها في بث اليقظة الدائمة في هذا الوعي الجماعي الأصيل"[155]. ويرى "يونغ" "أن ازدياد ارتباط الفرد بالدين يزيد من صحته النفسية"[156]. وعليه فإن الناس في ظل أزمة كورونا، يشعرون بضرورة الاحتماء بالقوة الإلهية ومناجاة الله والتضرع له لحفظهم من الشرور والمرض، ما يزيد تأثرهم وتمسكهم بمنظومة القيم التي ترشدهم نحو سلوكيات بعينها، كالتردد على دور العبادة والالتزام بممارسة الطقوس والشعائر الدينية، ونشر قيم التضامن والتآزر والتوجه نحو الأعمال الخيرية باعتبارها ملاذا طبيعيا وعامل طمأنة نفسية، تعمل على التخفيف من معاناتهم وقد تكون حلا للخلاص الجماعي كل بحسب معتقداته وايمانه. كما يمكننا تفسير هذا الشعور أيضا كنوع من العودة إلى الذات والتفكير بالدين كأداة عصيان وتمرد على الخوف الذي قد ينمو ويتحول إلى حالة من الهلع والهوس كلما ابتعد الفرد عن الأمل في تجنب المخاطر..

وعلى الجانب الآخر، أنه مع طول مدة الأزمة وتفشي الجائحة وارتفاع مستوى الخطورة وزيادة الضغط النفسي، قد يرتبك الفرد، ويتشكك في معتقداته وقيمه. فقد لاحظنا نزعة متزايدة في فترة انتشار الفيروس، من أنه عقاب إلهي ضد الصينيين لمعاملتهم واستهزائهم وعدم احترامهم للمسلمين؟ ففي ظل تلك التناقضات يتأرجح الفرد بين الرغبة بالاحتماء بالقيم والدين والمعتقدات الشعبية من جهة، وبين شكوكه في قدرتها على حمايته ونجاته من جهة أخرى.

ب- إعادة انتاج " التراث الشعبي" (الموروث الشعبي):_من أهم المسارات التي يلجأ إليها الأفراد عادة في ظل الأزمات، البحث في معطيات التراث الشعبي، سواء لمحاولة التعامل مع المرض ذاته، فيما يعرف بالطب التقليدي أو الشعبي، أومعطيات التراث التي تبعث على الطمأنينة، أو تلك الحكم والمقولات التي يبدأ بتداولها للتكيف مع الأزمة. وقد تجلى ذلك في معظم الدول مثل: اعتبار الثوم والبصل وبعض

---

[154] جان بول ويلام، الأديان في علم الإجتماع، ترجمة بسمة علي بدران، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001، ص 26.

[155] سابينو أكوافيفا وأنتروباتشي، علم الاجتماع الديني، الإشكالات والسياقات، أبو ظبي، ط1، 2001، ص 38.

[156] محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط10، 1988، ص 74.

الأعشاب شافية من الفيروس. وكانت الصين قد صرحت "أن 87% من مرضى كورونا في بكين تلقوا علاجاً تقليدياً"[157]. وبغض النظر عن فاعلية العلاج التقليدي من عدمه في مواجهة الوباء، إلا أن ذلك يؤثرعلى حالة الفرد النفسية، وتمنحه نوعاً من التوازن الداخلي المرتبط باعتقاده في فاعلية الوصفة الشعبية.

ج- تصاعد نظرية المؤامرة وتبني الشائعات: اشار فرانك سنودين في كتابه "الاوبئة والمجتمع"، "إن الأمراض الوبائية ليست أحداثاً عشوائية تصيب المجتمعات بشكل نزوي ودون سابق انذار، بل على العكس من ذلك كل مجتمع يتميز بخصوصياته وبنقاط ضعفه الخاصة. ولدراستها يجب فهم بنية المجتمع ومستوى معيشته وأولوياته السياسية. كما أن الأوبئة مثل تفشي فيروس كورونا هي مرآة للبشرية، تعكس العلاقات الأخلاقية التي تربط الناس ببعضهم البعض. وأنه في زمن الأوبئة تكون الأرضية خصبة لظهور نظرية المؤامرة من أن الوباء من صنع الانسان والذي لا يظهر سوى الجانب المظلم للبشرية"[158].

وهذا ما حدث بالفعل، فمع ظهور وباء كورونا وانتشاره عالميا، حدث موجة من الشائعات التي يطلقها البعض وينجرف خلفها استعداد الملايين من الناس لتلقيها محاولين تفسير ما يحدث حولها، وتصاعدت نظرية المؤامرة، ليس فقط بين الشعوب وبعضها، بل أيضاً بين الدول. ولعل الاتهامات المتبادلة بين الصين والولايات المتحدة الأميركية خير دليل على ذلك.

د- مظاهر العنصرية والوصمة الإجتماعية والإثنية: ترتبط بعض الأوبئة ببعض الإثنيات التي تظهر فيها لأول مرة، ثم تنتشر بعد ذلك. وأحيانا تتعرض هذه الإثنيات إلى استبعاد أو تمييز أو وصم. ويكفي فقط أن نلقي نظرة على الجانب المظلم من النفس البشرية الذي ظهر في الإعلام وعلى وسائط التواصل الاجتماعي، عن علاقة كورونا بالعنصرية، والتي تجلت مظاهرها بالعداء والخوف من كل ذوي الملامح الآسيوية وليس الصينيين فقط. فعلى سبيل المثال: تم وصم الصين سياسياً من خلال وصف الوباء بأنه فيروس صيني، وكان هناك تصاعد في الوصم تجاه أشخاص من أصل صيني بشكل عام. وهذا ما ظهر في لبنان عندما تعرض الشاب الجامعي الصيني إلى التنمر. وكذلك "البصق"على سياح صينيين في فينيسيا الإيطالية. ناهيك عن الاتهامات التي وجهت للإيرانيين بعد توافدهم إلى لبنان

---

[157] https://www.alroeya.com،العرقسوس والإيفيدرا، الصين تلجأ للطب الشعبي لمواجهة كورونا، سكاي نيوز، نشر بتاريخ:2020/2/28. تاريخ الزيارة: 2020/5/22.

[158] www.diwanalarab.com، كيف غيرت الأوبئة تاريخ البشرية، مقال: عبده حقي، في حوار مع "فرانك سنودن"، نشر بتاريخ2020/4/18. تاريخ الزيارة: 2020/5/19.

باعتبارهم مصدر تفشي الوباء فيه. فالوصمة الاجتماعية التي خلفها فيروس كورونا، طالت هوية الفرد وانتمائه الوطني وجعلته يتلقى الكثير من التجريحات والاتهامات واللوم والانتهاكات الأخلاقية.

5- على مستوى الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة

أ- وسائل الإعلام بين الطمأنة والتهويل: تلعب وسائل الإعلام دوراً إيجابياً في توعية المواطنين لإجراءات السلامة العامة والحجر المنزلي من جهة، وتعمل بعضها على إثارة الفزع والهلع في نفوس المواطنين وشحن الشاشات بالتهويل بأخبار كورونا بعيداً عن الموضوعية والمصداقية في نقل الخبرمن جهة أخرى. لا بل قد نجد بعضاً منها يتم استغلالها من قبل تيارات متطرفة معينة، في محاولة يائسة تعمل على شحن النفوس وإثارة مشاعر الناس عبر تحميل الحكومات بالتقصير في مواجهة جائحة كورونا.

وبالمقابل شكلت هذه الأزمة وعياً لدى بعض الناس بعدم تصديق كل ما ينشر ويقال في وسائل الاعلام ووسائط التواصل الاجتماعي، مطالبين بالمصدر للتحقق منها، وهذا بالطبع يحميهم من الوقوع في دائرة الإرباك والقلق.

ب- شبكة الأنترنت بين المنفعة والتحكم السلبي**:** استفادت المجتمعات من تجاربها أثناء الأزمة الراهنة، وكان للأنترنت وما يتصل به من وسائط تواصل اجتماعي دور مهم لم نشهد له مثيلاً من قبل. حيث تعددت ونشطت المنصات الالكترونية بفعل التباعد القسري، والتي اهتم بعضها بالارشاد والتوجية والوقاية من الفيروس، وبعضها الآخر اهتم ببث أنشطة فنية ورياضية كوسيلة للتفريغ النفسي والتأهيل الاجتماعي. ناهيك عن اعتماد العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية، البوابات الالكترونية المتنوعة والتطبيقات الشهيرة مثل الواتساب والتلغرام والسكايب، microsoft team,google class room,Zoom وغيرها، للعمل عن بعد، وإكمال المسيرة العملية وتحقيق الأهداف الآنية والمستقبلية التي تتوخاها بالرغم من بعض العوائق التي واجهتها، من ضعف في البنية التحتية للتكنولوجيا والأنترنت، مثل قلة الموارد المتاحة (برامج، انترنت، أجهزة، كهرباء، آلات طباعة الخ..). لقد فرضت التكنولوجيا وشبكة الأنترنت نفسها في ظل أزمة كورونا وأعلنت هيمنتها في كثير من القطاعات الإنتاجية وسيطرت على أشكال الحياة الجديدة لا بل الحياة المستقبلية أيضاً، كما فرضت صوبها الانتماء إليها، دون ضرورة الارتباط بحيز فيزيقي معين.

وبالمقابل نجد بعض الإنعكاسات السلبية التي خلفتها أزمة كورونا في علاقتها مع التكنولوجيا وشبكة الأنترنت على حياة الناس. استطاعت أن تحكم قبضتها على أنماط حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية والأسرية، بعد ما أصبحت ملاذهم الوحيد للتنفيس عن روتين الحجر المنزلي القسري حتى أجل غير معلوم، الأمرالذي قد ينذر بعواقب وخيمة على الفرد والمجتمع على حد سواء، كارتفاع نسب الإدمان

على الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، واختلال العلاقات داخل الأسرة، وانعدام التوافق النفسي والاجتماعي والدراسي والمهني للأفراد.

ثانياً: الآثارالسيكولوجية

مع تفشي الأوبئة وظروف الكوارث والحروب، تتعرض الشعوب لأبشع أنواع الضغوط الصادمة والضاغطة، وتتغير سلوك المجتمعات واتجاهاتها القيمية ونمط حياتها وأفكارها تحت وقع الخوف الجماعي، لتترك بصماتها في التركيبة النفسية نتيجة خبرة استثنائية تعلق آثارها في الضمير الجمعي، كالطاعون والموت الأسود أو الأنفلونزا الإسبانية أو الكوليرا، وكوفيد 19 وغيرها من الاوبئة التي اجتاحت العالم وأظهرت الجانب السيء من البشر. هذه السلوكيات يطلق عليها مفهوم سيكولوجية الأوبئة، التي تدور بالأساس حول حالة الخوف والقلق المصاحبة للأوبئة، والتي تدفع البشر إلى سلوكيات أنانية وغيرمنطقية، وإلى اضطرابات نفسية ونفس- جسدية. أوبئة خاضها الإنسان كما خاض الحروب، وإن اختلفت أزمنتها وأنواعها، فإنها ترتبط بتغيرات جذرية تطال أنماط حياته كلها.

ولعل أهم الآثار النفسية التي تخلفها الحروب البيولوجية والأوبئة بشكل عام ومنها الوباء المستجد" كورونا"، هي كالآتي:

1- **<u>القلق والخوف من المجهول</u>:** لعل سبب القلق والخوف الذي يعتري الإنسان بسبب فيروس كورونا، هو أن أكثر الفيروسات والأسلحة البيولوجية، لا يمكن لحواسه الخمس أن تكتشفها، لذا لا يوجد إنذار يستطيع الناس بواسطته إنهاء الخطر والدفاع عن أنفسهم. هذا بالإضافة إلى أن لكل الأسلحة البيولوجية فترة حضانة المرض، يمكن للمرض خلالها الانتشار إلى عدد كبير من الناس، لذا لا يستطيع المتعرض للسلاح البيولوجي معرفة ما إذا كان في عداد المصابين، ولا درجة المرض الذي قد يحل به، ومدى خطورته. ولا ترتبط حالة القلق بالمصابين فقط بل إنها تشمل المجتمع كله بدرجة أو بأخرى. فهي حالة مرتبطة بسرعة انتشار الوباء، بالإضافة إلى انعدام قدرة الفرد على توقع متى وكيف ينتهي الوباء. ولا يوجد سقف واضح أو يقين بظهور دواء معالج. ويصاحب الفرد القلق والخوف ليس فقط من وقوعه هو في دوامة الوباء نفسه، بل الخوف على محبيه، وعلى عائلته وعلى المحيطين به. وكلما زادت فترة تفشي الوباء كلما زاد الضغط النفسي على الفرد. كما أن حداثة الوباء لا تسمح بوجود كم ونوعية المعلومات التي من شأنها بث الطمأنينة، بل إن المعلومات المتوفرة نتيجة تناقضها، تعزز المخاوف وتزيد منها. وأنه كلما زاد الخوف والقلق والاحساس بالخطر والتهديد، تعرضت الصحة النفسية للتأزم وتأثر تركيز الجهاز المناعي للجسم مما يزيد احتمالية الإصابة بالمرض.

2- **عامل الصدمة النفسية:** نتيجة الحدث المفاجئ والضاغط لفيروس كورونا، والذي وضع الإنسان في العالم أجمع، في حالة من الصدمة الناجمة عن الخوف والهلع من المرض والالتقاء العيني مع الموت، وتهديد الحياة، حيث وضعت الفرد في حالة من الحداد النفسي الذي يمر بدوره بمراحل متعددة تبدأ في شكل حالة من التوقف وعدم التصديق والتنكر لظرف الحدث الصدمي بهدف التخفيف من وطأته، ثم الغضب لحصوله، ثم المساومة وعقد الصفقات كمحاولة للتحكم به ومنعه من السيطرة عليه، ومن ثم معايشة الحدث الصدمي والقبول به وامتصاصه والتأقلم معه.

وتجدر الإشارة إلى أن آثار الصدمة النفسية تختلف من فرد إلى آخر تبعا لخصائص شخصيته ومناعته النفسية، ضعفها أو قوتها، وقد تظهر تلك الآثار بشكل مباشر أو بعد زوال فترة التهديد بفترة معينة. فهناك أشخاص اختبروا الحروب وعاشوا تجارب سابقة أو مشابهة، وهناك أشخاص لم يتعرضوا لهكذا تجربة. بالتالي فإن تكرار التجربة لدى بعض الأشخاص يعيد إحياء الصدمة الأولى في شكل معايشة خيالية وذلك عن طريق صور متلاحقة في مخيلته لما حدث وما ينتج عنها من معاناة وتأثر وجداني كبير. وما متلازمة التكرار سوى إعادة تنشيط لهذه الخبرة بهدف مواجهتها مرة أخرى والتحكم بها.

أما الأشخاص الذين لم يختبروا صدمة مشابهة، يعيشون تجربة جديدة، وخصوصاً الأطفال الذين لا يستطيعون إيجاد فهم سليم ومقنع لتفهم أسباب هذا الفيروس وأبعاده العنيفة، سيما عندما يفقدون بسببه أحد أفراد أسرهم دون مبرر لهذا العنف الشديد، أو حين يشاهدون ما تبثه وسائل الإعلام من مشاهد لمقابر جماعية أو حرق للجثث التي توفيت بسبب الفيروس، الأمر الذي يؤدي إلى اختزان تلك المشاهد في مخيلته لتحدث لاحقا اضطرابات نفسية وسلوكية ونفس- جسمية ينعدم معها النماء الصحي والتوازن النفسي.

إن كل تلك الآثار التي تترافق مع أزمة كورونا من قلق وتوتر وضغوطات نفسية واحباطات، في حال عجز الإنسان عن مواجهتها والتكيف معها، من شأنها أن تعرضه الى امراض نفسية كالقلق والقلق الحاد والاكتئاب والهلوسة والوساوس القهرية وزيادة ملحوظة في الحركة، وأحياناً غياب عن الحاضروشعور بالذنب، وقد تقود تلك الأمراض بعد انهيار دفاعاته المناعية إلى عوارض وامراض سيكوسوماتية مثل فقدان الشهية وأوجاع المفاصل وصداع نصفي وغثيان وتساقط الشعر وخفقان القلب وارتفاع كوليسترول الدم وارتفاع السكري وغيرها من العوارض الأخرى.

3- **ازدواجية السلوك بين العقلانية واللاعقلانية:** تلاحظ الدراسات السيكوسوسيولوجية، أنه في الأوقات الطبيعية يتمكن غالبية البشر من الحفاظ على قدر من العقلانية بطريقة أو بأخرى، غير أنه في الأزمات تأخذ اللاعقلانية بزمام الأمور، ويدفع الخوف والارتياب نحوسلوكيات متناقضة غير منطقية، ليستعيد

الفرد نمط حياة تحركها المشاعر والاحتياجات البدائية، ويستخدم فيها معتقدات تبناها بفعل التعلم المبكر غير المنطقي وقت الأزمات والتي تنتهي بالسيطرة على الفرد تماما، منها غريزة البقاء. وتتغذى اللاعقلانية على نفسها وتتضاعف لتصل به إلى الانهيار، كما حصل في الأزمة الراهنة من هلع الشراء " شراء المواد الغذائية، شراء الكمامات والمطهرات، إجراءات الدفن، عدم التقيد بالتعليمات الوقائية واحترام الحجر والحظر". كلها تصرفات مدفوعة بانفعالات الفرد ومشاعره وليست وفقاً للحسابات المنطقية والعقلانية.

4- **تصاعد الشعور بالشك وتراجع الثقة بالحكومات وممارساتها:** يلعب عامل الثقة بالحكومات، دوراً هاماً في تخفيف ضغوط الناس ومخاوفهم. وهذا مرتبط بشكل أساسي بعامل ثقة الشعب بمؤسسات دولته. فكلما كان لدى الشعوب درجة عالية من الثقة في مؤسسات الدولة وخدماتها، كانت هناك قدرة على الاحتواء وتقليل حدة القلق العام وتحجيمه قبل التحول لسلوكيات غير منطقية بدافع الخوف. ولاحظنا كيف أن أكثر الدول المتقدمة تتعرض لانتقادات كما في حالة إيطاليا وبريطانيا، حيث ظهرت أصوات شعبية تتهمها بالتقصير وعدم اتخاذ اجراءات صحية مبكرة لوقف انتقال المرض إلى داخل الدولة. وهذا ما شهده لبنان أيضاً، حيث توجهت أصابع الاتهام إلى وزارة الصحة والحكومة لإهمالهم وتقصيرهم في ايقاف حركات النقل الجوية والبرية على الرغم من سعي الدولة في احتواء الأزمة وبذل الغالي والنفيس لإنقاذ الأرواح والحفاظ على صحة المواطنين. كما تصاعدت حالات الشعور بالشك من كل شيء حول الفرد، والشك بالآخر من أن يكون مصدراً للوباء، وهو ما يمثل عائقاً أمام ممارسة التفاعلات الاجتماعية، لا بل قد يصل نظرياً إلى حدّ ما قاله العالم (هوبز)[159]: "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"، وأن "الكل في حرب ضد الكل"، ويرتكز الأمن برأيه على وجود سلطة قادرة على فرض النظام والعدل وإلزام الناس باحترام مقتضيات العقد الاجتماعي.

5- **الخطاب السياسي:** يلعب الخطاب السياسي كما الخطاب الديني، دوراً هاماً في طمأنة الشعوب والتخفيف من معاناتهم. وقد كان خطاب رئيس الوزراء البريطاني جونسون، الحدث المفاجئ في ظل أزمة كورونا، وكان محل إنتقاد من الجميع باعتباره يغذي مشاعر القلق والذعر والهلع في نفوس المواطنين، عندما صرّح "أن على الشعب البريطاني الاستعداد لتوديع احبائه". وكذلك ما صرح به رئيس الولايات المتحدة ترامب ليبشر شعبه والعالم " أن وفاة 200 ألف أميركي بالكورونا سيكون رقما جيداً". وكأن بهذين الإثنين يعيداننا إلى قرون مضت حيث البقاء للداروينيي الأقوى، أما الضعيف

[159] https://www.mo7itona.com العقد الاجتماعي عند هوبز وشريعة حرب الكل ضد الكل، الحسين بوتشيشي، 2016/2/20. تاريخ الزيارة: 2020/5/16.

فليمت، لا حاجة منه ولا منفعة. هذا ما يجعلنا نعيد الحسابات ونطرح التساؤلات حول معنى بعض الألفاظ والتسميات مثل العولمة وقوة وقدرة الدول العظمى تلك. فبدل من أن يكون الخطاب خطاباً تطمينياً في ظل جائحة كورونا، كان خطاباً تخويفياً وتهديداً لحياة الفرد ووجوده. وهذا يتعارض بالطبع مع ما جاءت به المنظمات الدولية التي تنادي بالدفاع عن حقوق الانسان، الأمر الذي يبعث على فقدان ثقة المواطنين بحكوماتهم وبتلك المنظمات التي تنادي بالإنسانية ونشر الحريات.

المبحث الثالث: آليات التخلص من الآثار السلبية لجائحة كورونا والتحديات المتوقعة ما بعدها.

أولا: آليات التخلص من الآثار السلبية لجائحة كورونا

للتخلص من المشاعر السلبية الناجمة عن جائحة كورونا يمكننا اتباع الإجراءات الآتية:

- التمتع بالمرونة النفسية والعقلية وتقبل الواقع كما هو وفق آليات نفسية مساعدة "عين على الواقع وعين على الذات" والعمل على توسيع زوايا النظر بما يخدم المناعة النفسية.
- النضوج والمهارة في تكوين العلاقات الاجتماعية الإيجابية، والتمتع بالفاعلية والكفاءة في الأداء المهني، والتكيف مع الظروف الراهنة سيما في العمل عن بعد والذي يطال جميع المجالات والقطاعات الإنتاجية.
- التوافق مع الذات من خلال تعلم الفرد العديد من الخبرات والمهارات الجديدة وتوظيف الامكانيات الفريدة لتحقيق الإشباع المعنوي والجسدي وغيرها.
- التوجه إلى مراكز الرعاية الصحية والنفسية في حال شعر أحد المواطنين بعوارض نفسية أوجسدية، للتخفيف من معاناته واستعادة الثقة بنفسه وبالمحيط من حوله.
- العمل على تثقيف المواطنين وتوعيتهم تجاه جائحة كورونا من خلال الندوات والمحاضرات وورش العمل، والعمل على إحياء القيم الأخلاقية ومد جسور الثقة فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين دولتهم من جهة أخرى.
- العمل الحثيث من قبل الدول والحكومات على إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات التي تعصف بدولهم جراء أزمة كورونا وما خلفته من آثار، ومنح الشعب تفسيراً منطقياً للواقع الذي وجدوا فيه، والخروج منه بأقل الخسائر المحتملة.

ثانياً: التحديات المتوقعة في المستقبل:

يبدوأن العالم كما نعرفه، لن يعود كذلك بعد الخروج من أزمة كورونا الحالية، فقد تتغير كثير من السياسات والعلاقات الاقتصادية والأولويات الاجتماعية، وقد تتطور التقنيات العلمية، وتنتشر من خلالها وعلى نطاق واسع أنظمة العمل عن بعد، وقد يقترب كثير من الناس من بعضهم ومن الله، أو يزدادون انفصالا وبعداً عنه. إن هذه الجائحة تشكل حالياً مفصلاً رئيسياً في تاريخ الانسانية وجزءاً أساسيا في عملية تكوينه، وبالتالي تكوين الإنسان والمجتمعات على كافة المستويات المادية والنفسية. ولا بد من إعادة النظر في المسلمات والتدقيق والتحليل أكثر في مفاهيم الحرية والمسؤولية والنظام والإدارة والقوة. ولا تشمل هذه النقاط كافة الآثار الموجزة المحتملة بالطبع، فهذه تتطلب دراسات تفصيلية وتطبيقية، لكنها توضح الخطوط العريضة والاتجاهات الأساسية لها، والتي ستتحدد مساراتها وتفرعاتها التفصيلية بحسب مدى وتيرة انتشار الفيروس وكيفية استجابة الحكومات للموقف على كافة المستويات. وهي استجابة ستتضمن بالضرورة تضحيات ضروررية واجرائية استثنائية إذا أرادت أن تتجاوز هذه المحنة ذات الأبعاد العالمية. فليست الحكومة لاعباً منفرداً في مواجهة هذه التحديات الخطرة والشاملة. لذا لا بد من التعاون والتكاتف بين الجهات المحلية والدولية المعنية في مواجهة وتنفيذ الحلول، للخروج بأقل التكاليف والأعباء من هذا الواقع المرير.

الخلاصة: أظهر تفشي جائحة كوفيد- 19، بأن العالم قرية كونية بالفعل، ولكن هذه " الكونية" ليست بمنجاة من مخاطر آتية إليها من أحد مراكزها أو أطرافها، وليس هذا الوباء هو التحدي الوحيد الذي يواجه العالم ويترك وراءه آثارا اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية..الخ ، فهناك ما لا يقل خطورة عنه: الكوارث الطبيعية، الاضطرابات والنزاعات السياسية والاجتماعية الناجمة عن اخفاقنا في بناء مجتمعات عادلة تصون أبناءها، وهناك هموم الحياة اليومية التي تثقل كاهل الملايين لا بل المليارات من البشر، وهناك حمى الحياة الاستهلاكية التي ترينا أن الانسان مرّ بمنعطفات كبرى، غيرت الكثير فيه وفي المحيط من حوله وفي طريقة تسيير أموره. فوقائع التاريخ البشري، الحروب العبثية المدمرة، الحروب الجرثومية وآخرها كوفيد- 19، أسهموا وسيسهموا في خلق عالم جديد لا محال.

المراجع البيبليوغرافية:

أ- **الكتب:**

1- أكوافيفا، سابينو وأنتروباتشي، علم الاجتماع الديني، الإشكالات والسياقات، أبو ظبي، ط1، 2001.

2- السيد، حسن عمار مكاويوليلي, الإتصال ونظرياته المعاصرة, دون طبعة, الدار المصرية اللبنانية, مصر, 2001.

3- قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط10، 1989
4- ويلام، جان بول، الأديان في علم الإجتماع، ترجمة بسمة علي بدران، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت، ط2001،1.

ب- **المواقع الالكترونية**:

1- اتهامات كورونا دعوة للتركيز على الإرهاب البيولوجي- مركز المسبار للدراسات والبحوث. نقلاً عن الموقع الالكتروني. http://www.almesbar.net. تاريخ الزيارة:2020/5/10.
2- الحروب البيولوجية أسلحة خفية وجرائم منسية، مقال : زيد المحبشي، 2020/4/11، نقلا عن https://m.annabaa.org>arabic، تاريخ الزيارة:2020/5/17.
3- اليابان وأسلحة الدمار الشامل، نقلا عنhttp://ar.mwikipidia.org، تاريخ الزيارة:2020/5/20.
4- أخطر الأوبئة التي ضربت العالم،3/2020 /17، نقلا عنArabicpost.net ، تاريخ الزيارة: 2020/5/11.
5- حرب بيولوجية- ويكيبيديا، نقلا عن https://ar.m.wikipidia.org، تاريخ الزيارة:2020/5/12.
6- البطالة في لبنان، صدر بتاريخ 2020/5/26، نقلا عن www.Lebanon24.com ، تاريخ الزيارة: 2020/5/30.
7- العرقسوس والإيفيدرا، الصين تلجأ للطب الشعبي لمواجهة كورونا، سكاي نيوز، نشر بتاريخ:2020/2/28، نقلا عنhttps://www.alroeya.com ، تاريخ الزيارة: 2020/5/22.
8- كيف غيرت الوبئة تاريخ البشرية، مقال: عبده حقي، في حوار مع "فرانك سنودن، نشر بتاريخ2020/4/18، نقلا عن diwanalarab.com، تاريخ الزيارة: 2020/5/19.
9- العقد الاجتماعي عند هوبز وشريعة حرب الكل ضد الكل، الحسين بوتشيشي، 2016/2/20.نقلا عن mo7itona.com، تاريخ الزيارة: 2020/5/16.
10- v.Berras&G.Greub,history of biological werfare and bioterrorism, clinical microbiology and infection, volume 20, june 2014> نقلا عن: Http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/s1198743x14641744.، تاريخ الزيارة:2020/5/18.

التعلّم عن بعد والتسرّب الرقمي (تجربة كلية الآداب في الجامعة اللبنانية)

إعداد د. هلا عواضة استاذة جامعية و باحثة

مقدمة

في نهاية العام 2019، انطلقت جائحة كورونا من مدينة ووهان الصينية، لتتفشّى العدوى في أرجاء واسعة من المعمورة. وسارعت الكثير من دول العالم لكبح جماح تلك الجائحة والحدّ من انتشارها. فاتّخذت إجراءات صارمة على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والطبية والتعليمية وغيرها. ومن القطاعات التي تضرّرت قطاع التعليم، حيث أقفلت غالبية الجامعات والمدارس أبوابها أمام طلابها من حول العالم. ووفقاً لتقديرات منظمة الإونيسكو، فإن أكثر من 90% من المتعلّمين، أي حوالي 1.5 مليار طالب أصبحوا خارج الجامعات والمدارس في 190 دولة وإقليم (UNESCO، 2020). من أجل تخفيف تداعيات تعليق التدريس المباشر في كل المراحل التعليمية من الأساسي حتى الجامعي، اطلقت العديد من الحكومات والمؤسسات التعليمية مبادرات لإكمال العام الدراسي عبر التعليم عن بعد.

لم تشذّ الحكومة اللبنانية عن المسار العالمي في التصدّي لجائحة كورونا؛ فأعلنت التعبئة العامة وفقاً للمرسوم 6198 تاريخ 15 آذار 2020 (الرسمية، 2020). وبناءً عليه، اتخذت إجراءات بإقفال المؤسسات العامة والخاصة، باستثناء ما له علاقة بالصحة والغذاء. وأوقفت وسائل النقل العامة والخاصة، وأقفلت الجامعات والمدارس, وعززت القطاع الصحّي وأقرّت نظام منع التجوّل إلا للضرورة.

بعد توقّف "المؤسسات التربوية عن التدريس لأكثر من شهرين (تشرين الأول – كانون الأول 2019) أطلقت وزارة التربية والتعليم العالي " خطة التعليم عن بُعد. وتقوم على تقديم المناهج الدراسية والمواد التعليمية المقرّرة من خلال تلفزيون لبنان الرسمي. و عبر الوسائط والمنصات الألكترونية المتعددة التى تستخدم شبكة الإنترنت، فى سبيل استمرار العملية التعليمية" (العالي، 2020). وتشمل الخطة مختلف المراحل الأكاديمية قطاعات التعليم الرسمي والخاص". (طوني عطاالله ، إبراهيم بو ملهم، 2020). ومن ضمن مئات آلاف الطلاب اللبنانيين الذين أرغموا على البقاء في منازلهم، يوجد 219248 طالب جامعي[160] موزعين على الجامعات اللبنانية[161] الرسمية والخاصة (والإنماء، 2019/2018).

أطلقت بعض الجامعات الخاصة مبادرات تعليمية وأنشأت وحدات لدعم وتعزيز التعلم عن بعد. ومن تلك المبادرات ما قام به مركز التعلم المبتكر في الجامعة اللبنانية الأميركية LAU، عبر تشكيل وحدة دعم التعليم عن بُعد (Staff, 2020).[162]

أما بخصوص الجامعة اللبنانية، فقد أثار قرار المضي بالتعليم عن بعد–كأي موضوع مستجد– الكثير من النقاشات والجدالات، حيث انقسمت الآراء حول أهمية هذا القرار، إذ رأى بعضهم أن ما تقوم به الجامعة في هذا الصدد، يعتبر خطوة ايجابية ولا يجب التراجع عنها. في حين انتقد بعضهم الآخر هذه الخطوة، لما يشوبها من نواقص، ويعترضها من صعوبات وتحديات على مستويات عديدة.

[160] لم ندرج ضمن هذا الرقم التلامذة في المراحل الابتدائية والثانوية. الرقم متعلق فقط بطلاب الجامعات اللبنانية.
[161] استعنا بالنشرة الاحصائية التي تصدر عن المركز التربوي للبحوث والإنماء لجمع اعداد الطلاب الجامعيين الملتحقين في الجامعات اللبنانية الخاصة والعامة.
[162] لمزيد من المعلومات حول الموضوع يمكن زيارة الموقع الألكتروني التالي:
https://news.lau.edu.lb/2020/rethinking-virtual-learning.php

ونظراً للإختلاف في الآراء والتقييم، وجدنا أن مبادرة التعليم عن بعد التي تقوم بها الجامعة اللبنانية تستحق قراءة علمية، لفحص ديناميّاتها وتبيان نقاط النجاح والفشل التي اعترتها. وفي هذا السياق، تندرج ورقتنا البحثية لاستكشاف مسار هذه العملية من خلال أعين ممارسيها الطلاب من جهة، والأساتذة من جهة أخرى.

ومن أجل تحقيق هذا المسعى، قسّمنا الورقة إلى مقدمة وأربعة أقسام، نعرض في المقدمة موضوع البحث العام. في حين يلي المقدمة إطلالة على بعض الأدبيات حول موضوع التعليم عن بعد والآراء المختلفة حولها، وذلك من أجل بلورة سؤال الورقة البحثي، ومنهجية البحث المعتمدة، ومن ثم نعرض أهم النتائج التي جمعناها من الاستمارة البحثية للوصول إلى بعض الخلاصات الأولية.

مراجعة الأدبيات:

لا يعتبر التعليم عن بعد أمراً جديداً في العالم، فمنذ ثمانينات القرن الماضي، ولجت العديد من المؤسسات التعليمية المتطورة عالم التعليم الرقمي، ومع تسارع النمو التكنولوجيات الرقمية وتطور أنظمة توصيل المعلومات، جعل من هذه الظاهرة حقيقة واقعة لا يمكن تجاهلها في عالمنا الحاضر الذي يطغى عليه فضاء الرقميات (Technology, 2001).

لم تكن الجامعات اللبنانية الخاصة بعيدة عن هذا التطور المعرفي، إذ اعتمد العديد منها التعليم عن بعد، وبعضها في الأساس لديه أنظمة لإدارة التعلم (Learning Management Systems (LMS، ويستخدم منصات مختلفة لتقديم بعض المواد عبر الإنترنت (Nauffal، 2020). إذن، هناك جامعات خاصّة تمتلك الحد الأدنى من الخبرة والتجهيزات اللازمة للمضي في التعليم الرقمي، وكان بعضها يقدّم 30% من المحاضرات عبر الإنترنت. في حين أن الجامعة اللبنانية ما زالت تخطو خطواتها الأولى في هذا المجال.

وأمام هذا الواقع المستجد، وغير المسبوق، نجد من الضروري بمكان عرض مجموعة من الأفكار المستخلصة من الأدبيات التي طالت شؤون التعليم عن بعد وشجونه، وذلك بقصد بلورة السؤال الذي سوف ترتكز عليه هذه الورقة البحثية.

تثوير لمفاهيم الوقت والمكان والتعلم:

لقد ثوّر التعليم عن بعد عدداً من المفاهيم التقليدية حول العالم، ولعل مفهوميّ الوقت والمكان من أهم تلك المفاهيم التي أعيدت صياغتها مع دخول التعليم عن بعد حقل الجامعات والمؤسسات التربوية، بحيث لم تعد استخدامات الوقت التقليدية هي ذاتها، ولا الحاجة إلى المكان بقيت على حالها، فضلاً عن اختصار الوقت وتقليص المسافات. إن للتعليم عن بعد ميزات عديدة، فهو يوفر بشكل حاسم كلفة النقل على المتعلمين، يختزل الجهد والمصروف للوصول إلى الكليات البعيدة عن منازلهم. ويخفّض الكلفة المادية بسبب عامل التوفير المتبادل (الجامعة والطلاب). ومن فضائله أيضاً، حصول المتعلّم على المادة المعرفية في أي جزء من العالم، شرط توافر خدمة الإنترنت الجيدة؛ [إذ] يمكن للطالب عبره أن يشاهد من خلال اليوتيوب أو الإنترنت ومواقع التواصل المحاضرة أكثر من مرة، بينما لا يستطيع أن يسمعها في الصف إلا مرة واحدة. بكلمات أخرى يزيل التعلّم عن بعد الحدود الفاصلة بين المتعلّم ومقدّم الخدمة التعليمية، حيث لا تعدّ المسافة عقبة أو ثقافة المتعلمين عقبة، ولا جنسيتهم عائقاً في وجههم. ويتيح اعتماد التعلم عن بعد تحديثات فورية، قد لا يتيحها اعتماد الكتاب التقليدي (طوني عطاالله ، إبراهيم بو ملهم، 2020). كما لا يمكن إغفال المردود البيئي الهام للتعليم عن بعد" (ياغي، 2020) كالتقليل من استهلاك المنتجات الورقية وتخفيف حركة التنقل وغيرها من السلوكات الصديقة للبيئة التي تفترضها هذه العملية.

من ناحية أخرى، اختصر التعليم عن بعد من جهد الأساتذة بحيث لا يحتاجون إلى إعطاء نفس المحتوى التعليمي بشكل متكرر لمجموعات مختلفة من الطلاب؛ فالأستاذ يحتاج فقط إلى إعداد المحتوى مرة واحدة ثم مشاركته مع مجموعات مختلفة (طوال، 2020).

إذا أخذنا هذه العوامل بإيجابيتها في الظروف العادية، فكيف بالأحرى في الظرف القاهر الذي حجر مئات آلاف الطلاب في منازلهم، فبات قرار التعليم عن بعد خطوة ضرورية، على الرغم من عدم التأكد من مخرجاتها حتى اللحظة. وهو ما عبّر عنه رئيس الجامعة اللبنانية بالقول هذه الخطوة كأحد "الحلول التي تُبقي صلة الأساتذة بطلابهم قائمة من أجل تخفيف الضغط الناجم عن التعطيل القسري"[163] (اللبنانية، 2020). وفي سياق متّصل، يعتبر الباحث التربوي عدنان الأمين هذه الخطوة أفضل من الفراغ. ولتوضيح فكرته، كتب الأمين على صفحته الفيسبوكية، في 22 أيار 2020، عن أهمية التعليم المباشر والتفاعل المباشر في خلق الرأسمال الثقافي للطلاب، بينما "التعليم عن بُعد يقتصر على المعلم والكتاب، أي على الحدّ الأدنى من تكوين الرأسمال الثقافي. لكن إذا أغلقت المدارس والجامعات أبوابها لسبب قاهر، يوفر التعليم عن بُعد الحد الأدنى. وقيمته أعلى من التعليم "المضغوط" في كبسولة لمدة شهر أو شهرين. وهو بالتأكيد أرقى من فراغ "الإفادات." (الأمين، 2020).

لا شك أن المبادرة إلى التعليم عن بعد، كانت خطوة شجاعة تبقي صلة الوصل بين للطلاب والأساتذة قائمة، فمن غير المعقول أن يبقى حوالى مئتان وواحد وثلاثون ألفاً ومئتان وخمسة عشرً، (231.215) طالب في التعليم العالي، منهم (80000) ثمانون ألف طالب مسجّل في الجامعة اللبنانية خارج أي نشاط أكاديمي.

[163] عن لسان رئيس الجامعة اللبنانية في المؤتمر الصحفي الذي اجراه مع وزير التربية لإطلاق خطة التعليم عن بعد

لكن من مستلزمات تحصيل المعرفة عن بعد، توافر آلياتها وأدواتها وبيئتها الداعمة على المستوبين الرقمي والاقتصادي. وتشير التحديات التي سيلي عرضها في الفقرات التالية، ما قد يعترض التعليم عن بعد في العالم بشكل عام وفي لبنان بشكل خاص.

إتصال دون تواصل

إن المزايا الإيجابية التي يوفرها التعليم عن بعد، خاصة في الظروف القاهرة، لا تحجب التحديات الكبيرة التي تواجهها هذه العملية، ومنها التحديات الإقتصادية والرقمية وانعدام التفاعل الانساني، لأن التعليم عن بعد – في شكله الحالي على الأقل– لا يوفّر عنثر التفاعل الإنساني والثقافي والاجتماعي والفكري مع الطلاب. ويؤدي غياب التفاعل المباشر بين الطلاب والأساتذة إلى تقليل حظوظ الطلاب في تكوين رأسمال ثقافي. يزداد ويتراكم هذا النوع من الرساميل كلما زادت فرص التعلم ونوعيته. وبحسب زايد يتكون من أسلوب الحياة الثقافي طريقة الكلام والفعل والذوق وطرق التنشئة والتعلّم والتنافس (زايد، 2013). وإذا كان التعليم المباشر قد أخذ حقّه من الدراسات والأبحاث لقياس مخرجاته على الصعد كافة، فالتعليم عن بعد، لم ينل حتى اللحظة كفايته من الدراسة، " ولا نعرف إلا القليل عن كيفية تأثير الدورات التدريبية عبر الإنترنت على التفاعل بين الطلاب والمعلمين. وما هو إنعكاس التغيير، أيفاقم أو يخفف من التفاوتات العرقية والاجتماعية والاقتصادية في المدارس. (JENNIFER DARLING–ADUANA, CAROLYN J. HEINRICH, ANNALEE GOOD, 2019). ومما لا ريب فيه، أن اشكال التفاعل تتأثر سلبًا في ظل الأوضاع النفسية القلقة التي تعيشها الأسر، التي تعاني من أزمتين اقتصادية وصحيّة غير مسبوقتين. هذا الأمر لا يسهّل التعليم عن بعد ولا التفاعل المريح للطلاب.

تندرج في هذه الحال عملية التعليم عن بعد في المربع الأول للعملية الإتصالية، أي الإتصال دون تحقيق التواصل الفعلي والمثمر.

كلفة مرتفعة وخدمات سيئة

إذا كان بالإمكان تجاوز أثر التعليم عن بعد على خلق بيئة تواصلية مناسبة، فليس بالإمكان تجاهل دور قنوات التواصل، كالإنترنت والأجهزة التكنولوجية، وأهميتها في تسهيل العملية التعليمة لكل من الأستاذ والطالب على حدّ سواء. كما يرتبط نجاح تلك العملية بتوافر الإمكانات المادية لطرفيّ العملية (الأستاذ والطالب) في الوصول إلى شبكة الإنترنت، إضافة إلى قدرتهما على اقتناء أدوات تكنولوجية ورقمية تسهل عليهما تقديم الخدمة واستلامها بطريقة ملائمة لعمليات التعلم. لكن الشواهد العديدة التي اختبرناها في لبنان بشكل عام، واختبرها الطلاب بشكل خاص، أظهرت أن هناك صعوبات كبيرة في الحصول على هذه الخدمة. وفي الوقائع يُظهر تقرير صادر في العام 2010، أن لبنان يحتل "المرتبة 58 لمعدل سعر الخدمة شهرياً من بين 200 دولة، إذ تبلغ سعر الخدمة شهريا حوالى 37.6 دولارا أمريكي (بغض النظر عن السرعة). وتعتبر كلفة خدمة الإنترنت عبر شبكات المحمول من بين الأغلى بين دول الجوار، بمعدل 9.21 دولاراً للجيجا، محتلة الترتيب 159 في التصنيف العالمي"(Cable.co.uk., 2019) .

لقد ترجمت الحملة التي أطلقها طلاب كلية الإعلام الفرع الأول في الجامعة اللبنانية هذه الوقائع،عبر مواقع التواصل الإجتماعي، إذ طالبوا وزارة الإتصالات بزيادة "باقة الطلاب"[164]، بعد أن قررت الكلية متابعة الدروس عن بعد "اونلاين" عبر تطبيق خاص بالجامعة اللبنانية (الأنباء، 2020).

المحتوى الرقمي العربي [165]:

نحت مؤسسات التعليم العالي حول العالم، التي سبق لها أن بادرت للتعليم عن بعد إلى تحويل المحتوى الأكاديمي المطبوع إلى محتويات رقمية، كخطوة أساسية لتسهيل العملية. وقد باشر العديد من دور النشر الغربية عملياً، في تحويل الكتب المطبوعة إلى مناهج رقمية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر مؤسسة Pearson بيرسون (McKenzie, 2019) . بالمقابل، يعاني المحتوى الرقمي العربي من ضآلته،[166] وبحسب الإحصاءات الرقمية، نجد أن نسبة المتحدثين "باللغة العربية حوالي ٤،٨ % من مستعملي الشابكة[167] في العالم. ويستخدم الشابكة نحو 41.5 أي حوالي 155 مليون مواطن من مجموع سكان العالم العربي البالغ 375 مليون نسمة. وقد وصل المحتوى العربي الرقمي إلى ٣ %من نسبة المحتوى العالمي ولم يرتفع أكثر من ذلك منذ عام ٢٠١٥ بعدما كانت النسبة ١،٥ % فقط في عام ٢٠١٢، في حين يبلغ المحتوى الرقمي باللغة الإنجليزية نسبة ٦٨ % من المحتوى الرقمي العالمي (الحافظ، 2019). هذه الأرقام تشير إلى فجوة كبيرة كمّاً ونوعاً بين المحتويين وتظهر ضعف المحتوى الرقمي العربي، وضآلة الكتب الرقمية

[164]يحصل الطلاب الجامعيون في لبنان على خدمة تقدم العديد من الباقات تبدأ من اتصال بين الطلاب(180 دقيقة) الى خدمة انترنت (خمسة جيغابايت) وخدمة انترنيت واتسآب (MB300) بالاضافة الى 440 رسالة وشهر أيام.

[165]النص، الصورة، الفيديو، الرسوم المتحركة، الصوت، الخرائط، التطبيقات الإلكترونية

[166]تعرف الأسكوا المحتوى الرقمي العربي بأنه أي محتوى باللغة العربية بالشكل الرقمي سواء كان نص أو صورة أو فيديو، وهو يشمل المحتوى العلمي والاقتصادي والترفيهي والأدبي والإداري على مواقع الإنترنت، والخدمات الإلكترونية المختلفة كالحكومة الإلكترونية والتجارة الإلكترونية والتعليم الإلكتروني والصحة الإلكترونية، كما يشمل البرمجيات وقواعد البيانات ومنتجات المصدر المفتوح الداعمة والأدوات وبرامج معالجة اللغة العربية والمحركات البحثية ومحركات الترجمة. (Dewachi, 2012)

[167]الإنترنت.

العربية، "فصناعة النشر الإلكتروني ضئيلة للغاية في العالم العربي وتقدر بـ 2% فقط، من الحجم الإجمالي لصناعة النشر العربي الذي يبلغ 4 مليارات دولار سنويا. بينما تقترب نسبة النشر الألكتروني في الولايات المتحدة من 40% من حجم صناعة النشر هناك". (عبدالله، 2019)

وفي محاولة لتعزيز المحتوى الرقمي في لبنان أطلق المركز التربوي للبحوث والإنماء منصة للتعليم الرقمي Digital Learning Initiative ، تحتوي هذه المنصة على "مكتبة رقمية غنية بالدروس وموارد رقمية تفاعلية، من أهم المصادر العالمية والمحلية"[168]. لكن هذه المنصة غير مخصّصة للتعليم الجامعي.

ونظراً لضآلة المحتوى الرقمي العربي المخصّص للتعليم الجامعي في الاختصاصات المختلفة، يهيمن المحتوى الرقمي غير المحلي على السوق. وفي كثير من الحالات، لا يتوافر خبراء محليون لصناعة محتوى رقمي يتناسب مع الحاجات التعليمية في بلادنا. ولذا، غالباً ما نستخدم برامج تعليمية إما باللغة الأجنبية أو عبر ترجمتها بشكل سطحي، لا يتلاءم مع الحاجات ومتطلبات التعليم (Technology، 2001).

الفجوة الرقمية وتعميق التفاوت

في ما تقدّم، لاحظنا أن المحتوى الرقمي العربي لا يرقى، كمّاً ونوعاً، إلى المستوى المطلوب لتسيير العملية التعليمية عن بعد. كما تبرز مسألة أخرى بغاية الأهمية، هي الفجوة الرقمية التي عرّفها يوشيو اوتسومي سكرتير عام منظمة الاتصالات الدولية "بأنها الفجوة المعلوماتية بين الذين يملكون والذين لا يملكون، والملكية هنا تعود إلى ملكية المعرفة والقدرة على استخدام تكنولوجيا المعلومات" (Utsumi, 2011). والحقيقة أن اللامساواه غير محصورة بين دول الجنوب ودول الشمال فقط، حيث تشير بعض الأبحاث إلى

[168] لمزيد من المعلومات حول هذه المبادرة انظر الموقع الإلكتروني التالي:
https://dl.crdp.org/

التفاوت الموجود حتى في داخل دول متقدمة كأميركا. وعلى سبيل المثال، أظهرت نتائج بعض الدراسات في عدد من المدارس الأميركية، أنه على الرغم من أهمية "المناهج الرقمية التي تسهّل عملية التعليم... إلا أن عدم امتلاك الطلاب للأجهزة الرقمية (أجهزة الكمبيوتر أو الأجهزة اللوحية) تشكل حاجزاً أمام الوصول إلى المحتوى الرقمي" (Green، 2019).

إذن تعتبر الفجوة الرقمية قضية تعليمية في المقام الأول، كما تعدّ مظهراً مهماً من مظاهر عدم المساواة في النفاذ إلى فرص التعليم، ويشكل عدم الإلمام باللغة الانجليزية أبرز عوائقها، فإتقان هذه اللغة تسهل لمستخدمي الإنترنت الإطلاع على مواقع مختلفة بالشبكة العنكبوتية. ويرى بعضهم أن هذه الفجوة "حادة للغاية، لدرجة تدفع بعض الأساتذة والطلاب للمطالبة بإيقاف التحول نحو هذا النوع من التعليم، رغم صعوبة العودة للتعليم التقليدي في ظل استمرار انتشار الوباء" (Rasha Faek, Tarek Abd El-Galil، 2020)

ويؤكد هؤلاء بأن التعليم عن بعد سوف يعزز اللامساواة، يدفع " التحول الأخير نحو التعليم عبر الإنترنت، بسبب انتشار وباء كورونا المستجد، نحو زيادة عدم المساواة في الوصول إلى التعليم بين طلاب الجامعات، وبخاصّة في ظل تباين واقع انتشار وسرعة شبكة الإنترنت داخل كل دولة، إضافة إلى إمكانية امتلاك حواسب شخصية وهواتف ذكية" (Rasha Faek, Tarek Abd El-Galil, 2020).

ولا ينحصر الهمّ بالطلاب وحدهم، بل يشمل الأساتذة أيضا، الذين بحسب الأنيسكو، يعانون من التحول السريع نحو التعليم عن بعد. وحتى في الدول التي تتواجد فيها بنية تحتية واتصالات متطورة، تبين أنهم بحاجة أيضاً إلى التدريب من أجل تقديم المنتج التعليمي، فكيف سيكون الأمر في الدول النامية (UNESCO، 2020)؟

تثير المحتويات الرقمية في العالم النقاش حول أهميتها وجدواها ومدى قدرة الطلاب على على الوصول إليها. ولضمان النجاح في التعليم عن بعد لا بدّ من جملة من الخطوات، ومنها: إعداد المواد، إدارة النشر وتبادل المعلومات بالوسائل التكنولوجية، التطوير المستمر لمحتوى المقررات والتطوير المهني للكادر التعليمي لاستخدامهم التكنولوجيا في عالم الأكاديميا(Nasser, 2000) .

أمام هذا الوضع الإشكالي بامتياز، يحضرنا السؤال، أين تقع مساهمتنا البحثية حول التعليم عن بعد؟ في البداية يجدر القول، بإنه من المبكر جدا البحث في النتائج المترتبة عن الخطوة التي قامت بها العديد من المؤسسات التعليمية في لبنان، خاصة وأن العام الدراسي لم ينتهِ بعد. لكن ذلك، لا يعفينا كباحثين في علم الاجتماع من دراسة هذه الظاهرة المتبلورة. وحداثة الظاهرة يجب أن تكون محفّزاً لنا لتقديم قراءة استكشافية لها، دون أن يكون لدينا أي موقف مسبق من العملية. إن جلّ همنا البحثي يدور حول الإجابة عن السؤال التالي: كيف تعاطى كل من طرفيّ عملية التعلّم عن بعد (الأساتذة والطلاب) مع هذه الخطوة في ظل البيئة الاقتصادية والتكنولوجية المتاحة لهم؟

منهجية الورقة:

من أجل تحقيق الإجابة على السؤال المطروح أعلاه، قمنا بعدد من الخطوات المنهجية التي أتت على الشكل التالي: إلقاء الضوء حول الموضوع المطروح عبر عدد من الأدبيات. ونظراً لحداثته لم نحظَ– على حد علمنا– بدراسات اكاديمية منشورة تتعلّق بتجربة التعليم عن بعد في لبنان يمكن العودة إليها. لذلك كانت الصحف المحلية والمقالات العلمية الأجنبية والمنصّات الإلكترونية للمنظمات الدولية مثل الإونيسكو واليونيسف والأسكوا مصادر رجعنا إليها لتكوين صورة أولية عن المسألة المطروحة. وقد تلى استكشاف

الموضوع، مسألة تحديد مجتمع البحث وعينته، وارتأينا أن يكون مجتمع البحث الأساسي هو التجربة التي تجري في كلية الآداب والعلوم الانسانية، ويكون قسم علم النفس هو العينة التي سيتم إستقصاء طلابه. وفيما يلي الاعتبارات المنهجية التي دعتنا لاختيار هذه الكلية كمجتمع للبحث:

مجتمع البحث وعينته:

- تحتضن كلية الآداب والعلوم الانسانية 20267 عشرين ألفا ومئتين وسبع وستين طالباً وطالبة، أي ربع طلاب الجامعة اللبنانية تقريباً، التي تضّم ما مجموعه 81024 طالب وطالبة يتوزعون على كليات ومعاهد الجامعة[169].
- قامت إدارة هذه الكلية ممثلة بعمادتها، بمحاولة مأسسة التعليم عن بعد فيها،عبر عدد من الخطوات المهمة. كان أولها تعيين منسقين لكافة المواد المدرّسة من أجل وضع توصيف موحد لكل الفروع، ومن ثم وضع هذا التوصيف على منصّة ألكترونية مخصصة للمادة.
- اعتماد منصّة (ميكروسوف تيمز Microsoft teams) كمنصة وحيدة لكافة أقسام وفروع الكلية.
- إنشاء منصّات التعليم الخاصة بالأساتذة، وتوحيد تسمية كل مادة في الفروع كافة. فضلاً عن إنشاء بريد إلكتروني لكل طلاب الكلية ولأساتذتها، لتسهيل عملية وصلهم بالمنصات الرقمية المخصصة للمادة. في حين لم تجرِ العملية على هذه الشاكلة في بقية كليات الجامعة، بل تُرك اختيار نوع الوسيلة التعليمية لرأي الأساتذة. وقام بعضهم بالتواصل عبر الواتساب أو الإيميل لنقل المادة التعليمية لطلابهم.

[169] للتوسع حول توزيع اعداد الطلاب في كليات الجامعة اللبنانية انظر النشرة الاحصائية التي تصدر عن المركز التربوي للبحوث والانمائي على العنوان الإلكتروني التالي:
http://www.crdp.org/statistics?la=ar

- إلزام المحاضرين بتسجيل المحاضرات التي تعطى لتسهيل حضورها من قبل الطلاب بعد انتهاء وقت المحاضرة، في حال لم يتح للطالب لأسباب تقنية عدم الحضور.

العينة:

شكل قسم علم النفس في كلية الاداب والعلوم الانسانية العينة الطلابية التي توجهنا إليها، وذلك لمعرفتنا عن كثب بالديناميات التي تمّت بها هذه العملية من موقعنا كأستاذ محاضر في هذا القسم. أضف إلى ذلك أنه كان من المستحيل استطلاع آراء طلاب كلية الآداب كافة، في الفترة الزمنية الوجيزة المخصصة لإنجاز البحث. أما لناحية الأساتذة فقد توجهنا بالإستمارة لهم في كل أقسام كلية الآداب والعلوم الاجتماعية لاستطلاع رأيهم.

التقنيات المستخدمة

استخدمنا الإستمارة الألكترونية للوصول إلى الطلاب والأساتذة على السواء، وكانت الحلّ الأمثل نظراً لصعوبة الوصول المباشر لكلا الطرفين في ظل انتشار الوباء وإنخفاض كلفة هذا النوع من الاستمارات. لذلك توجهنا باستمارتين تناولتا طرفي عملية التعليم عن بعد.

إستمارة الطلاب: تشكّلت الاستمارة من عدّة أقسام. لحظ القسم الأول منها هوية الطلاب جنسهم عمرهم حالتهم الزواجية والاجتماعية، والفرع الذي يدرسون فيه. القسم الثاني فتناول الطلاب الذين لم يتابعوا التعليم عن بعد، لمعرفة أسباب عدم المتابعة، وطال القسم الأخير فقد طال الطلاب الذين تابعوا التعليم عن بعد، وذلك من أجل تلمّس الصعوبات التي اعترت هذه العملية من وجهة نظرهم.

إستمارة الأساتذة: توجهنا بهذه الإستمارة للاساتذة في كلية الاداب دون تخصيص أي قسم يعلمون به كون الأستاذ الواحد يمكن أن يدرّس في اكثر من قسم. وهدف الاستمارة الأساس هو معرفة وجهة نظرهم بالتجربة الجديدة بصعوباتها وإيجابياتها.

قد يعيب بعضهم علينا، أننا نتفحّص ظاهرةً خلال فترة سريانها، ونرى أن هذا الأمر، قد يكون حافزاً لنا كباحثين للقيام بمحاولة استكشافية لقياس الكيفية التي يتلقى بها الطلاب المضمون المعرفي عن بعد، أضافة إلى معرفة كيف يعيش هؤلاء التجربة، وما هي الصعوبات التي تواجههم،. آخذين بعين الاعتبار أنه لا يجوز بأي شكل من الأشكال تعميم ما سيتوصل إليه بحثنا من نتائج، مع العلم أنه قد تشكل النتائج المنبثقة عنه قاعدة يبنى عليها في حال قام باحثون آخرين باستجلاء الظاهرة في وقت لاحق. ونقدم فيما يلي خصائص العينة المستطلعة:

الهوية الأكاديمية والاجتماعية للأساتذة والاستاذات

تجاوب مع الإستمارة التي أرسلت إلى أساتذة كلية الآداب والعلوم الانسانية مئة وثلاثين (130) استاذاً وأستاذة. وقد تشكلت هويتهم الأكاديمية والاجتماعية على الشكل التالي:

توزّعت عينة الأساتذة حسب النوع الاجتماعي على 61.5% إناث و38.5% ذكور، كما يظهر في الجدول رقم 1.

جدول رقم 1: توزّع أفراد عينة الأساتذة حسب النوع الاجتماعي

النوع الاجتماعي	التكرارات	النسبة المئوية
ذكور	50	38.5

جدول رقم 2: توزع أفراد عينة الأساتذة حسب التعليم في الجامعات الخاصة

التعليم عن بُعد في جامعة خاصة	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	34	26.2
كلا	96	73.8

إناث	80	6 5.
المجموع	130	100

المصدر: نتائج الاستطلاع بالاستمارة – عينة الاساتذة = 130 أستاذًا

المجموع	130	100

المصدر: نتائج الاستطلاع بالاستمارة – عينة الاساتذة = 130 أستاذًا

شكل المتعاقدون بالساعة النسبة الأكبر من أفراد العينة، حيث بلغت 68.5% (أنظر الجدول رقم 3)، في حين أن رتبة استاذ مساعد شكلت أعلى نسبة مستجيبين بحيث بلغت 53.8%. هذا ويجمع بين التعليم في الجامعات الخاصة والجامعة اللبنانية ما نسبته 26.2% (أنظر الجدول رقم 2).

الجدول رقم 3: توزع الاساتذة حسب الرتبة العلمية والووضع الوظيفي

الرتبة العلمية	تكرارات	نسب مئوية	الوضع الوظيفي	تكرارات	نسب مئوية
أستاذ/ة بروفيسور/ة	20	15.4	متفرغ	35	26.9
استاذ/ة مساعد/ة	70	53.8	متعاقد بالساعة	89	68.5
معيد/ة	40	30.8	ملاك	6	4.6
المجموع	**130**	**100**	**المجموع**	**130**	**100**

المصدر: نتائج الاستطلاع بالاستمارة – عينة الاستاذة = 130 أستاذًا

الهوية الاكاديمية والاجتماعية للطلاب والطالبات

قبل الدخول في مضمون النتائج التي وقعنا عليها، نوّد أن نعرض الهوية الاجتماعية والاكاديمية للطلاب الذي استجابوا للإستمارة التي ارسلت إليهم:

جدول رقم 4: توزّع أفراد العينة حسب متابعة التعليم عن بُعد والنوع الاجتماعي

متابعة التعليم عن بُعد / النوع الاجتماعي	نعم	كلا	المجموع
إناث	391 %71.4	157 %28.6	**548** **%91.3**

ذكور	29 %55.8	23 %44.2	**52** **%8.7**
المجموع	**420** **%70**	**180** **%30**	**600** **%100**
المصدر: نتائج الإستطلاع بالإستمارة – عينة الطلاب = 600 طالب			

بلغ عدد الذين استجابوا للإستمارة الإلكترونية ستمئة طالب وطالبة (600)، شكلّت الإناث 91.3% والذكور 8.7% (أنظر الجدول رقم 4). وتشير هذه النسبة المرتفعة للإناث بشكل عام إلى المسار التأنيثي – مع العلم بأنه ليس موضوع البحث الحالي لكن تجدر الإشارة إليه – التي بدأت تشهده الكليات المفتوحة في العلوم الانسانية والاجتماعية.

وفي مشهد ملفت آخر تظهر العينة أن 26.7%* من الذين يتابعون التعليم عن بعد من أفراد العينة هم من المتزوجين أو الذين سبق لهم الزواج.

جدول رقم 5: توزّع أفراد العينة من الطلاب حسب متابعة التعليم عن بُعد والحالة الزواجية

متابعة التعليم عن بُعد / الحالة الزواجية	نعم	كلا	المجموع
أعزب/عزباء	308 %66.5	155 %33.5	**463** **%77.1**
متزوج/ة	103 %83.7	20 %16.3	**123** **%20.5**
مطلق/ة	5 %50	5 %50	**10** **%1.7**
أرمل/ة	4 %100	0 %0	**4** **%0.7**

جدول رقم 6: توزّع أفراد العينة من الطلاب المتزوجين أو الذين سبق لهم الزواج حسب متابعة التعليم عن بُعد وعدد الأولاد

متابعة التعليم عن بُعد / عدد الأولاد	نعم	كلا	المجموع
ولد واحد	27 %77.1	8 %22.9	**35** **%25.5**
ولدان	37 %88.1	5 %11.9	**42** **%30.7**
ثلاثة أولاد	19 %79.2	5 %20.8	**24** **%17.5**
أربعة أولاد	16 %100	0 %0	**16** **%11.7**
لا أولاد	13 %65	7 %35	**20** **%14.6**

* تم احتساب هذه النسبة على الشكل التالي: مجموع المتزوجين/ات والمطلقين/ات والأرامل الذين/اللواتي يتابعون/ن التعليم عن بُعد، مقسوم على مجموع أفراد العينة الذين يتابعون التعليم عن بُعد × 100.

المجموع	420 %70	180 %30	600 %100

المصدر: نتائج الإستطلاع بالإستمارة – عينة الطلاب مؤلفة من 600 طالب

المجموع	112 %81.8	25 %18.2	137 %100

المصدر: نتائج نتائج الإستطلاع بالإستمارة – مجموع أفراد العينة من المتزوجين أو الذين سبق لهم الزواج = 137

كما تبيّن أن نسبة 59.9% من المتزوجين أو الذين سبق لهم الزواج لديهم ولدين أو أكثر (أنظر الجدول رقم 6) وهو أمر جدير بالإهتمام أيضاً.

جدول رقم 7: توزّع أفراد العينة حسب متابعة التعليم عن بُعد والفئات العمرية

العمر / متابعة التعليم عن بُعد	نعم	كلا	المجموع
22 – 18	220 %64.1	123 %35.9	**343 %57.1**
27 – 23	81 %69.2	36 %30.8	**117 %19.5**
32 – 28	35 %77.8	10 %22.2	**45 %7.5**
37 – 33	33 %84.6	6 %15.4	**39 %6.5**
42 – 38	29 %93.5	2 %6.5	**31 %5.2**
47 – 43	8 %80	2 %20	**10 %1.7**
48 وأكثر	14 %93.3	1 %6.7	**15 %2.5**
المجموع	**420 %70**	**180 %30**	**600 %100**

المصدر: نتائج الإستطلاع بالإستمارة – عينة الطلاب مؤلفة من 600 طالب

فقد وفرت الكليات المفتوحة – كلية الاداب والعلوم الانسانية إحداها – والفروع المنتشرة على المحافظات اللبنانية كافة، لأصحاب الخصائص المذكورة أعلاه فرصة لمتابعة التعليم لم تكن متاحة سابقاً.

وتسمح هذه النسب المرتفعة من هذه الشرائح الاجتماعية والمنتسبة للكلية بالاستنتاج بأن التعليم الجامعي سهل ومتاح بشكل كبير لفئات وشرائح اجتماعية جديدة. وقد يعود ذلك إما لسهولة الحصول على الشهادة، وإما للإمكانية التي تتاح للطلاب والطالبات بعد الحصول على الشهادة بالعمل تحديداً في قسم علم النفس، وذلك بعد صدور قانون "تنظيم مهنة النفساني في لبنان رقم 8 تاريخ : 10/02/2017 "[170] (اللبنانية، 2017)

انقسمت في الوقت نفسه عينة الطلاب إلى قسمين: قسم يتألف من الطلاب الذين تابعوا تعليمهم لهذا الفصل الدراسي 2019–2010 عن بُعد، بحيث حضر هذه المحاضرات ما نسبته 70% من أفراد العينة، وقسم آخر من الطلاب من الذين لم يتابعوا تعليمهم عن بعد والذين بلغت نسبتهم 30% (انظر الجدول رقم 7).

يتوزع الطلاب في العينة المستطلعة على السنوات المنهجية كافة (انظر الجدول رقم 8)، مما يعطي للعينة مشروعية منهجية تتيح لنا استطلاع آراء مجمل الطلاب في كافة المراحل التعليمية في قسم علم النفس.

جدول رقم 8: توزّع أفراد العينة حسب الس ة المنهجية للعام الدراسي 2019–2020

السنة المنهجية	التكرارت	النسبة المئوية
الأولى	211	35.2
الثانية	170	28.3

جدول رقم 9: توزّع أفرا العينة حسب فرع الجامعة للعام الدراسي 2019–2020

الفرع	التكرارت	النسبة المئوية
الأول	191	31.8
الثاني	82	13.7

[170] يحيز القانون أعلاه في أحد مواده للحائزين على شهادة ماجيستير في علم النفس من الجامعة اللبنانية أو من إحدى مؤسسات التعليم العالي الخاصة العاملة في لبنان والمعترف بها رسمياً والمرخص لها بتدريس هذا الاختصاص، أو عن مؤسسة للتعليم العالي العاملة خارج لبنان، على ان تكون الشهادة معادلة من قبل وزارة التربية والتعليم العالي بممارسة المهنة.

الثالثة	173	28.8
الماستر 1	46	7.7
المجموع	600	100

المصدر: نتائج الإستطلاع بالإستمارة – عينة الطلاب مؤلفة من 600 طالب

الثالث	53	8.8
الرابع	148	24.7
الخامس	126	21
المجموع	600	100

المصدر: نتائج الإستطلاع بالإستمارة – عينة الطلاب مؤلفة من 600 طالب

أما لناحية التفاوت في عدد المستجوبين بين الفروع (انظر الجدول رقم 9)، فيعود ذلك إلى صعوبة الوصول إلى إداريي مجموعات الواتساب الخاصة بالطلاب، على الرغم من مساعدة عمادة كلية الآداب والعلوم الانسانية في توزيع الاستمارة على تلك المجموعات، إذ لم يكن من السهل علينا إعادة نشر الإستمارة نظراً لجهل الباحث بأعضاء هذه المجموعات وإداريها لذلك اتت الحصيلة على هذه الشاكلة.

في النتائج

سنعرض فيما يلي التحديات التي واجهها طرفي عملية التعليم عن بُعد، الطلاب والأساتذة على السواء. قسمنا هذه الصعوبات إلى أنواع ثلاثة، التحديات الاقتصادية والتحديات التقنية فضلاً عن التحديات الشخصية التي اعترضت خطوة التعليم عن بُعد التي باشرتها كلية الاداب والعلوم الانسانية في 21 آذار العام 2020.

التحديات الاقتصادية والتسرّب الرقمي!

لقد فرض واقع التعليم عن بعد عبئاً إقتصادياً إضافياً على الطلاب المتابعين، فقد ترتب على 57% منهم زيادة حزمات الإنترنت (انظر الرسم البياني رقم 1) كي يستطيعوا متابعة محاضراتهم، خاصة وإن وعود وزارة التربية بالتفاوض مع وزارة الإتصالات لتأمين White listing[171] وايت ليستينغ انترنت لم تؤت ثمارها.

[171] هي موافقة وزارة الإتصالات لإستخدام بعض المنصات التعليمية المتفق عليها بكلفة صفر إنترنت.

الرسم البياني رقم 1: زيادة حزمة الإنترنت من اجل التعليم عن بُعد

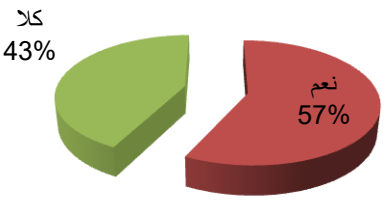

المصدر: نتائج الإستطلاع بالإستمارة – عينة الطلاب الذين تابعوا التعليم عن بُعد = 420

وقد ترجم ثقل الكلفة الإقتصادية لأسعار الانترنت على آداء الطلاب؛ فوجدنا أن نسبة 23.2% منهم لم يستطع متابعة المحاضرات المقررة والملزمين بحضورها (انظر للجدول رقم 10). لا تتوقف المعوقات لعملية التعليم عند حدود الأسعار المرتفعة للإنترنت بل إن عدم حيازة 17.2% منهم لأجهزة كمبيوتر خاصة بهم عوّق أيضا هذه العملية، حيث يتشارك هؤلاء مع أفراد آخرين في المنزل جهاز الكمبيوتر من أجل متابعة محاضراتهم.

بالتالي يمكن أن نستنتج أن عملية التعلّم عن بعد تتم في مجال غير مريح، خاصّة إذا أشرنا إلى المحيط المنزلي غير الصديق مع التعليم عن بُعد، حيث يظهر في الجدول (رقم 10) أن نسبة 63.3% من المتعلمين لا تتوفر لديهم بيئة منزلية تتيح لهم تلقي محاضراتهم بطريقة فاعلة ومريحة.

جدول رقم 10: توزّع أفراد العينة الذين يتابعون التعلّم عن بُعد حسب الأسباب التي تمنع من حضور كافة المحاضرات المطلوبة

أسباب عدم حضور كافة المقررات	التكرارت	النسبة المئوية
عدم وجود أجهزة كومبيوتر كافية في المنزل	51	17.2
رداءة الإنترنت	220	74.1
الكلفة العالية للإنترنت	69	23.2
البيئة المنزلية لا تسمح بمتابعة الدروس عبر الإنترنت	188	63.3

المصدر: نتائج الإستطلاع بالإستمارة – عينة الطلاب الذين تابعوا التعليم عن بُعد = 420 طالب

لم تكن الصعوبات الإقتصادية عند الأساتذة في نفس الثقل كما الطلاب، مع ذلك لا يمكن تجاهل العبء الإقتصادي على عملية التعليم التي قامت بها الهيئة التعليمية. فقد شكا حوالى 34% (انظر جدول رقم 11) من كلفة الإنترنت المرتفعة، واعتبروها من الصعوبات التي تكتنف عملية التعليم عن بُعد. أما صعوبة إقتناء 11% من مجمل أعضاء الهيئة التعليمية (انظر الجدول رقم 11) – على الرغم من ضآلة النسبة –ذات دلالة غاية في الأهمية، يدفعنا ذلك إلى التساؤل كيف يقوم هؤلاء بتحضير محاضراتهم وكيف يتجاوزون الصعوبات التي تحيط بهم؟!

الجدول رقم11: الصعوبات الاقتصادية التي تعيق عملية التعليم عن بعد عند الأساتذة

الحالة الوظيفية / الصعوبات الاقتصادية	أستاذ متفرغ	أستاذ متعاقد بالساعة	ملاك	المجموع
كلفة الانترنت مرتفعة	17 %48.6	26 %29.2	1 %16.7	**44** **%33.8**
صعوبة اقتناء جهاز كمبيوتر بسبب الكلفة العالية	3 %8.6	11 %12.4	0 %0	**14** **%10.8**
عدم وجود غرفة خاصة بي في المنزل كي انفرد بها لمتابعة المحاضرات	4 %11.4	13 %14.6	0 %0	**17** **%13.1**
لا صعوبات اقتصادية تعترضني	14 %40	47 %52.8	5 %83.3	**66** **%50.8**

المصدر: نتائج البحث الميداني – عينة الأساتذة = 130 استاذًا

التفاعل وانعدام قنواته

قد تحتل الصعوبات الاقتصادية المرتبة الأولى ضمن العوامل المعرقلة لعملية التعلّم عن بُعد، مع ذلك لا يمكن تجاهل عوامل أخرى تعيقها بشكل فاعل. استخدم 82.9% من مجمل من حضر التعليم عن بُعد الهاتف الخلوي لمتابعة محاضراته (انظر الرسم البياني رقم 2). كيف نقرأ هذا المؤشر؟

نود الإشارة في البداية إلى أن المؤشرات الواردة في الرسم البياني (رقم 2) هي عبارة عن تكرارات لإجابات أفراد العيّنة. بمعنى آخر، أن كل فرد في العيّنة (التي بلغت هنا 420 مستجوبًا من أصل 600 مستجوبًا ممن أجابوا بأنهم يتابعون التعليم عن بُعد) أدلى بعدة احتمالات للسؤال المذكور، بحيث يصبح عدد الإجابات مختلفًا كليًا عن مجموع أفراد العينة. ويندرج هذا النموذج على جميع الجداول التي تأتي إجابتها لعدة احتمالات من السؤال، وبالتالي فإن إجمالي الإجابات لهذه الجداول تختلف بحسب كل جدول.

تشير النسبة العالية للمتابعة عبر الجهاز الخلوى بدايةً، إلى الصعوبة المادية المتمثّلة بعدم امتلاك نسبة 17.2% من الطلاب لجهاز كمبيوتر خاص (انظر الجدول رقم 10). مع ذلك، هل لنا أن نتخيل كيف سيقرأ ويكتب ويتابع هذا الطالب محاضراته عبر الهاتف الخلوي كوسيلة غير مريحة!. يجعلنا هذا المعطى نتساءل حول مدى فعالية التعليم عن بعد وجدواه، عبر وسائط الكترونية غير مريحة كالهاتف الخلوي. لعل نسبة 71% من الطلاب "المتسرّبين" من حضور مقرراتهم الإلزامية قد تعتبر انعكاساً مباشراً لاستخدام هذا النوع من الوسائط لمتابعة المقررات (أنظر الرسم البياني رقم 3).

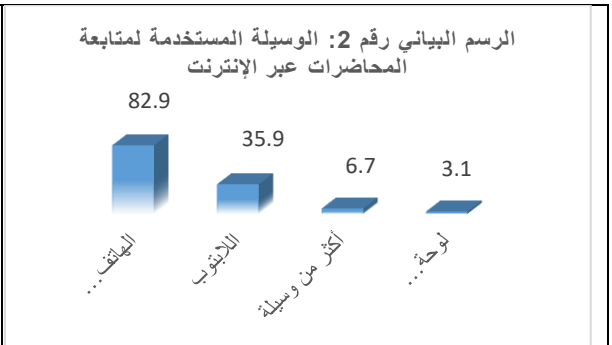

المصدر: نتائج الاستطلاع بالإستمارة لعينة من الطلاب الذين تابعوا التعليم عن بعد 420 طالب

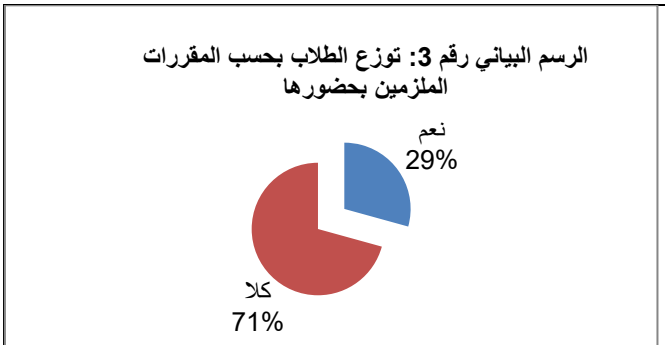

المصدر: نتائج الاستطلاع بالإستمارة لعينة من الطلاب الذين تابعوا التعليم عن بعد 420 طالب

تعدّ الوسيلة المستخدمة في عملية الإتصال أساسية؛ فاستخدام الخلوي كوسيط غير مريح يخفّض مستويات مستويات التفاعل بين طرفي العملية، الأستاذ والطالب، وبالتالي البقاء في مرحلة الإتصال وليس التواصل (الزهراني، 2015).

في المقابل يشكل المحتوى هو أيضا، عنصراً فاعلاً في تفعيل عملية الإتصال ودفعها لتصل لمرحلة عالية من التفاعل. فالإستخدام الجاذب والغني للمحتويات الرقمية تعدّ أساسية، الأمر الذي لم يتوفّر في هذه العملية. فقد احتلت ضآلة المقررات الرقمية المرتبة الثالثة 15.4% كصعوبة واجهت الأساتذة لإتمام عملية التعليم عن بُعد، وذلك بعد رداءة الإنترنت (72.3%) التي أتت على رأس قائمة الصعوبات، وتليها انقطاع التيار الكهربائي (59.2%) حسب الرسم البياني (رقم 4).

الرسم البياني رقم 4: الصعوبات التقنية التي يواجهها الأساتذة

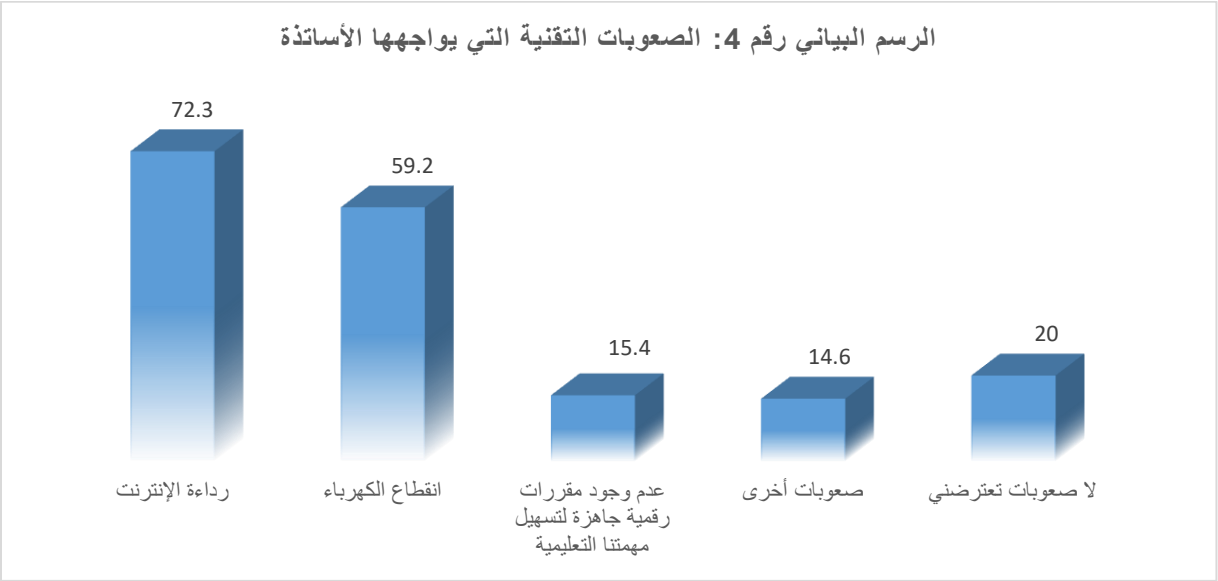

المصدر: نتائج الاستطلاع بالإستمارة – عينة الأساتذة = 130 أستاذًا

اعترضت الصعوبات التقنية الأساتذة كما اعترضت الطلاب. فقد وجد البعض من الأساتذة 36.1% (أنظر الجدول رقم 12)، بأن الطلاب لا يأخذون هذه الخطوة على محمل الجد، في حين اعتبر 31.5% منهم، بأنه لا يتوفر التعليم عن بُعد في وضعه الحالي، على التوضيحات اللازمة كما هو الحال في التعليم المباشر. وعليه، يشير عدم توفر المستلزمات الإيضاحية اللازمة لإتمام العملية إلى الفجوة الرقمية التي تعتري الخطوة أساساً، ما يقلّص تفاعل الطلاب السلبي نحو العملية بمجملها.

جدول رقم 12: توزّع الصعوبات الشخصية التي تعترض الأساتذة خلال تقديم المحاضرات عن بُعد

الحالة الوظيفية / الصعوبات الشخصية	أستاذ متفرغ	أستاذ متعاقد بالساعة	ملاك	المجموع
عدم استساغة التعليم عن بعد بسبب انعدام التفاعل بين الأستاذ والطالب	14 %40	21 %23.6	1 %16.7	**36** **%27.7**
الصعوبة في ايصال الفكرة عن بعد	4 %11.4	2 %2.2	1 %16.7	**7** **%5.4**
خبرتي المتواضعة في التكنولوجيا الرقمية	6 %17.1	3 %3.4	1 %16.7	**10** **%7.7**
لا يوفر التعليم عن بعد التوضيحات اللازمة كما في الصف	15 %42.9	23 %25.8	3 %50	**41** **%31.5**
يعمل جميع أفراد عائلتي عن بعد لذلك يصعب عليّ تقديم محاضراتي عن بعد	0 %0	2 %2.2	0 %0	**2** **%1.5**
لا يأخذ الطلاب هذه المهمة على محمل الجد. ولا يبذلون جهداً ولا تعاونا للمضي في هذه الخطوة	11 %31.4	34 %38.2	2 %33.3	**47** **%36.1**
لا صعوبات شخصية تعترضني	9 %25.7	32 %36	1 %16.7	**42** **%32.3**
مختلف	1 %2.9	3 %3.4	0 %0	**4** **%3.1**

المصدر: نتائج البحث الميداني – عينة الأساتذة عينة = **130** استاذًا

رداءة الإنترنت والبيئة المنزلية الكابحة

إشترك الأساتذة والطلاب في شكواهم من ردءاة الإنترنت وسوء خدماته؛ فأعرب 74.1% من الطلاب و72.3% من الأساتذة (انظر الجدول رقم 10 والرسم البياني رقم 4) عن انزعاجهم من هذه الخدمة واعتبروها من العوامل الأساسية الكابحة للتعلم عن بعد. لا شكّ بأن انقطاع الإتصال ورداءة الصورة يعيقان عملية التعلّم وهي إضافة إلى عوامل كابحة أخرى تحول دون وصول المعلومة بشكل سلس ومريح. يتفاقم الوضع أكثر حين نطلّ على البيئة المنزلية المكتظة بالمتعلّمين. فقد تشارك افراد عينتنا مع أفراد آخرين في المنزل جهازهم الإلكتروني كما ذكرنا في وقت سابق، كما تشارك هؤلاء الحيز المكاني الذي يتلقون فيه حصصهم التعليمية.

جدول رقم 13: توزّع الطلاب الذين يتابعون التعليم عن بُعد حسب عدد أفراد الأسرة الذين يتابعون أيضًا		
عدد أفراد الأسرة الذين يتابعون التعليم عن بُعد	التكرارت	النسبة المئوية
فرد واحد	161	38.3
إثنان	133	31.7
ثلاثة أفراد	87	20.7
أربعة أفراد أو أكثر	39	9.3
المجموع	**420**	**100**
المصدر: نتائج الاستطلاع بالإستمارة لعينة من الطلاب الذين تابعوا التعليم عن بعد 420 طالب		

إذ يظهر الجدول أعلاه رقم 13 أن جميع الطلاب الذين يتابعون التعليم عن بُعد يتشاركون مع فرد أو أكثر من الأسرة بمتابعة حصصه على الإنترنت. إلا أن النسبة الأكبر منهم يتشاركون مع فرد واحد أو إثنين حيث بلغت 38.3% و31.7% على التوالي، في حين بلغت نسبة الذين يتابعون مع ثلاثة أفراد وأكثر 30% فقط. لنا ان نتخيل كيف تتم هذه العملية[172].

تضغط العوامل المجتمعة أعلاه على الأستاذ وعلى الطالب وتفاقم الكلفة النفسية المترتبة من الجائحة ومترتباتها من الحجر المنزلي والقلق على الصحة وفوق ذلك كله القلق على متابعة التحصيل العلمي عن بعد.

استنتاجات

لا يتسع المجال في هذه الورقة البحثية لمناقشة كافة الصعوبات التي اعترضت عملية التعليم عن بعد التي جرت في الجامعة اللبنانية قسم علم النفس في كلية الآداب والعلوم الانسانية، لذا سنكتفي بالإشارة إلى أبرزها. فقد أظهرت النتائج التي وقعنا عليها أن عدداً كبيراً من الصعوبات لا تقف عند التحديات الاقتصادية بل تتجاوزها لتفتقد تلك العملية إلى البنية اللوجستية الداعمة لعملية التعليم عن بعد. فقد شكلت رداءة الإنترنت وإنعدام قنوات التواصل وافتقاد الأساتذة والطلاب للمحتويات الرقمية كلها عواملاً محبطة للعملية التعليمية. ولعبت البيئة المنزلية والوضع النفسي السيء والقلق من المخاطر الصحية الضاغطة دوراً محبطاً هي الأخرى. كبحت العوامل مجتمعة الدينامية المطلوبة لإنجاز عملية التعليم عن بعد. فليس من السهل أن

[172] كوني استاذة علّمت عن بعد عشت هذه التجربة بتفاصيلها، فقد عشت تفاصيل الحياة المنزلية التي يحياها طلابي مع أهاليهم، فكنت اسمع احيانا كثيرة مناداة الأم لأبنائها، وصراخ الأطفال وأصوات الموسيقى الصادرة عن أجهزة اخرى في المنزل.

تجرى عملية إتصالية دون تأمين البنية اللوجستية الداعمة لها كما ليس من السهل إجرائها دون توفير الحد الأدنى من مقومات الدعم التقني والرقمي للمنخرطين بها. يتطلب ذلك تكوين مناهج ومحتويات رقمية مناسبة للإختصاصات المدرّسة، وتأمين اجهزة تكنولوجية لتسهيل عملية التواصل بين طرفي العملية.

مع تقدّم النظريات الإتصالية للتعلم لا تنحصر عملية التعليم عن بعد في تامين الإتصال فقط، فالمسألة اعقد وأشمل من تأمين مجرد البنية اللوجستية الملائمة، وأعقد من مجرد نقل محتوى رقمي من المرسل إلى المستقبل. يركز التعلّم الألكتروني بحسب النظريات الإتصالية على أهداف من نوع آخر مثل تعليم الطلاب "سبل البحث عن المعلومات وتنقيحها وتحليلها وتركيبها من أجل الحصول على المعرفة. كما تركز على تنمية قدرة الطلاب على التمييز بين المعلومات المهمة وغير المهمة في مجال تخصصّهم. كما تعد تنمية مهارات إدارة المعرفة" (المجيد، 2012)

في الخلاصة يمكن إستعارة هذه المقولة "العمل عن بعد هو أكثر من مجرد إعطاء الناس جهاز كمبيوتر محمول للناس"(Kevin Sneader and Shubham Singhal, 2020) ، هي في الغالب إنخراط مؤسسة التعليم بكامل مكوناتها البشرية التقنية لتأمين بيئة تعليمية دينامية لإيصال ليس فقط المعلومة وإنما لرفع معدلات التفاعل لتؤتى العملية التعليمية عن بعد ثمرها.

المراجع والمصادر العربية:

قانون رقم 12، تنظيم مهنة النفساني في لبنان، صادر في 10-2-2017، الجريدة الرسمية، 2017

قانون رقم 285، الأحكام العامة للتعليم العالي وتنظيم التعليم الخاص،الجريدة الرسمية، 2014.

مرسوم رقم 6198، إعلان التعبئة العامة لمواجهة انتشار فيروس كورونا، الجريدة الرسمية، العدد12، 2020

إبراهيم الزهراني، الاتصال التعليمي و تقنيات التعليم، عن الموقع الإلكتروني تعليم جديد، 23 حزيران 2015، تاريخ الوصول 27 حزيران 2020. متاح على العنوان الإلكتروني التالي:

shorturl.at/gjmvE

أحمد زايد، التعليم والطبقة فى مصر :دائرة الإدماج والتهميش، المجلة العربية لعلم الاجتماع، 11 حزيران 2013.

أحمد عبد المجيد، شبكات التعلم الإلكترونية والنظرية الاتصالية، المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني,، 12 كانون الأول 2012.

الأنباء "تنقل صرخة طلاب "اللبنانية ..."باقة الانترنت لا تكفي لاستكمال الدراسة عن بعد ، جريدة الأنباء، بيروت 2020

جميل واين، المحتوى العربي الرقمي :لمحة عن القطاع، مختبر ومضة للأبحاث، 2015 .

عدنان الأمين، رأي منشور على الفيس بوك، 22، أيار 2020.

عطاالله طوني وابراهيم بو ملهم، التعليم عن بعد في لبنان :ما له وما عليه، نداء الوطن، بيروت ، 30 آذار 2020، متاح على الموقع الإلكتروني التالي:

shorturl.at/hzNV1

عماد طوال، التعليم عن بُعد في مواجهة أزمة كورونا، نشرة زينيت اليومية، 26 آذار 2020، متاح على العنوان الإلكتروني التالي:

shorturl.at/aiot1

عمران عبدالله، قائمة أممية للمحتوى العربي الرقمي ..هل هي دعم للنشر الإلكتروني؟ موقع الجزيرة 5 أيار 2019، متوفر على العنوان الإلكتروني التالي:

shorturl.at/deuK5.

فاتن الحاج، بسبب التكلفة العالية ونوعية الانترنت ..التعليم عن بعد في "اللبنانية "لم "يقلّع "بعد، جريدة الأخبار،17 آذار 2020.

فاتن الحاج، قانون التعليم العالي لا يعترف بشهادات التعليم عن بعد في "اللبنانية .."والامتحانات هي التحدي الأكبر، جريدة الأخبار، 25 نيسان 2020. متوفر على العنوان الإلكتروني التالي:

shorturl.at/afuz8

مايا ياغي، كورونا يُلزمنا بالتعليم عن بعد، صحيفة180 الأكترونية، 25 آذار 2020، متوفر على العنوان الألكتروني التالي:

https://180post.com/archives/9458

مروان بو حيدر، سرعة الانترنت في لبنان :في المرتبة 160عالميا،جريدة الأخبار 7 آب 2018، متوفر على العنوان الإلكتروني التالي:

shorturl.at/cjkoM

موقع الجامعة اللبنانية الرسمي، الرئيس أيوب خلال إطلاق "التعليم عن بُعد :"نعتمدُ "اللامركزية الأكاديمية " في التعليم وسنعوّض لطلابنا الذين واجهوا معوّقات في هذه العملية، 25 آذار، 2020، تاريخ الوصول 25 حزيران 2020، متاح على العنوان الإلكتروني التالي:

shorturl.at/egPZ1

نزار الحافظ، واقع المحتوى الرقمي العربي على الشابكة، وقئع المؤتمر السنوي العاشر لمجمع اللغة العربية بدمشق واقع اللغة العربية في عصرنا الحاضر، –دمشق : مجمع اللغة العربية، 2019. .

النشرة الإحصائية للعام 2018–2019، وزارة التربية والتعليم العالي، المركز التربوي للبحوث والإنماء، قسم الدراسات والأبحاث. متوفر على العنوان الإلكتروني التالي:

http://www.crdp.org/studies?la=ar.

نور الدين شيخ عبيد، الارتقاء بجودة المحتوى الرقمي العربي، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الأسكوا، 2015.

الوزير المجذوب أطلق بمؤتمر مع الوزيرين عبد الصمد وحواط تجربة التعلم عن بعد عبر البث التلفزيوني والمنصّات الرقمية، موقع وزارة التربية والتعليم قسم الأخبار، 25. آذار 2020، متوفر على العنوان الإلكتروني التالي:

https://www.mehe.gov.lb/ar/Activities/News/Details?ItemId=1987.

References:

Rasha Faek, Tarek Abd El-Galil. Al-Fanar Media Covering Education, Research and Culture. - April 30, 2020. - June 17, 2020. - https://www.al-fanarmedia.org/2020/04/the-shift-to-online-education-in-the-arab-world-is-intensifying-inequality

Nasser R. & Abouchedid, K..**Attitudes and Concerns towards Distance Education The case of Lebanon** - Beirut : Online Journal of Distance Learning Administration, 2000. - 4 : Vol. 3. - pp. 1-10.

Utsumi Yoshio **Bridging the Digital Divide**.International Telecommunication Union, 2011.

Nauffal Hana Addam El-Ghali & Diane **COVID19: Is Lebanon Ready for Online Higher Education?** Beirut : Erasmus+, January- March 2020. - e.

Green Kenneth C . **Digital Contents vs. Digital Access** Inside Higher ED. - July 29, 2019. - June 17, 2020. - https://www.insidehighered.com/blogs/digital-tweed/digital-content-vs-digital-access.

Technology The Association for Educational Communications and. - Bloomington **Educational Communications and Tecnology**: AECT, 2001.

Kevin Sneader and Shubham Singhal . **From thinking about the next normal to making it work: What to stop, start, and accelerate** .McKinzey & Company. - May 15, 2020. - June 21, 2020. - https://www.mckinsey.com/featured-insights/leadership/from-thinking-about-the-next-normal-to-making-it-work-what-to-stop-start-and-accelerate#.

JENNIFER DARLING-ADUANA, CAROLYN J. HEINRICH, ANNALEE GOOD **ONLINE LEARNING AND IMPLICATIONS FOR INEQUALITY IN THE CLASSROOM** . Scholars Strategy Networks. - July 11, 2019. - june 2, 2020. - https://scholars.org/contribution/online-learning-and-implications-inequality-classroom.

McKenzie Lindsay . **Pearson's Next Chapter** . Inside Higher ED. - July 19, 2019. - June 17, 2020. - https://www.insidehighered.com/digital-learning/article/2019/07/16/pearson-goes-all-digital-first-strategy-textbooks.

Staff Editorial . **Rethinking Virtual Learning LAU faculty across the schools offer an overview of online learning during COVID-19**. Lebanese American University. - LAU, June 4, 2020. - June 17, 2020. - https://news.lau.edu.lb/2020/rethinking-virtual-learning.php.

UNESCO **Startling disparities in digital learning emerge as COVID-19 spreads: UN education agency**. UN News. - April 21, 2020. - june 3, 2020. - https://news.un.org/en/story/2020/04/1062232.

Dewachi Abdulilah. **Status of the Digital Arabic Content Industry in the Arab Region** [Report] ESCWA, 2012. - 12-0261 .

Cable.co.uk. **Worldwide mobile data pricing: The cost of 1GB of mobile data in 230 countries**. Cable.co.uk.. – 2019. – June 24, 2020. – https://www.cable.co.uk/broadband/speed/worldwide-speed-league/.

إقتصاد المعرفة في ظل جائحة كورونا: التّحوّلات في التّعليم العالي

إعداد: البروفسور حسّان م. خشفه / المدير الأكاديمي للجامعة اللبنانية الدولية، لبنان.

منذ بدء وباء كورونا المستجد، وحتّى قبل تحوّله إلى جائحة على مستوى العالم، فقد بدأت عدّة أسئلة تطرح على مستويات عدّة، وخاصّة في المجال الإقتصادي: كيف أثّرت الجائحة على إقتصاديات الدول بشكل عام، وعلى الإقتصاد المتّصل بالتّعليم العالي بشكل خاص؟ وكيف يمكن لهذا التّأثير أن يؤسس لنشوء تحوّلات في قطاع التّعليم العالي؟

مقدّمة

إنّ جائحة كورونا، والّتي وخلال أسابيع قليلة قد أوصلت العالم إلى أزمة صحيّة –إجتماعيّة– إقتصاديّة غير مسبوقة لازلنا في أتونها الآن– وسوف توسم زماننا إلى أمد بعيد– قد أثّرت بشكل قاسٍ على قطاع التّعليم العالي في كافّة بلدان العالم [1]. فمثلاً، تشير التنبؤات إلى تدنٍ بمعدل 15–25% في نسب التّسجيل، بحسب المكان الذي تجري به الحسابات، علماً أنّ الجامعات قد قضت ما يقارب السنتين للتعافي من مفاعيل وباء SARS [2].

لقد أظهرت جائحة كورونا الحاجة الماسّة لزيادة المنظورات المحليّة والعالميّة لتحليل الآثار المختلفة لهذه الجائحة على المديات القصيرة والمتوسطة والبعيدة [1]. لقد تطورت هذه الأزمة الصحيّة بشكل سريع لتصبح أزمة إقتصاديّة وثقافيّة وإجتماعيّة. وبالتّالي، فقد تمّ إتّخاذ إجراءات مباشرة لضبط وخفض مستوى إنتشار الوباء بشكل رئيس، ما أدّى إلى إغلاق بلدان بكاملها، وإعادة الحدود ما بين الدّول والشّعوب وكان على هذه الإجراءات أن تؤثّر على جملة من الأمور، ليس أقلّها تلك الّتي أثّرت على التّعليم العالي [1].

فبحسب اليونيسكو، والّتي بدورها تراقب مدى تأثير الجائحة على التّعليم، فقد قامت حوالي 170 دولة بتطبيق الإغلاق التّام، ما أثّر على أكثر من 90% من الطّلاب، أو أكثر من 1.52 مليار طالب. كما أنّ ما يقارب 60.2 مليون مدرّساً لم يعودوا يعملون في صفوفهم [3].

ولقد أثّرت هذه الإجراءات بشكل مباشر على التّعليم الجامعي، بحيث غيّرت، وبشكل دراماتيكي، الظّروف الّتي كان على التّعليم الجامعي أن يتكيّف معها في مسيرة البحث وإنتاج المعرفة وأيضاً ما يعرف الآن ب" التّعليم الإلكتروني الطّارئ": فالطّلاب بحاجة للمساعدة؛ والموظّفون يواجهون تحدّيات غير مسبوقة، بما في ذلك الأمان الوظيفي؛ قيادات الجامعات إضطرّت لإعادة إنتاج طرق جديدة في كيفيّة إدارة الحرم الجامعي [1].

وفيما يرى بعض الباحثين أنّ جائحة كورونا قد قدّمت للجامعات فرصة لا تحدث إلّا كل جيل بأن تضع الجامعات وراء ظهرها كل إستراتيجياتها غير المجدية [4]، يبدو أنّ معظم الجامعات بدأت ترى تأثير التّحول إلى التّعليم الإلكتروني أو تأثير الأزمة الإقتصادية على الطّلاب وعائلاتهم، بما في ذلك التّسكير القصري للجامعات لمدّيات قصيرة، متوسطة، وطويلة. إنّ المستقبل المالي القاسي الّتي ستواجه مؤسّسات التّعليم العالي، مع إحتمال أنّ بعضها قد ينهي أعماله، سوف يضعف قابليّة التّعليم العالي في تحمّل مسؤليّاته أمام المجتمع [1].

جائحة كورونا

في كانون الأول/ ديسمبر 2019، انتشر فيروس نزلة صدريةغير معروف المصدر في مدينة ووهان الصّينيّة. وفي 9 كانون الثّاني/ يناير 2020، أعلنت منظّمة الصّحة العالميّة (WHO) رسميّاً عن اكتشاف فيروس تاجي جديد، أسمته SARS-COV2. وهذا الفيروس هو العامل الممرض (Pathogen) المسؤول عن المرض التّنفسي المعدي المدعو COVID-19، أو كورونا [5].

وقد انتشر COVID-19 بسرعة حول العالم، وأعلنته منظمة الصّحة العالميّة جائحة عالميّة بتاريخ 11 آذار/ مارس 2020 [1].

وبحسب ال WHO، ففي 1 نيسان/ أفريل 2020 كان هناك 783,360 حالة مثبتة من COVID-19 في 205 بلداً حول العالم. بعد شهر واحد، في 7 أيّار/ مايو 2020، بلغ عدد الحالات المثبتة 3,634,172 حول العالم، والّتي تسببت ب 251,446 حالة وفاة. وفي نهاية حزيران/ يونيو 2020، بلغ عدد الحالات المثبتة عالميّاً أكثر من 10.5 ملايين حالة، وتجاوز عدد الوفيات 511 ألف وفاة [5].

بعد عدّة أشهر من تفشّي الفيروس، تمكّنت الصّين، بفضل الإجراءات الصّارمة الّتي اتّبعتها لجهة التّباعد الإجتماعي والحجر، تمكّنت من تقليص عدد حالات الإصابة جرّاء المخالطة المحلّية لصفر. وقد شجّع نجاح هذه الإجراءات الّتي اتّبعتها الصّين وأوصت بها ال WHO بقيّة الدّول لأخذها والعمل بها. ومع حلول الأوّل من نيسان/ أفريل 2020، فقد كان أكثر من 3.4 مليار إنسان، أي حوالي 43% من سكّان الأرض، تحت الحجر المنزلي في أكثر من 80 دولة أو سلطة حول العالم. وكان لهذا الحجر والتّباعد الإجتماعي التّأثير المباشر على التّعليم بشكل عام والتّعليم العالي بشكل خاص، وبالتّالي على ما يعرف ب " إقتصاد المعرفة" [1].

إقتصاد المعرفة

ظهر حديثاً نمط جديد للإنتاج في معظم إقتصادات العالم. التعبير الأبسط والأكثر دلالة هو إقتصاد المعرفة. ويمكننا أيضاً تسميته الإقتصاد التّجريبي، وذلك للإضاءة على أهم خصائصه العمليّة. يعتقد الباحثون أنّ هذا النّوع من الإقتصاد يعد بتغيير – لمصلحتنا – بعض أكثر العادات العامّة المتجذّرة في الحياة الإقتصاديّة، وبتحسين – بشكل دراماتيكي – الإنتاج والنّمو [6].

وعلى الرّغم من عدم وجود تعريف موحّد لإقتصاد المعرفة، إلّا أنّ قاموس أكسفورد الحيّ يعرّفه على أنّه " الإقتصاد الذي يعتمد فيه النّمو على كميّة ونوعيّة المعرفة المتاحة، والوصول إليها، بدل أساليب الإنتاج التّقليديّة" [7].

التّعليم العالي في ظل كورونا

لقد غيّرت جائحة كورونا المفهوم المتعارف عليه لعمل مؤسّسات التّعليم العالي. لم يكن التّغيير على مستوى طرائق التّعليم فقط، بحيث استبدل – بين ليلة وضحاها – الحضور في المجمعات الجامعيّة إلى التّعليم عن

بعد، ولكن أيضاً على مستوى التّحدّيات الماليّة التي تواجه المؤسّسات الجامعيّة في ظل الإنكماش الإقتصادي المحلّي والعالمي [8].

ويمكن القول أنّ التّدفّق النقدي يمثّل التّحدّي المباشر لمعظم المؤسسات الجامعيّة. فبينما تخسر الجامعات جرّاء الإقفال الإلزامي بعض مواردها (مواقف، مطاعم، قرطاسيّة وكتب، إلخ) فهي تواجه أيضاً بعض الأكلاف الغير متوقّعة، كالتّعويض الجزئي للأقساط أو بدل السّكن، بالإضافة إلى تحسين البنى التّحتيّة للتّعليم الإلكتروني. ولكي تضمن الإستمراريّة على المدى القصير والمتوسّط، فقد تحتاج بعض المؤسّسات للقيام بترتيب سريع لأولوياتها [8].

وما يزيد طين مشكلة التّدفّق النّقدي بلّة هو عدم التّأكّد من مصير العام الدراسي القادم. ففي حال عدم عودة الطّلاب إلى مجمّعاتهم مع بداية العام الدّراسي، فستواجه الجامعات نسب تسرّب غير مسبوقة وغير متوقّعة من الطّلاب الّذين لم يستسيغوا التّعليم عن بعد أو أولئك الّذين لا يستطيعون تحمّل أعباء الجامعة الماليّة في ظلّ الأوضاع الإقتصاديّة الخانقة. كما يمكن لآخرين أن يختاروا البقاء قريباً من ذويهم في هذه الأوقات الصّعبة والغير أكيدة. وسوف نجد حتّى الجامعات الأكثر غنىً من حيث الموارد أنّها لن تستطيع التّنبّؤ بأعداد الطّلاب في العام القادم [8].

تفصيليّاً، فقد أظهرت دراسات البنك الدّولي أنّ النشاط الجامعيّ قد تأثّر جرّاء الجائحة بطريقة مباشرة. وقد بيّنت الإحصاءات أنّ 96% من الجامعات حول العالم قد ألغت كلّ النشاطات في المجمّعات الجامعيّة ؛ 91% من الجامعات قد أقفلت المجمّعات بشكل كامل؛ حتّى مع وجود أسفار ضروريّة متعلّقة بعمل الجامعات خارج مدنها، فقد ألغت 88% من الجامعات أسفار أساتذتها وموظّفيها؛ وألغت 82% أسفار الطّلاب (Exchange)[9] .

لقد أثّرت الجائحة على أكثر من 1.5 مليار طالب، من بينهم 200 مليون طالب جامعي، حول العالم، ما اضطرهم إلى متابعة الدروس عبر الإنترنت مخافة العدوى. إلّا أنّ هذا الخيار لم يكن سهلاً أبداً، خاصّة في الدّول الأفريقيّة مثلاً، حيث أنّ 24% فقط من المجتمعات الأفريقيّة تستطيع الولوج إلى شبكة الإنترنت، علماً أنّ طريقة الإتصال ضعيفة أيضاً [10].

الجائحة وإقتصاد المعرفة

لا تزال الجائحة تؤثّر سلباً وبشكل مضطرد على إقتصادات العالم، لاسيما المعرفيّة منها. فعلى سبيل المثال، لقد كان معدل النمو في أفريقيا 3.4% خلال 2019، وكان متوقّعاً أن يصل إلى 3.9% في 2020. ومع ما معدّله 5% من ال GDP فحص للموارد التّعليميّة (من أعلى المعدّلات في العالم) ، فقد كان متوقّعا أن تشهد أفريقيا احياءً عظيماً لقطاع التّعليم العالي قبل بدء أزمة كورونا. إلّا أنّ التّنبؤات الإقتصادية بعد الجائحة بيّنت أنّ الإقتصاد الأفريقي سيشهد خسارة بين 90 و 200 مليار دولار اميركي في 2020، مع ضمور وإنكماش في GDP بمعدّل 8 نقاط [10] .

في هذا الإطار، قام التّجمع الدّولي للجامعات (IAU)، وهو منظّمة غير حكوميّة منبثقة عن اليونيسكو، قام بدراسة تأثير جائحة كورونا على التّعليم العالي حول العالم، عن طريق إجراء دراسة إحصائيّة تمّت بين 3/25 و 2020/4/17. وقد بيّنت الدراسة أنّ حوالي 60% من الجامعات المنضوية في التّجمّع والمشاركة في البحث قد أقفلت تماماً جرّاء الجائحة. وترتفع هذه النسبة إلى حوالي 80% في القارّة الأفريقيّة (وتقترب من دراسة البنك الدولي) ربّما للأسباب التي ذكرت سابقاً. بالإضافة إلى ذلك، وفيما يختص بالتّدفّق النّقدي، فإنّ 80% من الذين خضعوا للدّراسة اعتقدوا أنّ الجائحة ستؤثّر سلباً على مستوى التّسجيل في العام المقبل. كما أنّ بعض هذه الجامعات أبدت خشيتها من أنّ التّأثير المالي سيكون سلبيّاً جدّاً[1] .

أيضاً في المجال المالي، فقد أظهرت الدّراسة أنّ 48% فقط من الجامعات ستتلقّى دعماً من حكومات بلدانها للتقليل من التّأثيرات السلبيّة للجائحة [1] . هذا يعني انّ أكثر من نصف الجامعات ستتأثّر بشكل سلبي جدّاً من حيث ماليتها العامّة، وبالتّالي قدرتها على تغطية المصاريف التشغيليّة خاصّة في مجال البحث العلمي وانتاج المعرفة أو تقديمها، ما سيؤثّر على اقتصاد المعرفة في هذه البلدان. وهذا ما أيّدته الدراسة من ناحية تأثير الجائحة على البحث العلمي، بحيث أنّ 80% من الجامعات أعلنت أنّ نشاطاتها البحثيّة قد تأثّرت بشكل مباشر [1].

قد يكون التّأثير على البحث العلمي بكافّة أبعاده هو الأشد خطورة على اقتصاد المعرفة. فهذا الاقتصاد– كما تمّ تعريفه سابقاً– يقوم على " كميّة" و "نوعيّة" المعرفة– وهذا ما تمّ إيقافه عندما أقفلت المختبرات– والوصول إلى هذه المعرفة– وهو ما تمّ إيقافه أيضاً عندما توقّف التّدريس وإقامة المؤتمرات وإنتاج الدّوريات المعنيّة

بنشر الأبحاث العلميّة. وعليه فإنّ النّاتج العلمي العام الذي كان سيصب في مصلحة الزراعة والصّناعة، مثلاً، قد تأثّر بشكل مباشر وبديهي.

من ناحية أخرى، فإنّ الإضطرار إلى الإستثمار في بنىً تحتيّة كانت المؤسّسات الجامعيّة بغنىً عنها قد كلّف الموازنات أعباءً إضافيّة. قد يبدو اللّجوء إلى التّعليم الإلكتروني عاملاً مساعداً في عمليّة ترشيد المصارف، إلّا أنّ الإستثمار الأولي في البنى التّحتيّة وفي البرمجيّات والمنصّات ذات الصّلة، وكلفة إستخدام شبكة الإنترنت عن طريق الأجهزة المحمولة الذّكيّة (لعدم توفّر الشبكة الثّابتة في كافّة الأمكنة أو لضعفها) قد تكون من الأسباب المباشرة لتردّي الأوضاع الإقتصاديّة للمؤسّسة اذا لم تقم بترتيب أولوياتها.

هناك إشكالية أخرى قد تؤثر على مجريات التعليم العالي لسنوات قادمة، وهو موضوع العالمية (Internationalization). وقد كانت العالمية الشغل الشاغل للجامعات في العقد الماضي، حتى أن إحصاءات البنك الدولي كانت قد بيّنت أن توجه الجامعات نحو العالمية هو من الأهداف الإستراتيجية لمعظم – إن لم نقل لكل – الجامعات [9]. وقد تأثر هذا التوجه بعدة عوامل مرتبطة بالجائحة، أهمها وقف السفر – وبالتالي عمليات التبادل (Exchange) سواء للطلاب أو الأساتذة – أو إقامة علاقات التشارك (Partnership) والتوأمة (Twinning)، أو قبول الطلاب الأجانب. هذا الأخير لن يؤثر فقط على مداخيل الجامعات والتي هي بأمس الحاجة لها، بل أيضًا على مجتمعات الجامعات والتي ستتقزم لتعكس فقط صورة مجتمعاتها المحلية.

لا شكّ أنّ الجائحة قد علّمتنا الكثير، إن عن إدارة الأزمات أو التخطيط المستقبلي– القصير المدى و الإستراتيجي– أو عن وجوب التّفكير خارج الصّندوق. لا بد من البحث بشكل جدّي عن أساليب وطرقٍ رديفةٍ كي لا يترك الطّلاب في أتون الأزمة، خاصة اولئك الذين لا يملكون– او لديهم محدوديّة في الوصول إلى– الإتصالات الإلكترونيّة. يجب الإلتفات إلى بعض الحقائق المؤلمة، كوجود الفارق الشاسع في المعلوماتيّة الرّقميّة بين بعض الدّول والشّعوب، وتجب إدارة هذه الحقائق بشكل إستراتيجي وممنهج. فبقدر ما ان إستمراريّة المؤسّسة هي من أولى الأولويات، فإنّ الوصول إلى ملايين الطّلاب المهمّشين يجب أن يكون أولويّة وطنيّة في هذا الوقت المتأزّم.

المراجع

[1] Giorgio Marinoni, Hilligje van't Land, Trine Jensen. THE IMPACT OF COVID-19 ON HIGHER EDUCATION AROUND THE WORLD, IAU Global Survey Report. Published by the International Association of Universities, May 2020

[2] Marguerite Dennis. Higher education opportunities after COVID-19. University World News, 09 May 2020. [https://www.universityworldnews.com/post.php?story=20200507152524762] Last accessed on 29/6/2020

[3] IESALC Report: CORONAVIRUS COVID-19 AND HIGHER EDUCATION: IMPACT AND RECOMMENDATIONS. International Institute for Higher Education in Latin America and the Caribbean (IESALC), 9 Mars 2020. [http://www.iesalc.unesco.org/en/2020/03/09/coronavirus-covid-19-and-higher-education-impact-and-recommendations/] Last accessed on 29/6/2020

[4] Timothy Devinney and Grahame Dowling. Is this the crisis higher education needs to have? Times Higher Education, May 14, 2020. [https://www.timeshighereducation.com/features/crisis-higher-education-needs-have#] Last accessed on 29/6/2020

[5] Coronavirus disease (COVID-2019) situation reports. WHO [https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/situation-reports] Last accessed on 30/6/2020

[6] Roberto Mangabeira Unger. THE KNOWLEDGE ECONOMY. Verso, London, 2019.

[7] A. Oosterlinck and K.U.Leuven. Knowledge Management in Post-Secondary Education: Universities. OECD Reports.[www.oecd.org/innovation/research/2074921.pdf] Last accessed on 29/6/2020

[8] Scott Friedman, Timothy Hurley, and Tiffany Fishman. COVID-19's impact on higher education: Strategies for tackling the financial challenges facing colleges and universities. Deloitte Center forHigher Education Excellence. April 2020. [https://www2.deloitte.com/us/en/pages/public-sector/articles/covid-19-impact-on-higher-education.html] Last accessed on 29/6/2020

[9] The World Bank Data. WB [https://data.worldbank.org/topic/education] Last accessed on 30/6/2020

[10] Wondwosen Tamrat and Damtew Teferra. COVID-19 poses a serious threat to higher education. University World News, 09 April 2020

بريشة الفنان المرحوم على بدرالدين

التكنولوجيا المتطورة بين رفاهية الانسان وقهره

إعداد : أ. د. معضاد رحال

مقدمة

من غير المفيد في هذه العجالة الدخول في اصل مفهوم التكنولوجيا والابتكار وعلاقتهما بالتقدم الاقتصادي والمصطلحات المتفرعة منهما وما يعتريهما من تأويلات والتباسات أكان ذلك على المستوى الاصطلاحي أم على المستوى الاجرائي.

فلا شك في أن التكنولوجيا المتطورة تساهم في تحقيق التنمية ، وخصوصا عندما تستعمل كوسيلة لتنمية قدرات الانسان، وتمكّنه من السيطرة على قوانين الطبيعة و تحقيق الوفرة الإنتاجية، والتعجيل بالتقدم الصناعي وتحقيق الرفاه الاجتماعي. إضافة الى أنها تلعب دورا مهما في نشر الافكار والقيم الجديدة داخل المجتمع من خلال وسائل الاتصال المتوافرة . كما ان هناك تيارات فكرية ساهمت في تعزيز هذا التصور ، باعتبار ان التكنولوجيا هي بمثابة مكسب انساني وليست حكرا على مجتمع دون اخر. وبالتالي بات من الضرورة القبول ببعض الجوانب التي تتماشى والواقع الخصوصي للمجتمع المحلي، وتطوير بعض الممارسات بحيث لا تتناقض مع الجديد. ويعتبر روستو ، عند ذكره للمراحل الخمس لتطور المجتمع، أن التكنولوجيا هي القوة الدافعة نحو التنمية وهي العامل الرئيسي للنمو الاقتصادي، واعتبرها النقطة الجوهرية في تغيير العديد من المجتمعات العالمية الى الاحسن مثل بريطانيا و الولايات المتحدة الامريكية. فصحيح ان للتكنولوجيا الدور الفاعل في تحقيق التنمية ، أن روستو يدعو الى تخدير الشعوب الفقيرة والمتخلفة على اساس ان تحقيق التنمية سوف تأتي ولو كانت متأخرة، وبهذا ينطلق روستو في نظريته من مفهوم السيطرة الرأسمالية للغرب. وإذا كانت اليابان مرت بهذه المراحل الخمس بنجاح وذلك لأنها شكّلت أنموذجا للتوفيق بين قيم المجتمع والتكنولوجيا الغربية التي اعتمدت عليها في نهضتها التنموية، ونجحت اليابان في استيعاب الابتكارات واستيراد التكنولوجيا من الغرب وتوطينها في اليابان. فقد أعلن الامبراطور مائيجي "أننا مضطرون للتعامل مع الغرب الذي أذلنا انما بعقل ياباني" وهكذا استطاعت اليابان ان تستوعب كل معطيات النموذج

الغربي المادية مع الاحتفاظ بمقومات الشخصية اليابانية و حافظت على قيم المجتمع الياباني بكل خصوصياته. و لقد تطورت التكنولوجيا بشكل مذهل و سريع جدا و خصوصا في العقود الاخيرة واصبحت تتميز بخصائص وسمات لم تستطع تحقيقها طوال الفترات السابقة وخاصة بعد ان لاقت اقبالا من طرف ابناء المجتمع في استقطابها والاعتماد عليها لتحقيق حاجياتهم و مطالبهم و خصوصا بعد تحقيقها لمشاريع تنموية ضخمة. و بهذا اصبحت العلاقة بين الفرد والتكنولوجية علاقة وطيدة ومتبادلة.

أولا: التكنولوجيا وثقافة المجتمع

تشكّل التكنولوجيا المتطورة بعدا رئيسا في تحسين طرق الانتاج وتطويرها ، كما تساهم في تعديل العوامل المادية والإنسانية انسجاما مع نوعية السلع والخدمات التي تنتجها. ولما كانت غالبية التكنولوجيات الحديثة يصعب على الناس العاديين استيعابها وحتى تقبلها فتصبح حالة الشرخ قائمة ما يؤدي الى تحول هذه التكنولوجيا الى عامل سلبي في المجتمع. لذلك فإن تكيف ثقافة المجتمع مع التكنولوجيا تعتبر شرطا ضروريا لتحقيق غاياتها ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي فإن اي ابتكار يحدد خصوصية المجتمع ضمن محيطه الاجتماعي، وهكذا نجد تاريخيا ان بعض البيئات كانت أكثر ملاءمة من غيرها للابتكار. فالحضارة الصينية كانت أقل قبولا للابتكارات من الحضارة الغربية في العصور الوسطى، وكذلك كانت بريطانيا أكثر قبولا للابتكارات من فرنسا او اي بلد اوروبي في القرن الثامن عشر. وهذا يعني ان تطور الثقافة الاجتماعية نتيجة لظروف سياسية واقتصادية تعزز استعداد المجتمع للخروج على التقليد وطرح افكار جديدة تؤدي الى ابتكارات تحدث انقلابا على المستويين الاقتصادي والاجتماعي ليس داخل المجتمع المنتج لهذه الابتكارات بل على الى المستوى العالمي.

فالتطور التكنولوجي في قطاعي النقل والاتصالات غيّرا وجه العالم وكانا السبب الرئيس في تحقيق العولمة ، ولم يكن ممكناً تطوير حجم وقيمة التجارة الدولية لولا التطور في عالم النقل. ويشير مارك ليفنسون في كتابه " الصندوق، كيف جعلت حاويات الشحن البحري العالم اصغر واقتصاده أكبر" الى أن صناعة الحاويات احدثت تطورا سريعا في اقتصاديات الدول وفي التجارة العالمية من خلال بناء مرافىء جديدة استفادت منها الأسر العادية وأدت ايضا الى خفض تكاليف النقل، بحيث كان اجرة النقل في الولايات المتحدة الأمريكية في ستينيات القرن الماضي اي قبل دخول الحاويات الى العمل تساوي 12% من قيمة الصادرات وفي بعض

الحلات تصل الى 25% من قيمة المنتج، بينما انخفضت مع استخدام الحاويات الى 7% تقريبا [173] . كما أن تطور تكنولوجيا الاتصالات من خلال وسائل التواصل الحديثة (خليوي، انترنت وما يتفرع منهما) شكّلت أنموذجا جديدا لاقتصاد المعرفة وسمحت للشركات الصغيرة والفقراء بالدخول الى الاقتصاد العالمي. إلا أن هذا التطور لم يحد من اتساع رقعة الفقر، بل على العكس ساهم في رفع معدلاته بحيث يوجد أكثر من 2.5 مليار شخص يعيشون بأقل من دولار يوميا. فمع التطور التكنولوجي ازدادات معدلات الفقر وارتفعت معدلات البطالة واتسعت الفجوة بين فئات المجتمع وخصوصا في الدول النامية. فلماذا لم يحدث التطور التكنولوجي المفاعيل الاقتصادية والاجتماعية نفسها في مختلف المجتمعات؟ فإذا كانت بعض الدول استفادت اقتصاديا من تطور قطاع الاتصالات واستطاعت أن تحدث قفزات نوعية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية كدول نمور آسيا التي استفادت من التكنولوجيا المستوردة من اوروبا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية والصين ،فكوريا الجنوبية مثلا كانت في سبعينيات القرن الماضي دلة فقيرة أما حاليا فهي أغنى من بعض الدول الأوروبية كاسبانبا ونيوزلاندة وغيرهما، إلا أن دولا أخرى لم تستفد من هذه التجربة فمنها لا زالت تستورد التكنولوجيا ولم تستطع توطينها، في الوقت الذي تتمتع بوفرة مالية عالية وتتربع على جبال من الذهب وتنفقه في مجالات لا تصب إطلاقا في مسار التنمية الحقيقية والشاملة، كما أن دولا أخرى لا زالت تعاني من حالة التخلف ومن رخاوة اقتصادها الوطني وترزح تحت الديون ما ينعكس سلبا على مستويات المعيشة للسكان.

واذا كانت التكنولوجيا هي ناتج التطور الكمي والنوعي عبر العصور، ولذلك فهي تمثل ظاهرة اجتماعية واقتصادية ومفهوم حضاري متكامل يكون الإنسان محوره وموقع الأساس فيه. وفاقا لهذا المنظور فإن مفاعيلها ونتائجها لم تكن على مستوى متواز من العدالة الاجتماعية بل أحدثت فرزا اقتصاديا واجتماعيا بين السكان (فقراء وأغنياء). ويشير تقرير التنمية البشرية لعام 1997 الى أنه لو جرى تقسيم الولايات المتحدة الأمريكية، التي تعتبر من أولى الديمقراطيات في العالم ، الى دولتين بين السود والبيض فيتبين ان دولة البييض تاتي في المرتبة الأولى من حيث الحصول على الخدمات في التعليم والصحة ومستوى المعيشة بينما دولة السود تأتي في المرتبة 32. والأخطر من ذلك ان بعض التكنولوجيا والابتكارات ذات الصلة تشكّل خطرا بل تدميرا لبعض الدول والمجتمعات من خلال الحروب والاعتداءات المستمرة من قبل الدول القوية

[173]- مارك ليفنسون، كيف جعلت حاويات الشحن البحري العالم اصغر واقتصاده أكبر، ترجمة أسامة اسبر، ص. 26

على الضعيفة، احتلال العراق، احداث اليمن وسوريا، وليبيا والاعتداءات الاسرائيلية على لبنان والتهديد المستمر بتدميره. هذا الواقع تجعل المجتمعات التي تبتغي السلام والأمان في حالة عداء ونفور من التكنولوجيا الحديثة والمتطورة، والتساؤلات التي تطرح حاليا حول عجز التكنولوجيا والاختراعات من ايجاد علاج لوباء الكورونا الذي يجتاح العالم باسره تصبح مشروعة ويثير هذا العجز مخاوف كبيرة لتداعيات الوباء على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية. في الوقت الذي استطاعت التكنولوجيا من الكتشاف مكونات الكواكب واختراع أحدث الأسلحة التدميرية عبلر القارات. ما يعني أن الأهداف الساسية للتكنولوجيا هي للسيطرة على العالم . لكننا في المقابل، نتساءل كيف كان بالامكان التصرف تجاه مرضى الكورونا في ظل غياب تكنولوجيا التواصل الاجتماعي المتطورة والمعروفة، والتي شكلت جسرا مهما للتواصل بين المريض ومحيطه الاجتماعي، لعدم القدرة على مواجهته مباشرة. لا شك في أن للتكنولوجيات حسنات وسيئات، والمهم كيف يمكن ان يستفاد من ايجابياتها والتقليل من سلبياتها ومخاطرها.

ثانيا: الشروط الاجتماعية للتطور التكنولوجي: تطرح في هذا السياق تساؤلا عديدة حول إمكانية المحافظة على النمو الاقتصادي المعتمد على التكنولوجيا منذ قرنين من الزمان. ولتحقيق استمرارية التطور التكنولوجي لا بد من توافر مجموعة من الشروط أهمها:

أ- توافر راس المال الملائم ، والذي يعتبر أحد عوامل الانتاج الأساسية

ب-تأمين الموارد الكافية من المواد الخام

ت-توافر العنصر البشري المنتج للأفكار والابداعات الجديدة

ث-توافر الحد الأدنى من مهارات القوى العاملة

ج- تهئية المجتمع لقبول التجربة الجديدة ، وهذا الشرط يعتبر مهما جدا حيث يتعلق بمجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية تدعمها مجموعة من القيم والتقاليد ، فالثقافة الاجتماعية تعزز استعداد المجتمع للخروج عن التقليد وطرح افكار جديدة.

ح- توافر البيئة: الصالحة: إن البيئة النظيفة لا تكمن في التقليل من النفايات عن طريق التحكم بالانبعاثات النهائية فحسب ، بل في تحقيق التنمية المستدامة، فمفهوم التنمية يتوزع على اربعة ابعاد

أساسية: اقتصادية ، اجتماعية ، بيئية وتكنولوجية، بحيث يتفرع من كل منها مجموعة من المؤشرات التي تتقاطع وتتفاعل مع بعضها البعض.

فعلى المستوى الاقتصادي: يقتضي التمييز بين الدول المتقدمة والدول النامية ففي الأولى يجري خفض في استهلاك الطاقة و الموارد أما بالنسبة للثانية فهي تعني توظيف الموارد من اجل رفع مستوى المعيشة والحد من الفقر.

وعلى المستوى الاجتماعي ، فتعني التنمية المستدامة السعي من أجل استقرار النمو السكاني ورفع مستوى الخدمات الصحية و التعليمية خاصة في الريف.

أما على المستوى البيئي: فتطرح اشكالية تتعلق بالعلاقة بين البيئة والتنمية ، أي لمن الأفضلية للبيئة أم للتنمية وكلاهما لخدمة الانسان؟ ،فإذا كانت الأفضلية للبيئة فهذا يعني حماية الموارد الطبيعية والاستخدام الأمثل للأرض الزراعية و الموارد الجوفية حتى تستفيد ألأجيال اللاحقة من عائداتها، واذا كانت الأفضلية للتنمية فيعني ذلك مزيدا من استغلال الموارد الطبيعية ،وتبقى المسألة رهنا في كيفية التوفيق بين الجانبين (البيئة والتنمية). إذ يبدو في ظل الانفتاح والهيمنة على الأسواق لم يعد هناك أية موانع او روادع أخلاقية في اقتصاد السوق.

وعلى المستوى التكنولوجي فيتمثل بنقل المجتمع إلى عصر الصناعات و التقنيات النظيفة التي تستخدم أقل قدر ممكن من الموارد و تنتج الحد الأدنى من الغازات الملوثة و الضارة بالأوزون.

ثالثا:الأثار الايجابية والسلبية للتكنولوجيا: صاحب استخدام التّكنولوجيا تأثيرات كثيرة في المجتمع، وهذه التأثيرت تتوزع بين إيجابية وسلبية؛ حيث يرجع أثرها لكيفية استخدامها من قبل الأفراد والمؤسسات والسلطات المعنية.

1-الأثار الإيجابية : من الطبيعي ان يكون للتكنولوجيا نتائج ايجابية على مختلف الدول وفي الميادين كافة ولو بنسب متفاوتة. فقد أعطت الدول المتقدمة حوافز وقوة اقتصادية دفعتها الى مزيد من الهيمنة والسيطرة على الدول الضعيفة والرخوة، كما أنها ساهمت في رفع مستويات المعيشة للسكان ورفعت معدلات الأعمار، ورفعت نصيب الفرد من الدخل القومي. أما الدول النامبة استفادت من نقل العدوى اليها من خلال عمليات الانفتاح سواء بتحسين أجهزتها التعليمية وتحديثها وادخال المكننة على نشاطها، أو الانتقال من الاقتصاد

التقليدي الى اقتصاد حديث يقوم على المعرفة التكنولوجية الحديثة. ويمكننا اختصار الجوانب الايجابية للتكنولوجيا على الشكل الآتي:

أ- تسهيل الحياة اليومية للأفراد : ارتبطت حياة الناس بشكل مباشر بالتكنولوجيا المتطورة سواء كان استخدامها في مجال العمل أم في مجال التسلية واللهو، فاختصرت المسافات بين الناس وارتفعت وتيرة التواصل والمحادثات والتعرف عن بعد على الرغم من المساوىء التي تحملها هذه الظاهرة التي تفشت بشكل لافت بين الأفراد، حيث توزعت نتائجها بشكل متفاوت بين مستخدميها فمنهم من استغلها لمآرب شخصية وابتزاز الآخرين، ومنهم من ارسى من خلالها علاقات من الود والتآلف وحتى الزواج، ومنهم من جعلها اداة لادارة عمله عن بعد .

ب- اختصار المسافات بين الشعوب: ساعدت التكنولوجيا على جعل العالم قرية كونية ، حيث لم يعد هناك أهمية للزمان والمكان .

ج- تطوير ثقافة الأفراد وتطوير قدراتهم ، عبر وسائل التعلم وإبقائهم متابعين لأحداث العالم جميعها دون أيّ أعذار تحول بينهم وبين المجتمعات الأخرى.

د- تطوير النظم الاقتصادية والتعليمية والمهنية العليا: ما يؤثر إيجاباً في بنية المجتمع بشكل عام.

2-**الأثار السلبية للتكنولوجيا** :

أ-لقد فضح وباء كورونا المستجد تقصير التقدم العلمي والتكنولوجي على المستوى العالمي وعجزهما عن إيجاد العلاج المناسب لهذا الوباء، إذ يبدو ان الاهتمام كان منصبا على التنافس التكنولوجي في مجال السيطرة على اقتصاد السوق وعلى غزو الفضاء ، ولم تعط الأهمية اللازمة لصحة الانسان، خصوصا أن الانبعثات الحرارية وتلوث البيئة جراء التقدم الصناعي الكبير ينذر بعواقب خطيرة على حياة الناس. فقد أخفت إيديولوجيا التقدّم العلمي والتكنولوجي المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات والطبيعة جراء ذلك التقدّم، فتكاثرت المشكلات البيئية والصحيّة نتيجة الابتكارات التكنولوجية، حيث برزت في سبعينيات القرن الماضي حركات مدنيّة وهيئات اجتماعية وأحزاب سياسية، في المجتمعات الصناعيّة المتقدِّمة، مناهضة للتلوّث البيئي

على اختلاف أنواعه، وتطالب بمشاركة المجتمع المدنيّ، في إدارة البحوث العلمية والتكنولوجية والرقابة على تطبيقاتها

ب- غزا الإنترنت الحياة الاجتماعية للأسرة والجماعات المختلفة من خلال الاتصالات الافتراضية التي أدخلها في المجتمع. فكثرت اتصالات الناس بعضهم ببعض عبر الميل والفيسبوك وتويتر... ولكنّها لم تتحسن ولم تصبح أفضل. بحيث أنها عزلت الناس عن بعضهم البعض وشجعت الفردية والعزلة، إضافة الى حالة الرقابة التي فرضتها على الناس وحولتهم الى مساجين ضمن دوائرها، ورفعت نسب التجسس على الأفراد والجماعات وحتى على الدول.

ج- هوس الأولاد في استخدام الانترنت والهواتف الخليوية: لقد شكّلت هذه الظاهرة قلقا كبيرا لدى الأهل وعدم قدرتهم على مراقبة أولادهم وانعزالهم عنهم. (وإننا هنا لسنا في وارد التضييق على الولد ووضعه تحت المجهر باستمرار)، إلا أن الأولاد في عمر المراهقة ينجذبون الى سلوكيات ربما تؤثر في حياتهم وتدفعهم نحو الانحراف ، لذلك فإن مشاركة الأهل لأولادهم وتوجيههم يبقى ضروريا ومهما. حيث ان انتشار التكنولوجيا أدى إلى عرض مواد على شكل العاب ألكترونية او مسلسلات موجهة للأفراد كبارا وصغارا، ويتأثر الصغار بشكل كبير بهذه الألعاب والمسلسلات الكرتونية التي تعرض العنف بأسلوب مباشر أو غير مباشر، ما يؤثر في سلوكهم. وأن الادعاء بأن الأولاد لا يكونوا معزولين خلال استخدامهم لأجهزة التواصل الاجتماعي بل مندمجين مع غيرهم عن بعد فربما يكون فيه شيء من الصحة إلا أن العزلة الأساسية تكون عن الأسرة ومحيطها وعدم الاحتكاك بين افرادها بشكل مباشر. حيث انخفض التّواصل الفعلي بين الأفراد؛ وحلّت المكالمات الهاتفية عن بُعد والرسائل النّصية مكان التّاصل الفعلي عن قرب، مما أدّى إلى تغيير جذري في مفهوم التّرابط والتّماسك العائلي القائم على العون والمساعدة، وأشار (ألفن توفلر) في كتابه الموجة الثالثة الى هذه الناحية بقوله: "لقد جلبت لنا الحضارة نمطاً عائلياً جديداً، وغيّرت طرق العمل، والحب والمعيشة، وظهر اقتصاد جديد نتج عنه مشاكل سياسية جديدة، وفي خلفية كل ذلك تبدّل وعي الإنسان.

وانتشرت مجموعة واسعة من انماط الحياة والثقافات الفرعية واستبدلت طبقة الأيدي العاملة او البروليتاريا بطبقة العقول العاملة" وهذا المصطلح كان قد استخدمه دراكر من قبل إشارة الى عمال المعرفة .

د–الافتقار الى بيئة حاضنة للتكنولوجيا المتطورة : تنطبق هذه الحالة اجمالا على معظم الدول العربية والتي تتمثل بالدرجة الأولى بتحقيق السيادة الوطنية التي تتيح لها رسم استراتيجية اقتصادية شاملة وغير تابعة، فالسيادة الوطنية لا تعني فقط السيطرة على الحدود الحدود ، بل تتعداها إلى الاستقلالية بالقرارات دون أية إملاءات خارجية. فعلى الرغم من الغنى الذي تمتلكه بعض الدول العربية فإنها لم تستطع أن تحقق انجازا تكنولوجيا واحدا على المستوى الدولي في الوقت الذي تسجل براءات اختراع عديدة لمخترعين عرب في الخارج. وبالتالي لم تستطع هذه الدول من توطين التكنولوجيا لديها ما يجعلها في حالة من التبعية والارتهان للخارج، وهذا ما ينتج عنه تبعية سياسية إلا أن تصبح الدولة غير قادرة على التحكم بمواردها وبقرارتها. فالبحوث العلمية في غالبية الدول العربية لم تندمج مع القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية المحلية وبالتالي فشلت في إحداث تغيرات جوهرية على المستوى الكلي فا"العلاقة بين البحوث العلميّة والمجتمع ليست قوية في العالم العربي، والمعرفة المنتجة غير مرئية، ولا يستفيد منها العامّة. فعلى سبيل المثال، هناك الكثير من الدراسات العلميّة في شأن أزمة النفايات في لبنان، غير أنّ صنّاع القرار والمجتمع لا يستفيدون من نتائج هذه البحوث أو يستثمرونها في خدمة المجتمع".[174]

هـ– الانقسام الطبقي في المجتمع: إن التطور التكنولوجي في مختلف المجالات أدى الى انقسام طبقي (أغنياء وفقراء) وارتفعت معدلات الفقر والبطالة خصوصا في الدول النامية التي تعتمد بشكل كبير على المشروعات الصغيرة التي زالت بفعل سيطرة الشركات الكبرى، وإذا كانت الدول المتقدمة استطاعت من حل هذه المشكلة بتحويل المؤسسات الصغيرة الى روافد لانتاج السلع الوسيطة للصناعات الكبرى التي تديرها الشركات المتعددة الجنسيات، فإن الدول الضعيفة لم يتسن لها القدرة على هذا التحول وبالتالي تحول العاملون في المشروعات الصغيرة الى سوق البطالة. ويتحدث جيرمي ريفكن في كتابه نهاية العمل عن "أتمتة (Automation) معظم المهن والحرف الأمر الذي سيؤدي الى علاقة تنافرية بين الأجر والعمل وذلك تحت تأثير التطور التكنولوجي وخصوصا الرقمي في اقتصاد المعرفة. حيث يقول إن" التطوّر الهائل

[174] ملاك مكي، أثر البحث العلميّ يخرج من الجامعة ويقترب منّا، جريدة **النهار**، 2018/10/18.

في القدرات الحاسوبية وانتشارها في مجالات متعدّدة، بما في ذلك التكنولوجيات الحديثة البازغة كلّها، سيؤدّي حتمًا إلى مزيد من الانقسام بين الغنيّ والفقير، وعلى المستويات كلّها"[175].

و- إحلال الكتب والمجلات الرقمية مكان الوسائل التقليدية الأخرى كالصحف المكتوبة والكتب والمخطوطات وغيرها الأمر الذي اثر في أساليب التعبير والكتابة، فلم تعد لقواعد اللغة معايير ذات شأن أو أهمية

ز- زيادة متطلّبات الحياة التي يجب على الفرد توفيرها واقتنائها؛ ما يكلّف ارباب الأسر نفقات إضافية لا يستطيعون تحملها، أو ربما كانت تنفق في مجالات اخرى تستفيد ا الأسرة مستقبلا، وإذا لم يكن في السابق ضرورة لاقتناء الأسرة لجهاز التلفاز، لكن حاليا أصبح من الضروري اقتناء عدة أجهزة في المنزل نفسه وعدة أجهزة خليوية وانترنت وغيرها بقطع النظر عن الامكانيات المادية للأسرة.

ح -زيادة الطلب على مصادر الطاقة الكهربائية؛ حيث تعمل معظم أدوات التكنولوجيا بالطاقة الكهربائية، ما يؤدي الى مزيد من استهلاك الطاقة، وإدخال المجتمعات في أنماط حديثة من الاستهلاك.

ط-تعطيل قدرات العقل: كلما زاد اعتماد الإنسان على أدوات التّكنولوجيا كالحاسوب، انخفض استخدامه لعقله وذاكرته، الأمر الذي سيؤدي الى شل قدراته على التفكير وتعطيل قدرات العقل في مراحل متقدمة. فإحلال الآلة الحاسبة مكان الحساب العقلي تؤخر تنمية القدرات العقلية وتحد من القدرات الابداعية في تحليل المعطيات الاحصائية.

موقع لبنان من التكنولوجيا المتطورة: يعتبر لبنان من الدول التي لحقت بركب التقدّم القائم على اقتصاد المعرفة من خلال استيراده للتكنولوجيا المتطورة التي تسهم في هذه التحولات، ولو أنه لم يستطع التوصُّل إلى حالة من الإنتاج القائم على المعرفة نظرًا إلى رخاوة نظامه الاقتصاديّ من ناحية وإلى عدم وجود سياسة اقتصاديّة واضحة ومستمرّة وهادفة من ناحية أخرى. هذا في الوقت الذي يبرع كثيرٌ من كفاءاته في تسجيل

[175]Jeremy RIFKIN, The End of Work: The Decline of the Global Labor Force and the Dawn of the Post-Market Era, published by Putnam Publishing Group, 1995.

براءات اختراع في الخارج. وإذا كان القطاع الخاصّ في لبنان قد قطع أشواطًا كبيرة في اعتماد إنتاجه على التكنولوجيا المبنيّة على المعرفة من خلال استيراده لمختلف أنواع التقانة التي تتيح له تطوير إنتاجيّته كما ونوعا، فإن القطاع العام لا زال مترهلًا ويعتمد في تحوّله نحو اقتصاد المعرفة على المساعدات والدّعم الماليّ والتقنيّ من البنك الدوليّ والمنظّمات غير الحكوميّة . وبالتالي فإن استخدام لبنان للتكنولوجيا المتطورة كانت من باب التلقي وليس من باب اعتماد استراتيجية اقتصادية هادفة لتحسين انتاجه وتطويره ، ولو أن بعض مؤسساته في القطاعين العام والخاص استطاعت تطوير انتاجها وأدخلت تحسينات جديدة عليها. وهكذا يمكن القول إنّ اقتصاد المعرفة ارتبط بشكل كليّ بالتطوّر التكنولوجيّ الذي يحدث على المستوى العالميّ. وإذا كان هذا التطوُّر قد أدّى إلى زيادة الإنتاج كمًّا ونوعًا إلّا أنّه يحمل في طيّاته مساوئ وتداعيات عديدة على المستويين الميكرو والماكرو اقتصادي اجتماعي. فعلى المستوى الأوّل، أدى استخدام التكنولوجيا الحديثة إلى الاستغناء عن العديد من القوى العاملة والتي تتحول إلى سوق البطالة في ظلّ عدم وجود أيّ حماية لها في لبنان. وعلى المستوى الثاني، دوخل الدولة في حالة من التبعيّة لاقتصادات الدول المتقدِّمة التي تستورد منها التكنولوجيا وتوقعها تحت حالة من المديونيّة.

كما اصطدم استخدام التكنولوجيا المتطورة بمعوقات كثيرة يأتي في مقدمها الذهنية المجتمعية التي لم تستطع تقبل هذه التكنولوجيا والتعامل معها بسهولة ما اضطر بعض المؤسسات الى صرف العديد من العمال الذين شكلوا ازمات اجتماعية لعدم استطاعة سوق العمل من استيعابهم مجددا. في المقابل فان البقاء على الآلات التقليدية في عملية الانتاج جعلت دور الاقتصاد الكلي مترهلا وعاجزا عن مواكبة اللحاق بالسوق الخارجي.

خاتمة: غزا التّطور التكنولوجي بكافة أشكاله ووسائله مجتمعات العصر الحالي كافة، وتسرب إلى كافة مناحي الحياة فيها؛ حيث صارت تستخدم التّكنولوجيا في مختلف الأماكن كالبيوت والمكاتب والمؤسسات الرسمية في الرّيف والمدينة والصحراء، وبات من الطبيعي تعامل الأفراد معها مهما علا مستواهم الحضاري أو قلّ، ومهما كانت فئتهم العمرية، ولقد استطاعت التّكنولوجيا بفضل انتشارها أن تُغيّر في أنماط الحياة اليومية للشعوب، في مختلف الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وخاصة في فئة الشباب الذين يكونون دائماً عرضة لأيّ جديد.

A Brief History of Solar Water Heating

By Dr Ahmad Noureddine

Mechanical Engineering

Introduction

Our sun emits a vast amount of energy every second of every day. In fact, for the sun itself, the concept of day and night and the time as we conceive it doesn't exist. It is always radiating energy and always has more of the same. In this sense the concept of renewable energy applies best to the sun. Although scientists argue that one day all that would stop, we can be sure that it will continue to radiate and support life on earth and perhaps other planets for millions or even billions of years to come just like it did for billions of years past.

Heating water for bathing must have been a necessity ever since humankind existed. We know that as early as 6 million years ago, our ancestors new how to start a fire. In addition to cooking they must have used fire to heat water. A popular and easy way was to heat stones in a fire then dump them in what might look like a bath tub or a small pond that could be man-made or naturally occurring (**Figure 1**).

Figure 1. An artist representation of ancestors heating water with stones

We must wonder whether humans relied more on solar energy before they invented ways to create fire. It is possible they invented enclosures such as by carving a tree bark and laying it directly facing the sun and waiting until it is warm for bathing or washing. It is also possible they invented some natural product to coat this enclosure and even insulate it for better performance. There are unlimited possibilities that man will seek for comfortable living.

Since about 10,000 years ago clay was invented. Certainly by then people were able to heat water in large clay pots using wood fire. Hot water became easier to achieve. The copper age starting about 5000 years ago brought further conveniences to water heating. Our ancestors were able to heat water in metal pots and move them around freely. A practice that is still popular even today in poor and remote areas of the world and while camping out (**Figure 2**).

Figure 2. Heating water using wood fire and metal pots

The Dawn of Modern Day Solar Energy: The batch solar collector

Not long ago and towards the end of the nineteenth century, the USA witnessed the birth of modern solar systems with the first patent recorded in 1891 in the state of California. Soon it was reported that almost a third of homes in some Californian cities were equipped with solar water heaters. This new solar system was called the batch system or bread box. The idea was simple: to trap a tank of water in an insulated box fitted with a glass window facing the sun. The designers thought they would allow the sun rays to enter through the glass but the insulated box will trap as much of the heat as possible. Although the wooden box was popular with some homeowners and particularly among solar energy enthusiasts, the system had limited success and slowly disappeared as a viable commercial level solar system.

Figure 3. The batch solar system

The Flat Plate Collector System

It took about 40 years for the batch system to make it to Florida and later to South America. By that time the batch system gave way to the more sophisticated flat plate collector. A new concept emerged where a solar system is composed of 2 parts compared to the one part design of the batch collector. This time there is the collector which basically collects the sun's energy and the tank which stores the energy for immediate or later use. Figure 4 shows a picture of a modern flat plate collector system.

Figure 4. A modern flat plate collector system.

In this system the collector absorbs and retains most of the heat impacting it. The hot water in the collector moves upward into the storage tank through a natural process called Thermosiphon. This process represents the natural tendency of hot water to rise to the top leaving cold water at the bottom in any

fluid enclosure. The tank is well insulated and keeps water hot at least until the next morning and beyond. The piping connecting the tank and collector are routed in a fashion that allows hot water from the top of the collector to flow up to the upper part of the tank while cold water from the lower part of the tank enters the lower inlet of the collector replacing the hot water that has risen. This process continues as long as the collector is receiving energy from the sun and it is at higher temperature from the tank making sure that any extra energy it receives it diverts into the tank. A cold water storage tank is usually situated above the solar system and replaces the exiting hot water from the top of the solar tank for home use with cold water at the bottom of the solar tank (Figure 5).

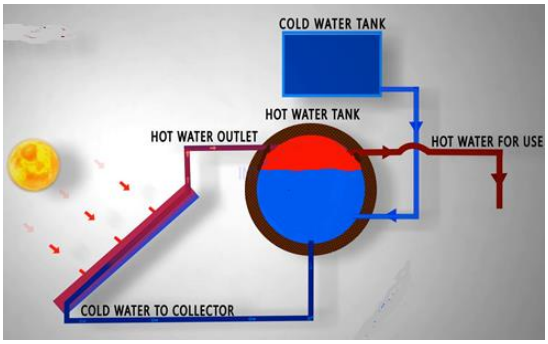

Figure 5. Basic operation principle of the flat plate collector system

Inside the flat plate collector

The flat plate solar collector is a rectangular box filled with technological features. Starting with the high transmissibility glass that allows more of the sun rays to pass through. Behind the glass is a network of copper pipes embedded in an absorbent copper plate coated selectively to absorb solar energy. The whole box is sealed tight while the back is well insulated. The heat that enters the collector is only allowed to heat the water in the pipes. These pipes are connected directly to the solar tank through the collector outlet where all the heat is passed to the tank (Figure 6).

Figure 6. Inside a modern flat plate collector

The Decades of Solar Energy Stagnation

The invention of the flat plate collector gave solar water heating a great boost that lasted until the beginning of World War II. Unfortunately, the dependency of many weapons on copper created a severe shortage of this metal hurting the solar industry with its newest design of flat plate collector. Utilities companies added to the misfortune of solar industry by offering incentives for homeowners to use electric heaters. These two reasons caused a major blow to the proliferation of solar energy for few decades.

The solar industry did not spring back until the oil embargo of the seventies and the following skyrocketing oil prices. Again a big boost came from the United States when the federal government and some states gave incentives and tax breaks for solar installations. Startup solar companies sprang up to cope with insatiable demand for renewable energy products at affordable prices. This temporary spike was killed also overnight when in the US, the Reagan administration stopped all solar incentives in 1986 causing a sudden termination of almost all technological developments.

The solar industry proved again that it was an economic and environmental necessity beyond government regulations. While advancements in flat plate collectors surfaced again after the almost fatal blow of policies that encouraged the use of fossil fuels, a new breakthrough technology in solar thermal heating appeared. The new comer that is still dominating the solar water heating today was the solar vacuum tube collector.

The Vacuum Tube Collector

The solar vacuum tube is itself a collector. It takes several vacuum tubes to make a sizable unit depending on the size of the tank. This vacuum tube is a technological wonder that made solar water heating so affordable and so efficient. The technology is not in principle complicated although it is very expensive to manufacture. Factories that invest in this multimillion dollar business rely on high volume production and must secure across the border customers.

The vacuum tube consists of two concentric glass tubes sealed on both sides with air drawn out from the empty space to create a total vacuum. The vacuum acts as a perfect insulator and this is the biggest advantage of the vacuum tube. The coating is applied to the outside of the inner tube where water sits. The coating is called 3 target because it is composed of 3 layers each with a particular purpose (Figure 7). The outermost layer ensures that incoming sun rays are not reflected back to the atmosphere, the second layer is for maximum absorption, the third and innermost layer ensure that all sun rays are reflected into the water in the tube. Manufacturers of the vacuum tube boast efficiencies of around 95%. This makes this collector the most efficient tool to convert the energy of the sun into hot water.

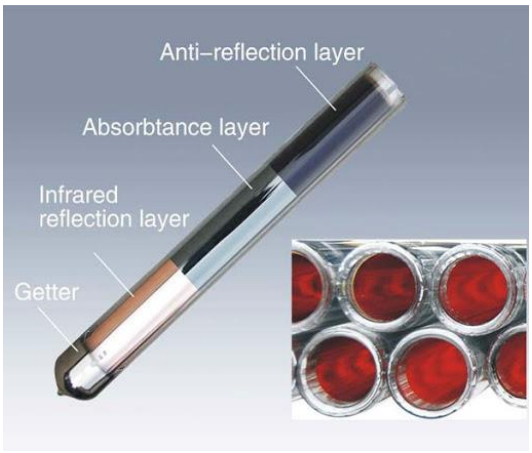

Figure 7. The solar vacuum tube

Today's Solar Hot Water Use

The vacuum tube discussed above represents the latest advances although it only represents the simplest and most economical version. Home owners have varying design requirements and have different budget limitations. The systems discussed here are only simple examples of what is available in today's solar hot water systems. These systems went from being a luxury item for rich countries in the beginning of the twentieth century to an essential item that exists in every single home in many countries and expected to spread even further to be used inside every home in the world. A look at this crowded building complex shows the popularity of solar heating in some areas and how it has become as important as having a TV and satellite dish (Figure 8).

Figure 8. Solar systems and Satellite dishes competing for space on Turkish rooftops

مراحل تطور التصاميم المعمارية
بقلم المهندس نبيل مكي

قبل سنوات عديدة، كان الطلاب الذين يسعون وراء مهنة الهندسة المعمارية والتصميم، يقضون ساعات طوال لبناء نموذج ثلاثي الأبعاد ، أو إنجاز رسومات مفصّلة للغاية لإيضاح فكرة المبنى أو التصميم الداخلي . تغيرت الأحوال منذ ذلك الحين ، وبدأ الطلاب والأساتذة على حدٍ سواء بإختيار فوائد التقدم التكنولوجي من خلال برامج التصميم الحاسوبية .

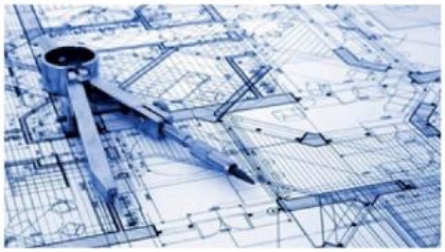

ومع وجود الأداءات ثلاثية الأبعاد الرقمية المفصّلة للغاية، أزالت التعب الناتج من إنشاء النماذج الملموسة ، وسرّعت عملية إنجاز أي مشروع إبداعي . ولا تقف فوائد برامج التصميم المعماري عند هذا الحد ، فلها أيضاً فوائد من حيث اكتشاف الأخطاء قبل حدوثها على أرض الواقع عند تنفيذ المشروعات، مما قد يوفّر الآلاف من الدولارات من المواد و الجهد المبذول و الوقت .

نمذجة معلومات البناء (Building Information Modelyng) لم تعد الصور الرقمية هي الشيء الوحيد الذي ساهم في عملية التصميم في العالم المعماري . فقد انتشرت تقنية النمذجة والتي يطلق عليها (BIM) مثل النار في الهشيم في مجال التصميم المعماري المعاصر ، ومن المتوقع أن تستمر لسنوات عديدة قادمة . سواء كنت تستخدم تقنية (BIM) في تصميم واجهات المباني أو في تطوير الصناعة التحويلية ، فهذه التقنية هي الحل. وبالطبع من دون أجهزة الكمبيوتر لن يكون أي من الطلاب أو الاساتذة قادرين على الإستفادة من بيئة العمل المذهلة والتي تشمل حياة المنشأ الذي يجري التخطيط لبنائه.